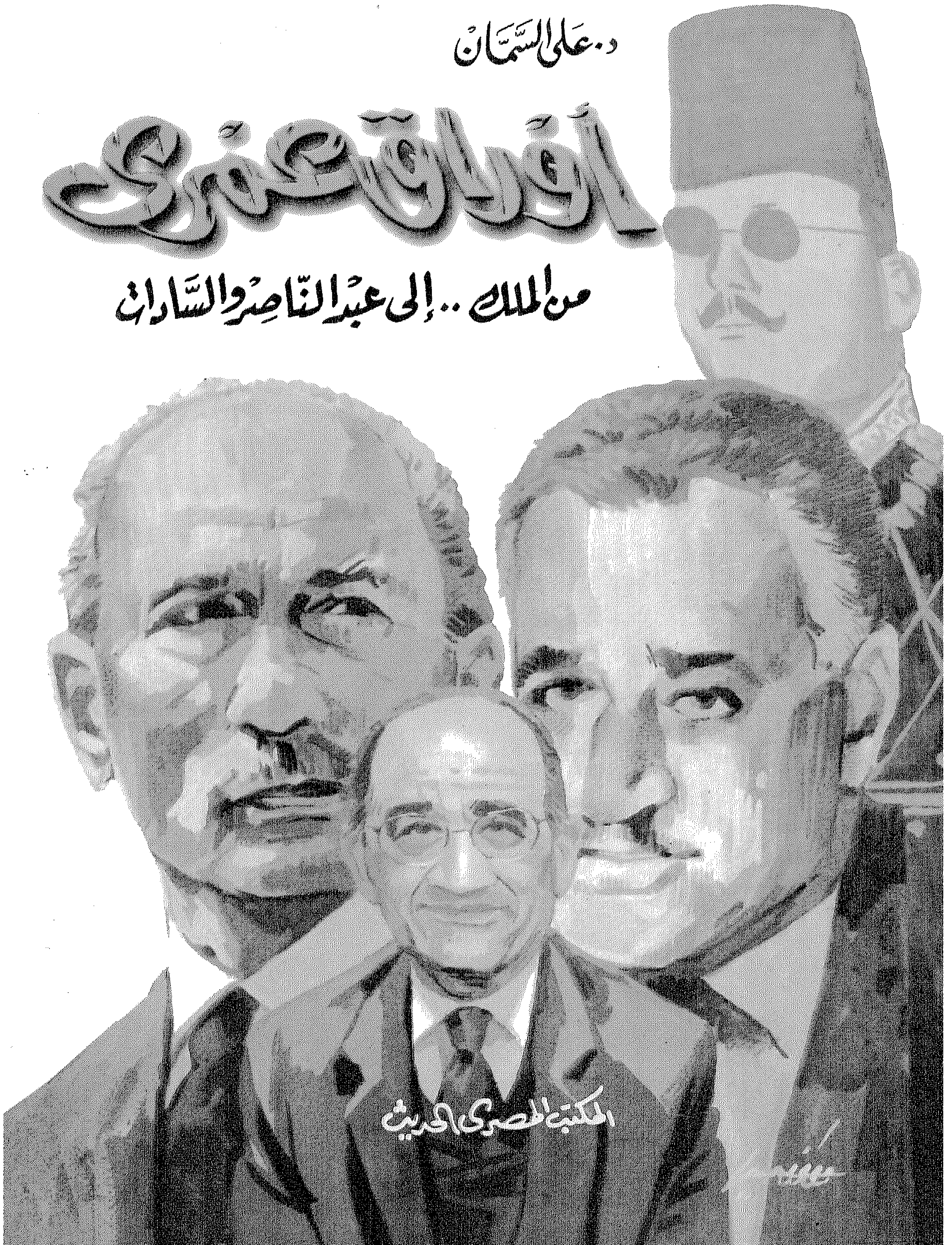

د. على السمان
أوراق عمرى
من الملك .. إلى عبد النّاصر والسّادات
المكتب المصرى الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

البقرة: ٢١٣

أوراق عمري

من الملك .. إلى عبد الناصر والسادات

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

المكتب المصري الحديث

www.almaktabalmasry.com
info@almaktabalmasry.com

القـــاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٣٩٣٤١٢٧

الإسكندرية: ٧ شـــارع نوبـــار المنشـــية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

أوراق عمري

من الملك .. إلى عبد النّاصر والسّادات

د. علي السّمّان

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com

الإهداء

- إلى جدتي التي ربتني، وجعلتني لا أشعر باليتم ولا الحرمان يومًا، والتي علمتني الكثير، برغم أميتها.

- إلى أبي الذي جعلني أرث سمعة عطرة تجمع بين الإيمان والطهارة والحسم.

- إلى أخي الأكبر، مصطفى، الذي علمني أن القناعة تحمي من الزلل.

- إلى ابني، سام، الأمريكي المولد والجنسية، الذي استطاع أن يجمع بين حبه للكمبيوتر وللجيتار، وأن يملأ الدنيا من حولي بحبه.

- إلى الأخ والصديق.. الراحل حافظ إسماعيل، مستشار الأمن القومي السابق، خير قدوة ونموذج، بما كان يمثله من انضباط وعطاء ووطنية المؤسسة العسكرية المصرية، التي يربطني بها الكثير.

- إلى أستاذي في الصحافة في أوروبا André Ulmann، الذي فتح لي أبواب جريدته La Tribune des Nations، المتخصصة في السياسة الخارجية، لأخطو أولى خطواتي نحو العالمية.

- إلى الإمام الأكبر، الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، الذي وثق بي، وأعطى الشرعية لأملي أن يدخل الأزهر طرفًا رئيسيًا في حوار الأديان على المستوى الدولي.. وكانت نقطة تحول في حياتي.

- إلى البابا يوحنا بولس الثاني، الذي عرفته وأحببته، والذي أمضيت معه لحظات نادرة خلال لقاءات أربعة، كان أهمها يوم زار بيت الإسلام، الأزهر، يوم ٢٤ فبراير ٢٠٠٠، وظلت محفورة في ذاكرتي، لتكون دليلاً وبرهانًا على أن المحبة والمودة هي ركن هام من أركان العلاقات الإنسانية، التي تتخطى حاجز الحدود.

لماذا أكتب.. أصلاً ؟!

ظللت مدة طويلة مترددًا فى إصدار هذا الكتاب، حتى لا يتشابه مع ما نسميه "مذكرات فلان" التى تصدر من وقت لآخر، لأن قناعتي أن المذكرات التى تستحق النشر، هى لشخصيات قامت بدور محوري فى تاريخ بلادها.

وليس ذلك هو حجم دوري...

ولكن إصرار أصدقائي ومعارفي، وعلى رأسهم ناشر هذا الكتاب...، على أهمية البدء فى أن أضع أمام القارئ العربي بشكل عام، والمصري بشكل خاص، تجربتي فى ميادين متعددة مع مشوار عمري على الورق، كان إصراراً أكبر من أن أقاومه، وكان أكثر أصدقائي تأثيراً فى قراري بأن آخذ قلمي بيدي لأبدأ رحلة الكتابة هو الأخ والصديق وزميل عمري المستشار الراحل فتحي نجيب رئيس المحكمة الدستورية العليا.. الذى قال لي: "**إن واجب من لديه حتى سنتمتر واحد من تاريخ هذا البلد وامتنا العربية أن يكتبه للأجيال القادمة.. فضلاً عن أن التاريخ الكبير هو محصلة رواية مئات ممن اختاروا الحركة، واختاروا أن يتأثروا ويؤثروا فى الآخرين**"...

شكراً لابني سامى، الأمريكي المولد والمنهج، ومصري القلب، الذى كان الكومبيوتر، هو مهنته، وحبه،.. والذى كان يبعث لي، برسالة، كل شهر، يطلب مني فيها ألا أنسى هديتي له: وهى هذا الكتاب.

وتحية تقدير لشريكة جزء هام من مشوار عمرى بريجيت لضغطها "المشروع" علىّ لانجاز هذا الكتاب.

شكراً لكل الأصدقاء والصديقات فى مصر وفرنسا وفى أماكن عديدة الذين اختلفت تعبيراتهم ولغاتهم ولكنهم اتفقوا على فكرة واحدة هى: ليس من حقك ألا تكتب.

شكرًا أيضًا للسيدة سمر داود التى كرست جهداً خلاقاً لا يعرف التوقف لننتهي سوياً من رحلة المراجعة خلال الثلاثة أسابيع الأخيرة فى باريس، وشكراً أيضاً لها على كل الأفكار التى وضعتها أمامي عن مرحلة ما بعد صدور الكتاب، لقد كانت نموذجاً لعقلية وشخصية فلسطينية أعتز باكتشافها.

إنني أقدم هذا الكتاب كهدية متواضعة لجيل الشباب، الذى لم يعش كل هذه الحقبة من التاريخ، ليعرف أننا فى حدود الزمان والمكان.. أدينا الأمانة.

وشكرًا لكل أصدقائي، الذين مارسوا معي خلال سنوات، إقناعي وإثارتي بلغة التحدي، فكانوا يراهنون على أني لن أجد وقتاً لكتابة تجربتي، لأنني اخترت طول عمري - فى تصورهم - ، الحركة، ثم الحركة، ثم الحركة، فبقى لي، حسب قولهم، الكلام الإذاعي فقط، عن تاريخ هذه الحركة.

وشكراً لـ "عمرى عوض حسن" الذى وضع صبر ومثابرة النوبي الأصيل، فى أن يغور فى "بدرومات" البيوت التى عشتُ فيها، بحثاً بين آلاف أوراق العمر، عن صورة أو وثيقة تصلح ورقة فى هذا الكتاب.

وشكراً لله، من قبل، ومن بعد، الذى أعطاني من العمر، لأهدى لمن أحببتهم.. أوراق عمري !

د. علي السمان

الفصل الأول

مسلم فى مدرسة الأقباط

فى القاهرة، كان مولدي فى عام ١٩٢٩، ومنها انتقلت إلى طنطا مع شقيقي الوحيد، وعمري لا يتجاوز العامين، عندما رحل والدى.

وفى مدينة السيد البدوي، عشت فى كنف عائلتي لأمي دولت الخطيب، وكان انتقالي إلى هناك، نقطة تحول كبرى فى حياتي، حيث تكفلت جدتي لأمي ستيته بركات برعايتي وتربيتي، خاصة وأن أمى قد رحلت هى الأخرى، وأنا فى السادسة من عمري فى حين عاش شقيقي الأكبر فى بيت عمي.

ويقال أن جدتي، كانت من نسل سيدي مجاهد، أحد أولياء الله الصالحين، وهو مدفون إلى جوار السيد البدوي.

وكان لجدتي ثلاثة أولاد، وبنت واحدة هى أمى، ولذلك فإنها نقلت لي، كل الحنان الذى كانت تكنه لأبنتها... أمى.

ومن حسن حظي، وبفضل الله تعالي، فإن وجود الجدة فى حياتي، منذ هذا الوقت المبكر، لم يشعرني بأى نوع من اليتم، لأنها تولت المسئولية العاطفية، والمادية، والتربوية بالنسبة لي، إلى الدرجة التى طلبت من المحاكم الحسبية أن تعطيها الوصاية علىّ استثناء.. وطلبت جدتي من تلك المحاكم، بأن يتم الاحتفاظ بتركتي حتى بلوغي سن الرشد، على أن تتولى هى الأنفاق على أموري، من مالها الخاص بل واختارت لي مربية سودانية "عزيزة".

وعندما جاء أوان اختياري لمدرسة ابتدائية أبدأ فيها تعليمي، اخترت مدرسة الأقباط فى طنطا، وأصررت على ترك المدرسة الأميرية الحكومية، التى كنت قد قضيت فيها عاماً،.. أصررت على تركها، لأني لم أستطع أن أتواءم مع أحد مدرسيها.. ولأن جدتي كانت راغبة بصدق، فى إرضائي بأى ثمن، فقد وافقت هى بلا تردد على انتقالي إلى مدرسة الأقباط، التى كانت ملحقة بإحدى الكنائس.. وكنت أنا المسلم الوحيد، تقريباً.. فى تلك المدرسة.



مدرسة الأقباط أول مدرسة التحقت بها منذ صغري وقد تم تحويلها إلى مدرسة إعدادية فيما بعد

وكان من الصعب، أن يجرى تعيين مدرس للدين الإسلامي، من أجل تلميذ واحد، فى مدرسة الأقباط.. هو أنا.. فبحثوا عن رجل متطوع للعلم، وجاء.. وكان أسمه الشيخ جبر.. لا أزال أذكر أسمه وشكله جيداً.. وقد فهمت مما كان يشرحه لي من بعض الآيات، ومما كنت أسمعه منه، أن هناك احتمالاً كبيراً، أن الذين أحببتهم من أطفال الأقباط، لن يكون مصيرهم الجنة.. من وقتها، ومنذ سمعت منه ذلك، كرهت التطرف بكل حواسي، كرهته كمعنى، فلم أكن أعرف، بالطبع، فى تلك السن، معنى كلمة تطرف، كما أني لم أفهم ما هو ذنب ذلك الطفل، الذى حكم عليه الشيخ جبر، بأنه من الصعب أن يدخل الجنة!

وفى العام التالي، تشجع مجموعة من الأطفال المسلمين، بدخول مدرسة الأقباط، خاصة بعد أن رأوا حفيد الشيخ مجاهد، يدرس فيها.. وأصبح سبيلي للرد على الخوف الذى سببته لي أفكار الشيخ جبر، هو المسلك البريء، بأن أقول للمدرس، عن كل فكرة يطرحها علينا: لماذا ؟!

ويبدو أن هذا التساؤل، الدائم مني،بهذه الكلمة "لماذا؟".. جعل المدرس، فى كل مرة يدخل فيها الفصل، يطلب مني الخروج حتى لا يقلدني سائر الأطفال.

ووجدت نفسي مجبراً، وأنا طفل، على أن أتساءل: لماذا أنا وحدي.. بينما أطفال المسلمين يتعلمون دينهم، وكذلك أطفال الأقباط يتعلمون دينهم.

وكانت النتيجة الطبيعية، أن أشخاصاً على وجه الخصوص، بقوا فى ذاكرتي إلى اليوم.. منهم رجل أسمه "حنا مقار" وكان هو ناظر المدرسة، وقد أحببته للطفه وعلمه.. وكذلك بقى فى ذاكرتي الشيخ جبر، ولكن على مستوى آخر بالطبع.. ولن أنسى رجل كان فى الخمسين من عمره، فى ذلك الوقت، وكان تاجر قطن كبير اسمه الحاج علي البطاطه، ويملك الكثير من العمارات فى طنطا، وكان والداً لزميل لي.. وقد ألغى، من ناحيته، فارق السن بيننا ليتكلم معي فى مواضيع جادة، وقضايا كبيرة، وكان رجلاً مستنيراً، ورمزاً لإسلام السماحة والوسط، وفهمت بعدها بسنوات أن أغلبية مسلمي طنطا هم مثل الحاج البطاطه وليس الشيخ جبر وهو أول منْ علمني الانتظام فى الصلوات، وكان يمر على البيت ليصحبني معه، إلى صلاة الفجر حاضراً، فى مسجد السيد البدوي.. وربما كانت صلاتي للفجر والانتظام فيها، بجانب ذلك الرجل، ثم ذهابي إلى مدرسة الأقباط، وسماعي لجرس الكنيسة بعد أن أكون قد سمعت، من قبله، صوت الآذان فى السيد البدوي، هو الذى خلق فى داخلي نوعاً من التواؤم الداخلي، لا أزال أتمتع به إلى اليوم.

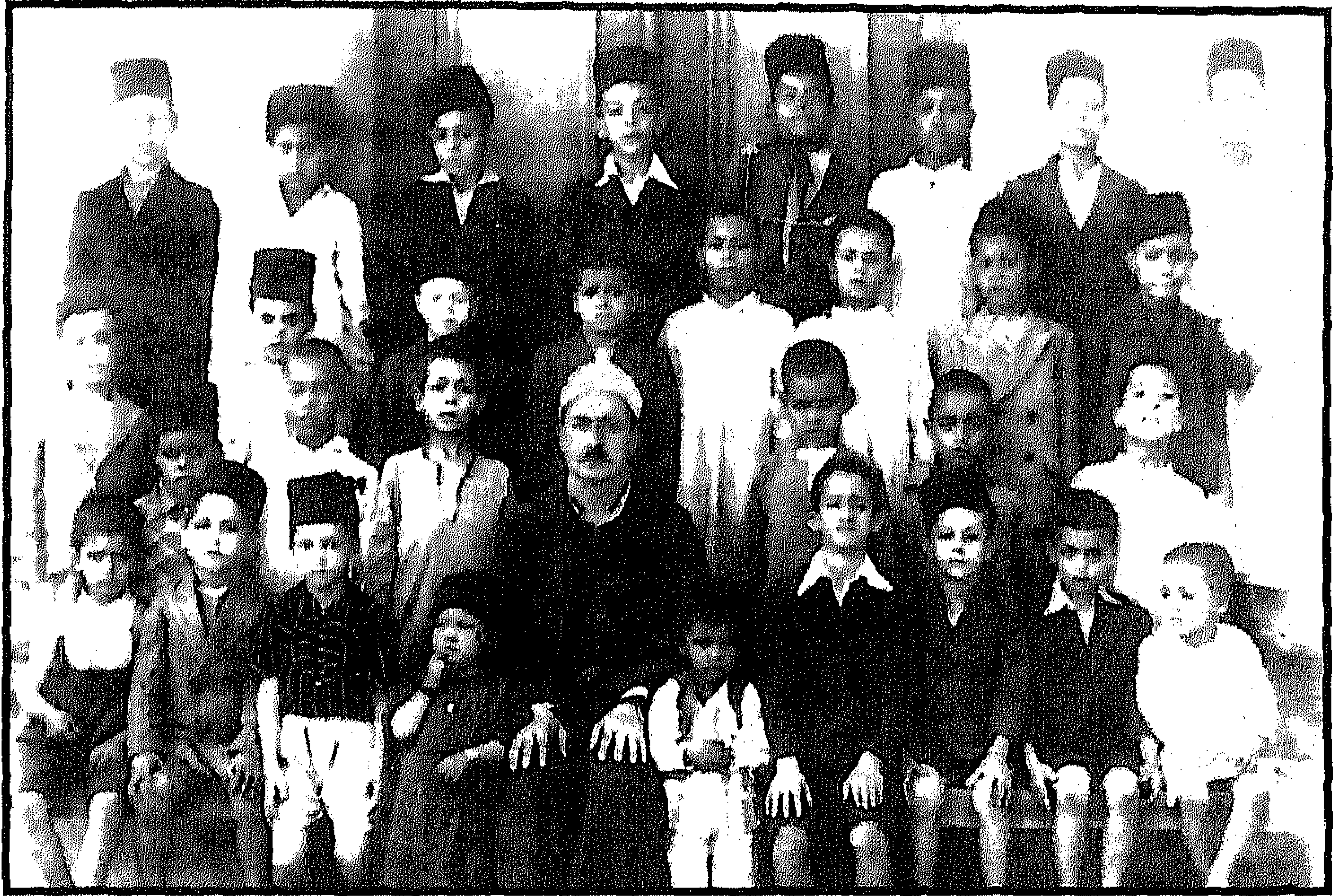


أمام الكنيسة القبطية عند زيارتي لها بعد أكثر من نصف قرن

وعندما أتحدث عن الشيخ شبل، فى طفولتي، فإنني أقول أن "الكُتاب" فى مصر، خصوصاً فى تلك الأيام البعيدة، كان هو المدرسة التى تخرج منها كثيرون..

كما أن الذين لم يمروا "بالكُتاب" فى طفولتهم، فقد فاتهم العيش فى أعماق قرى مصر، وريفها.. وقد كان الشيخ شبل شيخاً شديد المراس، وكان شأن أغلب شيوخ الكتاتيب يحتفظ بـ "فلقة" ليعاقب بها الذين لا يلتزمون من الصغار.. ولكن لأن جدتي كانت قد خصخصت هذا "الكُتاب" قبل نصف قرن من الخصخصة التى نعرفها اليوم..!! فكانت الدروس تتم فى بيتنا بطنطا..، ولم أمر، بالتالي، على هذه الفلقة يوماً، ولكن.. أن أرى الآخرين يدخلون فيها، فقد كان هذا رادعاً كافياً بالنسبة لي.. إنه أسلوب من أساليب العقاب، مختلف عليه، ولكنه - فى كل الأحوال - يفيد فى زرع فكرة الممنوع والمسموح داخل الصغار الذين يرتادون الكُتاب وهم أطفال.

كما أن الكُتاب، يظل هو المكان الطبيعي لتعليم القرآن، وحفظه.. وقد بقيت، عندما كبرت، على علاقة ود، وعلى اتصال دائم بالشيخ شبل، لأطمئن عليه، حتى وأنا أدرس فى كلية حقوق الإسكندرية.



الدكتور على السمان.. عندما كان طفلاً، مع سائر أقرانه، فى كُتاب الشيخ شبل

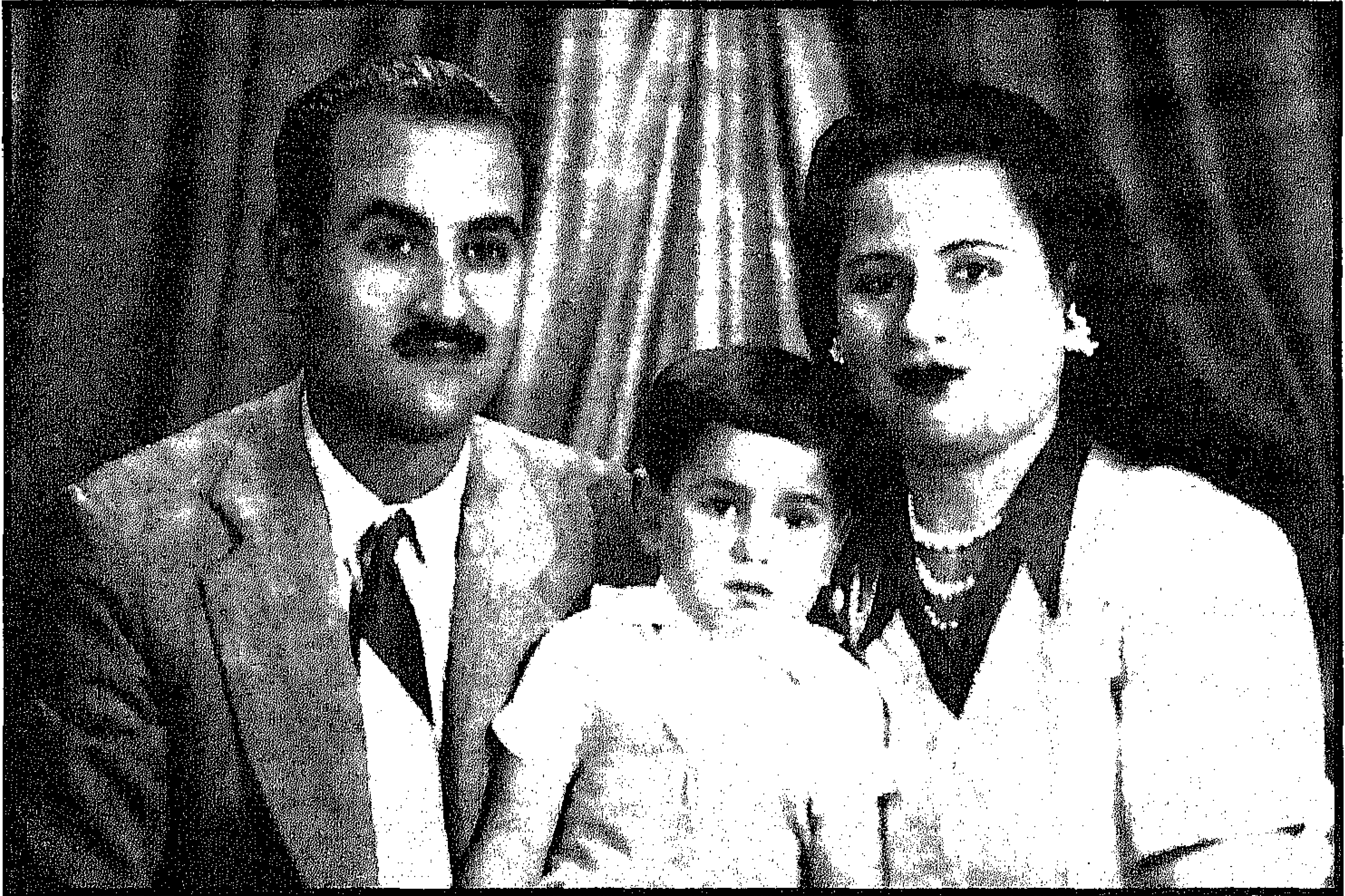
وعندما أحصى، اليوم، الأمور التى أسعدني الحظ فيها، فإن أول هذه الأمور، أن يكون لي شقيق يكبرني بسبع سنوات هو مصطفى السمان ليكون نموذجاً أمام عيني.. وقد كان ملفتاً لنظري، أنه منتظم جداً فى صلواته وعباداته، وكان فى الوقت نفسه منفتح الفكر والعقل على الآخرين.. وكان هاوياً للموسيقى، حتى

أنه تعلم العزف على العود.. كما أنه تعمق فى قراءاته، واعتقد أنه هو الذى حببني مبكراً فى عبقريات العقاد.. وقد تربى مصطفى، بعد وفاة الوالد والوالدة، مع عائلة عمنا المرحوم زكى السمان، الذى كان يعمل فى تجارة الأقمشة بطنطا.. وقد أتاح ذلك، لشقيقي، تربية عصرية، ذلك أن وكلاء التجارة الذين كانوا يأتون إلى عمي، فى ذلك الوقت، بصفة منتظمة، كانوا من الإيطاليين، والفرنسيين، واليونانيين.. وقد كان فى مجيئهم، شبه المنتظم، فرصة لشقيقي، كى يختلط بهم، ويسمع لهم، ويتعرف على أفكار العصر بسهولة.

وكان بنات عمي، قد تربين فى المدارس الفرنسية فى الوقت الذى كان الجو المحيط بي تقليدياً، وريفياً.

وتزوج مصطفى، من ابنة عمي "نعمة" ليكونا أمامي طوال نصف قرن مثالاً لزوجين يعرفان معنى الحب والتفانى والعيش المشترك.

ولم أسمع يومًا بخلاف بينهما، إلى أن لقي ربه.. يرحمه الله.. فقد كان أمينًا، ومتواضعًا، وراضيًا دائما بما أعطاه الله.



أخي الأكبر مصطفى السمان، مع زوجته نعمة وابنهما عبد الوهاب السمان
إنهما نموذج لحياة زوجية سعيدة حتى النهاية

ورغم معيشته فى "قطور" إحدى مدن محافظة الغربية، إلا أنه كان شديد الاهتمام بأناقة مظهره، وحُسن علاقته بالمجتمع الصغير الذى يعيش فيه، والذى نال حبه واحترامه.. وقد أعطاه الله بنتاً هى "نوسه" وولداً هو "عبدالوهاب" اللذين أخلصا فى حب والديهما، وكانا قدوة فريدة فى مراعاة واحترام صلة الرحم.

ورغم أن عبدالوهاب، قد أنهى دراسته كمهندس زراعي، إلا أن حبه لي، دفعه إلى أن يميل إلى الإعلام، ليكون مراسلاً لأخبار اليوم فى كفر الشيخ.. وقد كان مثل أبيه، هادئاً، مهذباً، مؤدباً.. وأميناً.

وأنجبت نوسة ابنتين هالة وهبة، وتميزتا بالقدرة على الخيال وكتابة الشعر ولم ينجوان من "عدوى" الإعلام فعملا فى القناة السادسة.

وانجب عبد الوهاب ولدان مصطفى وعلي، وكان الأول "دلوع" فكان اختيارنا كلية الشرطة أحسن طريقة للانتباه "والانضباط"، وأخذ الثاني طريق أبيه لأكاديمية الإعلام بمدينة الإعلام.

وكنت دائماً معجباً أن عائلتي وأحفادي فضلوا دائماً العيش بعيداً عن العاصمة، ليت هذا النموذج يتكرر فتتوقف عند رقم ١٧ مليون لسكان القاهرة..!!

ولا أنسي، ما حييت، فضل خالي الشيخ مصطفى الخطيب، على تكويني فى تلك السن المبكرة، فقد عشت معه، فى بيت واحد، ومع إبنه قريبي وصديقي، الذى أصبح اللواء سامى الخطيب فيما بعد والذى توفاه الله، بينما أنا فى طريقي للانتهاء من صفحات هذا الكتاب.. وقد عودني خالي، على أن يطلب مني قراءة الجرائد اليومية له، وقد ساهم ذلك، فى تقريبي من الحياة العامة، ومن أمورها، خاصة وأنه كان شغوفاً بمناقشات البرلمان، وكان يحب أن أقرأ تفاصيلها له، وكان كذلك معجباً بواحد من أقطاب السياسة فى تلك الأيام.. هو صبري باشا أبوعلم.. وقد نقل اهتمامه هذا، لي، مما أعطاني مبكراً، ذاكرة مكتملة من التعبيرات التى كانت سائدة حينذاك، ومن بينها، على سبيل المثال: النضال.. العدل، دستورية الأشياء، شعبية الحكومات.. الصراع بين الأحزاب وبعضها وموقف ملك مصر، وقتها.

وإذا كان لي أن اذكر أحداً، من رفاق الطفولة، ممن دامت علاقتي بهم إلى اليوم، فإنني أذكر الدكتور محمود جامع، الذى توثقت العلاقة معه، لأن الوالدين.. والدي.. ووالده.. كانا صديقين، كما أن الشأن الديني كان يجمعنا منذ البداية.

وقد دامت علاقتي وصداقتي، مع سامى الخطيب، إذ من النادر أن يكون الإنسان قريباً لك وصديقاً فى الوقت ذاته، مازلت حتى اليوم مديناً بمحبته وحبه لي، وأعجبت بشهامته واستعداده الدائم لمعونة الآخرين، ولعقليته المنظمة وحبه لأناقة الموقع الذى يعمل فيه أو يعيش فيه وعلى المستوى الإنساني لم يمر يوم أثناء إقامتي بمصر ألا ويتصل بي صباحاً أو مساءا للاطمئنان علي خلال نصف قرن من الزمن.. وزاملني فتحى الطيبى، الذى كان دائماً من أوائل الدفعة، وسكن معي بعد ذلك لمدة طويلة، فى شقة واحدة، عندما درسنا سوياً فى جامعة الإسكندرية وكان دائم الخوف من تفوق الزميلة حسن شاه علينا جميعاً.

ولا أستطيع أن أنسى، فى هذا الإطار، "عم حنا" وهو رجل عرفته فى مرحلة الصبا، حينما بدأت البحث عن مضمون وتفاصيل تركة أبي، فوجدت أن هناك أموالاً كان قد أقرضها أبى، بمستندات وأوراق مكتوبة، وبدأت أسمع، وأنا أبحث عن التركة، أن أبي قد أقرض فلاناً ٣٠٠ جنيه، وفلاناً آخر ٢٠٠ جنيه.. وتلك مبالغ كانت ضخمة جداً، بموازين أيامها.. وكان "عم حنا" أحد المدينين، فذهبت إليه أطالبه بالسداد، لأنه كان قد تولد عندي، مبكراً، فكرة "الحق" وتعلقت بها، وكنت راغباً، على الدوام، فى أن كل إنسان، من العدل أن ينال حقه، دون أى ظلم.

ولم أجد صعوبة كبيرة، فى الاستجابة لفكرة تقسيط الدين، على "عم حنا" قبل أن نخترع نحن، فى أيامنا هذه، فكرة جدولة الديون !!

وكان لقائي بعم حنا، فرصة مناسبة لكى أتعرف على كريمته، وأن تكون هى أول من أحبها حباً طاهراً بريئاً من بين أقباط مصر..، وهذا الحدث كان له تأثير كبير فى داخلي.

وما دمت أتحدث عن التأثير القبطي فى تكويني، وفى حياتي، فلا يمكن أن أمر، سريعاً، دون أن أذكر الأب جرجس راعى الكنيسة، الذى كان يتلطف معي، حينما أكون خارج الدرس، فى مدرسة الأقباط، وأشهد الله أنه لم يحاول أبداً، أن يؤثر فى اختياري الديني، ولكني أذكر بقوة، كطفل وقتها، أنه كان يقدم لي الشاى دائماً، وبالذات شاى "بروك بوند" الأمر الذى حببني فى ذلك الشاى الإنجليزي النادر، حتى أنني أصبحت أطلبه فى كل مكان أذهب إليه فيما بعد !

وكانت صدفة أذهلتني، عندما كنت فى باريس، بعد نصف قرن من لقائي مع الأب جرجس، فإذا بي التقى، صدفة، براعي الكنيسة القبطية فى فرنسا، الأب لوقا ابن الأب جرجس.. ومثل أبيه كان رجل عطاء وعلم عال فهو رجل دين وعضو

فى مركز الأبحاث العلمية الفرنسية.. وكان تعرفي عليه، فى حفل كان قد أقيم لقداسة البابا شنودة الثالث فى إحدى زياراته إلى باريس.. وسعيتُ، بدوري، إلى ضم ابن الأب جرجس، إلى مؤسسة حوار الأديان وتعليم السلام، التى أرأسها فى باريس الآن.

وعندما أذكر اليوم، اللحظة التى انتقلتُ فيها إلى المرحلة الثانوية من التعليم، فإن أول شئ يتبادر إلى ذهني، هو أني بدأت أنخرط فى العمل السياسي، الذى كان يعنى، بالنسبة لي، شيئاً واحداً، هو العمل الوطني، والمساهمة على أى مستوى، لطرد المحتل الإنجليزي، رغم صداقتي المبكرة لأحد مدرسي اللغة الإنجليزية، وكان اسمه "مستر ميتشن" وكان معلماً مثالياً، ورياضياً مثالياً أيضاً، كما أنه كان يعرف كيف يختار بعض الطلاب ليعلمهم ويربيهم جيداً.. هنا، وجدت نفسي أمام موقف محدد، من المحتل الإنجليزي بوجه عام، وأمام موقف آخر مناقض تماماً، من مستر ميتشن كإنسان الذى كنت أحبه وأقدره.. وكانت تلك هى البداية، التى تولد فيها، فى عقلي، مبدأ محدد فى التعامل مع الناس ومع الأشياء، وهو مبدأ يقول "أن هذا شئ.. وهذا شئ آخر" بمعنى النسبية فى التعامل مع الناس ومع الأشياء، حسب الحقائق التى تتوافر لك، وتتكشف عن هذا.. أو ذاك، ومن هذا المنطلق حينما ثار طلاب مدرسة طنطا، عقب اعتداء الجنود الإنجليز فى منطقة قناة السويس، وأرادوا أن ينتقموا من المدني الأعزل المدرس مستر "ميتشن"، دعوت مجموعة من الشباب الرياضيين لنلتف حوله، ونحميه من غضب شباب وطلاب المدرسة.

أما العمل الوطني، فكان لي دائماً، اتجاهاً لتجسيد الشيء فى حركة، وعمل، وعطاء، .. وليس فى مجرد خطاب سياسي كبير.. وربما لهذا السبب كونت مع مجموعة من زملائي فى طنطا الثانوية، فى مقدمتهم زميل شبابي ورفيق عمري إبراهيم يونس، هذا الوطني والمناضل بعناد، مجموعة "السبعة الكرام".. كنا سبعة، وكان من بيننا الاشتراكي، والإخوانى.. وغيرهما.. وخططت المجموعة للقيام بعملية ضد معسكر بريطاني قريب من طنطا.. كنا فى السنة قبل الأخيرة من المرحلة الثانوية التى كانت تسمى "الثقافة"وقتها.. وكان دوري فى العملية هو وضع الخطة.. بحيث أحدد مَنْ منا يذهب إلى السويس لشراء السلاح.. ومَنْ يراقب المعسكر على مدى أسبوع.. ثم مَنْ ينفذ.. ولسوء الحظ، سقطت الورقة التى كانت تنطوي على الخطة كلها، فى يد مدرس، للغة الفرنسية، الذى كان قد تهكم على أحد أفراد المجموعة، مخاطباً إياه بأنه، ونحن معه، لانزال "عيال" وأن الكلام عن مقاومة الإنجليز، والقيام بعمليات ضدهم أكبر من سننا، فأراد زميلنا أن يثبت

له أننا لسنا عيالاً، كما يتوهم، وراح يلوحَ له بالورقة التى تشمل خطتنا لنسف المعسكر البريطانى..



صورة أمام حبس قسم أول طنطا عند زيارتي له فى أمان وسلام فى نهاية عام ٢٠٠٤
ضمن برنامج وزارة الشباب "العودة للجذور"

وعندما بدأ البوليس السياسي يحقق معنا، وقال لي رئيس البوليس السياسي، وكان اسمه سعد الدين السنباطى، بأن كل ما أستفزه فى الموضوع، أنني قبل تنفيذ الخطة بيومين كنت هادئاً فى بيتي، أذاكر دروسي، وكأن شيئاً لا نخطط له سوف يهز طنطا كلها!!

وأراد الرجل أن يرهبني فى بداية التحقيق، فقال لي ما معناه، أنني سأبقى فى الحبس، طالما هو ظل رئيساً للبوليس السياسي، لأن هذا النوع من المخططين - وكان يقصدني- هو الذى يهمه.. لأنه يعرف خطر هذا النوع، الذى كنت انتمى أنا إليه.. على حد تعبيره !.

وقد تكون صدفة من القدر، أن يكون اجتماع لجنة أو مجموعة "السبعة الكرام" كمشاغبين فى رأى الأمن، ووطنيين فى رأى زملائهم.. أقول أنه قد تكون صدفة من القدر، أن يكون اجتماعهم فى مقهى فى طنطا كان اسمه "مقهى فرنسا" وهو مقهى كان شهيراً وقتها.. وكأن ذلك كان مبشراً بأنني يوماً ما،

سوف أذهب إلى ذلك البلد الذى يحمل المقهى اسمه، فيما بعد.. وأن تكون لي قصة طويلة مع فرنسا.. وقد كانت أمام ذلك المقهى، أكبر شجرة رأيتها فى حياتي.. ومما كان يستفز رئيس البوليس السياسي فى المدينة، أننا كنا نجلس بجانبه، مثل الكبار، على مائدة واحدة، فى مقهى فرنسا.. كما آن إبراهيم يونس كان أكثرنا حماساً واعتداداً بالنفس.

وكان من نتيجة القبض علينا، فى عملية المعسكر البريطاني، أني قضيت شهراً كاملاً محبوساً فى قسم أول طنطا، الذى مازلت حتى الآن، كلما زرت المدينة، ومررت من أمامه، فإنني أتوقف كمن يمر أمام جزء من ذاكرة تاريخه.

وأذكر، وأنا فى الحبس، أنى استطعت تطويع عدد من المجرمين، ممن كانوا يشاركونني غرفة الحبس، حتى يهدأوا، ويتوقفوا عن الشغب، عندما أبدأ فى مذاكرة دروسي.

ورغم أنهم كانوا مجرمين عتاه، إلا أنني فوجئت، بأنهم كانوا على استعداد كبير للاستجابة، عندما أحدثهم فى القضايا الوطنية..

ومن الطريف، أن الحراس القائمين على غرفة الحبس كانوا يعرفون آن جدتي "سيدة مبروكة" بحكم نسبها الذى يمتد إلى شجرة الشيخ مجاهد.. فكانوا لهذا السبب يتطوعون بطمأنتها على أحوالي، لينالوا شيئاً من دعائها لهم.

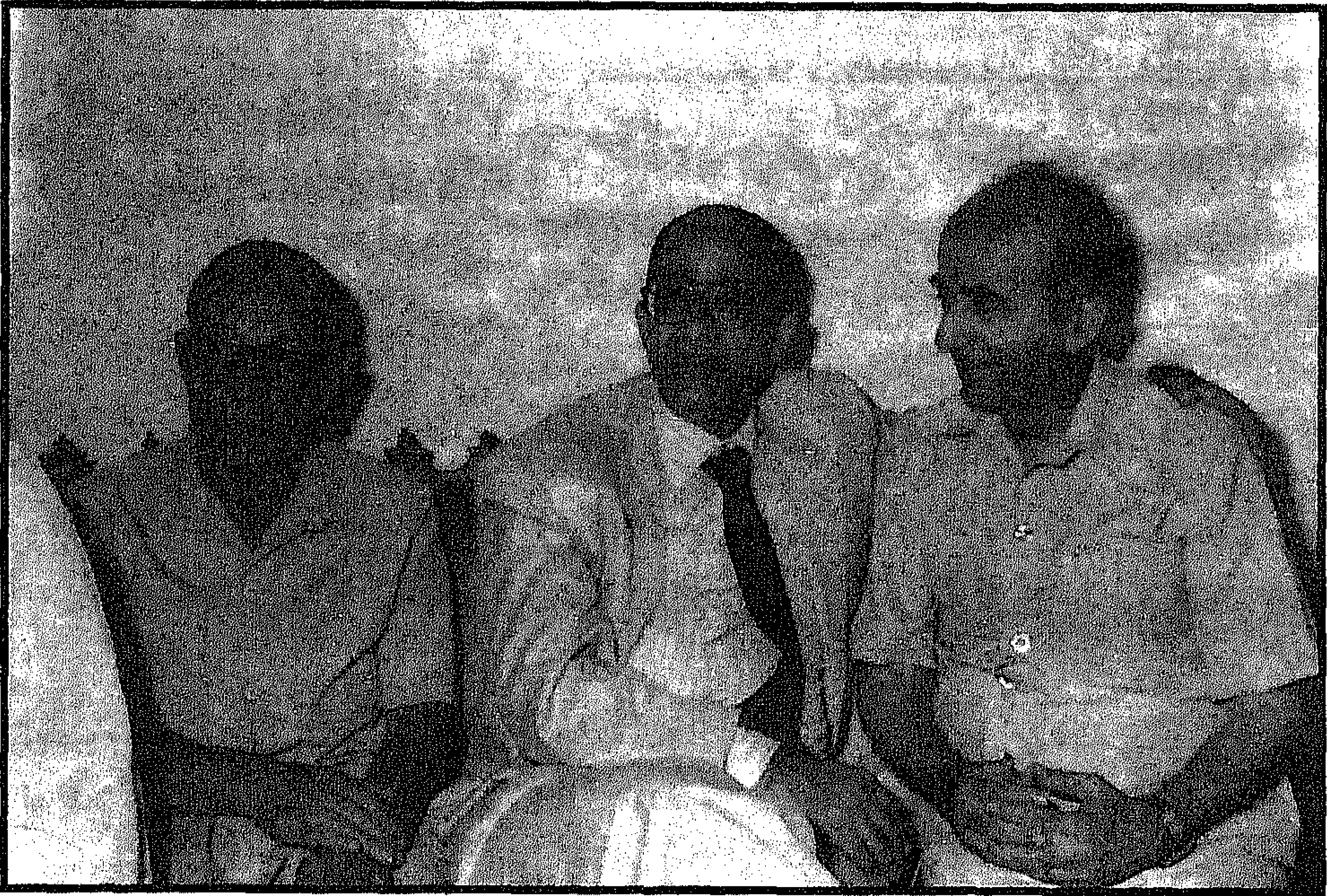
وكانت مفاجأة لي، أن أعلم منها، فيما بعد، أن أول وأهم شئ كانت تتابعه، وأنا فى الحبس، هو رغبتها فى أن تعرف، ما إذا كنت أنا خائفاً أم لا.. فزرعت فى داخلي، فكرة رفض الخوف فيما اختاره لنفسي.

ولم أجد تناقضاً، بين أن أكون فى الحبس، وبين أن يخفق قلبي لمن أحب.. وبالفعل جاءتني نفحة من حب، وأنا قيد الحبس، من "س" التى كانت آختاً لزميل لي، وكان والدها رئيس محكمة، وأحد أقربائها وكيلاً للنائب العام، فجاءت يوماً تطلب زيارتي فى الحبس، ولم يسع قلبي إلا أن يحبها بكل مشاعره.. بعد آن أرسلت إلى غرفة الحبس بهدية لي، من قطع الحلوى، التى تقاسمتها مع زملائي فى الحبس..، ومما لفت نظري إليها أنها كانت تقوم بصلواتها بانتظام، وكانت عصرية الفكر، ومازال يربطني بها، احترام ومودة كبيرين حتى الآن.

الفصل الثاني

السياسة.. على طريقتي الخاصة !

أعترف الآن، وأنا أستعرض شريط تلك المرحلة المبكرة من حياتي، أني كنت معجبًا بخطاب الشيخ حسن البنا، المرشد العام للإخوان المسلمين، وكان ذلك الخطاب يجذبني إليه، فوجدت نفسي، ربما لهذا السبب، عضواً فى أسرة علي بن أبى طالب، لمدة أربع سنوات، قبل أن أنفصل عن الجماعة فى السنة الأولى للجامعة.. وأن أبقى على علاقة مودة، مع المرشد العام الثاني للإخوان، المستشار حسن الهضيبي، وابنه وزميلي وصديقي إسماعيل الهضيبي الذى أصبح محامياً فيما بعد، وتربطنا مودة دائمة، وكان المستشار الهضيبي رحمه الله موضوعياً ومتسامحاً.



مع المرحوم الأستاذ محمد إبراهيم مصطفى رئيس أسرة على بن طالب ورئيس قسم الطلاب بشعبة الإخوان المسلمين بالغربية

وفى الوقت نفسه، كنت أراقب بكثير من الإعجاب علاقة جماهير طنطا بالوفد، وبالنحاس باشا، وتلقائيتهم، وحماسهم، ومظاهراتهم له، حينما كان يزور تلك المدينة.

وبمناسبة الكلام عن مصطفى النحاس باشا زعيم الوفد أذكر وكان لدي حوالي ١٢ عاماً صورة لم تغب عن بالي سمعتها وقرأت عنها وهي أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ حينما حاصر الجيش الإنجليزي، قصر عابدين ووجهوا إنذاراً إلى الملك "فاروق" بأنه إذا لم يختر "مصطفى النحاس باشا" رئيساً للوزراء قبل الساعة السادسة مساء، فإنه سيتعرض لمخاطر كبيرة أى يمكنه أن يخلع مثلاً من الحكم، مثل بعض ملوك مصر السابقين، حينما اختلفوا مع المحتل البريطاني ، وفوجئت وأنا أتابع كل ذلك على صفحات الجرائد ومع خالي "الشيخ مصطفى الخطيب" وبعض الأخوة من أسرة "علي بن أبى طالب" فهمت أنه أثناء اجتماع كل القيادات السياسية مع الملك في هذا اليوم التعيس في تاريخنا، كانت الأغلبية نحو الاستجابة إلى مطلب السفير البريطاني بتعيين النحاس باشا رئيساً للوزراء، باعتباره الشخصية التي وقعت على معاهدة التحالف سنة ١٩٣٦.

وسألت مدرسي للغة الإنجليزية "مستر ميتشن" عن سبب الإنذار البريطاني للملك، فقال لي: "هناك شكوك لدى الحكومة البريطانية بان الملك متعاطف مع دول المحور، أى ألمانيا وإيطاليا خصوم الحلفاء في الحرب العالمية الثانية" ، وكان لدى "مستر ميتشن" من الموضوعية التي دفعته أن يقول لي: "يحتمل أن تعاطف بعض القادة في مصر مع ألمانيا وإيطاليا ، هو تطبيق لمثل: أعداء أعدائي هم أصدقائي، فكل ذلك يأتي من كره المصريين للاحتلال البريطاني ورغبتهم في التخلص منه ولو بالتحالف مع الشيطان".

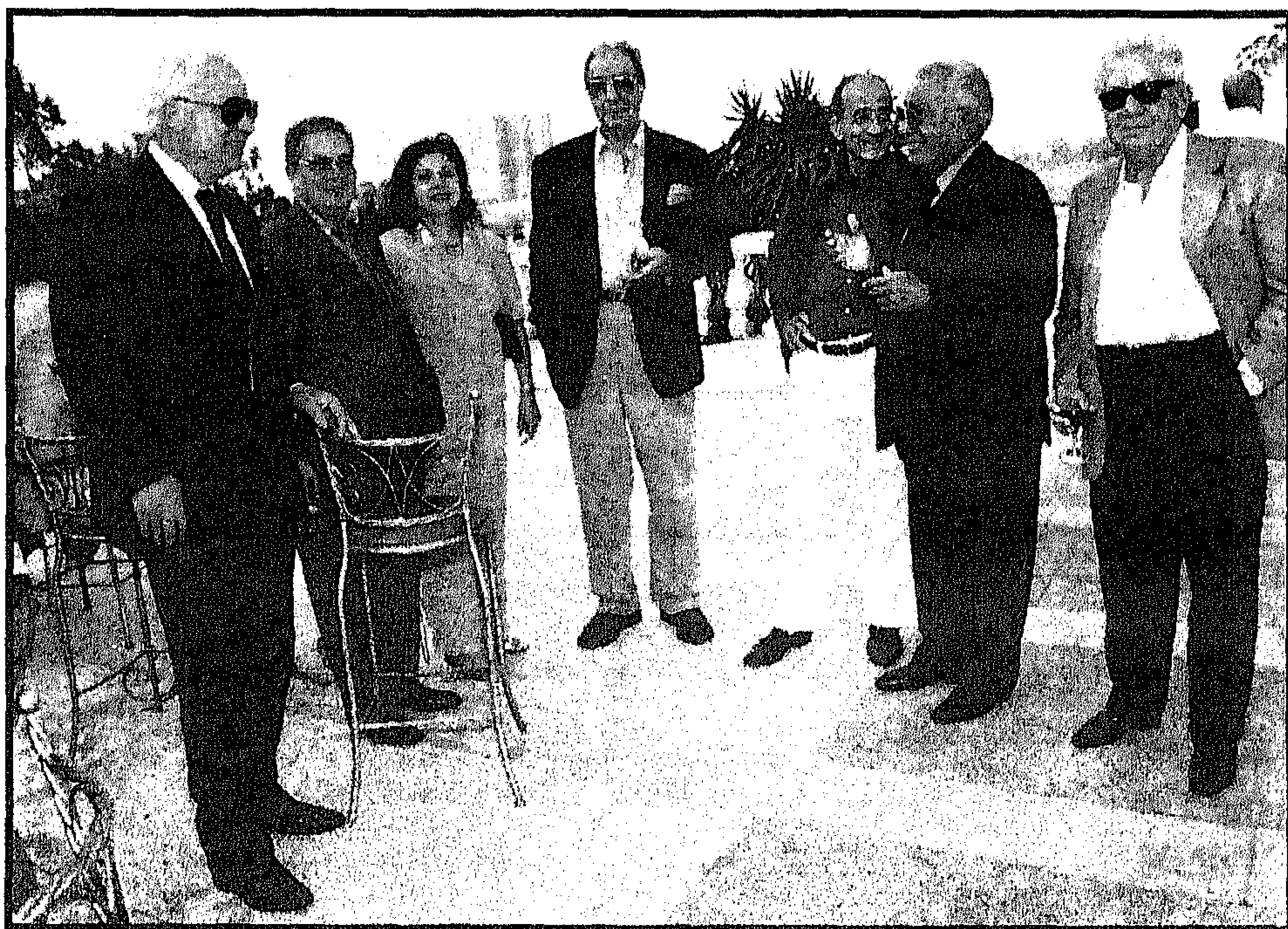
وأعترف أن موقف الأحزاب السياسية من الإنذار البريطاني خلق عندي مبكراً نوعاً من الشكوك كشاب فى دور الأحزاب ومن الغريب أنني لم اشعر بأى تعاطف مع ألمانيا عدوة إنجلترا والحلفاء.

ووجدت نفسي أشجع زملائي فى الكشافة لمساعدة جنود إنجلترا الجرحى الذين هربوا إلى القاهرة عن طريق طنطا أمام زحف روميل القائد الألماني نحو العالمين فى سنة ١٩٤٢ ، نفس الجنود الذين أردت مقاومتهم بعد انتهاء الحرب فى سنة ١٩٤٥ كجنود احتلال.

ولا أزال أذكر، عن مدرسة طنطا الثانوية، كيف أنها كانت مدرسة زعامات سياسية، تمثل كل الأحزاب السياسية وقتها.. كان هناك - مثلاً - أحمد يونس، شقيق إبراهيم يونس، وكان زعيماً للحزب السعدي فى المدينة، وكنت أراه يخطب من فوق سلالم المدرسة، فيخطب أمامه، بخطاب مضاد، أخوه إبراهيم يونس المنتمى للحزب الاشتراكي، وأصبح كمال يونس رئيساً لاتحاد الفلاحين،

ولعب دوراً بجانب الرئيس السادات فى أحداث ١٥ مايو، أما أخوه إبراهيم يونس فعمل فيما بعد كاتباً..، وكان مستوى نظار المدارس وقتها، على أعلى مستوى من الهيبة والعلم.. وكان بعضهم يحمل درجة الباكوية.

وأكثر من ذلك أقول، أن مدرسة طنطا الثانوية، كانت أشبه ببرلمان للكبار، يجتمع فيه ممثلون للأحزاب، وزعامات طلابية من عائلات كبيرة مثل سراج الدين، وعبدالغفار، والبدراوى باشا.. وغيرهم.. ولن تغيب عن ذاكرتي، صورة ذلك المربي الكبير، المرحوم السيد يوسف، ناظر المدرسة.. كان بالنسبة لنا، هو القدوة، وهو النموذج، وهو الأب الذى يلجأ إليه الجميع،.. وقبل كل شئ كان صاحب علم وفير، محباً لوطنه إلى درجة تثير الإعجاب.. ولعل من حسن حظي، أن أتعرف بعد أعوام طويلة من رحيله، بابنته السيدة الفاضلة شهيرة هانم، زوجة الأخ والصديق الأستاذ سعيد الطويل، رئيس جمعية رجال الأعمال السابق، وهو والد ناني زوجة الصديق صلاح دياب.



مع الأستاذ محمد حسنين هيكل، والصديق الراحل السفير صلاح بسيوني والكاتب الراحل سعيد سنبل وزوجته، فى واحد من لقاءات أيام الجمعة المفتوحة، فى بيت الصديق المهندس صلاح دياب، حيث يستطيع ضيوفه أن يأكلوا بتذوق وأن يفكروا.. !

وفى كل مرة، نلتقي فيها على "عزايم" صلاح دياب، على ضفة النيل، كانت تحضر شهيرة هانم دائماً، وكان موضوع حديثنا المتجدد، ذكريات شبابنا مع والدها السيد يوسف، وكان دائما ما يحضر معنا أيضاً الكاتب صلاح منتصر، وبمناسبة الكلام عن الأستاذ صلاح منتصر فأحب أن أذكر أن له قارئاً مخلصاً لمتابعته على مدى مشوار عمره، ويضاف اليه شرائح جديدة قرأوا له مرة بالصدفة، ثم أصبحوا أعضاء دائمين في نادي قرائه، ويتميز صلاح منتصر بأسلوب مشوق وطرح عقلاني، يرفض مسبقا لغة الشعارات، كل الشعارات ليذهب الى المضمون والواقع.

ولا يمكن أن أنسى تعلقي الشديد، بعباس بك الخرادلى، الذى كان معلماً ومربياً وأباً حنوناً، وقبل كل شئ كان وطنياً من الطراز الأول يتفهم البواعث التى تدفع الطلبة للتظاهر والهتاف.. أذكر، الآن، ذلك الرجل الذى كان والداً لصديقي المرحوم الدكتور نبيل الخرادلى أحد كبار أساتذة الطب بجامعة الإسكندرية بعد ذلك، وعم أفكار الخرادلى، الصحفية المعروفة بالأهرام والتى امتدت مودتي له، لتشملها حتى اليوم.

ولعل الانتماء إلى أسرة علي بن أبى طالب بالإخوان، فى تلك الفترة، كان بالنسبة لي، أسلوباً تربوياً يثبت دعائم الأخلاق والقيم، ويؤكد معانى العطاء، ولم يكن الانتماء بمعنى التحزب.. فعندما كنت أتحرك على الساحة، كشباب جيلي، كان الفكر المحرك هو العمل الوطني بصفة عامة، وليس من خلال حزب من الأحزاب.. وظل هذا المعنى، فى العمل العام، يرافقني طوال حياتي.. لذلك كنت رافضاً للانخراط فى عضوية أى حزب من الأحزاب، حتى حينما كانت عضوية الاتحاد الاشتراكي شبه إجبارية فى الستينات، وكنت أفضل دائما، فكرة العطاء فى العمل العام، دون تحزب لهذا التيار السياسي.. أو ذاك !

وبالنسبة لي، كانت هناك شخصية سياسية كبيرة، تمثل رمز العمل الوطني، فى هذا السن.. أقصد الدكتور عزيز فهمى الذى رحل عن الدنيا فى ظروف غامضة، في أول مايو ١٩٥٢.. بسبب عدائه للإنجليز وللملك، وكان ابن القطب الوفدي الكبير عبدالسلام باشا جمعة رئيس البرلمان فى وقت من الأوقات..، وأذكر أنني كتبت فى مفكرتي اليومية، التى اعتدت أن أكتب فيها سطوراً كل يوم.. أذكر أني كتبت يوم رحيل عزيز فهمى: لقد اغتيل اليوم جزء من كياننا، ومن طاقتنا.

وحينما عرفت، فيما بعد أن د. عزيز فهمى، القدوة والنموذج بالنسبة لي الذي تربى وتعلم فى جامعة باريس، كان ذلك فى ضميري، حافزاً قوياً وراء فكرة السفر إلى فرنسا، بعد ذلك، وربما اختياري أيضاً لكلية الحقوق، لكى أدرس فيها.. وبالمناسبة كان تأثير شخصية عزيز فهمى، فى وجداني، من الأسباب التى وطدت علاقتي بعالم القانون الكبير والمحامى القدير والشريف أحمد شوقي الخطيب، لعلمي بأنه أيضا شديد الإعجاب والولاء لذكرى عزيز فهمى إلى الدرجة التى أصر معها على أن يمارس مهنته من مكتب عزيز فهمى، بعد رحيله.. وأن يجعل من هذا المكتب متحفاً لعدد من الصور النادرة للراحل العظيم.

ومن يتابعون مهنة المحاماة والقضاء يعلمون أن مذكرات ومرافعات أحمد شوقي الخطيب كانت إثراء لفهم القانون وتطبيقه.

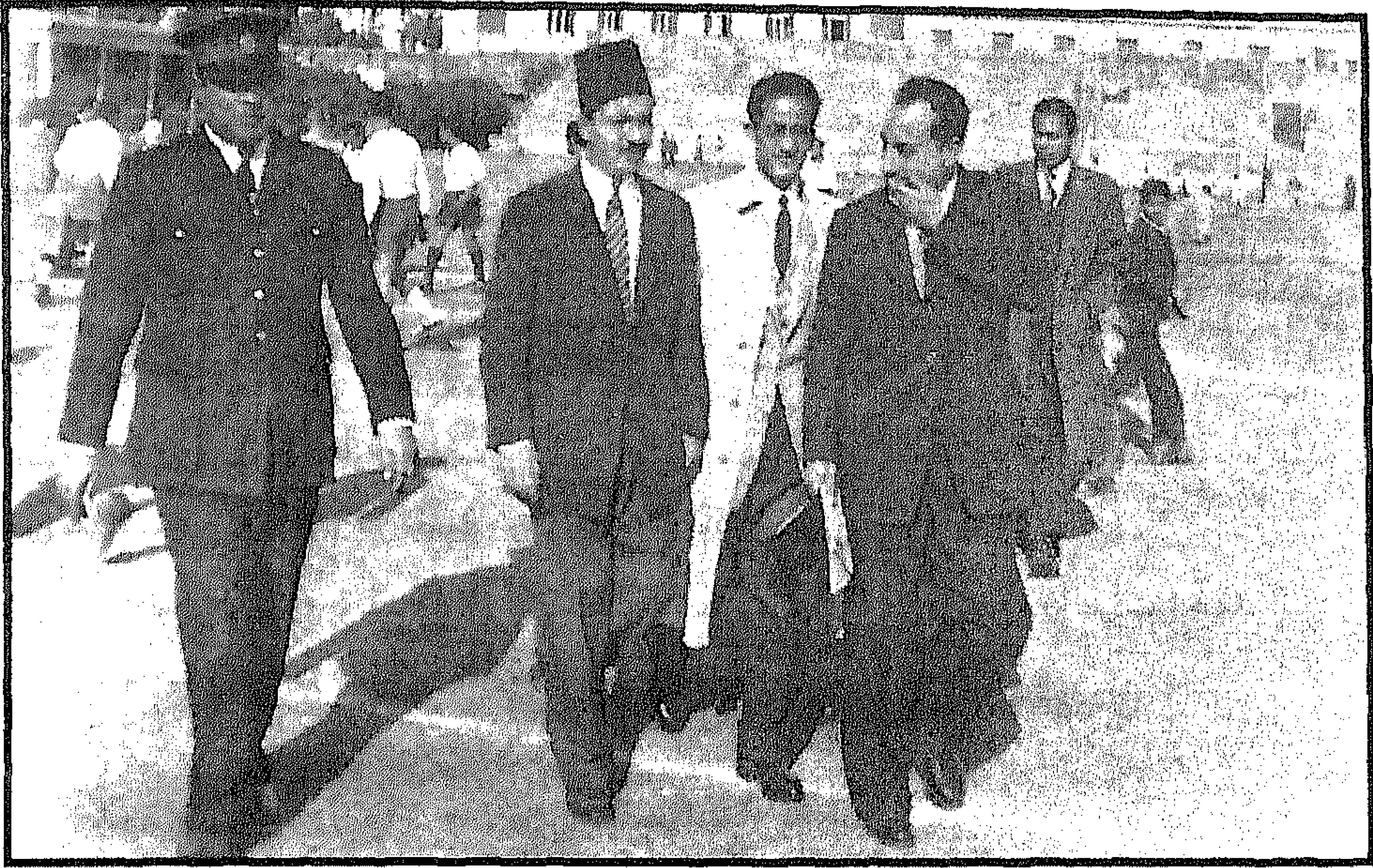
الإسكندرية

وقد كانت دراستي للقانون، امتداداً لإعجابي الكبير، بشخصية عمر بن الخطاب، وانحيازه غير المشروط للعدل.. وقد كان القانون بالنسبة لي، يمثل القاضى الذى يحكم بالعدل، والمحامى الذى يترافع لدرء الظلم.

جاءت دراستي للقانون، فى جامعة الإسكندرية، وفى تلك المدينة أقمت أربع سنوات، وكم كانت دهشتي، عندما اكتشفت أن الإسكندرية يعيش فيها عدد هائل من اليونانيين والإيطاليين والفرنسيين واليهود.. كانت الإسكندرية، حين يقال عنها فى الماضى، أنها عروس البحر المتوسط، فإن هذه التسمية كانت تعكس صورة حقيقية لمدينة شديدة النظافة.. وكنت أرى كيف أن شوارعها بعد هطول المطر، تعود إلى ما كانت عليه، من نظافة بالغة لا تكاد تفارق ذاكرتي.

واكتشفت أنها مدينة عالمية التكوين، إذا صح هذا التعبير.. وأقصد القدرة على استيعاب أفكار الآخرين، وأخذ ما هو إيجابي لديهم، لاسيما وأن أجانب الإسكندرية، من الإيطاليين واليونانيين، كانوا بعيدين عن مفاهيم السيطرة والاحتلال البريطاني.

وأذكر أنني سكنت لأكثر من عام، لدى سيدة إيطالية اسمها "مدام إسكاليزى".. وتعلمت منها كيف أن النوم المبكر، والاستيقاظ المبكر يميز هؤلاء الناس، وأن يكون المكان منذ الساعات الأولى للاستيقاظ نظيفاً.. نظيفاً.. نظيفاً.. وقد اكتشفت مع الاستيقاظ المبكر، أن مرحلة التوهج الذهني للكتابة مثلا هى، الساعات الأولى من اليوم بالنسبة لي.



مع عميد حقوق الإسكندرية الدكتور حسين فهمي

وكان اتجاهي إلى الإسكندرية، فى الجامعة، بشيراً لاستمرار اتجاهي نحو الشمال، من القاهرة إلى طنطا، ثم الإسكندرية.. ثم جرينوبل قرب مرسيليا ثم باريس بعد ذلك، ربما دون أن أتبين على وجه القطع، ملامح دعوة الدكتور حسين فوزى، إلى أن مصر جزء من شمال البحر المتوسط وجنوب أوروبا، على عكس دعوة الدكتور لويس عوض، الذى كان يتجه بأفكاره عن مصر، إلى مصر القديمة إلى الجنوب.

معسكر عرابي وفؤاد سراج الدين باشا

وفى الجامعة، على شاطئ البحر المتوسط، انخرطنا فى تشكيل معسكر أحمد عرابى، لتدريب الفدائيين، وقد بعثنا بأول دفعة انتهينا من تدريب أفرادها، إلى منطقة القنال، وكان مدرب المعسكر، هو حسين مرسى، الذى كان بطلاً من أبطال مصر الشباب، وكان قد تعرض، من قبل، لأحكام بالسجن، لتفجيره لبعض القنابل، بجوار معسكرات الإنجليز، ثم هرب إلى سورية، قبل أن يعود مرة أخرى للعمل الفدائي ضد الإنجليز.

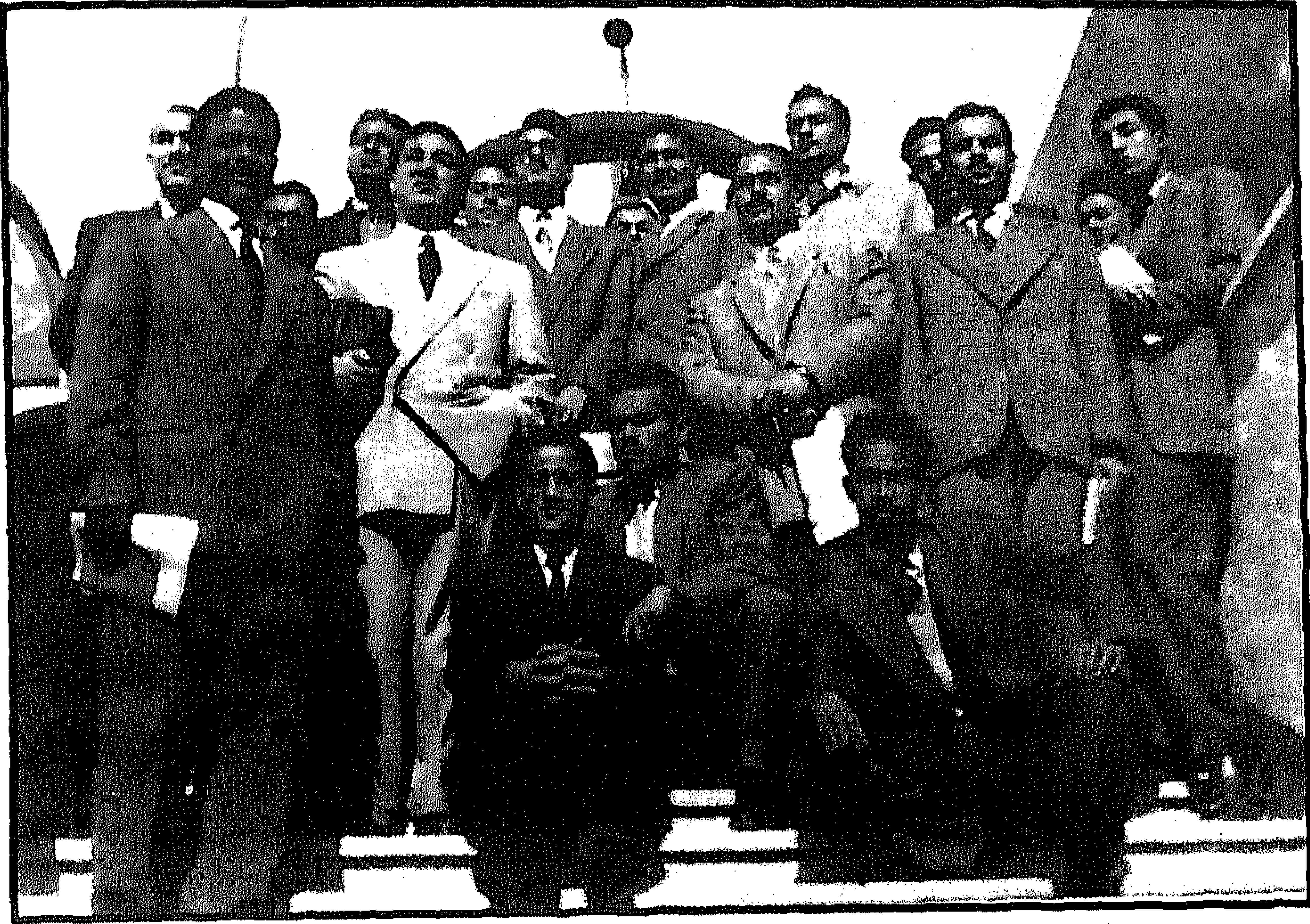


مع أساتذتي فى جامعة الإسكندرية ، د. رمزي سيف عالم قانون الإجراءات، د. متولي أستاذ الدستوري، د. فؤاد مرسى أستاذ الاقتصاد.. وكان ذلك فى مارس ١٩٥٢

وكان معسكر أحمد عرابى، يضم عناصر من شتى الاتجاهات، بل إنه ضم عناصر من الأقباط.. كان معسكراً قومياً فى تكوينه، وأذكر أن محافظ الإسكندرية جاء يزور المعسكر وقتها محتجاً على اختيار اسم أحمد عرابى ليكون عنواناً للمعسكر.. باعتبار أن عرابى كان خصماً للملكية.. وعندما كان المحافظ يناقشنا، انطلق مدفع المسئول عن تدريبنا، برصاصاته، عند أقدامنا، مذكراً الجميع بأن المعسكر مكان للتدريب وليس برلمان للنقاش.

وكان المحامى الوفدي الكبير محمد عيد، الذى توفى مؤخراً بعد حياه لم تعرف "لغة التنازلات يوماً"، هو أحد الأباء الروحيين، لهذا المعسكر.

وأذكر أننا ذهبنا إلى فؤاد سراج الدين باشا، فى بيته بجاردن سيتى، نطلب منه كوزير للداخلية، حماية القائمين على تدريب المعسكر، من تنفيذ أحكام بالسجن كانت قد صدرت ضدهم من قبل بسبب مقاومتهم ومحاربتهم للإنجليز، إذ أن تنفيذ الأحكام كان يعنى توقف التدريب تماماً.. وأذكر أن فؤاد باشا قال لنا، سأتصرف باعتباري لم أرى، ولم أسمع بوجودهم معكم، وستصدر هذه الأوامر إلى رجال البوليس فى الإسكندرية، لأن ظروف العلاقة مع القصر ومع الإنجليز، لن تسمح بالحصول على قرار عفو عنهم



علي السمـان يحتفـل مع أصدقـاء الدراسـة فى جامعـة الإسكندرية ، ومن بينهم محمـد عيـد زعيم الطلبـة ، بالإفراج عني، وعن بعض الزملاء، بعد تصفية معسكر عرابي للمقاومة الوطنية عام ١٩٥١، بعد إقالة وزارة الوفد.

وقبل أن نغادر بيته، صعد إلى الدور الأعلى وعاد بمظروف فيه مبلغ كبير من المال، وقال أن هذا المبلغ، مساهمة فى العمل الوطني، من المواطن فؤاد سراج الدين.. وكان لهذا الموقف قصة، حينما قدموا الرجل للمحاكمة، بعد ثورة يوليو.. وهو موقف سوف أعود إليه.

ثورة يوليو

وأذكر عندما انطلقت أولى بشائر ثورة يوليو ١٩٥٢ فى القاهرة، أن الإسكندرية عاشت يومى ٢٤، و٢٥ يوليو، تحت شرعية وجود الملك فاروق فيها، قبل أن يغادرها فى ٢٦ يوليو... وفى يوم ٢٤ يوليو، أرسلنا – وكنا حوالى ٤٠ من الشباب وبعض أساتذة الجامعة، منهم د. حسن أبوالسعود، أستاذ القانون الجنائي وكان وطنياً وثورياً– برقية تأييد للثورة، قبل أن يصل رجالها إلى الإسكندرية، وأسرع محافظ الإسكندرية، وحكمدار المدينة، إلينا، محذرين من خطورة هذه الخطوة وتهديدها لمستقبلنا.

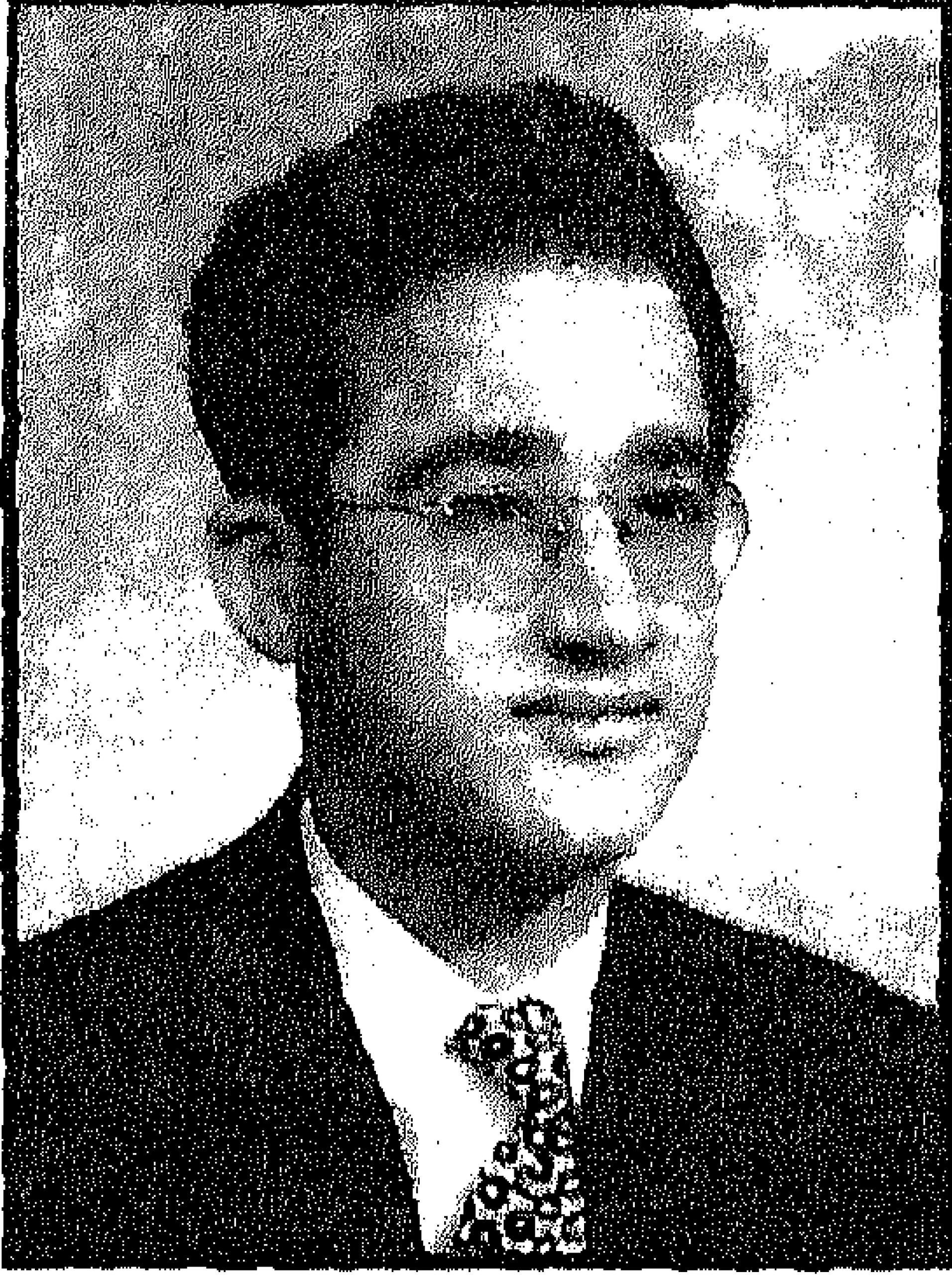


مع زملائي فى حقوق الإسكندرية.. ويبدو فى أقصى يمين الصورة الكاتب الكبير أحمد رجب زميل الدراسة الجامعية وصديق العمر

بعدها، أذكر أن جمال عبدالناصر، جاء وبعض زملائه من ضباط الثورة، إلى مبنى "اللوتوريا" بجوار كلية حقوق الإسكندرية، وكان الشائع وقتها، أن أمريكا تؤيد الثورة، وأن سفيرها فى القاهرة جيفرسون كافرى كان هو حلقة الاتصال مع الضباط.. وظل الشباب، فى ذلك اللقاء، يقاطعون عبدالناصر بهتافات تقول: يسقط عبيد الأمريكان، وكان عبدالناصر يبدو فى هدوء المحاضر، أكثر منه فى ثورة الخطيب.. وظل يحاول تهدئة الذين يقاطعونه، وكانوا يجلسون على يمين المنصة الواقف هو عليها.. وكان يخاطبهم ويلوح لهم بيديه قائلاً: يا أهل اليمين.. وحينما لم ينصاعوا لنصيحته علت نبرة صوته، وغضب وهو يقول: يا أهل اليسار.. مشيراً بالطبع إلى أنهم عناصر يسارية ترفض أن تتعاطف أمريكا مع الثورة !

وعندما بدأت محاكمات زعماء عهد ما قبل الثورة وعلى رأسهم فؤاد سراج الدين باشا.. فإنني لم أجد تناقضاً، بين أن أكون مؤيداً للثورة، وبين أن يكون لي موقف من محاكمة فؤاد سراج الدين، وأمسكت بورقة وكتبت إلى المدعى العسكري، بعد أن لاحظت أن أحد التهم تعنى التشكيك فى وطنية الرجل.. وهم يحاكمونه.

كتبت إلى المدعى العسكري، بأنني أضع أمامه، وأمام أعضاء المحكمة، تفاصيل اللقاء الذى تم بين قيادات معسكر أحمد عرابى وكنت واحداً منهم، وبين فؤاد سراج الدين، فى بيته كوزير للداخلية سنه ١٩٥١، وكيف كان رد فعله هو حماية شباب المعسكر، وإعطائه المعونة المالية لنشترى السلاح.. بل أذكر أنني قلت للمدعى العسكري، أن فؤاد سراج الدين أعطانا النصيحة، بأن نشترى السلاح من منطقة مطروح، وليس من منطقة القنال، لسبب ما، كان يراه. وأذكر أن قائد المنطقة العسكرية فى الإسكندرية وممثل مجلس قيادة الثورة، جاء يزورني فى بيتي، بعد شهادتي فى حق فؤاد سراج الدين، ليقول لي، أنه يعرف أنني من مؤيدي الثورة، وأني بشهادتي هذه، أحارب المستقبل الذى يعدونه لي بعد تخرجي، فقلت له، أن هذه كلمة حق، يجب أن أقولها فى حق سراج الدين، وأنني لا أتعرض لباقى الاتهامات.. إنما أتعرض فقط لتهمة التشكيك فى وطنيته، لما أعرفه عن حقيقة وطنية الرجل.. وكان رد الرجل على كلامي، "أنهم يحاكمون عهداً.. لا رجلاً".



الدكتور علي السمان وقت تخرجه فى حقوق الإسكندرية عام ١٩٥٣

والإسكندرية، بالنسبة لي، هى "مدرسة اقتصادية"، لأنني منذ بلوغي سن الرشد، واستلامي تركة والدى، وكانت على وجه التحديد خمسة آلاف جنيه، وكان أغلبها عبارة عن أسهم فى شركات بنك مصر، شأن كل أفراد الطبقة الوسطى، فى ذلك الوقت الذين ساهموا فى إنشاء هذا الصرح الاقتصادي، الذى يخلد للأبد اسم طلعت باشا حرب.

ومن خوفي أن هذه المبالغ يمكن أن تتبخر بسرعة فحددت لنفسي مرتباً عشرون جنيهاً فى الشهر وأذكر دارس تاريخ مصر "الحياتي" أن مرتب وكيل النيابة أو معيد الجامعة كان وقتها يتراوح بين ١٢، ١٤ جنيهاً.. وأن إيجار شقتي "الفاخرة" بحي الشاطبي أمام كلية الآداب كان جنيهاً ونصف وأن مرتب الخادم كان ٩٠ قرشاً ورفعته إلى جنيه وربع حينما اكتشفت أنه يقوم بالطهي أيضاً..!!

أقول أنني كنت أعلم منذ بلوغي سن الرشد، واستلام التركة، أن هذا المبلغ، لن يكفى لتعليمي بالخارج، فقد كنت أريد أن أكمل تعليمي فى فرنسا .. وذهبت

إلى بورصة الإسكندرية، وعلمت أنني لست مؤهلاً للتعامل معها، لأن هذا المبلغ الذى كان بحوزتي، كان مبلغاً صغيراً، حسب تعاملات البورصة فى ذلك الوقت.

واعتدت وقتها أن أتغيب عن بعض المحاضرات الصباحية، وأن أذهب لأجلس على مقهى البورصة، لأتعلم أسلوب العمل فى البورصة من الأجانب المتعاملين فيها..، وتعلمت وقتها، كيف أن حدثاً عاماً، يمكن أن يؤثر بقوة، فى أعمال البورصة.

وما أذكره، الآن، أنني أثناء لقائنا مع فؤاد سراج الدين، فى بيته، سمعت منه أنه لن تمضى أيام إلا و تصدر قرارات، بالتعاون مع البرلمان، لمنع استيراد السلع الترفيهية من إنجلترا.. وحينما عدت إلى الإسكندرية، اشتريت بكل ما أملك، أسهماً فى الشركات التى تنتج المواد الترفيهية المصرية.

وعندما صدر القرار، تضاعفت فى اليوم الأول، سعر أسهمي فى هذه الشركات، قبل أن تصل خلال ثلاثة أسابيع إلى ثلاثة أضعاف.. وكان هذا هو السر، الذى مكنني من أن أتعلم فى الخارج، على نفقتي، دون أن أكون عضواً فى أية بعثة !.. ذلك أني لم أكن من أوائل الدفعة.. إذ كان هذا المكان، مكان التفوق الدراسى، محجوزاً لزميلة دراستي حُسن شاه، قبل أن ترشح نفسها زعيمة لاتحاد الطلبة.. وكنا ننظر إليها بإعجاب وانبهار.. كل منا على طريقته.. أنا وصديقي وزميل دفعتي الكاتب الكبير أحمد رجب.

علاقتي بممدوح سالم

ولا أستطيع أن أنسى، أن دخول الإسكندرية فى حياتي، كان فرصة أيضاً للتعرف على شخصية محورية فى تاريخ مصر.. وأقصد الصاغ ممدوح سالم، ضابط البوليس السياسي المتميز وقتها، ورئيس وزراء مصر، فيما بعد.. وكذلك معاونه، فى ذلك الوقت، اليوزباشي سيد فهمى، الذى أصبح وزيراً للداخلية، فى السبعينات.

كنت وقتها أسكن فى شقة بالشاطبى، أمام كلية الآداب، وقد اعتاد ممدوح سالم أن يزورني فيها، لمحاولة إقناعي بالعدول عن القيام بمظاهرات للطلبة فى اليوم التالي، وبعدم ضرورة ذلك، وأنه ليست هناك أسباب قوية للقيام بمظاهرات من وجهة نظره.. فالأسباب التى تدعونا للتظاهر.. هى.. هى... وليس هناك جديد بالتالي يدعو للتظاهر.. واعتقاداً منه أن لي تأثيراً قوياً على زعماء الطلبة وقتها، وبالذات على الأخ والصديق الراحل محمد عيد.

وحينما كنت أصر على أنه لا فائدة، وأن المظاهرات ستقوم أياً كان الأمر.. كان الرجل يتقبل ذلك بأسلوب حضاري، ويتحول كلامه إلى كيفية تأمين

المظاهرة، والشوارع، والسيارات، حتى لا تتحول المظاهرة إلى عمل من أعمال الشغب.

وكان الأسلوب نفسه، يتبعه معاونه سيد فهمى، وقد آمنت من وقتها أن المواقف، والحركة، والتظاهر، لا تمنع الحوار مع رجل الأمن، خاصة حينما تشعر بالمعقولية فى كلامه، والاطمئنان إلى سلامة القصد والنية.

وقد استمرت علاقة المودة بيني وبينه حتى امتدت إلى عائلته كلها، وبالذات أولاد عمومته، ومنهم المرحوم إبراهيم سالم، رجل الأعمال، وأحمد سالم المستشار السياحي، وزميل عمري طوال إقامتي فى فرنسا، وقد كان دمث الخلق، راقياً فى تعاملاته، لديه طموح محدد هو أن يبقى دائماً فى باريس.. فتغيرت أشكال وظائفه من ممثل لشركة مصر للسياحة فى العاصمة الفرنسية، إلى مستشار سياحي، ثم التحاقه بمكتب جامعة الدول العربية بباريس.. وأذكر أني بذلت جهداً كبيراً، مع محمود رياض عملاق الفكر العربي المتعقل، أمين عام الجامعة العربية وقتها، من أجل تعيينه مديراً لمكتب الجامعة فى باريس.. وحين رجوت ممدوح سالم أن يطلب محمود رياض، على التليفون، ليشكره، قال لي أنه لا يريد أن يقال عنه، أنه توسط من أجل واحد من أقاربه.. وقد عاش أحمد سالم، مثل ممدوح سالم، أعزب، طيلة حياته.

وبطبيعة الحال، كانت مصادفة من الأقدار، أن أتعاون معه، على مستوى آخر، عندما كنت مديراً للإعلام الخارجي لرئيس الجمهورية، فى السبعينات، وكان هو وزيراً للداخلية، ثم رئيساً للوزراء، فى تلك المرحلة

ومن الطريف أن أذكر، أنني ظللت فى نظر، وذاكرة ممدوح سالم، "شاب جامعة الإسكندرية" الذى كان يلتقي به من وقت لآخر.. وحينما فوجئ ممدوح سالم، بأن أمامه مشروع قرار لأكون وكيلاً أول للوزارة، شعر بأن هذا قد يكون من المبكر، وأن أمراً كهذا سابق لأوانه، فى تقديره.. كما لو كنت مازلت شاب بجامعة الإسكندرية..

وكان يقول لمدير مكتبه "مش بدرى عليه شويه !!"

وحينما التقيت به، خلال هذه الفترة، كانت دعابتنا أن أقول له: لقد تطور صاغ البوليس السياسي، وأصبح رئيساً للوزراء.. فلماذا لا يصبح الطالب المشاغب فى الخمسينات، وكيلاً أول للوزارة فى السبعينات.. وكنت أستطرد وأقول له: ومع ذلك، فإن عندي مفاجأة لك، وهى أنني لا أريد لصحفيي وكالة أنباء الشرق الأوسط، التى كانت أول مؤسسة إعلامية مصرية أعمل بها عام ١٩٦٧.. لا أريد لهم

أن يصبحوا موظفين.. وأرجو ألا توقع هذا القرار، حتى يتعودوا على أن تكون ألقابهم ودرجاتهم هى: مساعد رئيس تحرير، أو نائب رئيس تحرير، أو رئيس تحرير.. وليس غير ذلك.



الرئيس السادات ود. حاتم وممدوح سالم.. ولقاء مع كبار الكتاب والصحفيين، ويبدو فى الصورة: إحسان عبد القدوس، وعبد الرحمن الشرقاوي، وموسى صبري ود. علي السمان

وكانت من الأمور اللافتة للنظر، بالنسبة لي، أن أسمع فيما بعد، من زميل كان يعمل معي بالوكالة، أنني – من وجهة نظره – ابتعدت عن مصر كثيراً، وأنني لا أفهم نظام المجتمع المصري، من وجهة نظر ذلك الزميل المعاتب لي لو أردت أن أزوج ابنتي لابن رجل مقتدر، وليكن تاجراً مثلاً.. وكنت أنا وكيلاً أول للوزارة، فسأقول له أن ابنتي أبوها وكيل أول وزارة، وتستطيع أن ترتبط بابنه، وهكذا يتعاون المال مع النفوذ !!

لغة ومنطق أديا إلى استمرار الأمر على ما هو عليه، وأن أصبح وكيلاً للوزارة رغم إرادتي.

الفصل الثالث

أول لقاء مع الغرب وعقليته

- الطريق إلى جامعة جرينوبل... ثم إلى باريس
- موقف من أزمة مارس بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر

اتجهت إلى فرنسا، إذن، وأنا أريد أن استكمل تعليمي، إيمانا مني بأن دراسة الليسانس لا تكفى.. رغم أن لقب دكتور، والدكتوراه لم تكن هى الهدف بالنسبة لي.. إنما أن أوسع دائرة معارفي.. وبصفة عامة كنت أريد انفتاحاً على الخارج، وأن اكتشفه.. وقد سألت سفير فرنسا بالقاهرة، وقتها، عما إذا كان من الممكن أن أتجه للدراسة، فى مدينة لا يكون بها إلا عدد قليل من المصريين.. بل كنت أفضل ألا يكون بها أحد منهم، ..حتى أتفادى الكلام باللغة العربية معهم وأتحدث مجبراً بالفرنسية.. وأتفرغ كاملاً لدراستي.. فأشار علىّ السفير، بأن مدينة "جرينوبل".. الفرنسية، الواقعة فى الجنوب، على بعد ٢٠٠ كيلو من مارسيليا، ونحو ٦٠٠ كيلو من باريس، هى التى تنطبق عليها المواصفات التى أبحث عنها. وهى مدينة تقع على قمة جبال الألب، ويسكنها الجليد ثلاثة أشهَر فى العام.

وفهمت من السفير، أن من حسن حظي، أن المدينة تضم جامعة جرينوبل، التى كانت قد أنشأت مركزاً على مستوى قومي، لتعليم اللغة الفرنسية، التى كنت أجهلها فى ذلك الوقت وعلمت أيضا أن شامبليون مكتشف اللغة الهيروغليفية على حجر رشيد مولود فى جرينوبل.

أبحرت، من بورسعيد إلى مارسيليا، ومن مارسيليا كنت قد حجزت فى قطار الدرجة الأولى، لأصل إلى جرينوبل وجامعتها "بكامل احترامي"!!

فى أول زيارة لي للخارج، .. اكتشفت أن الدرجة الثانية هناك، أعلى مستوى من الدرجة الأولى عندنا.

وقد صعدت إلى قطار الدرجة الثانية، عن طريق الخطأ، وكان هذا الخطأ من حسن حظي، إذ تعرفت خلال الرحلة على سيدة فرنسية فى السبعين من عمرها.. وكانت أرملة أحد أعضاء مجلس الشيوخ عن جرينوبل... وتكلمنا طويلاً، وسألتني أين سأسكن، فأخبرتها بأني سأقيم فى أحد الفنادق أمام محطة السكة الحديد، حتى أبحث بنفسي عن سكن ملائم.. وقد نصحتني بأن أتصل بها، لترشدني إلى الأماكن التى يمكن أن أجد فيها سكناً مناسباً، ولما اتصلت بها، وجدتها مريضة، بعد أن أصابتها نزلة برد، فتصرفت باعتباري شرقياً، وزرتها فى بيتها، وعرفت أنها فى حاجة عاجلة لأدوية، وأنها لم تستطع أن تحصل عليها، لأن بوابة

العمارة كانت فى إجازتها الأسبوعية، فى ذلك اليوم،.. وفهمت يومها، أن من تقاليد الغرب، أن الإنسان حينما يمرض.. فهو وحده، ولا يوجد شئ اسمه "الجيران"!!.. فلا يوجد لديهم نبي يوصي بسابع جار!!.. كما نعرف عندنا، وكانت بوابة العمارة قد ذهبت إلى إجازتها، تلقائياً، دون أن تفكر - مثلا - فى أن تؤجل الإجازة لأن إحدى ساكنات العمارة.. مريضة.

وعندما عدتُ لها بالدواء، اكتشفت أن الشقة كبيرة جداً، فسألتها لماذا لا تؤجر لي حجرة منها كبنسيون، مثلاً،.. غير أنها أخبرتني أنها ليست فى احتياج مادي إلى هذا الحد، ولكن يمكنني أن أقيم فى إحدى غرف الشقة حتى أعثر على السكن المناسب لي، دون عجلة.. ولازلت أذكر، كيف أنها كانت مندهشة جداً، لاهتمامي بإحضار الدواء لها، ولإصراري على أن أتحمل ثمنه، وكان ثمناً متواضعاً على كل حال.

كانت هذه السيدة، واسمها مدام "برشيه" سيدة مجتمع، تعرف محافظ المدينة أو الإقليم، وأعضاء البرلمان، وكبار القوم.. وكنت - حتى التقيت بمدام برشيه - أتصور أن الثورة الفرنسية بمبادئها الثلاثة "المساواة، الحرية، الإخاء" قد أذابت الفوارق والتناقضات فى السلوك اليومي على المستوى الاجتماعي،.. ولكن مدام برشيه فاجأتني، حين كانت ملاحظتها الأولى، هى رغبتها فى أن أتعود على التعامل مع المجتمع الفرنسي، وبالذات الطبقة الراقية فيه.

لا أنسى أنني حينما تعرفت بأول فرنسية، بعد مدام "برشيه".. لا أنسي أن هذه الفرنسية كانت تعمل بائعة فى متجر كبير، أو "مول" بتعبير هذه الأيام.. وقد شعرت، أنها رغم توقفها بتعليمها عند مرحلته الثانوية، إلا أن معرفتها بمصر، وتاريخها، وبالآثار المصرية، ودور شامبليون فى فك رموز حجر رشيد.. معرفتها بكل ذلك كانت كبيرة، وسمحت لنفسي أن أدعوها يوماً، إلى "شاى الخامسة" كما يسميه الإنجليز.

وعندما علمت مدام "برشيه" بأنني بدأت حياتي الاجتماعية وتعرفت على بائعة، كان رد فعلها، هو نفس رد الفعل الذى كنت سوف أواجهه، لو كنت فى مصر.. وهو أن هناك مسافات اجتماعية تفرق بين البشر.. وقالت لي ما لا أنساه إلى اليوم، وهو أنها كانت تريد لي مستوى عالي من العلاقات الاجتماعية فى المدينة، .. ثم أضافت ما معناه، أنه إذا بدأت علاقاتي الاجتماعية مع فتاة "بائعة"، فإنها، أى مدام "برشيه" لا تستطيع أن تضع برنامجها موضع التنفيذ، رغم إيمانها بأن الفتاة مؤدبة، ومهذبة، ومطلعة.

بعدها، فهمت الفارق بين شعار الثورة، وبين واقع الحياة.. فبعد الثورة، خلقت فرنسا أرستقراطيتها الجديدة التى تسمى "البورجوازية".

وبالفعل، وكأن الأمر مجرد صدفة، دعتني مدام "برشيه" الأسبوع التالي لأتعرف على عائلة فرنسية، الأب فيها جراح معروف وأستاذ بالجامعة، والابنة تتعلم فى كلية آداب الجامعة، وكأنها كانت تريد أن تقول لي: هذا هو المستوى الذى يليق بك!!

وفى اليوم التالي، اتجهت إلى الجامعة، ببدلة قاتمة، وحذاء لامع جداً، وكأنني ذاهب إلى لقاء رسمي.. وكم كانت دهشتي، عند دخولي مبني كلية الحقوق، فى جامعة جرينوبل، حين وجدت أن جميع الطلاب يلبسون كما يلبس أهل القطب الشمالي.. فالحذاء "بوت" من الكاوتش القوى، والملابس مبطنة بالفرو، والقبعة ضخمة جداً مثل القبعات الروسية.. وبدى لي لحظتها أني غريب بينهم، وكنت أتلفت باحثاً عن السكرتارية التى يمكن أن أقيد نفسي عندها، وأتقدم لها بأوراقي، حين تقدم مني رجل، متوسط العمر، وخمنت أنه من السعاه فى الكلية.. وقد عرض مساعدتي بأن يقوم بمهمة الترجمة لي من الإنجليزية إلى الفرنسية، وذهبت معه، وتقدمت بأوراقي، وتم القيد، وعند خروجي فكرت فى أن أعطيه بقشيشاً على الطريقة المصرية، وفتشت فى جيوبي فلم أجد غير الجنيهات الإسترلينية.. فلم يكن معي شئ من الفرنكات الفرنسية.. فوضعت يدي على كتفه، وكأنني أشكره، وأعده بالبقشيش فى اليوم التالي، وقلت له ما معناه أني سوف أراه غداً، عندما أعود لرؤية عميد الكلية!

وحين عدت، فى اليوم التالي، كانت المفاجأة الكبرى أن أعرف، أنه هو نفسه، عميد الكلية، وحمدت الله أني لم أجد العملة الفرنسية فى جيبي، ورحت أتصور، بيني وبين نفسي، كيف سيكون الموقف، لو كنتُ قد أصررت على أن أعطيه البقشيش، بإلحاح المصريين، بينما هو كان سيرفض بالقطع !!

وقد توثقت بعد ذلك علاقتي به، وأولاده، وزوجته، التى كانت كريمة عميد عمداء فرنسا كما كانوا يسمونه فى ذلك الوقت.. وسمحت لنفسي، فى جلسة عائلية مرحة معهم، أن أفصح لزوجته، عن قصة "البقشيش" !!.. فنظرت هى إلى العميد ضاحكة، وكان إسمه "كوليار" وقالت له ما معناه، أنها كانت متأكدة، منذ تزوجته، أنه من النوع الذى يقبل "البقشيش".. وكانت تريد أن تشير، بكلامها، إلى أنها كانت غنية وابنة رجل له نفوذ على المستوى الجامعي، وهو البروفيسير "ريبير" عالم القانون المدني فى فرنسا.

ونظراً لجهلي باللغة الفرنسية وقتها، فلن أنسى هذا العذاب غير العادي، وأنا أترجم كل كلمة فى كتاب القانون الإداري للأستاذ "لوبادير" مرتين.. مرة مستعيناً بالقاموس التقليدي، ومرة أخرى مستعيناً بالقاموس الفرنسي القانوني.. وقد احتفظت بهذا الكتاب، مدة طويلة، لأن الكلمات التى كنت قد وضعت تحتها خطاً لأعرف معناها، كانت كثيرة، إلى الدرجة التى تحول معها لون صفحات الكتاب إلى سواد كامل!

وقد كانت ساعات المكتبة غير كافية، بالنسبة لي، رغم أني كنت أول مَنْ يدخلها، وآخر من يخرج منها.

والذى أذكره جيداً، أن جامعة "جرينوبل" كانت تضم أعلى معهد دراسات فى بناء السدود وخزانات المياه، إلى الدرجة التى أعد فيها هذا المعهد، مشروعاً أو نموذجاً حياً، للسد العالي فى مصر، قبل المشروع الروسي الذى جرى تنفيذه فيما بعد.. وكانت بعض الدول الأوروبية، قد أعطت موافقتها المبدئية، على مشروع معهد جيونوبل الذى حضر من مصر لتدشينه حسن إبراهيم، عضو مجلس قيادة الثورة .

وحينما كان يصلني مبلغ ٣٠ جنيهاً، كل شهر، كان ذلك المبلغ يوزاى أكثر من أربعين جنيهاً إسترلينيا.. فنحن نعلم أن إنجلترا كانت مدينة لمصر، فى ذلك الوقت، بملايين الجنيهات، التى كانت تمثل تكلفة نقل القوات بالسكك الحديدية أثناء الحرب العالمية الثانية.. وكان ذلك يعنى فائضاً مالياً لصالح مصر، ولصالح قوة عملتها.. فمازلت أذكر جيداً، كيف أن الثلاثون جنيهاً مصريا، كانت أكثر من مرتب عضو البعثة، وأنني كنت من المحظوظين الذين كان بإمكانهم أن يتبقى لديهم مبلغ للتوفير آخر الشهر.

وبمناسبة الحديث عن المال، لا أنسى قصة طريفة، اكتشفت من خلالها، الشخصية السورية، لأول مرة.. كان معي زميلان سوريان يسكنان المدينة الجامعية فى جرينويل، وكانا مسيحيين، وكان اسميهما ينتهيان بلقب "السمان".. وقد رأيت فيهما قدرة السوري التلقائية على التجارة.. لقد سألاني قرب نهاية العام الدراسي، عن الطريقة التى سأقضي بها إجازتي، فأخبرتهما بأنه من المحتمل أن أذهب إلى أسبانيا.. وعادا يسألانني عما إذا كنت قد تكسبت شيئاً أذهب به إلى أسبانيا.. فلما أجبت بالنفي، نصحاني بأن أنضم اليهما فى مشروع تجاري صغير،.. وفهمت منهما، أنهما اكتشفا أن أغلب الطلبة الذين يأتون للدراسة هنا، فى جرونوبل، من البلاد الاسكندنافية ومن هولندا التى تستعمل الدراجات فى تنقلاتها داخل المدينة..

وكان المشروع الذى اقترحاه علىَ، كالتالي: يتم الإعلان مجاناً فى بيت الطلاب الذى كنا نسكنه، عن شراء دراجات قديمة، كانت الواحدة منها بعشرين فرنكاً، ثم يتم الإعلان مرة أخرى، عن بيعها للطلاب الأجانب فتباع الواحدة بأربعين فرنكاً، وحين يعود هولاء الطلاب أنفسهم، فى آخر الإجازة الصيفية إلى بلادهم، فإنهم يبيعون دراجاتهم التى لن يحملونها على أكتافهم بالطبع، فتباع الواحدة بعشرة فرنكات.. وهكذا.. وحين ساهمت مع الأخوين السمان، بمبلغ ألف فرنك، تضاعف رأس المال ثلاثة مرات فى ثلاثة أشهر.. وقالا لي: تستطيع الآن أن تسافر، وأن تنفق مما كسبت، وليس من "لحم الحي"..

أحني رأسي تقديراً واحتراماً لقدرات السوري على الكسب التجاري.. وقد تكلمنا كثيراً عما، إذا كان أصل اسم السمان، من المسيحيين أم من المسلمين، وهل هو من الذين أتوا مع إبراهيم باشاً فى حملته على سوريا من جنوب مصر.. أمة عربية متشابكة الجذور!

وبمناسبة "اسم السمان" لم أهتم يوما بالبحث عن شجرة العائلة لعلمي أن الشغف بهذه الموضوعات يهم "الأمراء والنبلاء فقط.."!!

وقد أرسل لي يوما رجل الأعمال الفرنسي وصديقي Paul Gordolon وقريب بريجيت والمولع بالبحث من خلال الإنترنت بعض أوراق تكشف عن "سمان" آخر هو محمد علي السمان أكتشف فى أوضه فى نجع حمادي ١٩٥٤ وثائق دينية مسيحية تعود للقرن الثاني الميلادي عبارة عن ترجمة من اللغة اليونانية وأن أجزاء من هذا الاكتشاف يوجد بالمتحف القبطي اليوم...

الله وحده يعلم البدايات والنهايات لعائلة السمان وإسلامها وعلاقتها بتراث مصر القبطي.. والله وحده يعلم أيضا من الأصل ومن الفرع بين مسلمي ومسيحي عائلة السمان على أرض مصر وجنوبها وسوريا ولبنان... لله فى خلقه شئون!! وكلنا عباد الله!

وفى جرينوبل، كان يلفت نظري أن أهل المدينة غير منفتحين على الأجانب، فخطرت لي فكرة إنشاء اتحاد للطلبة الأجانب (Cuig) فى جرونوبل، وتكلمت مع القائمين على المؤسسات البلدية فى المدينة، وشرحت لهم كيف أن الطلبة الأجانب يمكن أن يكونوا سفراء سياحيين لهذه المدينة - حين عودتهم إلى بلادهم - فجرينوبل شهيرة بسياحة الجليد فيها، وكذلك مركز تعليم اللغة الفرنسية.

ومنذ ذلك اليوم، تبدل وضع الطالب الأجنبي فى المدينة، وحصل الطلاب على امتيازات من المؤسسات البلدية فى جرونوبل، بعد أن أصبحوا مصدر خير لأهل المدينة، وانفتحت أمامهم الأبواب، واكتشفت وقتها أن إنشاء الجمعيات الأهلية، والانخراط فى نشاطها، موضوع يستهويني.

ومن يومها، وأنا أؤمن بأنه لا شئ يأتى من لا شئ، وأنه من الخطر الانكفاء على الذات.. وأنه يجب أن نتحرك وأن نمد أيدينا إلى الآخر، وأن نعيش معه، وبجانبه، فلابد من تكافؤ وتبادل الاتصال والمصالح.

موقفي بين نجيب.. وعبدالناصر

كنت، وأنا فى مدينة جرونوبل، أتابع الصحف المصرية،.. وأحيانا كنت أذهب إلى مدينة "ليون" أو مدينة "جنيف" اللتين تفصلهما عن "جرينوبل" ساعة تقريباً بالقطار، لأحصل على صحف القاهرة.

وقد تابعت، فى عام ٥٤، اندلاع المظاهرات فى ميدان عابدين، وفى القاهرة، تطالب بعودة الضباط إلى ثكناتهم، ثم تابعت إعلان صلاح سالم، فى أجهزة الإعلام، حل مجلس قيادة الثورة، وعودة الضباط إلى معسكراتهم فعلاً، والاستجابة لمطالب الجماهير، بعودة الأحزاب السياسية، وإجراء انتخابات حرة.. إلى آخر ما قيل أنه سوف يحدث، فى ذلك الوقت.

وقد كان واضحاً، أن هذا هو الاتجاه العام أيضاً، بين شباب الجامعات المصرية.

وكان من الواضح، كذلك، من خلال الصور التى كانت وسائل الإعلام تبثها، عما عُرف، بعد ذلك، بأزمة مارس ١٩٥٤، وعما سبقها من بدايات، أن هناك نوعاً من التحالف بين محمد نجيب، رئيس الجمهورية وقتها، وبين قيادات الأخوان وبعض قيادات الأحزاب المنحلة.. ولم يحصل أن استغرق مني موضوع كثيراً من التأمل، كما استغرقت مني أحداث تلك الفترة.. لقد فكرت فيها بعمق، وكانت هى الموضوع الأساسي الذى طرح نفسه، فى مؤتمر عقده الطلاب المصريون، مبعوثين وغير مبعوثين (وكانت غالبية الطلاب الدارسين هناك، أيامها، ممن يدرسون على نفقتهم الخاصة).. أقول أن أحداث ٥٤، سيطرت على مؤتمر الطلاب، فى المؤتمر الذى انعقد فى مدينة "ليون" وكان عددهم يصل إلى المئات، جاءوا من جامعة جرونوبل، وجامعة ليون، وجامعات سويسرا.

وفى المؤتمر، وجدت تناقضاً ظاهراً، بين مطلب الشباب، الذى كان يسهل فهمه، وهو عودة الحريات السياسية، وحرية الانتخابات والأحزاب، وبين آليات الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية الجذرية التى كانوا يطالبون بها.

وقد بدا لي، وقتها.. أن الوسيلة التى كانوا يرونها، وهى عودة الأحزاب والحريات والانتخابات على ما كانت عليه سابقاً،.. هذه الوسيلة لم يكن من الممكن، من وجهة نظري وقتها، أن تحقق الأهداف الثورية التى كان الطلاب يودونها ويطالبون بها على المستويين الاقتصادي والاجتماعي.

وحين حاولت أن أشرح لهم وجهة نظري، اعترف بأني قوبلت بمعارضة شديدة من معظم الحاضرين واتهموني وقتها بفاشية الفكر، واعتقدت فى لحظتها، انه قد يكون من الأفضل أن آخذ موقفاً منفرداً، فبعثت ببرقيتين إلى مصر، إحداهما إلى الرئيس محمد نجيب، والأخرى إلى جمال عبدالناصر، فلم أكن أفهم "علمياً" ومن استقراء التاريخ، كيف يمكن لثورة أن تستقيل.

لذلك، قلت فى برقيتي إلى عبدالناصر: أن الثورة لا تستقيل،.. أؤيد استمرار مجلس قيادة الثورة !

وفى برقية أخرى، غاضبة، ومليئة بتلقائية روح الشباب، فيما يعتقده، قلت لرئيس الجمهورية، محمد نجيب، فى عبارات شديدة اللهجة: إن مطالبتكم بعودة الأحزاب السياسية، على نحو ما كانت عليه، قبل الثورة، هى أكبر عملية نفاق فى تاريخ مصر الحديث !!

وكان هذا الموقف نابعاً من إيماني بأهمية التوازن الجديد، فى العلاقات الاجتماعية، حتى تستطيع طبقات الشعب الفقيرة، والمتوسطة، أن تحقق ما كانت ترجوه من عدالة اجتماعية.. وإلا لكان السؤال الطبيعي هو: لماذا، إذن، ثورة ٢٣ يوليو ؟!

كان فى فهمي، أن حكم الـ ١٪ أو الـ ٢٪ أو أياً كانت النسبة التى كان يشار إليها قبل الثورة، باعتبارها هى الحاكمة والمسيطرة على ثروات المجتمع، وباعتبارها تشكل مقومات القرار السياسي والاقتصادي داخل المؤسسات الانتخابية.. كان فهمي، أن كل ذلك، شئ يستحق أن يصاغ من جديد.

وبالطبع، فلم أكن أتخيل وقتها، أن منع الأحزاب، وإلغاءها، سوف يكون بصفة دائمة وأبدية، طوال حكم الرئيس عبدالناصر.. بل كان اعتقادي أنها مرحلة انتقالية تتحقق فيها الأهداف الاقتصادية والاجتماعية، لتعود بعدها الأحزاب، أو أحزاب جديدة تقوم بدورها فى إرساء ديمقراطية جديدة.

وكان دليلي على ذلك، أني لم يحصل يوماً، أن وجدت أي رغبة فى الانتماء، كشاب فى مقتبل العمر، إلى جبهة التحرير، أو الاتحاد القومي، أو الاتحاد الاشتراكي.

على كل حال، كان للبرقية التى أرسلتها إلى الرئيس نجيب نتيجة سريعة وعاجلة، إذ تم تحويلها إلى المكتب الثقافي المصري فى باريس، الذى كان له حق الإشراف حتى على الطلاب الذين يدرسون على نفقتهم الخاصة.

ووصلني خطاب عنيف اللهجة، من مستشارنا الثقافي هناك وقتها، علاء الدين عبداللطيف، يستدعيني فيه للتحقيق بمقر السفارة فى باريس..

ولم أرد عليه !!

ووصلني خطاب آخر، بعدها بأسبوع، يحملني مسئولية عدم الحضور إلى السفارة للتحقيق، بسبب برقيتي للرئيس نجيب !!

ومن الطريف، أنه بعد أسابيع قليلة، حدث فى مصر التحول الكبير، الذى أدى إلى عودة مجلس قيادة الثورة وعبدالناصر، إلى موقعهم القيادي فانقلبت الصورة، وفوجئت فى صباح مبكر، بالمستشار الثقافي يحضر بنفسه إلى مدينة "جرونوبل" فى قطار الليل، الذى يصل ٧ صباحاً.. وإذا بالمستشار الثقافي يصارحني، عند مقابلته لي، فى محل إقامتي بالمدينة، بما رأيته وقتها استعراضاً عملياً للنفاق السياسي الجديد.. لقد تخيل الرجل، أنني مرتبط تنظيمياً بمجموعة جمال عبدالناصر، وأن الخطابات التى أرسلها إليَّ، يستدعيني فيها للتحقيق، سوف تكون مصدر خطر عليه.

وفاجأني بأن قال: أرجو أن تكون قد فهمت ما بين السطور، فى خطاباتي إليك!

ولما أبديت له عدم إدراكي لما يتحدث عنه،.. راح يشرح لي، أنه كان يقصد حمايتي باللهجة الآمرة، التى جاءت بها الخطابات، وأنه كان يقصد كسب الوقت، حتى لا ينالني أذى.. إلى أن تعود مجموعة عبدالناصر إلى السلطة

ثم قال: والآن، أتيت إليك، لننزل إلى ساحة الطلاب، ونسيطر عليهم، ونجندهم وراء جمال عبدالناصر.

ابتسمت وقلت له ساخراً: كيف أفعل ذلك، مع زملائي الطلاب، الذين اختلفت معهم لآخذ موقفاً منفرداً ؟!

كيف؟!

ثم قلت وأنا أختم حديثي معه: أرجو لك النجاح فى مهمتك !

وأعود لأقول، أنني بطبيعة الحال لم أكن أتخيل، ولا أقبل، أن يتم اعتقال اللواء محمد نجيب، وأن يعامل تلك المعاملة القاسية، غير الإنسانية.. فلقد كان كل المطلوب، هو تحييد دوره، ليس أكثر.

ولكن.. بكل المعايير، لم يكن مقبولاً، أن يُهان محمد نجيب، على النحو الذى جرى معه، فهو فى نهاية المطاف، شخصية لعبت دوراً تاريخياً، حتى ولو كانت الثورة، بمشروعها، وخطتها، وتنفيذها، من صنع جمال عبدالناصر ورفاقه.

الفصل الرابع

فى لحظة.. قررت قطع دراستي

والعــــودة إلــى مصــــر !

لم تكن حكايتي مع الأخوين "السمان" السوريين، هى خاتمة المطاف، بالنسبة لي، فى جرينوبل.. فقد كانت لا تزال لعلاقتي بالمدينة، وجامعتها، وأهلها.. بقية.. ففى عام ١٩٥٦، عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر، وكانت فرنسا إحدى الدول الثلاث المشتركة فى هذا العدوان، كما نعرف.. عندها، قررت أن أترك فرنسا، وسافرت إلى باريس، استعداداً للعودة إلى مصر.. وبينما أنا أستعد للعودة، جاء ني خطاب من البروفيسور"كوليار" عميد الكلية، يقول لي فيه: أنا لا أريد أن أتدخل فى السياسة، ولكنني أقول لك، إننا نحبك ونقدرك، ولذلك أنصحك بالعودة إلى جامعتك.. فأكبر خدمة تؤديها لوطنك، هو أن تنهى دراستك، وألا تتوقف فى منتصف الطريق، وعليك أن تتعلم أن الأمور حينما تبدأ يجب أن تذهب إلى منتهاها.

ولا أزال إلى اليوم، أذكر جيداً، وأنا فى باريس، أثناء عدوان ٥٦.. أذكر حماسة الشباب المصري، حينما تختلط الوطنية فيها بالبراءة.. لقد حدث أن كان لنا جميعاً، وقتها، لقاء مع كمال عبدالنبي السفير المصري فى باريس، حينئذ.. وكانت سعادتي بالغة، وأنا أسمع أصوات الحاضرين من الشباب، وأرى رغباتهم الصادقة، فى أن يفعلوا "أى شئ" من أجل صد العدوان الثلاثي عن مصر، .. ولا يغيب عن ذهني، براءة اقتراح تقدم به واحد منهم، بأن يذهبوا إلى غابة بولونيا، ليتدربوا على السلاح، ثم يذهبوا إلى مصر.. وكأن غابة بولونيا مكان يصعب الوصول إليه أو اختراقه!! رغم أنها على مسافة خمس دقائق من قوس النصر الشهير فى شارع الشانزليزيه، وعشر دقائق من موقع السفارة !

أما السفير عبدالنبي، فالذى أذكر له، أنه كان عصبياً، معتزاً بنفسه، شديد الكبرياء.. وقد غضب بشدة، وعلا صوته، وقال مخاطباً إيانا، والمندفعين منا على وجه الخصوص: إن مَنْ يتخطى الحدود منكم، سوف أضعه فى "كاف" السفارة.. أى "بدرون" السفارة.. ومن الطريف أن كلمة "كاف" فى الاستعمال الشعبي الفرنسي، كانت تعنى مكان الاحتفاظ بالنبيذ حتى "يتعتق".. فسمحت لنفسي بدعابة خفيفة، ورددت عليه وأنا أقول: نحن مواطنون يا سعادة السفير.. ولسنا زجاجات نبيذ!!

وعدت إلى جرينوبل، تحت ضغط خطاب "كوليار"وكانت أموال المصريين قد جُمدت، فى حين استمر أعضاء البعثات فى تلقى مخصصاتهم.. فأعطاني منحة من مركز الأبحاث الفرنسية.. ويومها، أدركت ما كنت أفكر فيه، وأنا أتابع وقائع حرب الجزائر، ضد الفرنسيين... إذ تبين لي، أن المؤسسة التعليمية فى فرنسا، مستقلة فى أهدافها، عن المشروع الاستعماري !! فالاستعمار له أهدافه، بينما المؤسسة التعليمية شبّت وترعرعت فى أفكار الحرية والمساواة.

وعندما تأتى ذكرى حرب ٥٦، فى ذهني، فأنا لا أنسى أبداً، عندما طالعت جريدة "لوفيجارو" فى يوم من تلك الأيام، وكان ذلك عقب صدور قرار تأميم قناة السويس مباشرة.. لأفاجأ بمقال افتتاحي فيها، عنوانه "لتستيقظ يا مارتل".. وسألت بعدها، فعرفت أن "مارتل" المقصود فى المقال، هو "شارل مارتل" الذى تصدى للزحف العربي الإسلامي فى معركة "بواتييه" جنوب فرنسا.. أى أن الكاتب كان يريد أن يعود إلى مشاعر الحروب الصليبية ليرد على قرار التأميم، الذى قد يختلف عليه الكاتب، من منظوره هو، مع الآخرين، سياسياً واقتصاديا، وعسكرياً.

وقد سألت عمن يكون كاتب هذا المقال، اعتقاداً مني أنه قد يكون صحفياً مبتدئاً، أو كاتباً صغيراً، وعرفت أن الكاتب هو "أندريه سيجفريد" عضو الأكاديمية الفرنسية، أعلى مؤسسات العلم والثقافة فى فرنسا، ولم أقابله إلا بعدها بسنوات.. فسألته لماذا كتب المقال هكذا.. ولماذا يريد أن يفجر هذه المشاعر، فقال لي أن هذا هو ما قرأه فى الكتاب المدرسي عن العرب والمسلمين.. ومن وقتها، شعرت أن الحوار، وحوار الأديان، لا ينبغي أن يكون مجرد محاضرات ومؤتمرات، بل يجب أن يكون برنامج عمل، يجب أن يذهب إلى بيت القصيد يوماً، وهو الكتاب المدرسي.. وسوف أتعرض لهذه المسألة، بتفصيل أكثر، فى موضع آخر، من هذا الكتاب.

ولا يزال عام ٥٦ أيضاً، فى ذاكرتي، هو عام مأساة المجر وتشيكوسلوفاكيا، حينما غامرتا بمحاولة التخلص من السيطرة السوفيتية.. عندها.. هربت أعداد كبيرة من شباب البلدين إلى أوروبا وفرنسا كلاجئين.. وقد نظمت أنا، من جانبي، ومن خلال اتحاد الطلبة الأجانب الذى كنت قد أنشأته فى جامعة جرينوبل، دوريات استقبال للطلبة اللاجئين، بحيث يتولى كل واحد منا، مسئولية تسهيل البحث عن سكن، ومسئولية القيد فى الدراسة، لواحد من اللاجئين.

وكان من نصيبي أن أتولى مسئولية "روبير شمولكه" وهو مهندس إلكترونيات مجرى، وكان يهودياً.. كما لم أر يهودياً من قبل.. فلا علاقة له بالصهيونية، ولا يريد أن تكون له بها علاقة.. مبادؤه كانت هى الحرية والعدل والانفتاح على العالم.. وكان يذهلني بنهمه للقراءة، وقال لي يوماً: لقد حُرمنا منها أعواماً طويلة!



مع صديقي المهاجر المجرى "روبير شمولكه" بعد وصولنا إلى باريس، قادمين من مدينة جرينوبل.. وبعد سرقة أمتعتنا كما يبدو على وجهينا !

وكان خير زميل فى الجامعة، وخير صديق، وفى المحاضرات التى كنتُ أتولى فيها، فى جرينوبل، الدفاع عن الحق العربي، والهجوم على السياسة الإسرائيلية، كان دائماً يساند أفكاري ووجهة نظري.. وعندما قررت فى عام ١٩٥٨، أن أذهب إلى باريس، لتسجيل رسالتي للدكتوراه، قرر هو أن يترك جرينوبل، رغم أن الدراسات الإلكترونية، مجال تخصصه، كانت فى جرينوبل مميزة جداً، ولا مثيل لها فى جامعات أخرى.. وقد حذرته من أنه لو ترك جرينوبل، فسوف يخسر كثيراً، فقال لي ما لا أستطيع أن أنساه إلى اليوم.. قال: لم تفهم بعد، عقلية اللاجئ، فاللاجئ شخص انتزعوه من جذوره.. ومع مساعدتك ومحبتك لي، أصبحت أنت أحد جذوري !! وسوف أسافر معك، حتى لا أصبح إنساناً بلا جذور !

ولا يزال، حتى الآن، يزورني ويراسلني، من وقت لآخر، بعد أن أصبح مهندساً كبيراً، رفيع المستوى، فى الإلكترونيات.

ومن بين أصدقائي فى جرينوبل، أذكر "دومينيك أولييه" الذى تخصص فى قانون العمل، وكانت له تجربة لا أنساها.. فهو مسيحي كاثوليكي، وأراد يوماً أن يتزوج من زميلة مسيحية من البروتيستنت، ولما طالت إجراءات الزواج سألته عن السبب، فقال لي أنه يريد أن يتم الزواج فى الكنيسة، وحتى يتم ذلك، يجب أن يحصل من مقر الفاتيكان، على الإعفاء الذى يسمح له بالزواج من غير كاثوليكية، .. ودام انتظاره لأكثر من عامين.. وكانت أمه تشغل منصب رئيسة الشئون الاجتماعية بأهم مناجم فرنسا، فى مدينة "سانت إتين" والغريب أنها كانت ترى فى تلك الإجراءات، وفى انتظار أبنها، شيئاً طبيعياً جداً.. ولا أزال أذكر لها، قولها فى وقت الشدة سيشعر أبني بأهمية "الروح الكاثوليكية" ولم تقل المسيحية رداً على رغبتي فى تبسيط الأمور التى يعقدها طلب أذن زواج أبنها الكاثوليكي من خطيبته البروتستانتية وساعدتني والدة دومينيك فى أن أتعرف على دخائل المجتمع الفرنسي، فعرفت بفضلها، أن هناك نظاماً للمعسكرات الصيفية التى ترعى أبناء موظفي الشركات والمؤسسات.. ليتمكن الآباء من القيام برحلة هادئة، خلال شهري يوليو وأغسطس.. وعرفت أن الذى يتولى رعاية الأبناء، هم شباب من الجامعة، يحمل الواحد منهم لقب "المشرف".. ولكي يحمل هذا اللقب، ويكون مؤهلاً لرعاية الأبناء، فإن عليه أن يخضع لتدريب لمدة أسبوعين، فى كيفية التعامل مع الأطفال.

وظل "أولييه" صديقاً لي، وانتقل معي إلى باريس، وأصبح من أكبر علماء قانون العمل.. وكان هو بالنسبة لي، نموذجاً فريداً لإرادة تجاوز العقبات والصعوبات، ففى سنواته الجامعية الأولى، أصابه مرض السل واستؤصلت إحدى رئتيه، وظل مع ذلك من أوائل دفعته.. بل أنه أجتاز، بعد ذلك، اختبار "الاجريجسيون" ليصبح أستاذا بكلية الحقوق.. وهو اختبار من أصعب الاختبارات العلمية فى العالم.

وكانت العربة إنجليزية قديمة جداً Triumph Mayflour وقد خدمت هذه العربة معظم أصدقائي فى جرينويل وفى باريس ويذكر الكثير منهم أنه "زقها" ولو مرة لكي تكمل المشوار..

أما الذى لا يزال عالقاً فى ذاكرتي، محفوراً فيها إلى هذه الساعة فهو الأفغاني "محبوب الله عضدي" زميلي فى الدراسات العليا بجامعة جرينوبل، وقد كان قريباً من العائلة المالكة فى أفغانستان، وكان فارع الطول جداً، دمث الخلق، راقياً فى تعاملاته.. وعندما قرر يوماً، أن يبيع لي سيارته، سألته كم سأدفع ثمناً لها، فقال لي ما أدهشني.. قال: ليس المهم ما أريده.. إنما المهم ما تستطيعه أنت !! وقد وجدت

فى جوابه على سؤالي، أن هذا النظام الملكي الراقي، أكثر كرماً من أى اشتراكية فى العالم !!

أما الذى كان يذكرني هناك، دوماً، بمصرنا الشعبية، فهو زميلي فى المدينة الجامعية "روبشتاين" وكان يهودياً من مصر، غادرها بعد العدوان الثلاثي، وفى غرفته التى تجاور غرفتي لم يكن يتخلى أبداً عن "عدة السبرتو" ومعها "الكنكة".. التى يصنع عليها القهوة التركي، وكم احتسيت معه القهوة، التى كان يصنعها على طريقته الخاصة، ونحن نتبادل ما بقى فى ذاكرته من نكت مصرية.

وبعد أن حصلت على دبلوم الدراسات العليا للقانون العام، ودبلوم العلوم السياسية، قررت أن أخطو خطوة جديدة نحو الشمال، فأخذت كل عفشي المتواضع، فى عربة صديقي الأفغاني، ومعي "روبير شمولكه" وقطعنا عشر ساعات بالسيارة،وهى رحلة يقطعها القطار السريع اليوم فى أقل من ثلاث ساعات.. هى المسافة التى تفصل جرينوبل عن باريس

وفى باريس، بدأت رحلة جديدة، وخطوة أخرى، من خطواتي، فى الحياة !!

الفصل الخامس

في باريس على مقاهي الحي اللاتيني.. كانت لنا أيام

منذ وصولي إلى باريس، وسكني فى الحى اللاتيني، وجولتي الأولى مع الطلبة العرب، فى مقاهى هذا الحى الشهير، اكتشفت أن مقاهيه مقسمة تقسيماً سياسياً وأيديولوجياً صارماً، لا يقبل الخلط.. فهذا مقهى - مثلاً - للشيوعيين العراقيين، وآخر للبعثيين السوريين، ومقهى ثالث للقوميين العرب، ورابع للمصريين الذين لا يحبون السياسة.. وهكذا !!

وفكرت وقتها، وأنا أرى هذا التشتت، بين الطلبة العرب، أن أغامر بخلق وتشكيل اتحاد للطلبة المصريين فى فرنسا.. وقيل لي، ما معناه، أني لا أعرف أن إنشاء أى تنظيم شعبي، ولو كان خارج مصر، فى حاجة إلى ترخيصات متعددة، وعلى رأسها موافقة الحزب أو التنظيم الأوحد الحاكم فى مصر، والجهات الأمنية..

ولأنني لم أكن موظفاً، ولا عضواً فى بعثة، اعتقدت أنني يمكن ألا أبالي بكل هذه الاعتراضات، فبدأت رحلة طويلة من الصدامات بيني، وبين أجهزة النظام الأمنية.



فى سيارتي القديمة بباريس، والتى ساهم فى "زقها" معظم طلبة الحي اللاتيني بباريس

وفوجئت فعلاً، يوم أن دعوت لجمعية تأسيسية لمشروع اتحاد الطلبة، بإشاعة تدور فى الحى اللاتيني، ملخصها أن مَنْ يصوت لعلي السمان، لن تجدد الأجهزة المختصة جواز سفره !! وقد حصلت على صوتين : صوتي.. وصوت أخي وصديقي الدكتور أحمد الغندور، الذى مازلت مديناً له بصوته "الغالي" لي.. وبروح الدعابة التى كانت تميزه دائماً، كان يقول لي : إن أهمية صوتي، أنني أعطيته لك، رغم أني لست مغامراً..

قال لي ذلك، ولكن واقع الأمر، أنه كان طوال عمره، رجل الاختيارات الصعبة، وكان ليبرالياً، ورجل مواقف منذ البداية.. إلى اليوم.. وكان دوماً يستحق تقدير واحترام الكثيرين وقتها، وخصوصاً من اليسار المصري، وعلى رأسهم الأخ والصديق الدكتور حسام عيسى، الذى قاد ثورة الطلبة فى باريس، بعد نكسة ١٩٦٧. وهو قارئ جيد لكل الثقافات العالمية وقادر على المواجهة والتصدى عند اللزوم..

وحينما فشلت تجربة اتحاد الطلبة المصريين، اتجهت إلى ساحة معركة أخرى، فى الحى اللاتيني، مع أصدقاء وزملاء مازلت أذكرهم بأسمائهم، ومنهم : اللبناني المرحوم فاروق المقدم، الذى كان زعيم طرابلس أثناء حرب لبنان، والتونسي منجى عثمان، والعراقي الطبخشلى.. وغيرهم.. وقد فرضنا على أنفسنا أن نحطم الحواجز التى تفصل مقاهى الحى عن بعضها، فكرياً، وأن نتجول فى كل مقاهيها، فى الوقت الذى كانت فيه المبالغة العربية، كالعادة، تصف من يغير مقهاه، بمن يغير جلده !!

ولم تمضْ فترة طويلة، حتى كنا قد اكتسبنا ثقة الكثيرين، من الطلبة العرب فى فرنسا، وأنشأنا اتحاداً للطلبة العرب، وانتُخبت عضواً لمجلس الإدارة فيه، واستفزت روح الاستقلالية هذه، من جديد، بعض أجهزتنا الأمنية، فناصبتني العداء.

كان الهدف الأول لهذا الاتحاد، هو الحركة الدائمة فى المجتمع الفرنسي بكامله، دفاعاً عن الحق العربي فى فلسطين.. وأذكر أنني تلقيت دعوة لالقاء محاضرة، فى مدينة "روان" الفرنسية، عام ١٩٦٥، وبينما كنت أتأهب للذهاب إلى المدينة، تلقيت طلباً من اتحاد الطلبة الفرنسي المنظم للمناسبة، التى كنت سألقى فيها محاضرتي، وكان الطلب يتركز فى ضرورة إحضار خارطة معنا، نشير من خلالها إلى موقع هذه المشكلة الفلسطينية التى كنا نتحدث عنها..!! أقول ذلك، لأدلل على جهل المجتمع الغربي وقتها، بمعطيات هذه المشكلة.

ومازالت "كعوب كروت" العضوية، فى اتحاد الطلبة الذى أنشأته، لدىَّ، تمثل قائمة شرف، وتؤكد على أن العمل العربي ممكن، إذا صدقت النوايا، واشتدت الإرادة، واتجه الجميع إلى العمل بروح الوعى السياسي الخلاق.. وحين أتحدث عن مغامراتي، مع بعض المؤسسات الأمنية المصرية، فإنني أستطيع أن أصفها بأنها كانت تتأرجح بين الترغيب والترهيب.

وأذكر جيداً، حين اتصل بي أحد ممثلي هذه الأجهزة، وهو أبن وزير داخلية سابق، كان يعمل مستشاراً فى سفارتنا فى بروكسل، ليقول لي بصراحة : نريد أخبار الطلبة فى الحي اللاتيني. فرددت عليه : أن البوليس الفرنسي يحتاج أيضاً إلى مثل هذه الخدمات.. وقد تمكن – أقصد البوليس الفرنسي- من حل هذه المشكلة، حين أكتشف أن ٢٠٠ (مائتى فرنك) تغير حال الطالب من ضيق ذات اليد، إلى اليسر !! وبذلك يستطيع هذا البوليس، بـ ١٠٠٠ (ألف فرنك) أن يجند خمسة طلاب، وتستطيع أنت أن تفعل مثله.. ولكنني أصارحك القول بأنني لا أستطيع أن أكون مخبراً لك، فهذه مهنة، وحرفة، ليست عندي مؤهلاتها، كما أني لا أعترض على مبدأ احتياجك لمثل هذا النوع من الخدمات، غير أني أؤكد أنك لن تجد عندي ما تريده.

وقد أستفزه جداً، هذا الرد، وزادت حملة الإشاعات حولي.. ونجحت الأجهزة فى تجنيد شاب، من بين الطلبة المصريين، وقد فرح هذا الشاب بتعيينه "مخبراً"، وكان يتصرف بعد تكليفه بهذه المهمة الجديدة، بطريقة صبيانية، مهدداً زملاءه الطلاب، بما يعُتبر وقتها سلاحاً شديد الخطورة، وهو عدم تجديد جوازات السفر لمن لا يتعاون معه.. وقد كانت بعض جوازات السفر، فى تلك الأيام، لا تمتد لأكثر من ستة أشهر.. وتبين لي، أن الطلبة المصريين، .لا يريدون مثل زملائهم العراقيين والسوريين وأبناء شمال أفريقيا، أن يندمجوا معنا، فى العمل السياسي.. ورحت أفكر فى حل مع هذا الشاب "المخبر".. وكان من الطريف، أنني مع بعض الذين ساءهم مسلك ذلك الشاب، قررنا أن نتصرف معه، بنظام "زائري الليل" ولكن على مستوانا الشعبي نحن، بطبيعة الحال، وليس على المستوى الذى تتبعه بعض الأجهزة، مع بعض خصومها !!.. اتجهنا إلى غرفته فى الثالثة صباحاً.. طرقنا الباب.. وعندما فتح لنا، رآني فى مواجهته، ومعي عشرة من الطلاب، فأصابه الهلع.. ولكننا بعد أن أفاق من نومه، أفهمناه باختصار شديد، بأن المطلوب منه شئ واحد، وهو ألا يضع قدميه فى أى مقهى من مقاهي الحي اللاتيني مرة أخرى.. وبمعنى أدق، فإن عليه ألا يجلس على مقهى يوجد فيها مصري واحد.. ثم أضفت له أنا، من جانبي، ودون ادعاء للبطولة : أخشى أن يلتبس عليك الأمر، بالنسبة لي، أو

بالنسبة لزملائي هؤلاء، من حيث الشكل أو حتى الاسم.. فحين يسألك الذين جندوك.. عمن جاءوك البيت، فتستطيع أن نقول لهم جاءني فلان – وذكرت له أسمي – ومعه عشرة من زملائه.

وأظن أن هذا الشاب، وهو يلملم شتات نفسه، من الفزع، قد لمح فيمن كانوا معي، زميلنا جلال رجب، الذى أصبح فيما بعد، الدكتور جلال رجب، محامى كفر الشيخ المعروف، وقد كان إقطاعياً ويسارياً معاً، وثورياً، ووطنياً.. وحينما عاد إلى القاهرة، بعد مغامرة "زائري الليل" تلك.. ألقى البوليس الحربي القبض عليه، ومر بمرحلة بالغة الصعوبة.

وهو الآن وكيل اتحاد المحامين العرب، ولا تزال تربطني به علاقة محبة لا تنقطع، ومن ناحيتي كنت أريد دوماً، أن أكفر عن ذنبي تجاهه، اعتقاداً مني بأنني أدخلته فى مشاكل كثيرة، فى ذلك الوقت المبكر من عمرنا.

والمعروف أن هذا النوع من الأجهزة الأمنية، كانت لديه قدرات هائلة على إطلاق الشائعات، التى تحطم سمعة المواطن.. وكان أخطرها، بالنسبة لي أنا على سبيل المثال، أني حين عدت يوماً، من جولة بالأقاليم الفرنسية، مع بعض الشباب العربي هناك، وجدت فى انتظاري شائعة تملأ الحي اللاتيني، وتقول أنني طلبت حق اللجوء السياسي من فرنسا، لأنني، حسب ما كانت تقوله الشائعة، لو عدت إلى مصر، فسوف أقدم للمحاكمة..

ظللت طوال الليل أفكر فى حل.. ووجدت أن الحل الوحيد هو أن آخذ أول طائرة إلى مصر، صباح اليوم التالي، حتى أقضي على الشائعة فى مهدها.. وقد كانت مصر تعيش وقتها نظام "فيزا الخروج".. أى أنك أن أردت الخروج من بلدك فأنت فى احتياج إلى أذن وترخيص. وحينما أردت العودة إلى فرنسا، لاحظت أن الطلب قد تعطل بعض الشيء، ثم فهمت أنه يجب أن أقابل أحد قيادات النظام وقتها.. ووجدت نفسي وجهاً لوجه مع وزير الداخلية عباس رضوان، يرحمه الله.. وكانت المفاجأة بالنسبة لي، أن أجد أمامي إنساناً مباشراً فى أسلوبه.. ثم فاجأني هو، بأن قال لي، بأن عودتي إلى مصر، تعنى أن ٨٠٪ من الأوراق التى وضعوها أمامه، عني، سوف يلقيها فى السلة التى بجواره، وأشار إلى دوسيه ضخم، لأرى بعيني الدوسيه الخاص بي.. ثم أضاف الرجل : وأرجو أن تجلس لنتكلم فى الـ ٢٠٪ الباقية من الأوراق.. وكانت كلها تحوم حول "لماذا ترفض التعاون".. وكنت أرد عليه قائلاً : أن التعاون فى فهمي، يكون تعاوناً سياسياً، ووطنياً، وليس أمنياً.. وقد تبين لي، من كلامه، أنني أمام إنسان مختلف.. إنسان وطني، على مستوى عال من الرجولة والشهامة،

والقدرة على التعامل مع الآخرين.. ولذلك ظللت على علاقة طيبة معه، حتى بعد أن عدت إلى مصر، وكان كل شئ بالنسبة للمرحلة الناصرية، قد أنتهي.. وكنت حريصاً على أن أطمئن عليه، باستمرار، ووجدت فيه رجلاً ودوداً.. وقد تعلمت من هذه التجربة، مبدأ رفض التعميم، فى الحكم على نظام سياسي بأكمله، وأن موظفي وفنيي أى نظام سياسي، يمكن أن يقتلوه، بممارساتهم، وتشويه صورة الوطنيين المخلصين، الذين يعملون فى خدمة وطنهم.

وهنا، أعود لأذكر، أني حين انتهيت من لقاء المرحوم عباس رضوان..

سألني : ماذا تريد ؟

قلت : أريد فيزا الخروج

فقال : ليست هناك مشكلة.. تستطيع أن تغادر فور انتهاء لقائنا.. ثم باغتني بسؤال عن أحوالي المعيشية فى فرنسا.. وفهمت السؤال ومعناه!! وقلت له بأدب وابتسامة : تأكد أنه حينما انفق آخر فرنك، فى جيبي، ستكون أنت أول مَنْ يعلم!

وعندما عدتُ إلى باريس، تيقن كل الطلبة العرب، أن مَنْ أرادوا أن يشككوا فى وطنيته، وأن يعدوا له محاكمة فى القاهرة، قد عاد ليمارس ويكمل دوره بينهم!

وقد خرجت من تلك التجربة، بدرس آخر مهم، أقوله دون إدعاء بطولة، وهو أن هناك مواقف فى الحياة، تستأهل منك الحسم الفوري، وأن تتجاسر بالتحدي لها..

وَمنْ يعلم ؟!

ربما لو كنت قد خفتُ يومها، من أن يلحقني أذى، من جراء مغامرتي بالذهاب إلى القاهرة، لكنت قد أصبحتُ فعلا، لاجئاً بحكم الواقع.. ودرس أخير خرجت به، من تلك التجربة، هو أن هناك أشياء لا سكوت عليها ولا مساومة، فى العمل العام، ومن هذه الأشياء صورة المواطن وسمعته، حين يريد أن يلعب دوراً وطنياً.



عملت "شيال" بقرية البضائع

بقيت معركتي مع الحياة، وقلة مواردي وقتها، وقد أرشدني أحد زملائي الفرنسيين، إلى أنه من الطبيعي، وربما من السهل، أن يتمكن الطلاب من أن يعملوا فى قرية البضائع "لى هال"، التى كانت قرب الحي اللاتيني.. وعملت فيها فعلاً.. وكان عملي يقتضي أن أتواجد فيها من الثانية عشرة مساء، وأن أعمل على تفريغ الشاحنات من الخضراوات، حتى السادسة صباحاً.. ولم أنعم بفترة استقلال فى حياتي، كطالب، مثلما نعمت بها فى تلك الفترة.. لأنني كنت أتناول أجرى "باليومية" أمام الشاحنة، حينما أنتهي من عملي... ثم أذهب إلى بيتي، لأنام حتى الظهر، ومنه إلى المطعم الجامعي لتناول غدائي، قبل أن استقر فى مكتبة باريس سواء للاستمرار فى الإعداد لرسالة الدكتوراه، أو للثقافة العامة.. وبعد العشاء نذهب إلى الحي اللاتيني من جديد، لنشارك الأخوة والزملاء، مشاكل، وآلام، وصراعات، وإخفاقات عالمنا العربي.

ومن الطريف، أنني حين ذهبت يوماً، لاستلام عملي فى قرية البضائع رأيت زميلي هناك، الفرنسي "جان مارى" متهللاً، وسعيداً.. ثم زف إليَّ بشرى، وهو يقول : لقد أنقذنا !!.. وعرفت أننا حصلنا على ترقية عالية، فى رأيه، وكانت هذه الترقية، هى أن ننتقل إلى نقل الفواكه، بدلاً من نقل الخضراوات !!

وكان ذلك يُعتبر عملاً مميزاً، وأقل مشقة، وأكثر جزاء.. تماماً مثل لعبة الحياة !! ١

ولقد اكتشفت أيضاً، أثناء لعبة اختراق الصعوبات المعيشية، كم أن محدودي الدخل مدينون لهذا الاختراع الإيطالي النادر والشهير "الاسباجيتي"..!! أنها وجبة كاملة تملأ المعدة، حتى موعد الوجبة التى تليها.. ويذكر مَنْ عاشوا بجانبي، فى تلك الفترة، كيف أنني كنت أقسم الشهر ثلاثة أقسام : فالعشرة أيام الأولى منه، أتناول "الاسباجيتى" بصلصة عالية المستوى.. والعشرة الثانية بصلصة عادية،.. والأخيرة بدون صلصة على الإطلاق !!.. فشكراً لإيطاليا، وللإيطاليين، على هذا الحل، لمشكلة الجوع فى العالم !!

ولعل اهتمامي بالشأن العام، قد قربني من الإعلام الفرنسي، ومن الشخصيات الفرنسية التى كانت تحب مصر والعرب، ومنهم مستشار ثقافي سابق فى العراق، كان اسمه "بيير روسيه" وكان مشهوراً بعدائه المعلن للسياسة الإسرائيلية، وقد كان هذا هو السبب، فى التهديد الدائم له بمعاداة السامية !! والغريب أن "روسيه"

كان يعمل فى الجريدة الأسبوعية الوحيدة، للسياسة الخارجية فى فرنسا، وهى "لاتريبين دى ناسيون" وكان صاحبها يهودياً اسمه "إلمن".. وكان وجهاً من وجوه المقاومة فى فرنسا، وقد أمضى فترة اعتقال كبيرة فى معسكر "أوشفتس" وكان ليبرالياً، وديجولياً، ورافضاً للانضمام لأى جمعية صهيونية فرنسية..

وقد دعاني "روسيه" للكتابة فى هذه المجلة.. ومنذ لقائي الأول مع صاحبها، وبعد نشر مقالي الأول فيها، قال لي : سيكون هنا مكان عملك ومصدر رزقك المتواضع !

واعترف أن هذا الرجل هو الذى علمني كتابة المقال السياسي.. كانت المجلة ست صفحات فقط، فأراد أن يعلمني القدرة على الاختصار فى التعبير عما أريد أن أقوله.. وحينما كنت أذهب إليه بمقال من أربع صفحات، كان يطلب مني أن أحاول كتابته فى صفحتين، فإذا فعلت طلب أن أكتبه فى صفحة.. وهكذا.. من يومها تعلمت أن المعني الواحد فى لغتي، يكون له تعبير واحد، وأنه من الضروري أن تغيب لغة الإنشاء فيما نكتب..

وكان أحد أصدقائي يداعبني، حين أنقل هذا الأسلوب إلى الكتابة بالعربية.. قائلاً : كن كريماً.. فاللغة العربية تسمح بالإسهاب !!

وظل اهتمامي بالمجتمع المدني الفرنسي، والجمعيات الأهلية مستمراً.. ثم أردتُ أن أتخطى مستوى اتحاد الطلبة العرب، لأذهب إلى جمعية "شباب البحر الأبيض المتوسط".. وكان الذى أنشأها زميل فى العلوم السياسية اسمه "فكتور فيل فيك" وهو من اليهود الليبراليين.. وكأن القدر أراد أن يكون اليهود، دائماً على طريقي.. وكان الهدف الأول لهذه الجمعية، إعداد دراسات ومحاضرات، ومعارض فن، لشباب دول البحر الأبيض الدارسين فى فرنسا، عن العلاقة بين دول البحر المتوسط وبعضها البعض.. وكانت لديهم نشرة نصف شهرية، وكنت أعمل بها.

وقد أعطى "كوف دى ميرفيل" وزير خارجية ديجول السابق، وسفير فرنسا السابق فى مصر، .. أعطى الغطاء والدعم المعنوي لهذه الجمعية، وكان ذلك قبل استقلال الجزائر.

وإلى جوار "كوف دى ميرفيل" كان هناك أيضاً الوزير الديجولي "جوكس" الذى أصبح فيما بعد، أحد مفاوضي اتفاقية "أيفيان" لاستقلال الجزائر.

ومرة أخرى كان من المهم أن أتعلم، أنه من الخطأ الحكم المطلق على الأشياء، وذلك بأن نصنف فرنسا - مثلاً - على أنها كانت كلها تريد قهر ثورة الجزائر واستمرار استعمارها.. هذا غير صحيح.. فقد كان هناك، إلى جانب

الجنرال ديجول، مَنْ يعملون على صناعة المستقبل، من أجل مصلحة وطنهم.. وقد كان هذا الوزير "جوكس" من المحافظين، ولكن بفكر واع، ونظرة مستقبلية واسعة الأفق.

وكان أبنه "جوكس الابن" يدرس معنا العلوم السياسية، وكان هذا الابن، تروتسكياً، شديد اليسارية..

ومن الدعابات التى لا أنساها، أن "جوكس الابن" كان يعود إلى البيت، ليجدني أحياناً مع أبيه، الذى كان يمثل اليمين الرجعي.. من وجهة نظره.. وكنا نتبادل الرأى حول كيفية تهدئة الأجواء العربية ضد فرنسا، حتى يتمكن ديجول من قيادة السفينة إلى بر الأمان.. أى استقلال الجزائر.. وكان "جوكس الابن" ينظر إلينا سوياً أنا وأبيه، فى غضب، ويقول بلغة مناضل يساري : أرى فيكما مؤامرة اليمين الفرنسي، مع اليمين العربي، على حساب مستقبل الجزائر !!

ولم يمر وقت طويل، حتى أصبح "جوكس الابن" وزيراً للداخلية مع الرئيس ميتران، وجاء اليوم الذى أداعبه فيه، وأنا أقول : أنا سعيد بأن يختاروك وزيراً للداخلية بالذات، لأنك ستكون محافظاً، بحكم طبيعة منصبك !! ومن المحتمل أن يجرى تصنيفنا على يسارك !!

وقد كان من الشخصيات الواعية، التى قدمت كثيراً مما تريد عمله لمسلمي فرنسا، وجاء يوم زار فيه مصر، والتقى بفضيلة الأمام الأكبر الراحل جاد الحق على جاد الحق، شيخ الأزهر السابق، باعتبار أن وزير الداخلية، فى فرنسا، هو وزير الشئون الدينية أيضاً !!

وعند هذا الحد، تظل خطواتي فى باريس، عند بداياتها الأولى.

الفصل السادس

وصفوني فى باريس بأني "مشاغب كبير" !

مسيرة باريس، بالنسبة لي، وبحكم طول عمرها، الذى مازال مستمراً حتى الآن، من الطبيعي أن تنقسم إلى مراحل، وأن نعتبر ما سبق مجرد بدايات لانتقال الطالب، من الدراسة مع استمراره فيها، إلى العمل الإعلامي والسياسي على حد سواء.

وقد تميزت تلك الفترة المبكرة منها، بأنني تعرفت خلالها، على كثيرين، ممن كانوا شديدي التأثير، فى تفكيري، وفى عقلي أيضاً.. وممن ظلوا فى قلبي إلى اليوم.

وإذا كنت قد تحدثت، فى الفصل السابق عن علاقة العمل، التى ربطت بيني وبين مجلة السياسة الخارجية الوحيدة فى فرنسا، وعدد من العاملين فيها،.. فإن ذلك كان طريقاً إلى التعرف على كاتب كبير، رفيع المستوى، هو "جون لاكوتير" الذى وضع كتاباً عن مصر، بعد طرده منها هو وزوجته سيمون، عام ١٩٥٦، وكان عنوان الكتاب "مصر البكباشيين".. ورغم مرارة بعض النقد للنظام المصري فى الكتاب، إلا أن تحليله الاجتماعي والسياسي للنظام، منذ بداياته حتى عام ٥٦ كان فى مجمله موضوعياً.. وحين توثقت علاقتي بـ "جون لاكوتير" أكثر، وجدته رجلاً شديد الأدب، ذا شهرة واسعة فى المجتمع الفرنسي.. والغريب أنه كان قد آل على نفسه، أن يؤلف كتاباً كل عام، وقد وضع أحسن الكتب عن الجنرال ديجول، وكان هذا الكتاب أقرب إلى الموسوعة منه إلى الكتاب.. وقد كنا نلتقي كثيراً، وخصوصاً فى الندوات العامة، فرشحني للعمل فى مجلة متخصصة فى الشئون الأفريقية أسمها "الحياة الأفريقية" أو "لافى أفريكان".. ولا يزال "جون لاكوتير" على قيد الحياة، وإن كان قد عاد إلى منبت رأسه، فى مدينة "بوردو" ليمارس فيها حرفة وهواية التأليف والكتابة، ولا يزور باريس إلا إذا كان مرتبطاً بإجراء من إجراءات نشر مؤلفاته.. أما بيته فهو أقرب إلى صومعة العالم، بعد أن امتلأ بالكتب والمراجع عن آخره.

أما أول لقاء لي، مع إسرائيلي، على جبهة معركة الإعلام، فكان فى عام ١٩٥٨، عندما دعاني عميد كلية العلوم السياسية بباريس، وقال لي: هل لديك مانع من أن ترد فى أحد مدرجات الكلية، على أفكار سوف يطرحها إسرائيلي فى

محاضرة عن المخاطر التى تتعرض لها دولة إسرائيل، وكان اسمه "افراهيم تاري" من وزارة الخارجية الإسرائيلية؟!

وقدرت وقتها أنني إذا اعتذرت عن الحضور والمواجهة، فإن ذلك يتشابه مع فرار الجندي من المعركة.

وقبلت المواجهة !

وأحسست، وأنا فى موقع المواجهة، أن وجهة نظر العدو ليست بالقوة التى نتخيلها.. وأدركت أن الحق عندما يجري تقديمه بأسلوب علمي وأمين، ودون مبالغة، فإن النتيجة النهائية تكون ممتازة، وتأتى لصالح الطرف العربي، لأن القضية فى ذاتها، عادلة.

ولكن مفاجأتي الكبري، كانت عندما خرجت من باب المدرج، لأجد فى مواجهتي حشداً من المتحمسين والمزايدين، ومعظمهم من المنتمين إلى أفكار حزب البعث.. كانوا جميعاً ينتقدونني ويهاجمونني، بل وأرسلوا مجموعة برقيات إلى الرئيس جمال عبدالناصر، احتجاجاً على مبادرة من إنسان مصري، تصرف بما رآه صالحاً لوطنه، وبلده !.. فمن وجهة نظرهم، .. هذه المبادرة تعنى الخيانة بعينها.

بعدها بأكثر من عشر سنوات، وعندما تعرفت على الرئيس عبدالناصر، سمعت من شخصية أمنية رفيعة المستوى، أن تلك البرقيات كادت أن تسبب لي أذى بالغاً، فى وقتها، وأن الموضوع تم تصعيده ليصل إلى عبدالناصر، وأن الرئيس عبد الناصر يبدو أنه كان الوحيد الذى سأل - بوعى سياسي، وموضوعية - وقال: ولكن.. ماذا قال علي السمان ؟!.. وعندما وضعوا أمامه حقيقة ما قلته، عن القضية العربية، أمر أن يرفع الآخرون أيديهم !

وممن تعرفت بهم، فى تلك الفترة أيضاً، صحفي وكاتب سياسي، كان يرأس قسم الشرق الأوسط فى جريدة "لوموند" وهو يهودي، مصري المولد أسمه "إيريك رولو"، وقد تعرف عليه الرئيس عبدالناصر، فيما بعد فأحبه وقربه منه كثيراً.. وقد كان "إيريك رولو" ينتمي – حين كان يعيش فى مصر – إلى جماعة "حدتو" اليسارية المعروفة.. وكان تعرفي عليه، بعد أن دعُيت لألقى محاضرة داخل أكبر جمعية أهلية لمحاربة العنصرية ومعاداة السامية، وهى جمعية "مراب".. ومما قلته لهم، فى تلك المحاضرة، "أن العنصرية هى كل لا يتجزأ.. وبالتالي فإن محاربتها أيضاً كل لا يتجزأ .. وبالنسبة لي، إذا حورب اليهودي، فى الشارع، غداً، بسبب دينه أو عنصره فقط، فإنني على ثقة، من أن العربي سيكون التالي له فى الترتيب.. لذلك، ورغم أن الأغلبية المطلقة من أعضاء تلك الجمعية، كانت من اليهود، إلا أنني لم أجد أى حرج، فى أن أقول لهم: لماذا تريدون احتكار المأساة فى العالم،

فتقولون أنكم الوحيدون الذين عُذبتم فى التاريخ.. ثم تجرأت، يومها، وأنا أختم محاضرتي، لأقول: أنني أنصح العرب، أفراداً وجمعيات بأن ينخرطوا فى المؤسسات التى تحارب العنصرية، حتى ولو كان كثير من أعضائها من اليهود..

ومما أذكره جيداً، أن محاضرتي تلك، قد أثارت زوبعة من النقاش، إلى الدرجة التى كتب عنها "أيريك رولو" مقالاً من عمودين، فى "لوموند" يتكلم فيها عن محاضرتي، ويصف ما قلته بأنه موقف مصري، قوى، وجديد، من معاداة العنصرية والسامية.

بعدها اقتربت أكثر، من "إيريك رولو" وأحسست أنه سعيد بأنه ولد وعاش فى مصر، وأنه معجب بشخصية عبدالناصر.. وقد كانت فرنسا تعتبر "رولو" من أهم خبراء الشرق الأوسط، حتى أن الرئيس ميتران، أرسله فيما بعد، سفيراً لفرنسا فى أسطنبول، ثم فى تونس.

ومما أذكره عن "رولو" أنه كان يعاني من بعض المشاكل الإدارية، المتصلة بجنسيته المصرية السابقة، وقد ساهمت من جانبي، فى حل بعض تلك المشاكل، حين ذهبت خصيصاً إلى جنيف، للقاء رجل سعدت بمعرفته، وكان وقتها قنصلاً عام فى جنيف، هو السفير – فيما بعد – محمد وفاء حجازي، الذى نهض بعمل اللازم تجاه "رولو"، والتقى به، وأحبه،.. وأصبح "رولو" يأتى بعدها إلى مصر، بسهولة.. وأجرى عدة لقاءات مع عبدالناصر، ومع قادة النظام وقتها.. وقد ربطته خلال فترة معينة، علاقة وثيقة بالأستاذ محمد حسنين هيكل.

وقدمني "رولو" إلى "لوموند دبلوماتيك" الملحق الشهري لمجلة "لوموند" وكتبت فيه أكثر من مقالة، حتى عادت العلاقات الدبلوماسية المصرية الفرنسية، إلى طبيعتها، بعد أن كانت قد تأزمت وانقطعت بسبب عدوان ٥٦، وبسبب دعم مصر لحرب التحرير فى الجزائر.

ويشاء القدر، أن تكون مقالاتي فى الصحافة الفرنسية، وعلى وجه الخصوص فى ملحق "لوموند دبلوماتيك" هى الطريق الذى قادني إلى علاقة وثيقة، ربطت بيني وبين السفارة المصرية فى باريس، وممثليها، وأعضائها.

وكان تعرفي بالسفير محمد وفاء حجازي فرصة للتعرف على شخصية ذات عقلية سياسية ولديه جرأة الإفصاح عن أفكاره واتجاهاته السياسية.

كان سفير مصر، فى تلك الفترة، هو السفير عبدالمنعم النجار، وحين قدم له المكتب الصحفي موجزاً بأقوال وآراء الصحف الفرنسية، لاحظ السفير أن اسماً مصرياً يتكرر كثيراً، فى "لوموند" وفى ملحقها السياسي، وفى صحف أخرى، هو إسمي.. فأصر السفير على أن يتعرف بي.. وقال: يجب أن نتعرف به، ونتعاون معه.

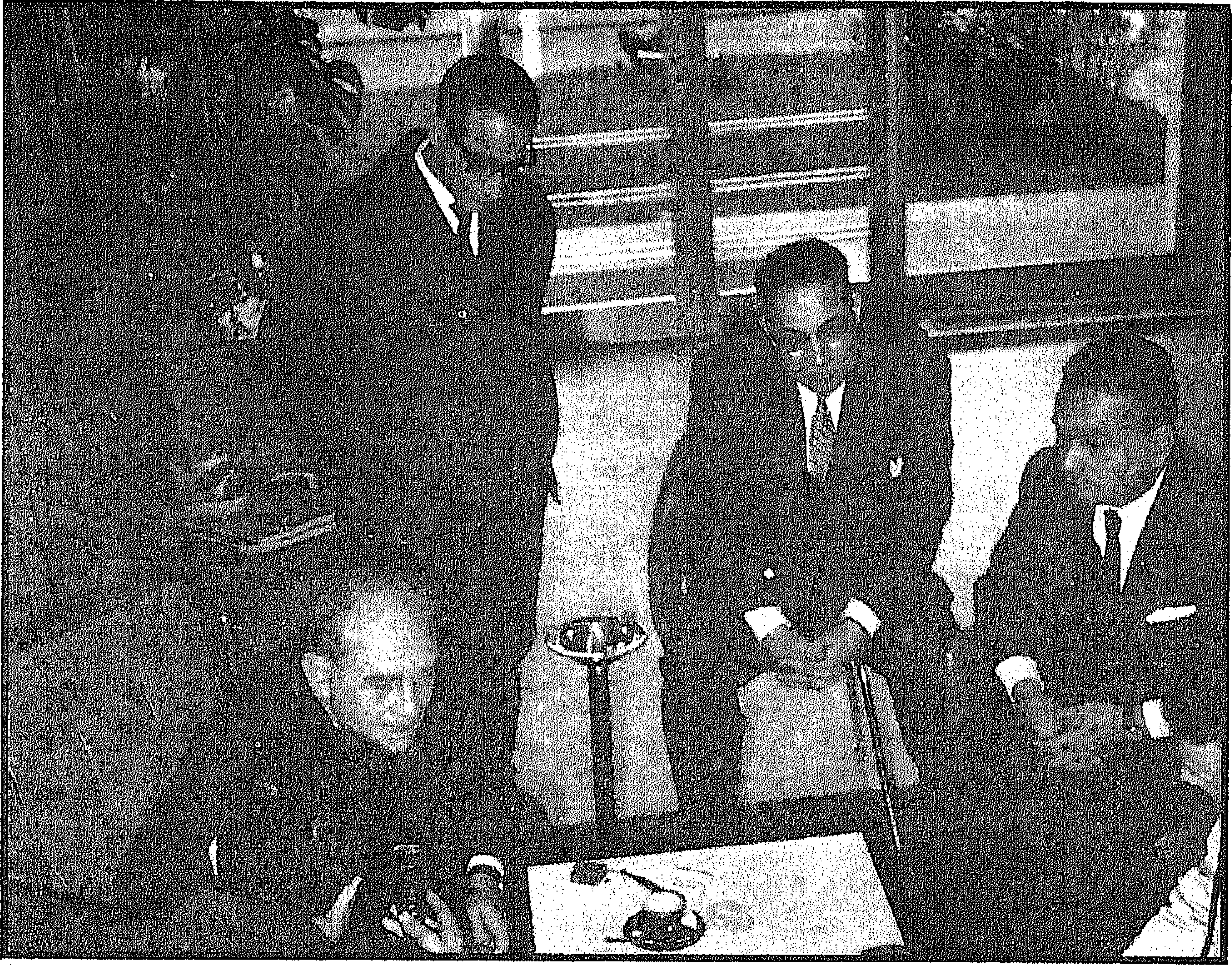
قالوا له: ولكن علي السمان، معروف عنه أنه مشاغب كبير، وأنه يتميز باستقلاليته، ويعتز بها، ويحرص عليها.

رد السفير: وليكن.. وأصر على أن نتعاون، ومما زاد من إصرار السفير، حماس مستشار السفارة وقتها المرحوم صلاح بسيوني، الذى أصبح سفيراً لمصر فى موسكو، فيما بعد، ولعب دوراً محورياً فى سياستنا الخارجية. وفى مجموعة السلام المصرية وكان فكره مستنير وقادر فى نفس الوقت على المواجهة والحوار.

ولم يكن السفير النجار، ولا المستشار بالسفارة صلاح بسيوني، هما خاتمة معرفتي بالسفارة وأعضائها، فلم يمضْ وقت طويل، حتى كنت قد تعرفت بدبلوماسية شابة، كانت تعمل ملحقاً بالسفارة، هى "هدى المراسى" رحمها الله.. وقد أصبحت بعد ذلك، سفيرة لمصر فى روما.. وكانت، فى شبابها، ملكة جمال الجامعة، وكانت بالغة الذكاء، شديدة الوطنية.. ورغم معيشتها الطويلة، فى باريس، وفى روما، وفى غيرهما من عواصم أوروبا، إلا أن جزءاً مهماً من ريف مصر، وتقاليدها، وكرمها، ظل راسخاً بداخلها.. ولعل ذلك لا يبدو غريباً، حين تعرف أنها نشأت فى مدينة "بسيون" بمحافظة الغربية، تلك المدينة التى أخرجت رجالاً ووطنيين كباراً، وعلى رأسهم زعيم شباب الوفد، بجامعة الإسكندرية، فى الخمسينات، المرحوم المحامى محمد عيد.

وحين التقيت بالسفير النجار وكان ضابطاً بالجيش قبل أن يصبح دبلوماسياً فى أوائل أيام الثورة، لأكثر من مرة، شعرت أنه كتلة من النشاط، وأنه لا يعاني من أية عقدة نقص، بسبب عدم إتقانه الفرنسية.. ذلك انه أحاط نفسه، بمن يتكلمون الفرنسية بطلاقة، ومن بينهم الوزير المفوض عصمت عبدالمجيد، الذى أصبح وزيراً للخارجية، وأميناً عاماً للجامعة العربية، وهو أخ وصديق أدعو الله له بطول العمر.

ورغم أني تعرفت على سفراء كثيرين، طوال حياتي، إلا أن نموذج عبدالمنعم النجار، يظل يتميز بشيء لم أجده فى كثير من السفراء، وهو اعتقاده الراسخ، بأن نجاح التعاون والعلاقات بين بلدين، لا يكون فقط بالعمل الدبلوماسي التقليدي، وتجهيز الحقائب الدبلوماسية، وغيرها من المهام التى يعرفها كل الدبلوماسيين.. إنما كان يقينه أن التعاون بين أى بلدين، ينبغي أن يقوم على قاعدة راسخة من العلاقات المتميزة، وقد ساهم هو، بنصيب كبير، فى إرساء وتقوية ما يمكن أن نسميه "البنية الأساسية" للعلاقات بين بلدين بين القاهرة وباريس.. فلا ينسي له كثيرون، الجهد الضخم الذى بذله، فى سبيل فتح مكتب لشركة النصر للاستيراد والتصدير فى العاصمة الفرنسية، وأيضاً مساعيه الهائلة، من أجل البحث عن موطئ قدم، لشركة مصر للطيران هناك.. وكان هو الذى أقنع الوزير الدكتور عبدالقادر حاتم، بافتتاح مكتب لوكالة أنباء الشرق الأوسط فى باريس.



بمطار باريس نائب وزير الخارجية السابق حسين ذو الفقار صبري مع السفير عبد المنعم النجار والدكتور عصمت عبد المجيد الذى كان وقتها وزيراً مفوض بسفارة مصر بباريس

وكان التعاون بيني وبينهم، فى السفارة، فى بداية الأمر، يبدو كما لو كان عملاً استشارياً، بمعنى أن يسألوني عن اتجاهات الصحافة والسياسة فى باريس، وتقييمي لها، وعن ترشيحاتي لأسماء فرنسية معينة، أرى أنها من المهم أن تزور القاهرة، .. واستمر التعاون بيننا، وازداد قوة ورسوخاً، فى جو من تبادل الثقة.

وفى هذه المرحلة، وصل إلى باريس، الدكتور أحمد فتحى سرور، مستشاراً ثقافياً لمصر، فى العاصمة الفرنسية.. قبل أن يصبح وزيراً ثم رئيساً لمجلس الشعب.. وقد لفت نظرنا جميعاً، صغر سنه، فى الوقت الذى كان فيه بعض المبعوثين أكبر منه سناً وتحت إشرافه.

وقد استرعى انتباهي، قدرته على الابتسامة والدعابة، .. وفى الوقت اللازم: الحزم والحسم !

وقد ذهب بعض الطلبة المبعوثين يوماً يشكونه إلى السفير عبدالمنعم النجار، وكانت شكواهم تتجه إلى أنه أصغر منهم، أو من كثير منهم، سناً، وأنه بالتالي أصغر - من ناحية السن - من أن يتحكم فيهم، ويحدد مصيرهم.. وأذكر أن

السفير النجار أجاب وكأنه كان يقرأ الغيب فقال: فعلاً هو صغير السن جداً، ولكن سترون أنه سيذهب إلى بعيد جداً !!



الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي والدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب... وقداسة البابا شنودة في حديث جانبي مع دكتور علي السمان

وللأمانة أقول، أن د. سرور لم يخطئ فى حق طالب يوماً، .. وبالنسبة لمن يستحق منهم، كان يأخذ مواقف جريئة مع الجهات التى أوفدتهم ليتمكنوا من إكمال مهماتهم.. وكان السفير النجار يحبه ويقدره، وقد حاول يوماً ممارسة بعض الضغط عليه، وفوجئ الجميع بجانب آخر من شخصية د. فتحى سرور وهى القدرة على التصدي والرد المناسب.. وبعدها أكمل معه السفير النجار، العمل، طوال مدة وجودهما معاً، فى خير ووئام.

ولم تقتصر علاقتي بأعضاء السفارة، على هؤلاء الأربعة: النجار، وبسيوني، والمراسى، ود. عصمت عبدالمجيد.. وإنما أنضم إليهم، فيما بعد، المستشار بالسفارة، عز الدين شرف، شقيق السيد سامى شرف سكرتير الرئيس عبدالناصر، وقتها، لشئون المعلومات.. وقد أصبح عز الدين شرف، بعد ذلك، سفيراً مميزاً لمصر بباكستان، وكان من هواة رياضة الفروسية، وكان يمارسها فى باريس.. وعز الدين شرف كان يعتز كثيراً بدينه ودائم القراءة عن التاريخ والإسلام .

وجاء وقت آخر، انضمت فيه إلى سفارتنا هناك، مجموعة من أنبه أبناء الخارجية المصرية، وكان على رأسهم المستشار بالسفارة سميح صادق رحمه الله، الذى عمل بعدها نائباً لحاتم صادق، فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ثم عمل مسئولاً بجامعة الدول العربية، قبل أن يصبح محامياً دولياً مرموقاً..

وإلى جوار سميح صادق، يأتي المرحوم هشام عامر، الذى عمل مستشاراً بالسفارة، وأصبح فيما بعد، سفيراً لمصر بالهند، وكان لديه نهم خرافي للقراءة والاطلاع، حتى أننا كنا نراهن بعضنا البعض، على أن نقع على كتاب، لم يقرؤه!

واعتقادي الخاص، أن تلك المرحلة، كانت من المراحل المشرقة فى العلاقات الفرنسية المصرية، بسبب مستوى الأداء العالي، لمن عملوا ممثلين لمصر فى فرنسا، أيامها، وعلى كل المستويات.

وإذا نسيت، فإنني لا أنسى أبدا، الملحق العسكري فى سفارتنا، فى هذه الفترة، المرحوم اللواء عز الدين مختار، الذى شاء حظي أن أتعاون معه، بعد عدة أعوام، وذلك أثناء معركة أكتوبر، حينما كنت أنا مديراً للإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية، وكان هو المتحدث الرسمي للقوات المسلحة.. ومن الضروري أن أعطى هذا الرجل حقه، وهو بين يدي الله، لأقول أن الصدفة قد جمعتني يوماً، بتاجر سلاح فرنسي كبير "شوبير"، كان مالكاً لشقة كنت قد استأجرتها.. فإذا به يروى لي، وكان قد اعتزل التجارة مع تقدم السن.. روى لي ما أذكره بالحرف، حين قال لي: لن أنسى فى حياتي أني عقدت أكثر من صفقة بيع سلاح مع سفارتكم فى الستينات، ومع كثير من الدول من خلال ملحقيها العسكريين وكان هو الإنسان الوحيد الذى لم يتقاض عمولة قط عن إتمام صفقات البيع ، بل أنه كان يحسب مقدار عمولته ، ويخصمها من إجمالي ثمن البيع المقترح !!

وقد أصبح عز الدين مختار، أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية، وعاش ومات دون أن يكون للمادة مكان فى قائمة أولوياته.

ولعل شقيقه صلاح مختار، قد أخذ عنه صفة الجدية فى العمل، والرجولة فى التعامل، والشرف فى العلاقة مع الآخرين، حين بدأ بمكتب مصر للطيران فى باريس، من الصفر، ليصبح المكتب فى وقت وجيز جداً، مثلاً تحتذيه سائر المكاتب هناك !

وقد عمل صلاح مختار، بعد ذلك، ممثلاً للهيئة العربية للتصنيع فى باريس، وكان دوماً يملأ المواقع التى يشغلها، عن جدارة، وكان ولا يزال يتعامل مع الآخرين، بدرجة من الرقى توجب الاحترام، وبدرجة من المقدرة على اكتساب محبة الكثيرين.

الفصل السابع

مع المشير عامر... في باريس

قد يكون المشير عبدالحكيم عامر، هو أهم شخصية مصرية جاءت إلى باريس، في الستينات، في زيارة رسمية، كان من المتوقع أن تكون لها آثارها الإيجابية جداً، على العلاقات المصرية الفرنسية، لولا أن نكسة يونيو ١٩٦٧ ما لبثت أن وقعت، بعد الزيارة بشهور، فاختلطت كل الأوراق.

جاء عامر، وكان وقتها نائباً أول لرئيس الجمهورية، ونائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة، وكان برفقته د. محمود فوزي وزير الخارجية، وشمس بدران وزير الحربية، وعلي شفيق مدير مكتب المشير.. وقد لاحظت، فور وصولهم، أن أعضاء السفارة المصرية في باريس، كانوا يتعاملون مع شمس بدران، بوجه خاص، بحذر واهتمام شديدين، وكانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع أنه يشكل مركز قوة كبير إلى جانب المشير.

وفي بداية الزيارة، أبلغني سفيرنا عبدالمنعم النجار، أن شمس بدران يريد أن يلتقي بي في فندق "الكريون" حيث كان المشير يقيم.. وحين سألت السفير عن شمس بدران، قال لي - على طريقته - أنه أهم شخصية في مصر.. بعد الرئيس عبدالناصر والمشير!!

ثم أضاف: وأرجو أن تتعامل معه بحذر شديد، لأن أي خطأ في التعامل مع رجل مثل شمس بدران، يمكن أن تكون له عواقب وخيمة، بالنسبة لكل المجموعة العاملة في سفارتنا.

وحين التقيت بشمس بدران، وجدت أمامي إنساناً بسيطاً للغاية، وقد فاجأني بأن قال: أنا طلبت أن أراك لكي أشكرك على ما قمت به في باريس، تجاه أحمد قصير الديل المحامي، أحد أقربائي، الذي كان قد جاء إلى هنا، منذ سنوات مع قريبي اللواء محمود الطوخي، في رحلة علاج.

قلت: ما قمت به معهما، أقوم به مع كل مصري يزور باريس.

فقال شمس بدران: أنت لا تعرف مكانة هذا الرجل في نفسي، وأهميته في حياتي.. فحينما التقيت به قبل مجيئي إلى هنا، لأسأله إن كان يريد شيئاً من باريس، طلب مني أن أشكرك على ما قمت به نحوه.

ثم سألني شمس بدران، عما إذا كنت في حاجة لشيء، فشكرته، وطلبت منه أن يبلغ سلامي إلى قريبه.. وكانت لهذه الصدفة البحتة، التي أرادها الله، دور كبير فيما سوف يلي.

وقد جاء يوم، تقرر فيه أن يكون هناك لقاء بين الجاليات المصرية في أوروبا، وبين المشير عامر.. وكان محور الكلام، حول الحريات، ونظام تجديد جوازات السفر، الذى كانت السلطات تمارسه كنوع من الضغط على الطلاب.

وقام شاب ليقول للمشير: هل يعقل أن الجوازات التي نحملها لا تصلح إلا لثلاثة أو ستة أشهر أو حتى لتسعة شهور على الأكثر ؟!.. إن الدول التى نعيش فيها هنا، تتصور أننا مجرمون في بلادنا، .. وإلا ما كانت حكومتنا ترفض إعطاءنا جوازات طبيعية، وليست محددة المدة.. ولقد تأثر المشير بكلام الطالب، وتحمس جداً، وأصدر تعليماته إلى شخصية كانت مرافقة له، وكانت تحمل إسم "السفير حسن كامل" وهو اسم مستعار لشخصية رفيعة المستوى (وهو بالمناسبة غير الأخ حسن كامل رئيس ديوان رئيس الجمهورية أيام السادات).. أعطى المشير تعليماته، إلى تلك الشخصية، بتجديد الجوازات.. فإذا بالشاب يرد على المشير، وهو يصيح بأعلى صوته: لا.. لن أسلم جوازي، لأني سأعاقب على أني شكوت إليك، ولن يعود لي الجواز إطلاقاً..!



الطلاب الدارسون فى باريس يصفقون بعد اجتماع عاصف لهم
مع المشير عبد الحكيم عامر.. ووعود بحل مشاكلهم

وعرفنا فيما بعد، أن صاحب تلك الشخصية رفيعة المستوى، كان هو المرحوم اللواء حسن عليش، نائب رئيس المخابرات العامة وقتها، ورئيس المكتب العالمي للتجارة بعدها، ولما لاحظت أن المناقشات بدأت تأخذ شكلا دراميا، تذكرت فجأة أن مندوباً للإذاعة الفرنسية كان في آخر القاعة يسجل، باعتباره فرداً من

الوفد الصحفي الذي جاء ليغطي أخبار الزيارة.. وقد خفت أن يستعمل هذا الشريط في اتفاقية التبادل بين فرنسا، وبين دول العالم، ونراه مذاعاً – مثلاً – في إسرائيل.. فاخترقت القاعة إلى مندوب الإذاعة الفرنسية ، وهمست إليه بأنهم في السفارة – حيث كان اللقاء منعقداً – قد نسوا أن يبلغوك بأن هذا الجزء من الزيارة، جزء خاص، وليس من البرنامج الرسمي للزيارة.. ونجحت في انتزاع الشريط منه.

وبعد منتصف الليل، من ذلك اليوم، تلقيت مكالمة هاتفية من السفير النجار يخبرني فيها، بأن أذى كبيراً كاد أن يلحق بي، لولا أن شمس بدران هو الذي تدخل وأنقذني.. أما التفاصيل فقد عرفتها في اليوم التالي.. إذ تبين أن السفير "حسن كامل"، تلك الشخصية الأمنية رفيعة المستوى، قال للمشير: منْ هو "علي السمان" هذا، الذى أحدث "غاغة" أثناء لقائك مع الطلاب، وجال وصال في القاعة؟!. من أين أتى ؟! ومنْ الذي عينه في مكتب الإعلام بالسفارة ؟! وقبل أن يرد السفير النجار، تدخل شمس بدران، وقال "لحسن كامل": انك لم تفهم ما قام به هذا الشاب، الذي لاحظته وتابعته بنفسي.. فما تسميه أنت "غاغة" لم يكن إلا تصرفاً حكيماً من علي السمان، عندما سارع بانتزاع شريط من صحفي فرنسي، كان قد سجل عليه احتجاجات الطلاب.. ثم قال شمس بدران مخاطباً حسن كامل: أنت نايم على روحك يا حسن !!

وعرفت أن علامات الارتياح ظهرت على وجه المشير، لتصرفي، وأنه أقر بشهادة شمس بدران في حقي.

والحقيقة أنه لولا أني تعرفت على شمس بدران، صدفة، في بداية الزيارة، كما قلت، فإن الله وحده هو الذي يعلم ما كانت الأمور يمكن أن تنتهي إليه، في مثل هذه الأحوال.

وفي اليوم التالي، كان قد تقرر في برنامج الزيارة، أن يقوم المشير بزيارة قبر الجندي المجهول، تحت قوس النصر.. والمعروف أن مثل هذه الزيارة لا توضع إلا في برامج الزيارات الرسمية.. ذلك أن الزائر، لقبر الجندي المجهول، يستقبله فى العادة حرس شرف خاص من الفرق المتعددة للجيش الفرنسي.

وهذه الزيارة، من الزيارات المقدسة فى البرتوكول الفرنسي، إذْ يصل فيها الضيف فى موعده المحدد بالضبط، ثم تجرى مراسم استقباله.. وقد حدث أن تأخر المشير عشرة دقائق.. ولاحظت أن وجوه ممثلي الجيش الفرنسي، بدأت تكفهر وتتغير، خاصة وأن ذكريات حرب ٥٦ لم تكن قد انمحت من أذهانهم بعد.

وعندما حضر المشير، وهم يتحركون نحو قبر الجندي المجهول، عرفت أن مكالمة بين المشير والرئيس جمال عبدالناصر، هى سبب التأخير.. ولعل هذا هو الفارق بين الشرق، وبين الغرب، فبالنسبة لنا، هو عذر شرعي ومقبول، وبالنسبة لهم، عذر غير قائم، وغير مقبول، فى مثل هذه المناسبات.

وحاولت مع منْ حولي، من مرافقي المشير، أن ينقلوا إليه ضرورة أن يبدى كلمة اعتذار للضابط الكبير الذى سيستقبله، وسمعني علي شفيق، وفهمني، وتمكن من أن يهمس بسرعة في أذن المشير، الذى أبلغ الضابط الكبير الذى استقبله، أسفه، لأن اتصالاً عاجلاً مع رئيس الدولة، كان هو سبب التأخير فانفرجت أسارير حرس الشرف، وتمت الزيارة على خير.

ثم كان على المشير، بعد ذلك، أن يلتقى برئيس الوزراء الفرنسي "جورج بومبيدو".. وقبل اللقاء، التقيت بالمشير بحضور كل من السفير النجار، والمستشار بالسفارة – وقتها – صلاح بسيوني.. وبدأ كل واحد منا، يطرح تقييمه لشخصية "بومبيدو".. وقد لاحظت أن معظم التحليلات والتقييمات تتجه نحو الشك فى "بومبيدو" باعتبار أنه قبل أن يعمل مع الجنرال ديجول، كان مديراً لبنك روتشيلد.. اليهودي الشهير.. وكان تقييمي أمام المشير أن روتشيلد حين يختار مديراً لبنكه، فإنه لن يختاره فقط، على أساس الحماس لإسرائيل والانحياز إليها.. وانما الاختيار سوف يكون، بالدرجة الأولى، على أساس الكفاءة الاقتصادية العالية، التى تستطيع أن تدير بنكا بهذا الحجم العالمي ولم يقتنع المشير بوجهة نظري.

وفى اليوم التالي، بعد لقائه مع بومبيدو، وفى طريقه إلى الفندق، أقترب مني المشير، وربت على كتفي، وهو يقول: عفارم عليك.. بومبيدو قيادة وطنية مائة فى المائة، والتفاهم بيننا كان كاملا.

أما أكثر مواقف الزيارة، طرافة، فهى أن المشير أراد أن يعبر عن سعادته بلقاء الفرنسيين، وعن ارتياحه بنتائج الزيارة، فقرر أن تتبع العلاقات الفرنسية المصرية مكتب المشير مباشرة.. وقد فعل ذلك، وفى ظنه أنها ترقية لمستوى، ودرجة، ورتبة العلاقات، على أساس أنها سوف ترتقى من مستوى تبعيتها لوزير الخارجية إلى مستوى نائب رئيس الجمهورية مباشرة!! وهو الموقع الذى كان يشغله المشير وقتها.. وقد قيل لي وقتها أن هناك سيناريو تم تجهيزه، لإدارة هذا الموضوع، وأن المستشار صلاح بسيوني سوف يكون هو ضابط الاتصال، لهذا الملف، فى مكتب المشير.. وأذكر أن دهشتي مما حدث، قادتني إلى غرفة د. محمود فوزى، وزير الخارجية، لأسأله عن رأيه فى انتقال ملف العلاقات المصرية الفرنسية، من وزارته، إلى مكتب القائد العام للقوات المسلحة ونائب رئيس الجمهورية.. وفوجئت برد "عبقري" من الدكتور فوزى، وهو يقول لي: من الأكيد، أن ذلك جديد!!

أما أن ذلك مستحيل، أو أنه ممكن، فهذا ما لم أسمعه من أحد يوما.. وتذكرت يومها، ما جاء فى أحد مؤلفات الأستاذ محمد حسنين هيكل، عن الرأي والمشورة التى طلبها عبدالناصر، من الدكتور محمود فوزى، عندما وقعت ثورة فى العراق عام ١٩٥٨، وكان عبدالناصر وقتها فى زيارة ليوغسلافيا..، وكان السؤال عما إذا كان من الأفضل زيارة العراق، فى هذه الظروف، أم الانتظار قليلاً.. فإذا بالدكتور فوزى يقول لعبدالناصر الذى سأله عن رأيه فأجاب: أمام الأحداث

التاريخية الكبرى، يكون القائد وحده، مع التاريخ، وجهاً لوجه، يستلهم منه الرأي والمشورة !!


LE SEJOUR DU MARECHAL AMER
A PARIS.

NPM - A sa sortie de l' Elysée, où un déjeuner était offert aujourd'hui en son honneur, le Maréchal AMER répond aux questions des journalistes.
16.10.1965 AFP PHOTO

د. علي السمان مع المشير عبد الحكيم عامر أمام قصر الأليزيه، بعد اجتماعه مع الجنرال ديجول، ويبدو فى الصورة الوزير مفوض وقتها د. عصمت عبد المجيد

ومن يومها، وأنا أخاف دائما، مما تعودنا عليه، فى مصر، من خرافة هائلة نحيط بها كثيرين من الشخصيات العامة والهامة.

وقد كان الإحساس العام، أثناء زيارة المشير أن الأرض الآن ممهدة للقاء تاريخي، يجمع بين عبدالناصر وديجول.. غير أن حقيبة الأقدار لم تكن تخلو من المفاجآت.. إذ وقعت بعدها، بوقت قصير، نكسة ٦٧، لكي لا يتحقق ذلك اللقاء، الذى كان من الممكن أن يغير أشياء كثيرة، ليس فقط فى التوجهات.. بل فى أن يجد كل واحد من الزعيمين، المصري والفرنسي، فى الآخر، أكثر من قضية تربط بينهما، وعلى رأسها تحييد النفوذ الأمريكي فى المنطقة.

ثم حدث شيئان قبل مغادرة المشير لباريس.

الأول أنهم أعدوا بياناً، عن نتائج الزيارة، وأرادوا إرساله إلى الصحف الفرنسية، واختاروا توقيت السابعة مساء لكي تتلقاه الصحف.. ووجدت نفسي، بحماسة مهنية بحتة، أشير عليهم، بأن التوقيت غير صحيح، وأن البيان إذا ذهب إلى

الصحف، فى السابعة مساء، فسوف يكون بحكم توقيت طبع الصحف متأخراً عن الصحف الصباحية فى اليوم التالي، فإذا أنتظر لليوم الذى يتلوه، فسوف يصبح خبراً "بايت".. فاقتنع المشير، وقرر أن يذهب البيان، إلى الصحف، صباح اليوم التالي مباشرة.

وقد كان ذلك من واقع خبرة طويلة، مع الصحافة العالمية، ومع طريقتها فى التعامل مع الأخبار، من هذا النوع.

أما الشىء الثاني، فهو أن علي شفيق، جاءني متهللاً صباح مغادرة المشير لباريس، وقال لي: فرصة العمر جاءتك حتى قدميك.. وسوف تلتقى بالمشير ليشكرك على جهدك أثناء الزيارة.. وهى فرصة لا ينبغي أن تفوت، لتطلب منه فيها، ما تشاء، من ترقية، أو مساعدة مادية إذا كنت تريد أن تمضى فى مشروع زواج " مثلا"، أو على الأقل تطلب منه أن يثبتك فى عملك.. أرجوك لا تضيع هذه الفرصة..!

ودخلت على المشير، وقال لي بصوت مرحب: أشكرك على كل ما قمت به.. فهل هناك شئ معين يمكن أن أقوم به لك ؟

قلت: شكراً.. الحمد لله

ثم عاد المشير يسألني: هل يحتاج وضعك فى السفارة إلى مساعدة مني ؟.

وأجبت: شكراً سيادة المشير، الحمد لله.

وكان كلما كرر سؤاله كررت جوابي على نحو ما تقدم، شاكراً له، وحامداً الله.

وعند خروجي، كان من الواضح أن علي شفيق قد ضايقه جوابي، وأني لم أستفد من وجود المشير فى باريس، كما يجب.. وخاطبني علي شفيق، بغيظ قائلا: لقد ضيعتَ فرصة العمر.. وكمان ضيعت وقتنا !!

الفصل الثامن

المثقف.. عندما يتحول إلى جندي على الحدود

فى هذا الفصل نحن على موعد دافئ، مع الثقافة، والكتاب، والحوار، والكلمة، فى عاصمة النور.. وما حولها من مدن وأحياء.

لقد جاء وقت، قررت فيه فرنسا تنظيم ما أطلقوا عليه، وقتها "الجامعة الصيفية لدول البحر الأبيض المتوسط".. وكان الهدف من ذلك، هو الرغبة فى تجاوز الآثار السلبية لعدوان ١٩٥٦، الذى كانت فرنسا إحدى الدول الثلاث المشاركة فيه.. إلى جانب دعم التعاون، من وجهة النظر الفرنسية، بين باريس، وبين دول البحر الأبيض.

والطريف فى هذه الجامعة، حينما ذهبت إليها أنا وصديقي الدكتور أحمد القشيرى، أستاذ القانون الدولي المعروف، أن الطالب فيها كان معلماً وطالباً فى الوقت نفسه، فهناك مواد كان عليه أن يتعلمها من الآخرين، ومواد أخرى كان عليه أن يعلمها لهم..

وكان تنظيم هذه "الجامعة الصيفية" التى كانت أقرب إلى "الدورة الدراسية" فى إحدى مناطق الجنوب الجميلة، على بعد ٢٠٠ كيلو متر من مرسيليا، وتقرر أيضاً أن يكون تنظيمها بأشراف جامعة "إكس إم بروفانس" وهى من الجامعات الفرنسية الشهيرة فى الدراسات الحديثة.

وكانت الدراسة فى هذه "الجامعة الصيفية"، تستغرق شهرين، وكانت فرصة للقاء مع إحدى دول البحر الأبيض، وهى إسرائيل.. لنعرف عن قرب، نظام إسرائيل السياسي والاقتصادي، ولنتعرف أكثر على استراتيجيتهم..

وأذكر أنني، تحدثت فى إحدى المحاضرات هناك، عن "واجب الإنسان بين الوطن والقوى التى تهدد الوطن" وتطرقت إلى ما يود الغرب أن ينشره من أفكار السماحة والتعايش، وكأنه يبغي أن يصنع إنساناً عالمياً لا يعطى اهتماماً كبيراً للحدود بين الدول والثقافات، وبحيث تبدو كلمة مثل "الوطنية" أو "الدفاع عن الوطن".. وغيرهما.. وكأنها جميعاً تعبيرات غير عصرية !!

وكان من واجبي أن أقول لهم، يومها، أن مسئولية المثقف فى العالم الثالث، تختلف بالكامل عن مسئوليته فى العالم المتقدم.. فمسئوليته فى هذا العالم الأخير، مسئولية فردية، بمعنى أنها مسئولية تكاد تنحصر فى أمانة الفكر ومستوى الأداء.. أما مسئوليته فى العالم الثالث، فهى مرتبطة كلياً، بمصير شعبه،

وبقضاياه الحياتية.. وبالنسبة لنا فى مصر، مثلا، فإنه حينما يكون هناك خطر يهدد الأمن القومي المصري، على حدود إسرائيل، فإن دور المثقف يتحول، تلقائياً، ليلتقي مع دور الجندي الذى يقف على أهبة الاستعداد على حدود وطنه للدفاع عنها بشتى الطرق.. ومما قلته أيضاً، أنه ربما تكون هذه اللغة، رغم بساطتها، محل نوع من الدهشة فى الغرب، حين يكون على المثقف أن يكون جندياً فى الوقت ذاته.. ثم كان الحوار بعدها، فى إحدى المحاضرات، مع الجانب الإسرائيلي، حواراً له أكثر من معنى.. لأنه حين تكلم ممثلو ذلك الجانب، عن شرعية الوجود بالنسبة لهم، وأرادوا أن يذهبوا إلى جذور التوراة، وقرون مضت من التاريخ، بذلتُ جهداً لأجمع من المصادر والمراجع التاريخية، ما يبين لهم، ماذا يمكن أن يحصل للعالم من تغيرات غريبة، ومثيرة، إذا ذهب الإنسان لمسار التاريخ، ليقول : لقد كنت هنا.. وانتقلت إلى هناك.. ثم قلت، أن خطورة مثل هذه الدعوى، التى تذهب لتفتش فى جذور التوراة، وفى مسار التاريخ، أنها دعوة لأن ينفجر العالم، ويتقاتل، مع بعضه البعض، ويذهب ضحية قصص التاريخ !!

وكان رئيس الجامعة أستاذًا متميزاً وبارزاً فى التاريخ، وكان إسمه "ديبوى".. وقد ظللت على علاقة طيبة معه، خصوصاً عندما انتقل، فيما بعد، ليكون عضواً فى الأكاديمية الفرنسية، وكان علاقته وطيدة بأخي وصديقي د. أحمد القشيري الذى كان يثير احترام وحب أساتذة وعلماء القانون فى أوروبا.

استمر تطبيق فكرة تلك الجامعة، نحو أربع سنوات، وكانت - بطبيعة الحال - فكرة ذكية جداً، من جانب فرنسا، لأنها أعطتها فرصة كبرى، لأن تعيد ترميم وإنشاء علاقات كانت قد تصدعت مع عدد من دول المنطقة، وكانت الجامعة أول مدرسة تتخيل البعد الجغرافي والسياسي والاقتصادي لكلمة حوض البحر الأبيض المتوسط.. وحين حضرت، ذات مرة، مؤتمراً فى مدريد، عن التعاون بين دول هذا الحوض، قلت لهم أن فكرة تلك الجامعة الصيفية، وبمعنى أدق قلت إن نموذج "إكس إم بروفانس" لا يزال صالحاً للنقاش وقابلاً للتنفيذ.

ذلك أن هذا النموذج، كان يقوم على أن مجلس الإدارة، هو الذى يختار الطلبة، الذين كان عليهم أن يقوموا، بدورهم، بترشيح منْ يرونهم.. تماماً كما رشحني، الصديق "جون لاكوتير".. وكنا جميعاً، حوالي مائة طالب.. وقد ظل رقم المائة، من وجهة نظري، هو الرقم الأمثل لمثل هذا النوع من الندوات والاجتماعات، الذى يستطيع فيه المشاركون إبداء وجهات نظرهم، وأن يتعاونوا إنسانياً أيضاً.

وأعتقد أن تنظيم مثل هذه الجامعة، قد أعطى، فيما بعد، فكرة التجمع حول البحر الأبيض، صدى وأهمية، حتى أن بعض الجامعات أدخلت ضمن موادها الدراسية، مادة أو أكثر، عن الروابط بين دول البحر الأبيض، وآفاق التعاون فيها.

ولعل ذلك قد لفت نظري، إلى أن هناك فارقاً بين فكرة تنمية العلاقات بين دول البحر المتوسط، وهى فكرة لها فرسان هم إيطاليا وفرنسا وأسبانيا.. وبين فكرة الشرق أوسطية التى هى أقرب لإنجلترا و أمريكا، لأنها تضم مناطق كان لهما فيها تاريخ ونفوذ.

وتستطيع أن تقول أن فكرة الشرق الأوسطية، فكرة عسكرية وسياسية فى المقام الأول تضم تركيا وإسرائيل، فى الوقت التى تظل فيه فكرة حوض البحر الأبيض المتوسط، منطوية على بُعد كبير من الثقافة والحضارة.

وحتى يكون ذلك واضحاً، أقول أنك حين تكون فى فرنسا، مثلاً، فإنه من السهل أن تلاحظ أن موضوع الثقافة والتعليم، يستولي على جزء كبير جداً، من اهتمام الدولة، والمؤسسات والأفراد.. فهناك دائماً فخر بالثقافة الفرنسية، وهناك تمسك يبلغ حد التطرف باللغة الفرنسية، وهناك حرص بالغ على أن تكون عاصمة بلادهم، عاصمة عالمية، يقصدها فنانو ومثقفو العالم.. وأن تكون فى الوقت نفسه، هى الملجأ للكُتَّاب والفنانين الذين يعانون مشاكل سياسية، مع الأنظمة الحاكمة في بلادهم.. وقد عشت مرحلة من حياتي، رأيت فيها مثقفين وفنانين أسبان كباراً، يريدون الهرب إلى باريس، من نظام الجنرال "فرانكو".. واثقين من أنهم سوف يجدون فى باريس، ما لا يمكن أن يجدوه فى أية عاصمة أخرى..

باريس، بالنسبة للمثقف، وبالنسبة لكل مشتغل بالثقافة، والفكر، والكلمة تظل هى الأمل.

إنني أعترف، بأن مرحلة من أحلى مراحل حياتي، قد عشتها فى الستينات، فى حى "مونبارناس" الذى يمتلئ باتيليهات الفنانين الكبار، وهى أتيليهات يقصدها كل فناني العالم.

فى هذا الحى، على سبيل المثال، كنت أتردد، مع عدد كبير من المثقفين والفنانين، على مطعم ذاعت شهرته، بينهم، لأنه كان يقيم قاعة عرض دائمة، لعرض أعمالهم فيها، وكنا ندفع فيه اشتراكاً شهرياً، مقابل وجباتنا التى كانت "مدعومة" من مثقفين وفنانين كبار بدأوا صغاراً فى التردد عليه، فلما كبروا واشتهروا، خصصوا إعانات كبيرة، للمطعم، الذى كان بدوره يربي ويحتضن ويتولى أجيالاً شابة، وجديدة، من الفنانين والمثقفين.. وتظل باريس لمن عاش فيها

سنوات طويلة، مثلي، ملتقى واسعاً للقاء مباشر مع الثقافة والمثقفين، سواء كان المثقفون عرباً أو أجانب.

فالحى اللاتيني، بالنسبة لي، كان هو مملكتي، تماماً كما كان مملكة كثيرين من عشاق الكُتب والمكتبات، الذين يجدون راحتهم الكبرى، وهم يتجولون من مكتبة إلى أخرى، ويقفزون فوق الصفحات،.. يقلبون أوراق الكتب وأغلفتها.

فى هذا الحى، الذى يبقى علامة من علامات باريس، التقيت بكاتب فرنسي كان شهيراً "ريمون أرون" وكان مكتبه فى شارع Le Prince الملىء بالمكتبات والقريب من السوربون وعلى بعد خطوات من بيتي فى ذلك الوقت من نهايات الخمسينات وبدايات الستينات، وكان متخصصاً فى الكتابة عن المستقبلية السياسية،.. ولعل أشهر ما عُرف عنه، هو توقعه المبكر جداً، بانهيار الكتلة الشيوعية.. وقد كنت أزوره فى مكتبه كثيراً، وأستطيع أن أزعم أن بعض أفكاري عن الشرق الأوسط، وأزماته، وحروبه، قد أثرت فيه بعض الشيء، كما أنني اعترف، أن تحفظي الدائم، والمستمر، تجاه الفكر اليساري الشيوعي، كان نقطة لقاء بيننا.

وعلى مستوى مثقفينا نحن، كانت لي هناك، لقاءات مطولة، مع كوكبة من المثقفين المصرين لويس عوض، وحسين فوزي، ولطفي الخولى، ومحمد سيد أحمد، ومحمد عودة.. وغيرهم.. ممن كانوا يترددون على باريس.

وبطبيعة الحال، فإنه عندما كان اللقاء يضمني مع حسين فوزي ولويس عوض، فإن الموضوع المثار دائماً، كان هو اتجاه حسين فوزي بأفكاره، نحو الشمال، ونظرته إلى مصر على أنها جزء من أوروبا، تماماً كما كان يفكر الخديوي إسماعيل ويرى، قبل أكثر من قرن من الزمان.. وكان لويس عوض، بطبعه وطبيعته، يشدنا نحو مصر الفرعونية.. مصر القديمة.. مصر الأفريقية.. ففيها ومعها كانت تتعانق أفكاره وتلتقي.

فإذا أنضم لطفي الخولى، إلى هذه اللقاءات فإنه كان يضيف إلى النقاشات، القضية العربية، والمستقبل العربي، كجزء من تفكير الرئيس عبدالناصر، وكانت المناقشات تزداد سخونة، إذا ما انحصرت بينه وبين لويس عوض تحديداً.. ثم لا تلبث أن تنتهي بشيء من الدعابة والمرح. وكان لطفي الخولي معادلة نادرة بين الفكر والحركة والدعابة.

ويوماً ما، جاء باريس، الإذاعي الراحل الكبير محمد محمود شعبان "بابا شارو" وذهبنا معاً، أنا وهو، إلى حى مونمارتر، وفيه صعدنا تلاً عالياً لنجد أنفسنا داخل كنيسة "الساكركير" التى هى إحدى معالم حي مونت مارتر.. كنا نذهب إليها صعوداً على سلالم متعددة، أو عن طريق قطار "التليفريك" الشهير، وكنا نستمع هناك، ونستمتع بأغاني الشباب التلقائية، ونشاركهم غناءهم، وقد كان ذلك فرصة عظيمة، كى أكتشف أن بداخل محمد محمود شعبان العملاق الإذاعى، يسكن طفل كبير يتمتع بالجلوس على سلالم مونت مارتر!!

أما محمد عودة، فكان يفضل حى سان جيرمان، ومقهى "الديماجو" الذى كان يضم عدداً هائلاً من مثقفي أوروبا ودول البحر المتوسط.. وكذلك مقهى "فلور" الذى كان مشهوراً بأن سيمون دى بوفوار، ورفيق عمرها جان بول سارتر، كانا يجلسان فيه طويلاً.. ويكتبان صفحات من كتبهم بداخله.

وقد كان محمد عودة، لديه رغبة عميقة فى أن يساعد الشباب، وأن يدفعهم إلى الأمام، بالفكر والعمل معاً.. ولعل أولى العلاقات المبكرة، التى أقمتها مع بعض قيادات نظام الرئيس عبدالناصر، وتحديداً مع كمال رفعت، أمين الدعوة والفكر فى الاتحاد الاشتراكى.. كانت من خلال محمد عودة.. وقد كان كمال رفعت يحترم عودة ويقدره كثيراً.. وإذا كان رفعت قد جمع حوله، فى ذلك الوقت، عدداً من المثقفين والمناضلين، المؤمنين بالقومية العربية، فكراً وعملاً، فإن عودة كان لديه نهم غير عادى للقراءة، وكان لديه أسلوبه الساخر فى الكتابة، وكان كذلك محباً للآخرين.

أما محمد سيد أحمد، فقد كنت أشعر، حينما يأتى إلى باريس، ويلتقى مع مثقفيها، ورجالها، فقد كان يبدو وكأنه فى وطنه الثقافي الثاني.. فالجميع كانوا يعرفون عنه، إتقانه للفرنسية، ويقدرون له عمق معرفته بالثقافة الفرنسية وتاريخها القريب والبعيد على حد سواء.

كنت على علاقة خاصة، مع مكتبة "سان جان فييفا" القائمة خلف جامعة السوربون.. وكان يدهشني هذا الهدوء غير العادي، الذى يتمتع به الإنسان، حين يستقر فيها قارئاً.

وإذا مررنا على الحى اللاتيني، دون أن نذكر مقبرة العظماء "البانتيون" فإننا نكون قد أهملنا جزءاً حيوياً، وهاماً، وأساسياً، من تاريخ وشهرة هذا الحى.. والغريب فى مقبرة العظماء هذه، أنها كانت تضم رفات العظماء من مفكرى وكتاب فرنسا، ولم يكن فيها رفات سياسي واحد، وكأن فرنسا تحفظ لمثقفيها

الكبار، الذين رحلوا، مكانهم ومكانتهم الخاصة، فى مماتهم، كما فعلت معهم فى حياتهم.

وحينما تدخل إلى مقبرة العظماء، فسوف تجد فى مواجهتك مباشرة، لافتة كبيرة، وقد كتبوا عليها : إلى رجال فكرها.. فرنسا الوطن مدين لهم !!

ولا ينسى الذين حضروا بدايات ولاية الرئيس فرانسوا ميتران، كيف أنه يوم تقلد الرئاسة فى الدولة، ذهب إلى البانتيون، بعد أدائه لحلف اليمين.. وقد قيل يومها، أن زوج شقيقته وهو ممثل معروف فكر له فى هذا السيناريو المسرحي، ونصحه بالذهاب إلى مقبرة العظماء، مع ما لها من هيبة كبرى يعرفها جيداً الفرنسيون وغير الفرنسيين..

وقد سارع الرجل بالذهاب إليها، بالفعل، وترك عربة الرئاسة على مسافة كبيرة منها، ثم نزل وحده، وسار إليها على قدميه بمفرده، دون حراسة ودون رفقاء، ثم أحنى رأسه، وفى يده وردة واحدة، أهداها إلى عظماء بلاده.. وكأنه كان يبحث عن شرعية إضافية، بعد الشرعية الدستورية.. وهى شرعية الفكر الخلاق !!



الدكتور علي السمان مع اندريه مالرو ، الكاتب الكبير وتوأم فكر الجنرال ديجول ، أثناء افتتاحه لمعرض الفنانين بباريس ، قبل سفره إلى القاهرة

أما "اندريه مالرو" المثقف الفرنسي الكبير، ومفكر ثورة ديجول، وجمهوريته الخامسة، فقد كان حين يخطب أمام الجماهير، بصوته الأجش، فإنه يبدو لي، وأتخيله، وكأنه صوت عتيق قادم من قرون بعيدة !!

ولا أنسي على الإطلاق، أول مرة رأيته فيها، يوم مولد الجمهورية الخامسة فى عام ١٩٥٨، حين سمعته وهو يقدم شارل ديجول ثم يهتف بصوت يخنقه الحماس : أيها الفرنسيون.. اليوم موعدكم مع التاريخ.. شارل ديجول يتوجه إلى الأمة.

وفى مناسبة لاحقة، التقيت به حين صار وزيراً لثقافة ديجول.. لقد جاء إلى قاعة "القصر الكبير" عام ١٩٦٦، حيث كان عدد من الفنانين المصريين يعرضون لوحاتهم هناك، فى تلك القاعة الشهيرة، ومنهم عمر النجدى.. والسجيني.. وغيرهما.. واليوم، أذكر كلمات "مالرو" لي جيداً، حين همس فى أذني : هناك بلاد بينها وبين الفن والإبداع علاقة أبدية، وزواج لا يعرف الانفصال.. ومصر على رأس هذه البلاد !

وحينما سافر مالرو، بعدها، إلى مصر، ذهبت إلى وداعه فى مطار "البورجيه" وسألته مداعباً ماذا ستفعل فى مصر ؟

فقال لي : سأذهب إلى لقاء أبوالهول، وأقول له : نحن أصدقاء قدامى !!

وقد أثار جوابه هذا، دهشتي وشد انتباهي، ولم أفهم وقتها، ما إذا كان يقصد بالصداقة بينهما علاقة الصمت.. لأننا كنا نعرف عن مالرو أنه قليل الكلام، وحينما يتكلم.. فإنه يكتب !



السفير حافظ إسماعيل مع عالمة الآثار الفرنسية دي نوبل كور منقذة آثار النوبة

ولم يكن غريباً، بالتالي، الجهد الخارق، الذى بذله هذا الرجل، مع عدد من المؤسسات الدولية الكبرى لإنقاذ آثار النوبة الغارقة، وعلى رأسها "معبدأبوسمبل"..

وإلى جوار "اندريه مالرو" كانت هناك سيدة عظيمة، تستحق كل التقدير والاحترام.. وهى مدام "دى نوبل كور" رئيسة القسم المصري فى متحف اللوفر.. لقد ظلت تلك السيدة العظيمة فى حركة محمومة، لا تهدأ خلال سنوات طويلة، من أجل إنقاذ آثار النوبة، وأبوسمبل تحديداً، حتى أحبها أهل مصر، وأبناء النوبة، وأطلقوا عليها "أم سمبل"!!

وقد ظل ما كتبته هى، عن تاريخ الفراعنة، بمثابة "كتاب مقدس" للدارسين، ولمن لديهم حب الإطلاع على تاريخ مصر القديم..

وأذكر لها، ما لا ينساه أحد، وهو دورها، ودور "مالرو" فى إنقاذ مومياء رمسيس الثاني، الذى كان قد انتقل إلى فرنسا، لعلاج ما لحقه من التحلل والتصدع.

وفى اليوم الذى تأكد فيه إنقاذ مومياء رمسيس الثاني، فإن ديجول بنفسه، قد اتجه إلى المتحف - للاحتفال بقيام فرنسا بإنقاذ مومياء رمسيس الخالدة - وبجواره وزير ثقافته "اندريه مالرو" ومدام "دى نوبل" كور.. ومن مصر كان إلى جوارهم، هذا المثقف العالم الفنان، الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة وقتها، الذى أعطى من وقته، وجهده، وعقله، لإنقاذ آثار النوبة، ما يفوق طاقة البشر، .. ولذلك ظل إلى اليوم، محل تقدير واحترام عظيمين، من مثقفي فرنسا.. ومفكريها ومصر بطبيعة الحال وكذلك لمحاولاته الناجحة لتوثيق الثقافة والتاريخ فى كتب كانت موضع إعجاب وانبهار لحجم وعمق ما كتب.

وبعد فترة قصيرة، من ارتباطي بمكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط، فى باريس، عام ١٩٦٦، وبعد أن كنت قد عملت مع الوكالة، صحفياً، بنظام القطعة، تحت رئاسة أخ عزيز، هو شريف منصور، الذى كان صاحب تجربة غنية، مع الوكالة، ومع مكاتبها فى الخارج، وقد عملت معه، بترشيح من السفير عبدالمنعم النجار.

أقول، أنه بعد ارتباطي بمكتب الوكالة، جاءت إلى باريس، من القاهرة، شخصية إعلامية خلاقة، يندر أن يصادف الواحد منا، كثيرين من أمثاله، فى حياته.. أقصد د. عادل عامر، الذى كان يتكلم الفرنسية، وكأنه واحد من أهلها.. وقد وصل العاصمة الفرنسية، بعد أن قرر الدكتور عبدالقادر حاتم، وزير

الإعلام والسياحة أن يكون د. عامر ممثلاً له، فى الإعلام، وفى السياحة، وحتى فى جزء من الثقافة.

ولا أبالغ فى شئ، إذا قلت، أن مجموعة العمل الإعلامي، فى باريس ومنذ وصول عادل عامر، كانت تعمل وكأنها خلية من النحل حقاً.. كانت تعمل من التاسعة صباحاً، وعلى وقت ممتد، طوال الليل.. كان المطلوب منا، فى ذلك الوقت، استرداد مكانة غائبة لمصر هناك، كانت قد أفسدتها مرحلة حرب الجزائر، وحرب ١٩٥٦، ومعاداة عبدالناصر لأعوام طويلة.

واعترف، أن الدكتور عامر، بخبرته التى جاء يحملها من القاهرة، والتى كان قد اكتسبها من عمله خلال حرب ٥٦، التى كان أثناءها هو المهندس الإعلامي الحقيقي لهذه المعركة تحت قيادة د. حاتم.. اعترف أنه كان جريئاً، مستقل الفكر.. وقد قمنا بعملية حصر شاملة، ومنهجية، لكل إعلاميي فرنسا، من العناصر الصديقة، وكانوا قلة.. ثم العناصر المعادية، والعناصر غير المهتمة.. وكان مطلوباً منا، أن نكسب كل يوم، شبراً جديداً من الأرض، لصالح مصر، وكأننا فى معركة عسكرية بالفعل. ولا أجد حرجاً، فى أن أقر لهذا الرجل،.. الدكتور عامر.. وهو بين يدي الله،.. أنه كان أستاذي فى فن الإعلام.. ولا أذكر أن هناك يوماً مضى، دون أن يكون لنا غداء عمل، مع صحفي فرنسي.. ولا يمر شهر، إلا ويكون أحدهم فى زيارة لمصر.. ولا يمر مقال، دون أن يصل صاحبه خطاب منا، سواء كان هذا الخطاب، عتاباً على هجوم وقع، أو شكراً على موقف صديق نمتن له، أو افتراضاً لحسن النية فيمن كتب،فنضع أمامه، وتحت تصرفه المعلومات الصحيحة، والحقائق.. كاملة !

وبعد أن ننتهي من العمل الإعلامي، كنا نجد أنفسنا، على موعد آخر، فى عشاء عمل، مع ممثلي شركات السياحة الفرنسية والأوروبية.. ولم أذكر على الإطلاق، أن أحداً منا قد تململ، وهو يؤدى عمله وواجبه، ذلك أنك كنت تشعر، أن جهدك له عائد يومي، وأن هناك تنسيقاً كاملاً، ودقيقاً، وسريعاً، بين منْ يعملون فى باريس، وبين قيادة العمل الإعلامي فى القاهرة.. وإذا لزم الأمر، مع القيادة السياسية أيضاً،.. كان أداءً سيمفونياً، بكل معنى الكلمة، وكان عملاً يخرج فى صورة منظومة متناسقة، متكاملة الأركان.

وقد حاولت مجموعة البحر الأبيض، التى كانت تملك أكبر شركة سياحة وقتها، فى أوروبا "Club Mediterranean".. حاولت المستحيل، بأن تتخطى

قرار الجامعة العربية بمقاطعتها، بسبب إنشاء هذه الشركة لقرية سياحية فى إسرائيل..

وأذكر أن المسئولين فى مصر، طلبوا مني، أن أكتب وجهة النظر التى كنت أؤمن بها، بالنسبة للمقاطعة، كفلسفة اقتصادية.. وقد كنت أفضل، أن نترك هذه الشركات، تخلق نشاطها الاقتصادي المتعدد، فى الدول العربية، وأن ينمو نشاطها، ثم ندعوها لمقارنة أرقام العائد والخسارة، لتجد أن مصلحتها الكبرى مع الدول العربية.

وكتبت ورقة عمل، قيل لي أنها ستوضع أمام صانعي القرار فى مصر.. وفعلاً.. سمحوا، بعد شهرين، لمجموعة البحر الأبيض، بأن تبدأ العمل فى مصر، بادئة من قصر المنيل،.. قصر ولى العهد السابق الأمير محمد علي، على أن تغير إسمها، فى المرحلة الأولى.

ولا تزال ذاكرتي تحفظ، فى رحلة الجهد والأداء هذه، صورة الأفواج الفرنسية الأولى، حين عادت من القاهرة إلى باريس، وكنا ننتقل بأنفسنا إلى مطار "أورلي" لنستقبلهم، ومعنا مجموعة عمل تتلقى ردود أفعالهم، فور وصولهم، وكنا نرصد ملاحظاتهم، عن السياحة فى مصر، وعما واجهوه من سلبيات هنا، وهناك.. ثم نبعث فى اليوم التالي مباشرة، تقريراً إلى القاهرة فيه كل انطباعاتهم عن الزيارة !

كان التناسق، والتناغم، بين السياحة، وبين مصر للطيران، ممثلة فى شخص صلاح مختار، الذى كان هو أيضاً، وبدوره، مثل عادل عامر، غير تقليدي فى تفكيره، وفى أدائه لعمله.

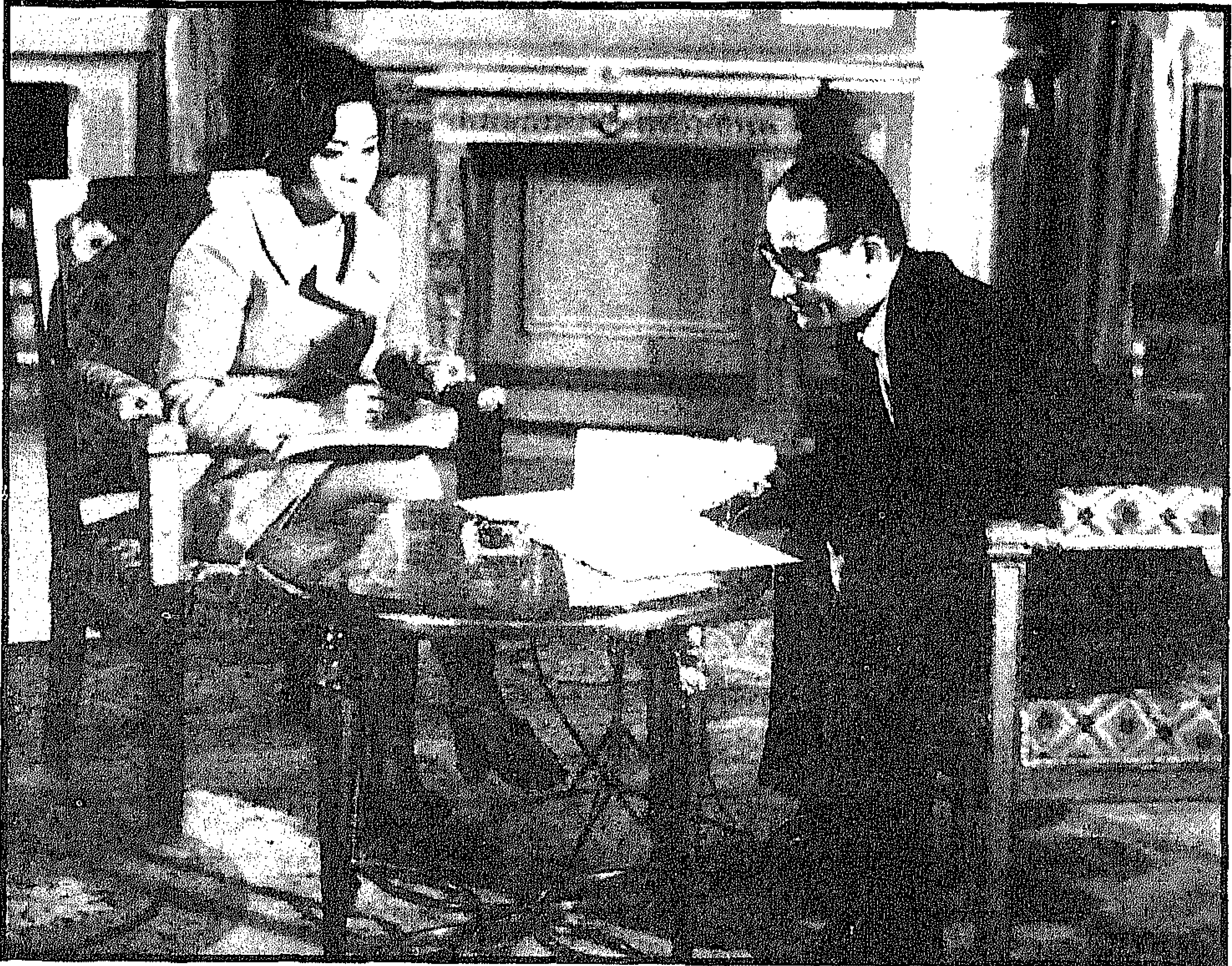
وقد أنهى عادل عامر، وجوده فى باريس، بالعمل مديراً لمكتب الجامعة العربية.. وبفضله أنشئت كل المؤسسات الفرنسية العربية، فكان هو- مثلاً - وراء فكرة بنك " الإيباف".. وهو بنك عربي فرنسي،.. كما أنشأ الجمعية البرلمانية الفرنسية المصرية، قبل أن يحولها إلى الجمعية الأوروبية العربية، فيما بعد.. وبفضله أيضاً خرجت مجلة "اكتواليتيه" إلى النور، باللغة الفرنسية، وكان هو كذلك، الذى أنشأ هيئة التضامن الفرنسي العربي، برئاسة "بيتر لان" الصديق الدائم للعرب، إلى اليوم الذى قاوم اليأس أمام كل هزيمة أو عدم فهم عربي.

كان عادل عامر، ينتمي إلى ذلك الجيل، الذى يعتبر مكافآت من يعملون فى التمثيل الخارجي، هى من أجل أنفاقها بالكامل على التزامات الوظيفة.. لذلك، وبعد أن أنفق كل ما يملكه، مات فى باريس، فى شارع الأوبرا، بأزمة قلبية،

وليس فى جيبه إلا فرنكات معدودة، وتذكرت قائمة شرف هائلة بالإنجازات التى ربما نسيها منْ جاءوا بعده،.. ولكنها قطعاً سوف تُحتسب له عند الله.

مع "مونت كارلو".. فى باريس

لا يمكن أن نتكلم عن الإعلام فى فرنسا، دون أن نتكلم عن التأثير غير العادي لإذاعة مونت كارلو الفرنسية، التى كانت تبث من قبرص بالعربية، وكانت مسموعة جداً.. ولعله من حسن الحظ، أن يكون أول صوت يخرج من هذه الإذاعة فى الستينات، هو صوت سناء منصور.. التى لا يزال الجميع يذكرون صوتها، فى تلك الإذاعة، إلى اليوم.. وقد كان دخولها إلى راديو مونت كارلو، يوم أن كانت الاستوديوهات فى إمارة "مونت كارلو" نفسها.. بمثابة دخول طاقة خلاقة وروح مبدعة، فكان نصيبها أن يتعلق المستمعون بها، وبصوتها.. فلا يستطيع مَنْ يؤرخ لراديو مونت كارلو، أن يفصل بين نشأته وتاريخه، وبين سناء منصور، صاحبة برنامج "الظل الأحمر" المتفرد اليوم.



دكتور علي السمان مع سناء منصور فى مكتب رئيس وزراء فرنسا للإعداد لعمل إعلامي مشترك وقت عملها بإذاعة مونت كارلو

وجاءت بعد ذلك، سلمي الشماع، لتؤكد وجود الدور المصري، فى مونت كارلو، وكان لها طابعها الخاص فى القدرة على الاستمرار والتصدى للمناورات، وكانت تعرف كيف تمزج بين الشقاوة أى الحيوية والبراءة.. وبفضلها استمر مستمعو مونت كارلو، فى متابعة هذه المحطة، وفى الارتباط بها أعواماً طويلة.. وبعد أن تعرفت عليها، تعرفت أيضاً على والدها اللواء الشماع، الذى كان ضابط بوليس، على مستوى راق، وقد عاش نهاية عهد الملكية، وبدايات ثورة يوليو.. وكنت أرتاح إلى الكلام وتبادل الذكريات معه.. وكان حبه وإعجابه بسلمي، يجعلانه أباً عصرياً، رغم سنه.. ومن إعجابي بشخصيته، اتفقنا على توزيع الأدوار بيننا بالنسبة لسلمي، فهو والدها، وأنا الأب الروحي لها.. ومما يعرفه القريبون من سلمي، أنه لما جاءها المهندس الشاب عمرو يطلب يدها من والدها، قال له : عليك بالذهاب إلى باريس، واقناع الدكتور علي السمان، لأنه أبوها الروحي!! وقد تم ذلك.. بنجاح.. إلى اليوم..



حديث باسم بين الدكتور علي السمان والكاتب الكبير الراحل توفيق الحكيم وسلمى الشماع ، وأنطوان نوفل مدير إذاعة مونت كارلو داخل الاستديو

الفصل التاسع

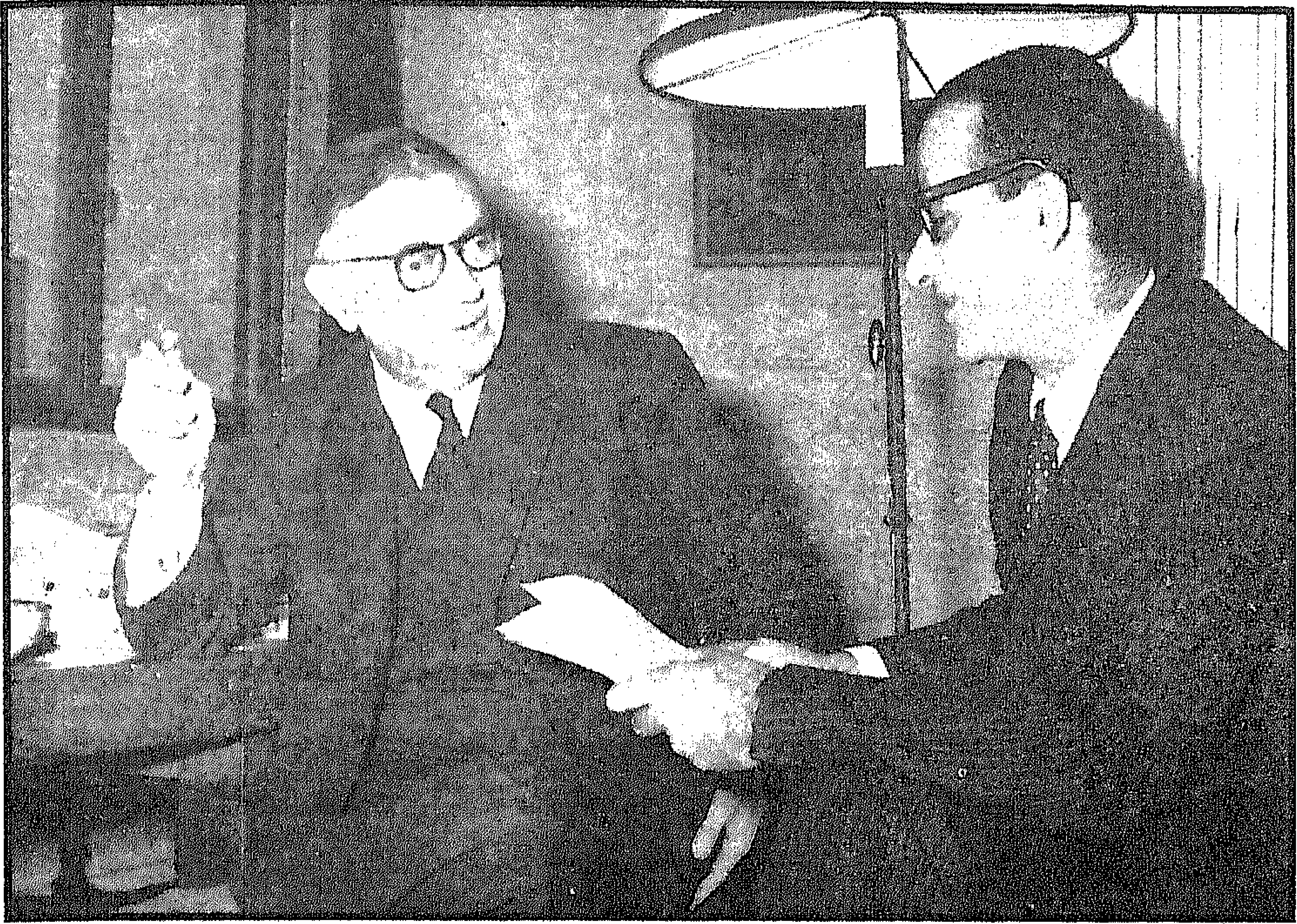
الطريق مع سارتر.. إلى عبدالناصر

بعد نشر مقال "ايريك رولو" عني، فى جريدة "لوموند" الفرنسية، وهو ما أشرت إليه فى فصل سابق..، أتصل بي سكرتير المفكر الفرنسي الكبير جان بول سارتر، ليحدد لي موعداً معه.. وكان ذلك مصدر دهشة كبيرة، بالنسبة لي، أن تأتى المبادرة من جانبه هو.. ذلك أن جميع كبار مثقفي العالم الثالث بالذات، كانوا حين يأتون إلى باريس، يضعون اللقاء مع سارتر على قائمة أجندتهم، ويعتبرون لقاء من هذا النوع، والوزن، لو تم، فإنه يكون بمثابة فرصة تاريخية كبرى، لا تُتاح لكثيرين منهم بسهولة.. لقد كان سارتر، حتى ولو اختلفنا معه، فى فكره الفلسفي والوجودي، وتبعده عن إيمانية الأديان ولكن كان له وجه آخر من شخصيته يتمثل فى نضاله الذى لم يكن يهدأ، من أجل قضايا العالم الثالث، واستقلال الشعوب، وعلى وجه الخصوص من أجل القضية الساخنة فى بداية الستينات، وهى حرب الجزائر.. ثم استقلالها.

وهل ينسي أحد، موقفه من قضية ذاعت شهرتها، فى ذلك الوقت، وعُرفت بقضية "جانسون" والتى كانت تنظرها محكمة أمن الدولة الفرنسية، وكان المتهمون فيها، هم بعض الشباب الفرنسيين بسبب تأييدهم ومساعدتهم لثورة الجزائر؟

كانت قضية لها دوى كبير، فى أوروبا، وأفريقيا، والعالم الثالث أيضاً، وكانت المفارقة فيها، أن يرى العالم، عدداً من الفرنسيين، يساقون إلى المحكمة، لأنهم يؤيدون ثورة الجزائر، ويؤيدون استقلال الجزائر، التى كانت وقتها وحسب الدستور الفرنسي جزءاً لا يتجزأ من الجمهورية الفرنسية.

لا يزال جيلنا، يذكر جيداً، يوم ذهب سارتر إلى المحكمة ليدلى بشهادته، وليفاجئ القضاة، ويخاطبهم قائلاً: لقد أخطأتم فى التكييف القانوني، لدعوتي للحضور، .. فأنا متهم، ولست شاهداً، كما دعوتموني.. ولو كان لي حظ، لكنت وراء هذه القضبان.. وأشار إلى القضبان التى يقف وراءها المتهمون.. ثم قال بحزم: إنني أعلنها لكم، بأنني أود أن أقوم - فكراً وعملاً- ، بنفس ما قام به هؤلاء المتهمون!!



د. علي السمان مع الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، عند لقائهما الأول، فى الأيام الأولي من عام ١٩٦٦

وقد قيل لي، وقتها، من بعض العالمين بكواليس السياسة، أن الجلسة حين رفُعت، تداول القضاة فيما بينهم، عما يمكن أن يكون الرد القانوني، لهذا الاعتراف، واحتمالات القبض على سارتر، وامتد التداول وتبادل الرأى، من القضاء، إلى مستوى وزارة العدل، وعلى أعلى مستوى فيها، ثم من خلالها مع الدولة الفرنسية نفسها !

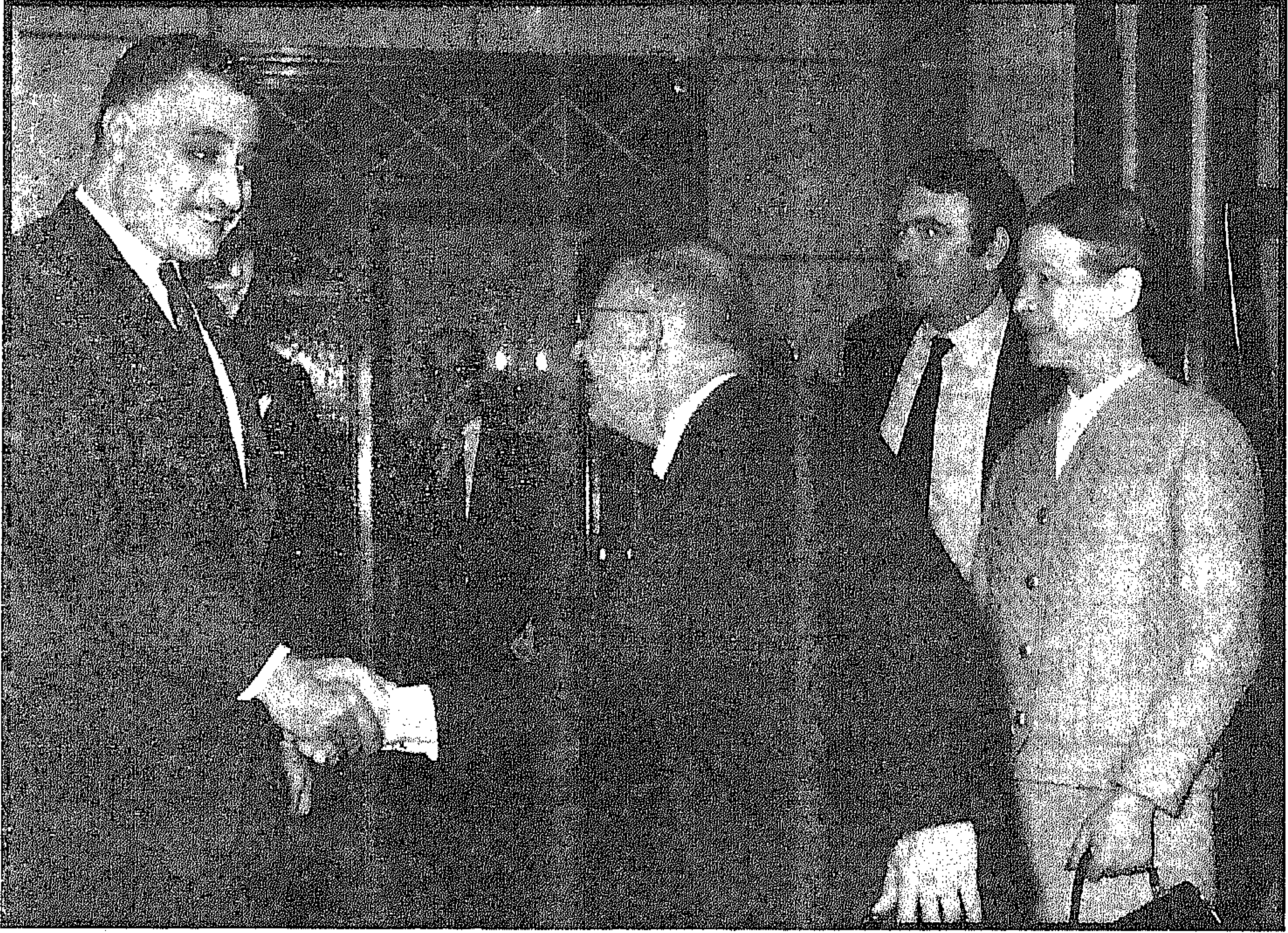
ومما علمته وقتها، أن الرأى الشخصي للجنرال ديجول، كان يتركز فى أنه ليس من الحكمة، القبض على سارتر، لأنه حينئذ سيحقق ما يحلم به، بأن يكون شهيداً للدفاع عن أهم قضية من قضايا العالم الثالث، وهى استقلال الجزائر.

وانتهى الرأى إلى أن التصرف مع سارتر، ينبغي أن يكون على درجة كبيرة من الحذر والحرص.. فلم يكن رجلاً عادياً، ولا مفكراً صغيراً، أو محدود التأثير.. إنما كان ذائع الصيت، والشهرة، والتأثير معاً..

وهل ننسى أن مجلته الفصلية "الأزمنة الحديثة" كانت بمثابة الشيء المقدس لمثقفي العالم الثالث، ولليسار غير الشيوعي ؟!

فى هذا الإطار، كان تأييده الذى لا يلين، لثورة واستقلال الجزائر.

وهل ننسى أن إيمانه بالحرية، فكراً وعملاً، ذهب إلى حد أن كثيرين اتهموه بالتطرف فى الحرص عليها والتمسك بها ؟!



الرئيس عبد الناصر مع المفكر جان بول سارتر ، والكاتبة سيمون دى بوفوار ، والكاتب اليهودي كلود لانسمان ، رئيس تحرير مجلة "الأزمنة الحديثة".. والدكتور علي السمان

ومن هذا المنطلق، كانت مجلته تضم صفحات ثابتة، عن مصر، فى كل عدد.. كانت صفحات أقرب إلى الملحق، وكان عنوانها: مصر.. هذا السجن الكبير" وكان يتكلم فيها عن الحرية فى مصر، وينشر خطابات للمعتقلين السياسيين، وبالذات من أهل اليسار المصري.. وبالنسبة لمصر، كان موقفه مصدر إزعاج كبير للقيادات السياسية، لوعيهم بثقله، ووزنه، وتأثيره الواسع بين شباب العالم الثالث، الذى كانت مصر تمارس فيه دوراً بارزاً، من أدوار القيادة والتوجيه.

وكان جمال عبدالناصر، يعطى قضية تحرير دول العالم الثالث، واستقلال الشعوب، مكانة هامة، ومكاناً بارزاً، ضمن أولويات سياسته الخارجية، وكان ذلك، بالنسبة له، ولنظامه الحاكم من الأهداف الاستراتيجية..

وفى الوقت ذاته، كان عبدالناصر يجد أن موقفه، وموقف نظامه، من استقلال الجزائر، يلتقي مع الموقف الفكري والعملي لسارتر.

وكان سارتر، من خلال مجلته، وأحاديثه، لا يتوقف عن انتقاد نظام عبدالناصر، بسبب اختياره لنظام الحزب الواحد، أساساً للحكم.

وفى ذلك الوقت من بدايات الستينات، كان كثير من مثقفي اليسار، قد خرجوا من المعتقلات، وتصالحوا مع نظام عبدالناصر، وجاء عدد منهم، إلى باريس، فى رحلات متتالية، فى محاولات يائسة لإقناع سارتر، بزيارة القاهرة، ولقاء عبدالناصر.. ولكن دون جدوى !!

ذهبت إذن للقائه، وعندي كل هذه الخلفيات.. ولكن اهتمامه أثناء هذا اللقاء كان متجهاً إلى ما قلته عن "محاربة العنصرية" فى محاضرتي أمام جمعية "مراب".. وكان يعتبر أن موقفي فى تلك المحاضرة، يلتقي موضوعياً مع أفكاره، وكان يريد أن يهنئني على ذلك ثم طلب أن نلتقي من وقت لآخر، فيما بعد، ليتصل الحوار بيننا، ومازال راسخاً فى ذهني قوله لي: الكل يعلم أنني لا أنتمي إلى دين معين، وإذا أجبُرت على إختيار دين ما.. فسيكون إسم ديني هو الحرية.

ثم قال لي، بنوع من الصلف والغرور، كما كيفته أنا وقتها، أن الرئيس عبدالناصر يدعوه لزيارة القاهرة، وأنه لا يريد أن يذهب إلى "بلد تقتل فيه الحريات" وأنه يود، أولاً، أن يطمئن على مستقبل الحريات فى مصر، قبل أن يوافق على إتمام الزيارة !

وقد رددت عليه، بتلقائية، قائلاً أنني أعلم أن زيارتك لمصر، لن تحل مشاكلها، فى كل الأحوال، فهى مشاكل مصرية خالصة، قبل كل شئ.. وأضفت: ولكن.. إذا كان هناك التزام بيننا، فهو فتح باب الحوار.. ثم قلت: أرجو ألا تطبق على حالة مصر، أى نموذج خارجي، لأن المعادلة التاريخية، التى تحكم مصر، طوال سبعة آلاف عام، تستند إلى شكل ثلاثي خاص جداً، من العلاقة بين الفرعون "الحاكم".. وبين الأرض.. والإنسان.. أى أن تعامل الشعب هناك فى مصر، يحكمه تاريخياً، جزء ديني يتلاقى فى معظم حلقاته مع فكرة العبادة.. وبالتالي فهذا النموذج، من الصعب أن تطبق عليه أية معايير خارجية.

وقد اعتدنا بعدها، على اللقاء فى مقهى شهير، من مقاهي حى "مون بارناسى "فى باريس قهوة "الدوم" أى القبة، كل يوم أحد، فى الثانية عشرة صباحاً، بعد أن ينتهي من لقائه مع فتاة تونسية كان قد تبناها، وكتبت ترثيه بعد وفاته.

والعجيب أن بيت سارتر، كان البيت المجاور لسكني مباشرة، لم يكن يحتوى إلا على سرير فقط لنومه.. أما سائر البيت فكان عبارة عن أرفف لا تنتهى، وتمتلئ بالكتب عن آخرها.. أما شريكة حياته، سيمون دى بوفوار، فكانت تقيم فى بيت

من طابقين على مساحة ثلاثة مائة متر، وكان يُسمى "البيت الكبير".. وكان من عادة سارتر، عندما ينتهي من لقاءات اليوم، أن يذهب إلى البيت "الكبير" مساءًا ويظلان لساعات طويلة جداً، إلى ما بعد منتصف الليل، يتبادلان الكلام والنقاش، حول ما كتبه وما قرأه كلُ منهما، ومن إلتقيا بهم كذلك من أشخاص وأصدقاء.. وظلت هذه الرحلة، وهذه اللقاءات، ممتدة إلى ما يقرب من أربعين عاماً، وحتى رحيله فى عام ١٩٨١..

وقد تبين لي، بعد عدة لقاءات معه، أنه يمتلك شخصية ساخرة،.. وكانت له تعبيرات ضاحكة، وشهيرة، فيما يصادفه فى الحياة.. وكان معروفاً عنه، أنه يسمى أصدقاءه ومعارفه، ضاحكاً، بأسماء الحيوانات، حسب الصفات التى كان يراها، فى كل واحد منهم !

أما سيمون دى بوفوار، فكانت جادة فى كل شئ، وتريد أن تحلل كل شئ، تحليلاً فلسفياً موضوعياً.

وفى أحد لقاءاتنا، بعد مرور نحو عام، على أول لقاء، ونحن نتبادل الحديث، عن مصر ومشاكلها مع إسرائيل، وبالذات ما كنت أثيره معه دائماً عن قضايا التنمية فى مصر وأهميتها..، فاجأني بقوله: أعتقد أن الوقت قد حان لزيارة مصر!!

وعندما سمعت منه ذلك، كنت أعرف أهمية وصول خبر بهذا الحجم، إلى مصر، وقائدها، بأقصى سرعة.. وسمحت لنفسي، من خلال علاقة المودة والمحبة، مع مستشار السفارة وقتها، الأخ والصديق عز الدين شرف، أن أبعث من خلاله، إلى شقيقه السيد سامى شرف، سكرتير الرئيس عبدالناصر لشئون المعلومات، برغبة سارتر التى أبداها أمامي !!

وكانت تلك المناسبة فرصة، لكى أعرف أسلوب السيد سامى شرف فى العمل، فهو سريع، ومنهجي، ومنظم.. وجاءني رده، بعد فترة قصيرة جداً، طالباً مني أن أختار ما بين مؤسسات ثلاث، تصلح لأن تقوم بدعوة سارتر: جامعة القاهرة، أو المجلس الأعلى للفنون والآداب الذى كان يرأسه الأديب الكبير يوسف السباعى، ثم مؤسسة الأهرام.. ووقع اختياري على "الأهرام" كاقتراح، لأنها أولاً كانت الطرف المقابل لمؤسسة النشر التى كان يرأسها سارتر فى باريس.. وثانياً، لقرب الأستاذ محمد حسنين هيكل، رئيس تحرير الأهرام، وقتها، من صانع القرار، الرئيس عبدالناصر، الذى كان هو الداعي الحقيقي لسارتر.

وتتالت الأحداث بسرعة، وتحدد آخر عام ١٩٦٦، لسفره إلى القاهرة، بعد أن جاء إلى باريس الأستاذ لطفى الخولي، ليتولى تنظيم الاتفاق لهذه الرحلة، وأصبح هو

ضابط الاتصال الكبير والمنسق بين الأهرام وسارتر، وكان لطفى الخولي معادلة نادرة بين الفكر والحركة التى لا تهدأ وروح الدعابة .

وكانت مفاجأة كبيرة، بالنسبة لي، حين أبلغني سارتر بإصراره على أن أرافقه فى الزيارة، وكان سبب إصراره، كما قال لي: أنك لم تكذب على يوماً، ويهمني أن نكون سوياً.

ولكن تبين أن هناك مشكلة، وهى أن الموعد الذى اختارته القيادة السياسية فى مصر، لإتمام الزيارة، كان هو نفس موعد مناقشتي لرسالة الدكتوراه.. عندها قال لي سارتر: حينئذ، سأؤجل الزيارة إلى موعد لاحق !!

وقلت له أن ذلك سيثير الشكوك، فى مصر، وسوف يتصورون مؤامرات صهيونية لتأجيل زيارتك.

وقال لي ببراءة طفل: سنستعين بما يسمى الكذبة البيضاء، ولكنها فى الواقع حقيقة، وهى أن التزاماتي ومسئولياتي مع المفكر الإنجليزي الكبير "برتراند رسل" تجاه المحكمة الشعبية لجرائم حرب فيتنام التى ارتكبها الأمريكان، تقتضي بقائي فى باريس..

وبالفعل أرسل خطاباً إلى مؤسسة الأهرام، يفيدهم برغبته فى التأجيل.. وكما توقعت، كان هناك قلق بالغ حول أسباب تأجيل الزيارة.

وجاء من الأهرام، الأستاذ لطفى الخولى، مرة أخرى، لمحاولة اكتشاف أى مناورات، قد تكون وراء التأجيل.

ولم يستطع سارتر، ولا أنا، حتى كتابة هذه السطور، أن نقول أن الحقيقة وراء كل ذلك، كان هو تضارب موعد مناقشتي لرسالة الدكتوراه، الذى كان قد تحدد مسبقاً، مع موعد زيارته،.. وإصراره فى الوقت نفسه على أن أرافقه فى الزيارة.

وقد داعبني، يوم المناقشة، بما لم أنسه إلى اليوم، حين جاء إلى أحد مقاهي الحى اللاتيني، حيث كان عدد من أصدقائي قد قرروا الاحتفال، بحصولي على دكتوراه الدولة من جامعة باريس، فى العلوم السياسية، وقال لي ضاحكاً: حتى الآن، كنت أثق فى علمك وذكائك.. أما وقد صدر قرار إداري، وليكن جامعياً، بأنك دكتور فى العلوم السياسية، فأنا أقول لك، أنني لا أثق فى الذكاء الذى يأتى بقرار !!

وكان إلى جوار "سارتر" فى مجلة "الأزمنة الحديثة".. رجل إسمه "كلود لانسمان".. كان مديراً لتحرير المجلة، وكان من أقرب معاوني سارتر، وكان يهودياً على علاقة جيدة بإسرائيل..



كلود لانسمان فى لقاء له مع الرئيس جاك شيراك وكان لانسمان قد التقى بالرئيس جمال عبد الناصر فى ٦٧

وكان رأيي، الذى بعثت به إلى القاهرة، ووضعته أمام السيد سامى شرف، أن عدم دعوة "كلود لانسمان" سيكون له تأثير سلبي منذ البداية، على سارتر نفسه.. كما أنني وضعت تحت تصرف القيادة فى القاهرة، معلومة مهمة عن "لانسمان" وهى أنه من أكبر مثقفي فرنسا، المتعاطفين مع ثورة الجزائر، ومع استقلالها.. بل

أنه ساهم فى إخفاء بعض قيادات منظمة التحرير الجزائرية، من تعقب البوليس لهم فى فرنسا.

ووافق عبدالناصر، على أن يرافق "لانسمان" سارتر، .. إلى القاهرة !

الطريق إلى القاهرة يمر ببيروت

وقبل أن تبدأ الإجراءات العملية، لتنفيذ برنامج زيارة سارتر للقاهرة، فاجأني هو، بإصراره، على أن يصدر عدد خاص من مجلته "الأزمنة الحديثة" عن الصراع العربي الإسرائيلي.. وذلك قبل أن يذهب إلى القاهرة، ويلتقى مع عبدالناصر، ورجاله.

وكانت رغبته، هى أن يشارك فى العدد، نخبة كبيرة من أبرز المثقفين العرب.. والإسرائيليين.

وعقدت عزمي، وذهبت إلى بيروت للإعداد لإصدار العدد، وكان اختياري لبيروت نابعاً من إيماني بأنها كانت، وقتها، النادي الثقافي الذى يجمع فى داخله شتى المثقفين العرب، من مختلف دول المنطقة، ولإحساسي أيضاً، بأنني فى بيروت، سوف أكون على مسافة قريبة من جبهة هامة للصراع العربي الإسرائيلي.

وعندما ذهبت إلى العاصمة اللبنانية، لكى أعمل على إخراج رغبة سارتر إلى النور، كنت أؤمن شخصياً، بأنها ضرورية.. ومن لقاءاتي الأولى مع المفكرين العرب فى بيروت، وحول موائد حى "الروشه" فوجئت بأول رد فعل، هو رفض الأصدقاء العرب، أن يكتبوا مع الإسرائيليين فى عدد واحد، من أعداد المجلة.. وأصرارهم على أن يكون كل منهم فى عدد مستقل !

وهناك، كان أول منْ مد لي يد العون، والمشورة، والنصح، هو الكاتب الصحفي الكبير ميشيل أبوجودة، الذى كنت قد عرفته فى باريس قبلها، ثم أغتيل بعد ذلك فى حادث غامض نسبه البعض إلى سوريا.

ولا أنسى أن صديقي فاروق المقدم، وهو من زعماء طرابلس، وكان قد أسس معي اتحاد الطلبة العرب فى باريس، كما أشرت من قبل.. لا أنسى أنه قال لي: أحرص عند بداية مهمتك على أن تأخذ إلى جانبك "منح الصلح"، المفكر اللبناني المعروف وأحد أقرباء رياض الصلح، رئيس وزراء لبنان الأسبق، وأحد مؤسسي استقلال لبنان، لأنه بلسانه اللاذع يمكن أن يحرق مهمتك، وأن يفسدها، من خلال تعبير أو تعبيرين من تعبيراته اللاذعة الساخرة، والتى يمكن أن تدور على كل الألسنة فى بيروت خلال ساعات !

وقد نجحت فعلاً فى كسب مودته، وساعدني كثيراً، وآمن بجدوى المشروع..

وأعترف بأنه رغم تفهمي الكامل لموقف منْ يريدون أن يتفادوا الصدام الدرامي بين العالم العربي وإسرائيل، إلا أنني وجدت نفسي، فى المقال الذى وقعته باسمي فى ذلك العدد، أكتب فأقول: إنني أمقت الصهيونية التى تفرق بين العربي والإسرائيلي.

وبعد جهود هائلة، صدر العدد، وفوجئت بأن رئاسة التحرير تضيف فى افتتاحيته، أنه لولا فلان، وأشارت اليَّ أنا بالإسم، لما كان لهذا العدد أن يرى النور.. ولو كنت قد سُئلت قبلها، لكنت قد ألححت على رئاسة التحرير، أن تحذف هذه العبارة، لأنني كنت طوال عمري، أكره العمل الفردي، وأؤمن بأنه ليعيش نجاح، فإنه يجب أن يكون ثمرة مجموعة عمل

.. وبالفعل، كانت بجانبي فى بيروت، كوكبة مشرفة من مفكري العالم العربي، تعمل وتدفع بالمشروع إلى الأمام حتى تحقق.

بعدها.. أخذ سارتر طريقه إلى القاهرة.. وكنت برفقته، مع سيمون دى بوفوار، وكلود لانسمان.

وعند وصولنا إلى مطار القاهرة، فهمت منذ الوهلة الأولى، ماذا يعنى أن يكون الضيف، هو ضيف جمال عبدالناصر.. فالأبواب كلها مفتوحة على مصراعيها، ومُرحبة.. وحرارة اللقاء تستقبل الضيوف فى كل مكان.. والمستقبلون على مستوى عالٍ ونادر.. وبدا أمامي واضحاً، وكأن الدور العاشر فى الأهرام، قد أنتقل بكامل طاقمه لاستقبال سارتر.. وكان ذلك الدور مشهوراً بأنه يجمع ثروة مصر الفكرية والأدبية، من توفيق الحكيم، إلى لويس عوض، وحسين فوزى، ولطفى الخولى.. وغيرهم.. وكان على رأسهم جميعاً فى استقبال سارتر، الأستاذ محمد حسنين هيكل، الذى كان بمثابة قائد أوركسترا، يديرها بمقدرة وتواضع من يعرف أهميته الفعلية.

ووقع الاختيار على فندق "شبرد" ليكون محلاً لإقامة الضيوف..

ولأن الزيارة كانت صاخبة، وكبيرة، فإنني أرصد ما كان يومها، فى نقاط محددة، حتى لا نتوه فى تفاصيلها.

كان المسئولون عن تنظيم الزيارة، فى مصر قد أعدوا برنامجاً للضيوف، بحيث يمر سارتر ومرافقوه، سيمون دى بوفوار، وكلود لانسمان، وصاحب هذه السطور.. على عدة مواقع، ويلتقون بعدد من المسئولين، ثم يبقى لقاء الرئيس جمال عبدالناصر، بمثابة حفل الختام.

وقد بدأ البرنامج، بلقاء للضيوف، مع أهل العلم والفكر، فى قاعة الاحتفالات الكبرى، بجامعة القاهرة، وهو لقاء حضره عدد كبير من الوزراء، فضلاً عن المفكرين والأدباء والأساتذة، وأهل العلم بالطبع.

وكانت كلمة سارتر، يومها، تدور فى بدايتها ونهايتها، حول الفرق بين مسئولية المثقف فى العالم الثالث، وبين مسئوليته فى بلاد العالم المتقدم.

ورأت سيمون دى بوفوار، أن تتجه بكلمتها، إلى حيث دور المرأة، وأهميته فى تنمية المجتمع.

وكانت مفاجأة لي، أن سارتر بعد أن وجه فى بداية كلمته الشكر لمؤسسة الأهرام، على دعوتها له، ولرفاقه.. اختار أن يوجه شكراً خاصاً لي، وبالاسم.. فقال: شكراً لمن بدأت معه رحلتي إلى مصر، قبل أن آتى أليها.. وكان يشير بذلك، إلى رحلة الحوار الذى دار بيننا، على مدار عام كامل، قبل مجيئه إلى القاهرة.

ووقع فى ظني، أنها كانت المرة الأولى، التى يسمع فيها الرأى العام فى مصر، إسمي.. وعلى لسان سارتر نفسه.. ذلك أني فى ذلك الوقت، لم أكن قد التحقت بالإذاعة بعد، وهو العمل الذى تم بعد ذلك بنحو عام أو أكثر قليلاً، وأعطاني قدراً من الشهرة لدى الناس.

وبعد أن أنهى سارتر لقاءه ذاك، سألني الأخ والصديق الراحل الكبير لطفى الخولى، عما إذا كنت أتمسك بأن يُنشر اسمي فى بداية خطاب سارتر، خاصة وأن "الأهرام" كانت قد اختارت أن تحذف الشكر الخاص بها، عند النشر!!

وكان ردي عليه: فعلاً ليس هذا هو المهم.. المهم هو أن سارتر بيننا فى القاهرة اليوم.

وأمام واقعة محددة، شعرت للمرة الأولى، أن التنافس والصراع بين قيادات نظام عبدالناصر، واقع قائم.. وكنت أجهله، بحكم بعدي عن مصر، لفترة طويلة.

ذلك أني ذهبت إلى السيد علي صبري، أمين عام الاتحاد الاشتراكي فى ذلك الوقت، وكانت الزيارة بناء على طلبه، رغبة منه فى أن يتعرف أكثر، على تفاصيل برنامج جولة سارتر ورفاقه.. وفاجأني قبل أن أغادر مكتبه بسؤال مباغت: لا أعرف ما إذا كان سارتر سوف يزورني، ضمن برنامجه، ام لا ؟!

وأدركت على الفور، أنها دعوة مباشرة لي، "لعمل اللازم" نحو هذه الرغبة، من جانبه.

وكنت أعلم، مسبقاً، أن سارتر كان قد وضع زيارة علي صبري، ضمن قائمة من يود لقاءهم.. باعتبار أن علي صبري كان يجلس على قمة التنظيم السياسي الوحيد، القائم، والحاكم أيضاً، فى ذلك الوقت.

وبادرت من ناحيتي، بمعالجة الأمر، كما بدا لي، فأخبرته بأن زيارة سارتر له، ضمن البرنامج فعلاً، ثم أجريت اتصالاً من مكتب علي صبري، بسارتر، حيث كان يقيم، وتحدد موعد الزيارة، خلال هذا الاتصال.

وجاء سارتر، ورفاقه، وأنا معهم، وكذلك الأستاذ لطفى الخولى، لزيارة علي صبري فى مكتبه.. وعند الباب، فوجئت بأن الجميع قد عبروا.. إلا لطفى الخولى، الذى قيل لنا، أنه ليس هناك تعليمات بشأن اشتراكه فى اللقاء !

وأسرع الأستاذ لطفى الخولى غاضباً ومحتجاً، إلى مدير المكتب الصحفي لعلي صبري، المرحوم الأستاذ حسني الحديدي.. وقبل أن يبدأ اللقاء بين سارتر ورفاقه، وبين علي صبري، أدرت الموضوع بسرعة فى ذهني، وتساءلت بيني وبين نفسي، عما إذا كان من المناسب، أن أطرح مسألة عدم مشاركة لطفى الخولى، مع علي صبري.. وهو رجل لم أكن أعرفه جيداً، حتى تلك اللحظة.

وانتهى بي التفكير، إلى أن توجهت بالكلام إلى علي صبري، مباشرة، وأنا أقول: أنا لا أحب أن أتدخل فيما لا شأن لي فيه، ولكن فى الوقت نفسه، أخشى التفسير السلبي، لعدم مشاركة الأستاذ الخولى فى اللقاء.. وبمعنى أدق، منعه من الدخول.

وما أن انتهيت من إبداء هذا الرأى، حتى أحاطني علي صبري بنظرة فاحصة، متأنية.. وكأنه كان يزن الشخص والكلمات معاً.. ثم قال: أبلغه بأنه يمكن أن يأتى ليشارك !

بعدها، سألت أهل العلم، عن تفسيرهم لما حدث، ففهمت منهم، أن حجم النظام يسمح بأن يكون هناك اكثر من مركز للتنافس.

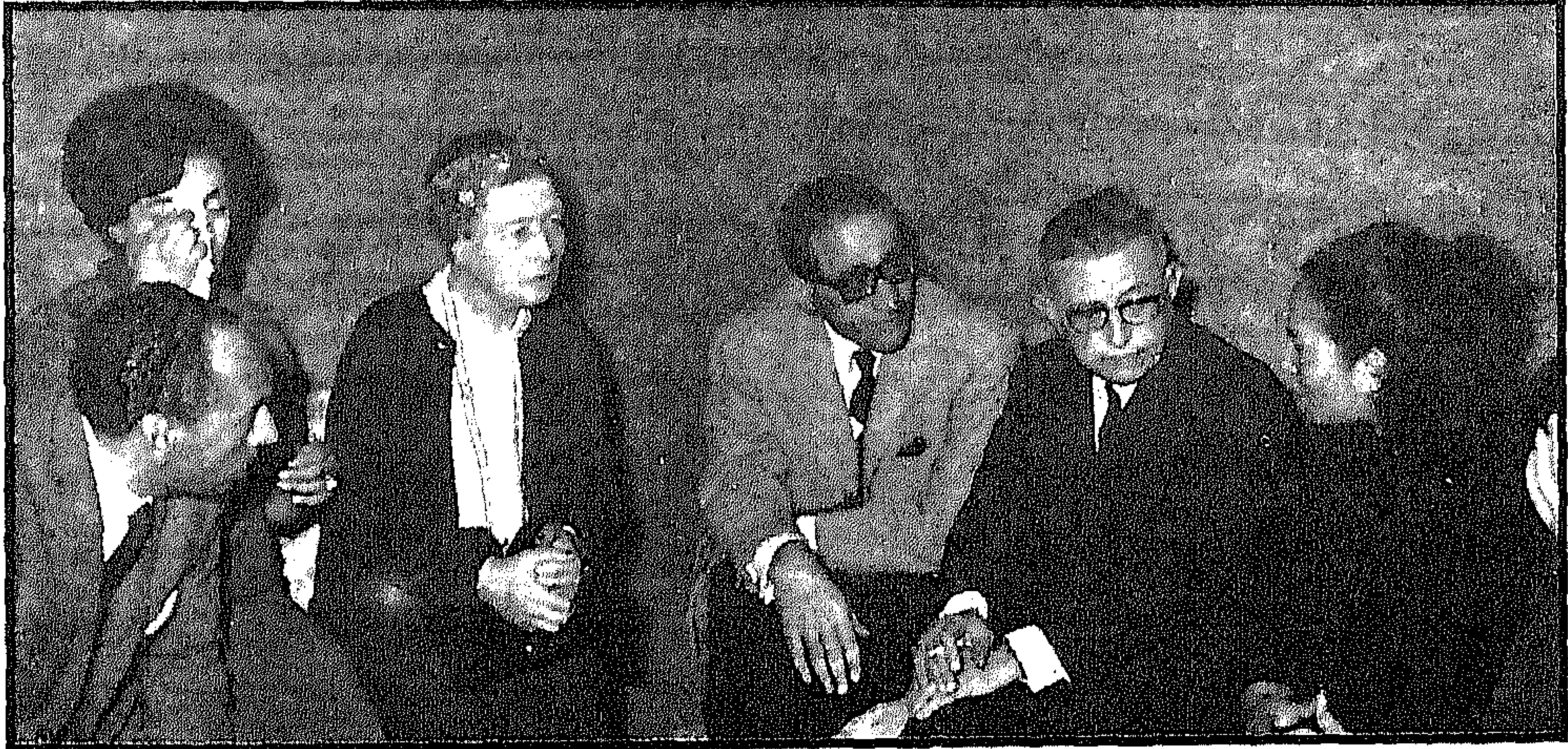
وأذكر للأمانة، أن عرض علي صبري، أمام الضيوف، كان بالفرنسية التى كان يجيدها.. وكان عرضه لما تكلم فيه منهجياً.. وقال لي سارتر يومها، وهو يغادر مبنى الاتحاد الاشتراكي: من المؤكد أن هذه الشخصية تربت فى مدرسة " الجيزويت".

ومن المعروف أن هذه المدارس، هى كما يقال عنها، العقل المفكر للفاتيكان.. أى أنها عقلانية ومنهجية فى وقت واحد.

بعدها، كان سارتر ورفاقه، على موعد مع كمال رفعت، أمين الدعوة والفكر فى الاتحاد الاشتراكي،.. وأمامهم عرض كمال رفعت رؤيته لفكرة القومية العربية، وأبعادها.. ولم يشعر الضيوف، وهم يسمعون، بأن نجاح فكرة القومية العربية، فى أرض الواقع، ينبغى أن يمر، بالضرورة، من خلال إلقاء إسرائيل إلى البحر !

وفى بيت من بيوت المعادى، كان الضيوف على موعد مع فنان ومفكر وطني، من طراز نادر ورفيع: د. ثروت عكاشة.. لقد أخذهم، بمقدرة وبساطة، فى رحلة بين الفن والأدب الغربي، ثم إلى الفن والأدب الشرقي، حتى أن سيمون دى بوفوار همست فى أذني، ونحن نغادر البيت: لم أر موسوعة تتجسد فى إنسان كما رأيتها فى هذا الرجل.. ومن حظكم أن يقود هذا الرجل، العمل الثقافي فى مصر.

ولو قدر الله لحوائط وجدران قاعة استقبال وممرات فندق شبرد، أن تلتقط وتسجل ثم تنطق، بما كان سارتر ورفاقه يتبادلونه يومياً، من نقاشات، مع مثقفين مصريين كبار، من لويس عوض، إلى توفيق الحكيم، وانتهاءً بحسين فوزى ولطفى الخولى.. وغيرهم.. فسوف نجد أنفسنا أمام سيمفونية متكاملة لمناهج الفكر المصري.. وكم كنت أشعر بالفخر، وأنا أستمع إليهم.. ولازلت أذكر جيداً، كيف أن سيمون دى بوفوار، كانت تحب دائماً، أن تداعب توفيق الحكيم، وخصوصاً حول حكاية بخله الذى أشتهر به وعدائه للمرأة الذى نسب أليه.



د. علي السمان مع سارتر وسيمون دى بوفوار وبغدادي محافظ المنوفية وشاهنده مقلد فى زيارة لكمشيش

أما الحوار مع لطفى الخولى، حول مشروعية الثورة المصرية، وقيادة جمال عبدالناصر، والأبعاد الاجتماعية ليوليو.. فقد كانت وجبة دائمة، وشهية، ومستمرة.. وقد كانت بجانب لطفى الخولى، زوجته السيدة " ليليان" التى كان سارتر معجباً بأدبها، وتواضعها، وصراحتها، وكانت لغتها الفرنسية عالية المستوى وعلى قدر كبير من التواضع، وأذكر نقدها الشديد للسياسة الإسرائيلية فى جرأة أمام سارتر وبوفوار ولانسمان.

أما زيارة الضيوف، لكمشيش، فقد تم تقديمها، على أنها معركة "الباستيل" المصرية.. ونحن نعرف أن "سجن الباستيل" فى باريس، مرتبط بقدرة الثورة الفرنسية، على القضاء على الإقطاع، من خلاله.. وهناك، فى شوارع كمشيش، وجد الضيوف فى استقبالهم، جموعاً حاشدة ممن كانوا يلتقون، عاطفياً، مع نضال سارتر وجهاده، من أجل تحرير الشعوب.

وبادر سارتر، بالرد عليهم، بكلمات تجاوبت مع حماستهم، وخصوصاً شاهندة مقلد، التى كانوا يلقبونها هناك "بزوجة الشهيد"..

ومن المعروف، للذين عاشوا تلك الفترة من الستينات، أن صلاح حسين زوج شاهندة مقلد، وكانت يسارية معروفة، قد سقط قتيلاً فى شجار نشب فى قرية كمشيش.. ولأمر ما، قيل يومها، لجهات التحقيق، أن الذى قتل صلاح حسين، هو رجل من عائلة الفقى المعروفة هناك بالثروة والنفوذ.

وقد نشطت أرملة صلاح حسين فى تحريك وربما تحريض الجهات المسئولة ضد عائلة الفقى، فأمر عبدالحكيم عامر بإرسال قوة عسكرية كبيرة إلى القرية، اعتقلت عدداً لا بأس به من عائلة الفقى، وتعاملت معهم باعتبارهم إقطاعيين خارجين على القانون، وأعداء للثورة.. وذاعت أخبار كثيرة، فى ذلك الوقت، عن انتهاكات تعرضت لها العائلة، وعن اعتداءات أصابت رجالها المعتقلين.

والرئيس السادات، الذى كان وقتها رئيساً لمجلس الأمة، كان مهتماً بأن يعرف الحقيقة، خاصة وأن أحداث الواقعة كانت قد جرت على أرض قرية كمشيش القريبة من ميت أبوالكوم، مسقط رأسه.

وكان تصوير الواقعة، يومها، لسارتر ولغيره، يقوم على أنها امتداد لإنجازات يوليو، فى الوقوف ضد الأثرياء الإقطاعيين، والانحياز للفقراء !



د. علي السمان ، والأستاذ هيكل ، وتوفيق الحكيم ، ولطفي الخولي ، وزوجته ليليان ،
عند وصول وفد سارتر إلى المطار ، فى زيارته الشهيرة لمصر، فى الستينات

وأعتقد أن سارتر، فى الفكر الرومانسي له، ولحركة التاريخ، فإنه أخذ من كمشيش الإحساس بأن ثورة يوليو ٥٢.. هى ثورة فعلاً وليست إنقلاباً.. أما ما سمعته، بعد ذلك، من التجاوزات والتعذيب، فهذه قضايا تهم، أولاً وأخيراً، أبناء مصر، وسوف يكون لهم فيها، كلمة حكم التاريخ النهائية.

وكان الشيء الذى أدهشنا جميعاً، أن عدداً من زوجات بعض المعتقلين السياسيين، وقتها، استطعن أن يصلن إلى حجرات سارتر ورفاقه، وأن يضعن أمامهم رجاءاً حاراً، بأن يفاتحوا عبدالناصر، عندما يلقونه، فى أمر الإفراج عن أزواجهم، ومحاولة الحصول منه على وعد بذلك.. وقد ظللنا طوال الليل، نفكر جميعاً، فيما إذا كانت مفاتحة عبدالناصر فى هذه المسألة، يسهل الموضوع فعلاً، أم يعقده أكثر.. انتهى بي الأمر، من ناحيتي، بأن قلت لهم، أنكم - فى كل الأحوال - ضيوف عبدالناصر، وهو الذى دعاكم لتوثيق العلاقة معكم، ولا أتصور أن المعتقلين السياسيين، يمكن أن يلحقهم أذى، من جراء مناقشة هذا الأمر معه. وكان هناك اسم بين المعتقلين لا آنساه وهو الكاتب والشاعر الكبير "عبد الرحمن الابنودي" الذى يربطني به حتى الآن مودة وتقدير كبير.

وفى غزة، كان واضحاً، مدى الانفعال النفسي والإنساني، الذى استبد بالضيوف، وهم يرون مأساة معسكرات اللاجئين الفلسطينيين هناك.. وإن كنت أعترف، فى الوقت نفسه، أن بعض قادة تلك المعسكرات، لم يكونوا على المستوى المتوقع منهم، سياسياً.. تجاه ضيوف جاءوا ليزوروا المعسكرات، وليروا ما إذا كان فى إمكانهم أن يخففوا عنهم، أم لا ؟!

كان فى خطابهم السياسي، مع الضيوف، هجوم شرس، ومعُمم.. ولم يستطيعوا أن يفرقوا، بين اليهود من الناحية، كأصحاب ديانة سماوية، وبين الإسرائيليين باعتبارهم معتنقين لعقيدة سياسية مرفوضة، فى تعاملهم مع العرب والفلسطينيين.. وتلك نقطة كانت شديدة الحساسية، بالنسبة لسارتر.. ولم يستطع هؤلاء الذين تجاوزوا فى الخطاب السياسي، أن يراعوا أن بين الوفد، "كلود لانسمان" وهو يهودي كان له موقف معروف، ومشكور، تجاه الثورة الجزائرية، كما قلت فى موضع سابق.. كان الهجوم عنيفاً، وشرساً، وشخصياً، دون تفريق.. وهذا ما جعلني أؤمن مرة ثانية، بأن القضية العربية، تبدو فى كثير من الأحيان، وكأنها أعدل قضية فى يد أسوأ محامين !

وأذكر أن "لانسمان" جاءني، فى منتصف ليل ذلك اليوم، وهو يقول: لا أستطيع أن أنام، .. لأن الكراهية – نفسياً – تخيفني.. وبالنسبة لي، فقد طمأنته، وقلت له، أن عليه ألا ينسى، أن هذا التصرف إذا كان قد ضايقه، فهو من فئة محددة، وأن هناك فى المقابل فئة من اليهود، تتطرف فى تصرفاتها أيضاً، وتمارس الكراهية اليومية ضد الفلسطينيين.. كما أنني أردت أن أعيد تذكيره، بأنني عندما كنت فى بيروت، بصدد تجهيز العدد الخاص، من "الأزمنة الحديثة" فإنني قابلت عدداً من الفلسطينيين، على درجة عالية من الوعى، وكان ذلك لا يخفى على كثيرين.

وأذكر أن رأيي هذا، بعث فيه قدراً من الارتياح، وأقام علاقة ود وصداقة بيني وبينه إلى اليوم.

وكان التفسير الوحيد لموقف اللاجئين الفلسطينيين هو أولاً المعاناة غير العادية التى يعيشونها، وثانياً أن الواقع الذى فرضته عليهم الأحداث أن اليهود الوحيدين الذين التقى بهم اللاجئون هم أنفسهم الإسرائيليون الذين أوقعوا بهم أكبر ظلم فادح فى التاريخ وأتحمل مسئولية الإقرار بأن الشعب الفلسطيني من الشعوب النادرة التى لا يعرف العنصرية ولا التفرقة الدينية.

وحين كان علينا أن نتناول الطعام فى بيت حاكم غزة، وجدنا أمامنا مائدة زاخرة بصنوف الطعام، مما أدهش الضيوف كثيراً، ولم يكونوا بالطبع

يدركون، أن الذى وضع أمامهم هذه المائدة، كان يفعل ذلك بدافع من الكرم، مع ضيوف، هم ضيوف عبد الناصر أولاً وأخيراً.



سيمون دى بوفوار ، فى وداع د. علي السمان ، بعد انتهاء رحلتها لمصر ، مع باقى أعضاء الوفد ، مع الكاتب الراحل حسين فوزي ولويس عوض ولطفي الخولي وزوجته ليليان

ولم تستطع سيمون دى بوفوار، أن تحتمل التناقض، بين ما رأته من بؤس وحرمان على وجوه اللاجئين قبل دقائق، وبين ما كان أمامها على المائدة الرسمية، ومالت لتسر فى أذن ليليان لطفى الخولي: "لم أستطع أن أبتلع لقمة واحدة".

وكان لهم، بعد ذلك، لقاءات أخرى، فى مصنع الحديد والصلب، وفى مديرية التحرير بالإسكندرية، وفى عدد من المسارح الشعبية.. ثم كانت ليلتهم فى بيت الفن، بالقلعة، هى الجانب الاجتماعي العالي، فى برنامج الزيارة.. على مائدة فى بيت الفن، كان يجلس عليها أم كلثوم وعبدالوهاب، ووزير الثقافة ووزير الإعلام.. وعدد كبيرمن المثقفين، والفنانين، والمسئولين وهكذا.. ومع الموسيقى، وبعض الفنون المصرية الشرقية الخالصة، قضى سارتر ورفاقه ساعات مبهجة، وأدركوا أن الإنسان المصري محب بطبعه وطبيعته للحياة، والابتسامة، والمرح.

الفصل العاشر

براءة الطالب "المشاغب" على يد عبد الناصر

وجاء يوم اللقاء الكبير.. يوم لقاء جان بول سارتر، وسيمون دى بوفوار، وكلود لانسمان، .. والأستاذ محمد حسنين هيكل وأنا.. مع الرئيس جمال عبدالناصر.

كان اللقاء فى بيت الرئيس فى منشية البكري بمصر الجديدة، وكان واضحاً على وجه الرئيس، وهو يستقبلنا، ببشاشة تدل على ارتياح نفسي..

كان مرحباً، وهو يجد "سارتر".. الناقد الشرس المعارض له، فى مسألة الحريات.. وقد انتهى به الحال، إلى أن أتى إلى عتبة بيته !

وبدأ الرئيس، بأن طرح موضوعات رآها مهمة فى بداية اللقاء.. فاستعرض من جانبه، العقبات التى وضعها خصوم الثورة وأعداؤها، أمامها.. وكذلك المقاومة التى أبدتها قوى متعددة لم تكن تريد للثورة النجاح.. وكان حريصاً على أن يلقى الضوء، على مهمة الثورة فى إعادة صياغة العلاقات الاجتماعية، بحيث تستفيد القاعدة العريضة من الشعب.

ومما تحفظه ذاكرتي جيداً، أن عبدالناصر تطرق يومها، وهو يتحدث، إلى الكلام عن محاولة اغتياله فى ميدان المنشية بالإسكندرية، عام ١٩٥٤.. ومن الطريف، أن المترجم، وكان من أمهر مترجمي الرئاسة، لم يجد كلمة فى اللغة الفرنسية، يمكن بها أن يعبر بدقة، عن كلمة "استحلوا دمي" عندما أشار عبدالناصر إلى أن الذين حاولوا اغتياله فى المنشية بالإسكندرية، فى ذلك اليوم "استحلوا دمه".. لقد ترجمها المؤلف بشكل بدا للضيوف، وكأن معنى "استحلوا" هو "سمحوا" مما جعل سارتر ورفاقه لا يفهمون المعنى..

ويبدو أنه كان من المهم، قبل ترجمة هذه الكلمة، أن يشرح المترجم للضيوف الحالات التى يحل فيها دم المسلم.. حتى يكونوا على استعداد لتقبل وفهم واستيعاب المعنى الذى أراده عبدالناصر.

ولعل هذا، قد لفت نظري، إلى أن الترجمة الفورية، من أصعب الأمور.. عصبياً !

وأسهب عبدالناصر فى إظهار الوجه الاجتماعي لثورة يوليو، وكيف أنها انحازت للطبقات الكادحة، كما كان حريصاً على أن يبين كيف أنه قاوم وتصدى للمؤامرات التى حاكها ضده الغرب، وضد نظامه.. وكان مهتماً بأن

يشرح، أن البعد العربي، من الأبعاد الحيوية فى ثورته وفى آماله، وأن ذلك مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدور مصر فى تحرير إرادة الشعوب العربية والأفريقية.

وكان سارتر راغباً فى أن يسمع من عبدالناصر، رأيه فى قضية الحريات والمعتقلين، فأبدى الرئيس وجهة نظر كانت جديدة بالنسبة لمسألة المعتقلين، وقال "إن الاعتقال أحياناً، بل غالباً، يكون أفضل للمعتقلين أنفسهم، من الذهاب بهم إلى المحكمة بتهمة محاولة قلب نظام الحكم، وهى جريمة عقابها شديد فتقضى فى أمرهم بما لا يستطيع الرئيس أن يتدخل فيه.. أما الإعتقال، فعندما تطرأ ظروف سياسية مخالفة، ففى إمكاني الإفراج عنهم بعد قضاء مدد قصيرة فى الحبس !!"



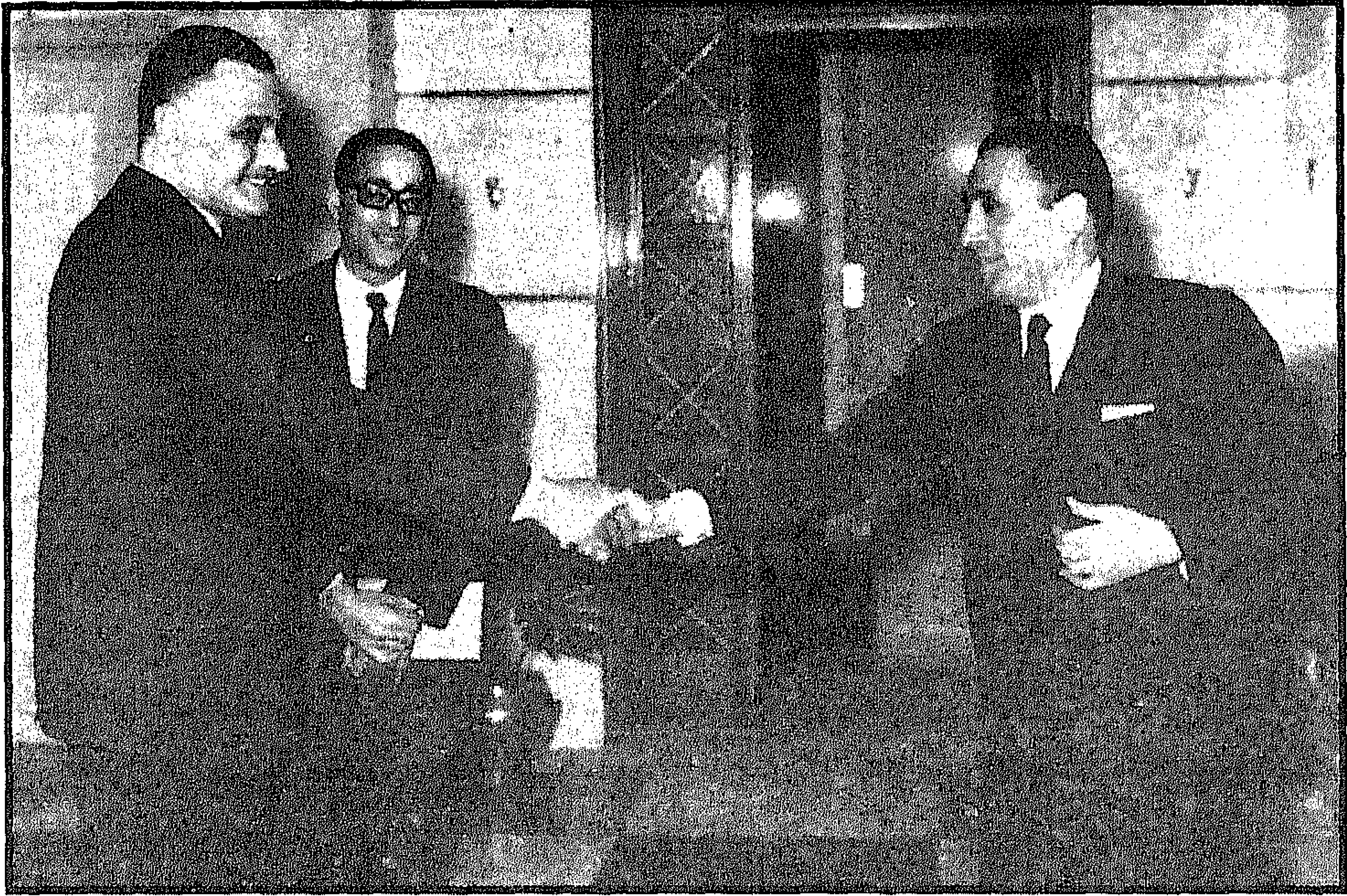
الرئيس جمال عبد الناصر يصافح بحرارة الكاتب اليهودي كلود لانسمان رئيس تحرير مجلة "الأزمنة الحديثة" والذى وقف بجوار ثوار الجزائر.. وفى الصورة سيمون دى بوفوار ، عند انتهاء اللقاء مع الرئيس.. وبداية اللقاء الثنائي بين عبد الناصر ود. علي السمان

وإذا سألني أحد، عن أهم ما دار فى اللقاء – من وجهة نظري – فهو الحوار الذى دار بين الرئيس عبدالناصر، وبين الكاتب اليهودي " كلود لانسمان" الذى كان يعرف إسرائيل، والمجتمع اليهودي بداخلها جيداً.. وقد أثار انتباهي، رغبة عبدالناصر فى أن يعرف من "لانسمان" مستقبل التيارات اليهودية المطالبة بالسلام، داخل إسرائيل.. ومدى الوزن الذى يتمتع به، لدى المواطن الإسرائيلي، القادة المنادون بالتعايش السلمي مع الفلسطينيين، أمثال "ناحوم جولدمان" رئيس المؤتمر اليهودي

العالمي.. وعما إذا كان هؤلاء، يمكن أن يكون لهم مستقبل فى إسرائيل.. ودار الحوار، بين الرئيس ولانسمان، فى غالبيته، حول هذه النقطة تحديداً،.

وقد زاد فخري واعتزازي يومها، وأنا أرى عبدالناصر، يتصرف كرجل دولة، ويريد أن يتعرف على رأى المفكرين اليهود فى مستقبل إسرائيل.

وفى إشارة إلى حرب ٥٦، أشار عبدالناصر إلى المخاطر التى يمكن أن تنجم عن اختيار إسرائيل لسياسة المبادرة بالعدوان، وإصرارها على أن تتوسع على حساب جيرانها.. ثم دعا إلى أن يكون المفكرون هم أصحاب المبادأة والمسئولية فى إضاءة الطريق، أمام الشعوب، خاصة إذا كانت تلك الشعوب تواجه أخطاراً كبرى، كما هو حاصل بالنسبة لشعوب المنطقة، وكانت سيمون دى بوفوار، مهتمة بشكل أساسي، بأن تعرف ملامح الدور الذى يمكن أن تلعبه المرأة، فى ظل ثورة يوليو.. وسمعت من الرئيس كلاماً، ربما يكون قد أرضاها.



الأستاذ هيكل يصافح عبد الناصر ، بعد انتهاء لقاء عبد الناصر مع سارتر وسيمون دى بوفوار والكاتب اليهودي كلود لانسيمان.. وبداية اللقاء الثنائي مع الدكتور على السمان

وعند انتهاء اللقاء، قام جمال عبدالناصر ليودع الضيوف، ويصافح كل واحد منهم.. وعندما جاء دوري استبقاني الرئيس، وفهمت أن هناك لقاء خاصاً سوف ينعقد بيننا نحن الاثنين.. اصطحبني الرئيس إلى مكتبه، ودام لقاؤنا منفردين نحو نصف ساعة، تحددت خلالها ملامح هامة من مسار حياتي العملية، بعد ذلك.

بدأ الرئيس بأن قال: أمامي صورتان عن نشاطك فى فرنسا.. الصورة الأولى لطالب "مشاغب"، يريد التحرك بمفرده، ويصطدم "بالإخوة".. والصورة الثانية لنشاطك فى وسائل الإعلام الفرنسية، وهو نشاط فيه جهد كبير للدفاع عن مصالحنا القومية، وعن الحقوق العربية..

ثم قال الرئيس: وأريد أن أسمع منك تفسيراً لهاتين الصورتين.

وقد ألهمني الله، أن أقول، إن "الخلاف مع الإخوة" ناتج عن خلاف فى النظرة، للعمل الوطني.. فبالنسبة لي، هو عمل تطوعي واختياري ليس فى احتياج إلى ترخيص.. وبالنسبة لهم هو عمل تنظيمي فى احتياج إلى اجراءات،.. وحين نظرت إلى عينيه، وهو يسمع مني، هذا الشرح الهادئ، وغير التصادمي، مع منْ اختلفت معهم على مدى أعوام طويلة.. رأيت فيهما ارتياحاً يعبر عن تقييم للشخصية – كعادته – بميزان دقيق.

ثم أضفت، إنه بالنسبة للصورة الثانية، والتى تتصل بعملي فى الإعلام الفرنسي، فإنني كنت اعتبر ذلك، دوماً، واجباً طبيعياً ووطنياً لمن يقيم فى الخارج، وهو واجب يقضى عليه بألا ينقل أى خلاف مع الداخل، إلى ساحة الإعلام الخارجي.

كان يستمع إلى كلامي، منصتاً.. إلى أن قال: على كل الأحوال، لن يتشابه الغد، مع الأمس، بالنسبة لك..

ولم أكن أدرى، ساعتها، أنه كان قد توصل فى ذهنه، إلى قرارات محددة تجاهي، لم أعلم بها، ألا بعد أيام.

وفيما تبقى من وقت، تكلمنا عن الأسلوب الأمثل للتصدى لدعايات العدو فى الخارج، وشرحت له كيف أن الرد على هذه الدعايات يكون أقوى، وأكثر أثراً عندما يكون هناك، على ملعب العدو نفسه، وفى حضوره، لأن الرأى العام الغربي لن يتقبل انفصال مائدة النقاش.. وقلت له، كيف أنني اكتشفت أن وجهة النظر الإسرائيلية، تبدو ضعيفة، عند المواجهة المباشرة معها، دون مبالغة ولا مزايدة.. وأنه من الضروري، عندما نحتكم إلى الرأى العام الغربي، أن يتواءم الأسلوب الذى نستخدمه ونعتمده، مع منْ يتلقى شرحي وتفسيري ووجهة نظري، ليكون حكماً بيني وبين خصومي.

وحين أنهى اللقاء، فاجأني بجانب فى شخصيته لم أكن أعرفه، وهو جانب يهتم بالاشياء الإنسانية البسيطة..

لقد سألني: كيف ستعود ؟!



د٠ علي السمان فى واحد من عشرات المؤتمرات فى الستينات للتضامن مع القضايا العربية.. وفى الصورة يتحدث للكاتب اليهودي "منكسيم رودنسون" أكبر أستاذ متخصص فى الشئون الإسلامية، ومن كبار المتضامنين مع حق الشعوب فى تقرير مصيرها

والطريف أنني اعتقدت أنه يسأل عن عودتي إلى فرنسا، وفيزا الخروج.. ولكنه كان يقصد كيف سأعود إلى فندق شبرد، حيث كان يقيم سارتر ورفاقه.. خاصة وأن الوقت كان مساء، أن يسأل عما إذا كانت لدىَ وسيلة مواصلات خاصة تنقلني أم لا.. وحينما علم أني لا أملك سيارة، أمر بأن تأخذني سيارة من سيارات الرئاسة، إلى حيث الضيوف فى شبرد.

وعند وداعه لي، قال الرئيس: من الآن، فصاعداً، تكون قناة الاتصال بي بالنسبة لك، من خلال السيد سامى شرف، سكرتير الرئيس لشئون المعلومات.. ثم طلب مني أن أتصل بالأهرام، وأن أبلغهم برغبة الرئيس، فى أن ينُشر إسمي مع أسماء الضيوف الذين استقبلهم الرئيس.. يقصد بالطبع سارتر وسيمون دى بوفوار وكلود لانسمان، وكان ذلك بمثابة رسالة موجهة إلى الأجهزة المعنية بأن ترفع أيديها.

وعندما وصلت إلى "شبرد" وجدت أن سارتر ورفاقه، كانوا متشوقين لمعرفة ما دار بيني وبين الرئيس..، وكنت بدوري متشوقاً لمعرفة رأيهم فى اللقاء الذى جرى بينه وبينهم.

وقال لي سارتر: لقد كان شيئاً جديداً، بالنسبة لي، أن أكتشف اهتمام الرئيس بحركة الفكر العالمي، وأن أشعر أيضاً بانحيازه للطبقات الفقيرة..

أما سيمون دى بوفوار، فقد كان أهم ما أثار انتباهها، هدوء صوته، واتزان نبراته.. ثم قالت: يصعب على الإنسان أن يتخيل، أن هذا الرجل يقول ما لا يعتقده.

وقال لي كلود لانسمان: أنني أجد صعوبة، بعد أن التقيت به، فى أن أصدق ما تبثه الدعايات الإسرائيلية، عن أنه يريد أن يرمي إسرائيل إلى البحر.. وأضاف لانسمان: وأعتقد أن ما يشغل باله، هو حلم الوحدة العربية، لحماية الكيان العربي.

أما عن لقائي أنا معه، فقد اكتفيت بأن قلت لهم، على سبيل الدعابة: لقد حكمت المحكمة ببراءة الطالب المشاغب، والذى امتد شغبه من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٦..

وسافر الضيوف إلى إسرائيل، لاستكمال رحلة استطلاع للموقف فى المنطقة.. ثم كتبت الصحف بعدها، أن المواقف قد تبدلت وتغيرت بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي..

ولكن من الأكيد، أن رأى الضيوف فى الرئيس عبدالناصر، لم يتغير.

وبقيتُ أنا فى القاهرة لألتقى بأهلي.. وذات يوم، قبل عودتي إلى باريس، فوجئت باتصال من الوزير محمد فائق، وزير الإعلام، يطلب مني الحضور إلى مكتبه بمبني التليفزيون، وهناك استقبلني بوجهه البشوش، وهو يقول لي: لقد تلقيت من الأخ سامى شرف، تعليمات بخصوصك، صدرت من الرئيس عبدالناصر، حول التعاون بيننا فى المستقبل.. وأذكر أنه كان يقرأ من ورقة صغيرة فى يده، نقاطاً محددة، منها، أن المطلوب مني هو التفرغ للرد على دعايات العدو فى الخارج، وأنه سوف يتم إلحاقي بأحد مكاتبنا الإعلامية فى فرنسا، على أن أعفى من التواجد المكتبي وهو بالتحديد مكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط.. وأن أكون مسئولاً أمام القاهرة، عن عملي ونشاطي، بمعنى ألا يكون للسفارة هناك، حق التوجيه أو الوصاية بالنسبة لي، وأن أزور القاهرة مرة كل عام، على الأقل، للإطلاع على مجريات الأمور.

وقد أدركتُ وأنا استمع إلى تفاصيل تلك الورقة الصغيرة، فى يد الوزير محمد فائق، أن صفة القدرة على القيادة، من الصفات الأساسية فى عبدالناصر.. وظلت هذه الورقة الصغيرة، بخط اليد، مسوغ تعيين لي، على مدى عام، إلى أن قرر الوزير فائق، ترقيتي من مراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط فى باريس، إلى مدير مكتبها هناك، وقبل أن أصبح رئيساً لمنطقة غرب أوروبا لأنباء الشرق الأوسط، بجانب مسئوليتي عن تمثيل الإذاعة المصرية فى فرنسا وأوروبا أيضاً.

وأمضيت بعض الوقت، مع الوزير فائق، الذى كان سكرتيراً للرئيس للشئون الأفريقية، إلى جانب عمله وزيراً للإعلام.. وأستطيع أن أزعم أنه أحد واضعي

استراتيجية الدور المصري فى تحرير أفريقيا، وأنه خلق على مدى سنوات، علاقات صداقة وثيقة مع رؤساء وزعماء أفريقيا.. وظل من عاش منهم يكن له، حتى الآن، كل التقدير والاحترام.

واعتقد أن دوره الأفريقي لم يكن نابعاً فقط من مسئوليته الوظيفية، بل من اقتناعه بحق الإنسان الأفريقي فى الحرية والاستقلال.. ولم يكن غريباً، بالتالي، بعد ذلك، أن يرأس إحدى أكبر الجمعيات الأهلية لحقوق الإنسان فى مصر والعالم العربي.

وقبل أن أغادر القاهرة، ذهبت للقاء الرجل الذى قال عبدالناصر، أن اتصالي به، أى الرئيس، سوف يكون من خلاله.. ورأيت وأن أستمع إلى السيد سامى شرف، أن مسمى "سكرتير الرئيس لشئون المعلومات" ليس شكلاً، وإنما هو مضمون حقيقي.. لقد شعرت بأنه على علم بالخطوط العريضة، عن نشاطي فى الماضي.. وقد مر مروراً عابراً، على ما تعرضت له، خلال عملي العام فى فرنسا.. وأذكر قوله: "إن ضريبة العمل العام، والعمل الوطني، هى أعلى ضريبة يؤديها الإنسان.. وأن منْ يتولى خدمة هذا الوطن، عليه أن ينظر إلى الأمام، وألا يأبه بما يُلقى من أحجار فى طريقه".

وأضاف: "أن التعليمات التى أعطاها الرئيس عبدالناصر، بخصوصك، تعنى كلمة واحدة، وهى ثقته فيك، وبما ستقوم به فى المستقبل، لخدمة هذا الوطن فى الخارج".

وللأمانة أقول، أن السيد سامى شرف لم يطلب مني معاونته فى التعرف على نشاط أى مصري فى الخارج.. وأنه أعطى موافقته الكاملة، عندما قلت له: أرجو أن يكون التعاون فى مضمونه ونهاياته، خاصاً بالتصدي لدعايات العدو فى الخارج..

وبدأت مع سامى شرف رحلة دامت حتى يومنا هذا.. وهى رحلة انطوت على مودة، ومحبة.

الفصل الحادي عشر

يونيو ١٩٦٧ حرب إعلامية.. على الشاشة .. في باريس!

- سامى شرف : "ربنا فوق.. وجمال عبد الناصر تحت ولا شيء بينهما..!

عندما عدت إلى باريس، وجدت أن توجيهات القيادة السياسية سبقتني، ووصلت إلى السفارة، وأذكر أن سفيرنا هناك، فى ذلك الوقت، عبدالمنعم النجار، دعاني إلى الغداء فور عودتي، وقال لي بأسلوبه العملي جداً، بعد أن كان قد عرف، أن مسئوليتي عن عملي سوف تكون أمام القاهرة، وليس أمام السفارة.. قال: أنت الآن أمام أحد خيارين، فإما أن تعتبر أنك عائد على "حصان أبيض"، وتقوم بعمل تنافسي للسفارة، ونختلف.. وينتقص الخلاف من عائد عمل كل منا.. وإما أن نتعاون معاً، تعاوناً كاملاً، ويعتبر كل طرف، أن ما يقوم به، يكمل عمل الطرف الآخر، وإغناء لرصيده،.. وكان ردي أني بادرت واخترت الحل الثاني، بترحيب من جانبي، وقدرت فى هذا الرجل، مرة أخرى، أسلوبه العملي جدًا.

ثم جاءت نكسة يونيو ٦٧ !

وبطبيعة الحال، فإن منْ عاشوا فى أوروبا، بعد ١٩٦٧، وصلتهم اللقطات الحية، التى كانت تجسد صورة الهزيمة، على وجوه جنودنا، وهم ينزفون على أرض سيناء، كما وصلت إلى أوروبا أيضا، صور متفرقة، لأحذية تناثرت على الرمال فى سيناء، ليقال أن جنودنا فروا من المعركة.

ولكن، جاء خطاب التنحي، ليشد الانتباه العالمي إلى قضية أخرى خطيرة بالنسبة لهم، وهى مسألة استمرار عبدالناصر فى السلطة، وفى قيادة مصر والعالم العربي.. وحينما جاءت الصور لمظاهرات حاشدة على أرض مصر، تطالب عبدالناصر بالبقاء، فإن معظم اتجاهات الرأى العام فى فرنسا وأوروبا أخذت هذه المظاهرات مأخذ الجدية، خاصة وأن مظاهرات أخرى مماثلة، خرجت فى باريس، فى التوقيت ذاته، واحتشد بها شباب من دول العالم الثالث، وبعض العناصر الفرنسية المتعاطفة مع استقلال الشعوب.

بدا كل ذلك، على نحو تلقائي.

وشعرت بردود فعل قرار عبدالناصر بالبقاء، على الفرنسيين الموالين لإسرائيل، الذين كانوا يحلمون بأن تنحى عبدالناصر سوف يكون تتويجاً لنصرهم، وتكريساً لهزيمة مصر.

وسوف تبقى مظاهرات التنحي، فى ٩ يونيو ٦٧، قضية خلافية، إلى أمد طويل، بين من يعتقدون أنها مظاهرات شعبية تلقائية، وبين من يعتقدون أن الاتحاد الاشتراكي هو الذى دبرها.

وفى رأيي، أنه لا تناقض بين الاتجاهين.. فمن الأكيد أن جماهير شعبية نزلت تلقائياً إلى الشوارع،.. ولكن ذلك لا يمنع، من أن يقوم التنظيم السياسي القائم وقتها، وهو الاتحاد الاشتراكي، بجهد ودور، مهما كانت الهزيمة، لاسيما وأنه كان قد مارس دوراً فى الحياة السياسية، أستمر طويلاً.

وميلي لفكرة التلقائية فى مظاهرات المطالبة ببقاء عبدالناصر فى موقعه يأتى من ثقتي فى وعى الشعب وأصالته، فهو قد أدرك عند الهزيمة، أن الهدية الكبرى التى يمكن أن يعطيها لإسرائيل هى الإطاحة بعبدالناصر.. إذ أن ذلك كان هدفاً محدداً لإسرائيل.. ولا يمكن أن نستبعد هنا أيضاً، عمق جذور الإنسان الريفي فى تعقل الأمور، حتى وقت الهزيمة، مما يجعله يقول، بأنه إذا صح أن عبدالناصر تسبب فى الهزيمة بخطأ حسابي، فعليه أن يخلصنا منها.

والأكيد أيضاً، أن جهاز المخابرات وقتها، كرس الجهد الأكبر لشئوننا الداخلية والعربية، وكانت تغطيته – فى رأيي – للجانب الأمريكي والغربي بصفة عامة محدودة..

لقد بدا لي، فى أحيان كثيرة، أنهم لو كان لديهم تقييم موضوعي، لما يدور، لكانوا قد أدركوا، أن ما كانت تريده إسرائيل وأمريكا فعلاً، هو إغلاق مضيق تيران، حتى تكون هناك حجة جاهزة، لديهم، للهجوم على القوات المصرية، وضرب قدراتنا العسكرية،.. وأيضاً لوضع حلف موضوعي أمريكي إسرائيلي، موضع التنفيذ.. وكان الحرص على ضرب جيشنا، قد أصبح هدفاً لديهم، منذ استطاعت هذه القدرة العسكرية المصرية أن تقلب الموازين فى اليمن، وأن تصل إلى حدود منطقة النفوذ الأمريكي فى نجران.. وهو ما سوف يتضح، عندما أتحدث، فى فصل قادم، عن تفاصيل حواري على مائدة عشاء فى البنتاجون مع رئيس المخابرات الأمريكية السابق أدميرال تيرنر كان موضوعه الربط بين حرب اليمن وحرب يونيو ٦٧ .

وإذا توصلنا، إلى أن قرار إغلاق مضيق تيران، كان مبنياً على حسابات خاطئة يتحمل رئيس الجمهورية مسئوليتها، فإن ذلك لن يقلل من الحجم العملاق لجمال عبدالناصر، فيما سبق، وفيما لحق.

وعلمت مؤخرًا، أن المشير عبد الحكيم عامر بخصوص غلق مضيق تيران، قد أسرّ إلى كريمته أمام زوجة حسين عبد الناصر بقوله: "لقد قلت لجمال عبد الناصر قبل غلق مضيق تيران: "إن إعلان غلق المضيق سيكون بمثابة إعلان حرب، وأشرت عليه أيضًا بأن يسأل الاتحاد السوفيتي ماذا سيكون رد الفعل الخارجي من ناحية الأمريكان والإسرائيليين في حالة غلق المضيق"..

وقد كان هذا الكتاب، مغامرة كبرى، ومن الأمور التى أدهشتنا، عند صدور الكتاب، أنه كان يختفي من الأسواق، فى اليوم التالي مباشرة، لطرحه فى المكتبات، وأثير وقتها جدل واسع، عما إذا كانت إحدى المنظمات الصهيونية، هى التى تقوم بهذه المهمة.

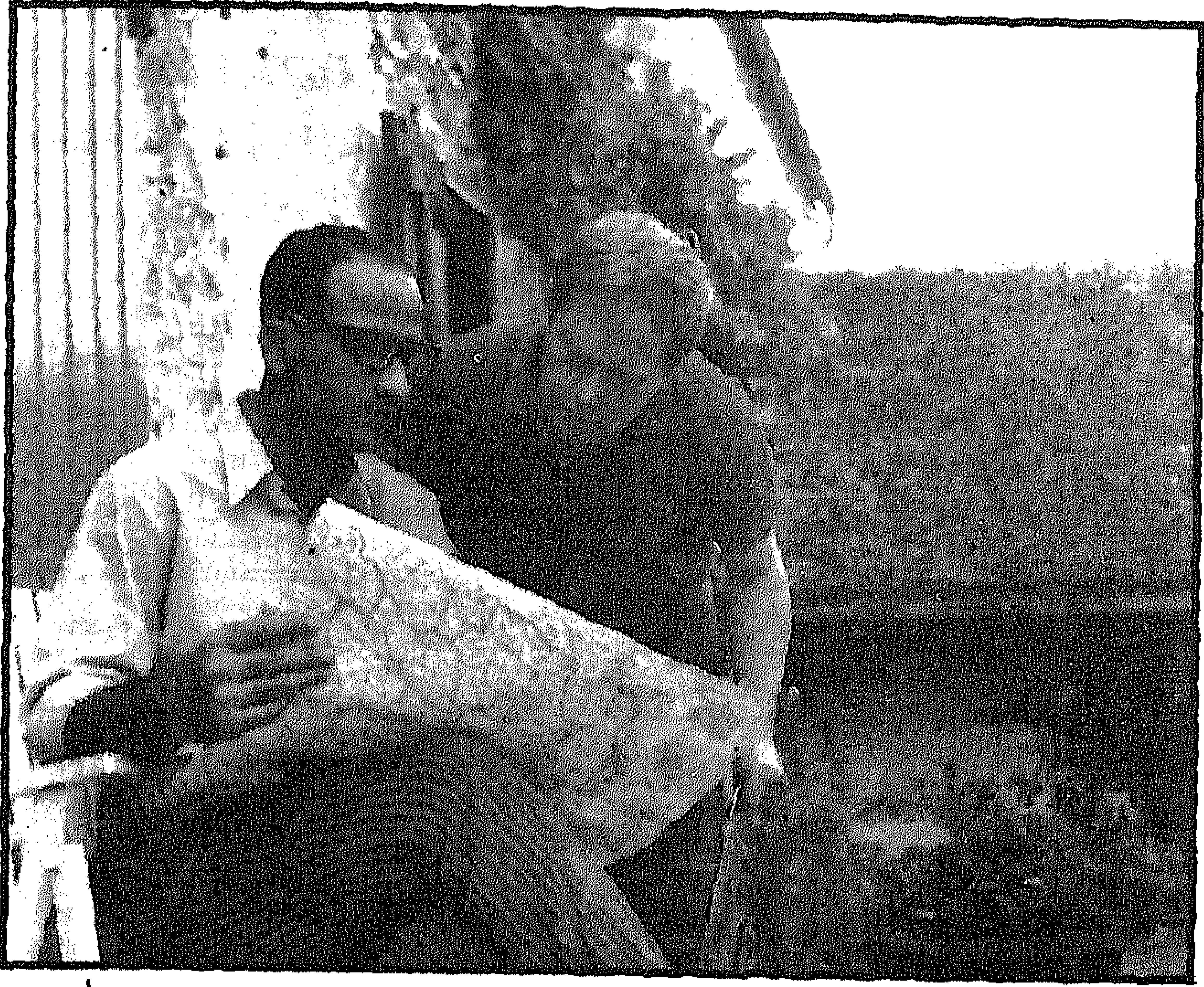
ولا أنسى ما حييت، يوم ذهبت لتوقيع عقد نشر الكتاب مع صاحبه الحاخام ليفنج ليحصل على حقوق المؤلف، شأن أى كاتب.. إذ قال لي يومها: لا أقبل مالاً من أجل نشر أفكاري !!

وكم من ليالٍ قضيناها، أنا وعادل عامر والصديق "بيير جولى" الناشر.. نصحح ونراجع مسودات الكتب.. وكان الاتفاق واضحاً: نعطيه فكرة الكتاب ومادته، ونعطى للمؤلف حقه.. وكل ما كان يضمنه مكتب الإعلام المصري، هو شراء الألف نسخة الأولى، وهى التى يمكن أن تغطى، عملياً، تكاليف الطباعة والنشر.. ولكن المهم، بل الأهم من كل ذلك أن داراً من دور النشر الكبرى، مثل "كيجاس" كانت تتقبل المسئولية، وتغامر بالدفاع عن وجهة النظر العربية، أمام الكم الهائل من الكتب، الذى كان يصدر موالياً لوجهة النظر الإسرائيلية.

وظلت علاقتي ببيير جولى وزوجته جاكلين ونجلهما مستمرة فى محبة ومودة حتى الآن، وكنت أرى فيهم قيماً نادرة أهمها الصدق والوفاء ونموذجاً لعائلة فرنسية من طراز نادر.



صورة نادرة مع الدكتور عادل عامر، أستاذي فى الإعلام، وعلى يمينه السيدة حرمه، ثم رئيس هيئة الاستعلامات السابق د. يحي أبو بكر، إعلامي ذو عقلية سياسية، وخلق عال، من مدرسة الدكتور عبد القادر حاتم، من جيل الخمسينات والستينات



الدكتور علي السمان مع الناشر الفرنسي "بيير جولى" الذى ساهم فى إصدار كُتيبات فى باريس، عن القضايا العربية

ولم تتوقف قصتي مع الإعلام الفرنسي، عند هذا الحد.. ذلك أنه من طول معاشرتي، لرجال الإعلام الفرنسيين، من جيلي، استطعت أن أنال ثقتهم، بل وأن أنشئ جمعية للصحفيين الفرنسيين والعرب، التى لم تكن جمعية تضامن سياسي، بل إنها كانت تدافع عن الحق الموضوعي لكل من طرفي الصراع، فى توضيح وجهة نظره على ساحة الإعلام.. وكانت تدعو كبار شخصيات الشرق الأوسط، التى تمر بباريس، لكى تشرح وجهة نظرها، فى قضية الصراع، أمام ممثلي الإعلام الفرنسي والعربي، ونجحت أن أضم لهذه الجمعية شخصيات إعلامية فرنسية أصبحت بعد ذلك من نجوم التليفزيون الفرنسي مثل الصديق جان تارى كافاداه رئيس القناة الثانية الفرنسية .

وكان التواجد على شاشة التليفزيون الفرنسي، هو أول محك مباشر، على خط المواجهة العربية الإسرائيلية.. وكان لي رأى فى هذه المواجهات، وهو أنني لا أهرب منها أبداً، وإنما أفضل أن أكون على مائدة المواجهات أمام ملايين المشاهدين.. وقد تبين لي، من هذه المواجهات، أن وجهة النظر الإسرائيلية، يصعب الدفاع عنها، لأنها وجهة نظر تتبنى قضية ينقصها الشرعية والمشروعية، وأقصد

بالقضية هنا، الوجود الإسرائيلي على أرض عربية محتلة.. بل إن وجهة النظر تلك، كان ينقصها نظرة طويلة الأجل، لمن له دراية بالتوقعات المستقبلية.

وفى ظروف ١٩٦٧ التى نعرفها جميعاً، كنت أقبل المواجهة، على شاشة التليفزيون الفرنسي، وكان زملائي العرب، يودعونني وأنا ذاهب إلى كل لقاء من لقاءات المواجهة تلك، وكأنهم يريدون أن يشدوا على أزر منْ يرونه ذاهباً إلى المقصلة !!.. ومن الأمانة، أن أقول، أنني وبعد عدة مواجهات، على مستوى الإذاعة والتليفزيون معاً شعرت شعوراً غريباً، أرجو من القارئ أن يغفر لي، وأنا أكرره اليوم.. "لقد شعرت بأن القضية العربية، هى أعدل قضية فى يد أسوأ محامين" !!

وكان من البرامج الشهيرة، التى أجريت من خلالها عدة مواجهات ساخنة، برنامج "دوسيه الكاميرا".. وكانو يسمونه برنامج الخمسة مليون مشاهد فى فرنسا وبلجيكا وسويسرا ولعل الأصدقاء من جيلنا، يذكرون مواجهاتي، التى كانوا يتابعونها، وكأنها مباراة من مباريات الكرة العاصفة.. وأذكر أن الجانب الإسرائيلي اختار فى مواجهتي، يوماً، أستاذا للعلوم السياسية، ربما ليستعرض أفكاره.. ويبدو أنه كان واثقاً، من أنني سوف أكون أمامه منهزماً، يتيماً.. وكم كانت دهشته، وإحساسه بالهزيمة، عندما قلت له: ها أنت تأخذ وضعك أمامي، باعتبارك منتصراً، وباعتبارك أيضاً محتلاً يبغى أن يلعب دور المستعمر.. ولكني أدعوك، إلى جولة فى التاريخ، ننسى بها اليوم، ونقفز على المستقبل، لنرى معاً مصير المحتل والمستعمر.. وأسألك، هل تريد أن تكون فريداً، وأنت تطبق قواعد وقوانين للتاريخ، تتنافى مع طبيعة التاريخ نفسه !؟ هل تدرك أن الاحتلال هو الأب الشرعي للمقاومة !؟ وأن المقاومة الضعيفة لا تملك، اليوم، أمام صلفكم، إلا أن تكبر وتقوى، كملاذ وحيد لاسترداد الحق.

وفى الوقت نفسه، فلا أذكر أني أخطأت يوماً، وأنا أتحدث على شاشة التليفزيون الفرنسي، بهجوم عنصري من خلال كلماتي، على اليهود كشعب.. بالعكس، كنت أنتقى كلماتي جيداً، وكان هذا الاختيار المحسوب، لتعبيراتي وكلامي، يشعرني بأنه أسلوب يفقد معه الطرف الآخر أعصابه !! ذلك أن المواجهة الإعلامية، هى أيضاً، وبدورها، حرب نفسية، وحرب أعصاب، وفضلاً عن ذلك.. حرفة.

ولم أكن أجد صعوبة، فى اختيار الكلمات، لأعبر عما أريد أن أقوله، ولم أكن أحب أن ينطوي حديثي على هجوم، على اليهود، كعنصر، وكأصحاب ديانة سماوية.. لقد كانت عقيدتي دائماً، أنه لو كان بينهم مائة فقط من

الحكماء، ومن العناصر الصالحة، فإن ذلك يمنعني من أن أعمم الحكم عليهم، فضلاً عن أنه، خلال مشوار حياتي، شاء القدر أن ألتقي بوجوه يهودية، ولو محدودة جداً، من حيث العدد،.. ولكنهم جميعاً كانوا بجانبي، وبجانب الحق العربي إجمالاً.

وكان معي، فى تلك المواجهات الساخنة، الأستاذ لطف الله سليمان رحمه الله، وقد كان يؤمن بأفكار الثائر الروسي الشهير "تروتسكي" ويريد أن يطبقها فى الواقع العملي فى مصر والعالم العربي.. وكان صديقاً للرئيس الجزائري أحمد بن بيلا، وأعضاء حكومة الجزائر التى كانت لاجئة فى مصر.. وعندما تولي بن بيلا الحكم فى الجزائر، استعان به مستشاراً له، قبل أن يطرده هواري بومدين، ويعود إلى باريس..

وقد نجحت فى خلق علاقة تعاون بين إعلام السفارة، وبينه، وكان شعلة من النشاط والحماس معاً، وكان صاحب قدرة كبيرة على النزال فى حلبة الإعلام.

ومما لا يغيب عن ذاكرتي، أن الناس كانوا يستوقفونني، فى تلك المرحلة من حياتي، وأنا أمر فى حى الأوبرا، فى طريقي إلى مكتبي، ليقولوا لي: نحن نوافقك على ما قلت، فى التليفزيون.. وفى الوقت نفسه، كنت أصادف يهوداً متطرفين فى الشارع، يستوقفونني أيضاً، ويصيحون فى وجهي: لن نغفر لك ما قلته عن إسرائيل!!

وكنت أسعد جداً، حينما أجد أن هناك نسبة مشاهدة عالية، لتلك البرامج، وأن هناك متابعة جيدة لما يُقال،.. ثم يذهب كلٌ إلى شأنه، بعد ذلك، فى الحكم على الكلمات!

وكان هذا يريحني!

وأشهد أن نكسة ٦٧، قد خلقت من الدكتور عادل عامر الذى كان، كما قلت من قبل، ممثل الدكتور عبدالقادر حاتم، فى باريس، فى كل ما يتصل بالسياحة، أو الثقافة، أو الإعلام، وهى المهام الثلاث التى كان الدكتور حاتم يتولاها فى وقت من الأوقات، فى القاهرة، طاقة هائلة من العمل، الذى لم يكن يهدأ، فى كل الاتجاهات.

وجاءت ضرورة وخطورة العمل الإعلامي والسياسي، وقتها، لتكشف أهمية وجود قناة ربط واتصال بين ممثلي الإعلام المصري بالخارج وبين القيادة السياسية فى مصر السياسية، من خلال السيد سامى شرف، سكرتير الرئيس لشئون المعلومات.. وقد كان الرجل، رغم انشغالاته البالغة، خصوصاً فى مرحلة حرب

الاستنزاف، يبلغني أولاً بأول، بردود فعل القيادة، على ما كنت أقترحه، على المستوى الإعلامي

وكان تأييده كبيراً، لفكرة التعاون مع دار "كيجاس" من أجل نشر وجهة النظر العربية على أوسع نطاق.. بل أنه اقترح موضوعات للعمل، ومنها خطورة مشكلة المياه فى المنطقة، خاصة بعد قضية تحويل نهر الأردن الشهيرة، وكذلك كان مهتماً بأن تأخذ الموضوعات ذات الصلة بالدفاع العربي، طريقها إلى النشر، بأسرع ما يمكن.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإن الحديث عن السيد سامى شرف، يذكرني على الفور، بشقيقه عز الدين شرف، الذى كان حريصاً كل الحرص على تدعيم علاقة المحبة بيننا، وقد ظل فى عمق شخصيته، مرتبطاً - بطبيعة الحال - بفكر مدرسة الدعوة فى الأخوان المسلمين، دون أن تكون له أى علاقة بتنظيمات العنف.

وجاء وقت، حكى لي فيه، الأخ عز الدين شرف، علاقته بصلاح شادي الضابط الأخواني الشهير، الذى أُعتقل لفترة طويلة فى الستينات.. ثم همس إليَّ بأنه يعرف مدى عمق المودة التى تربطني بشقيقه سامى.. وأضاف: أنا أتحرج من مفاتحة شقيقي، ولا أعرف كيف يمكن أن أطالبه بأن يتدخل للإفراج عن صلاح شادي، الذى يكفيه ما قضاه من سنوات طويلة رهن الاعتقال،.. ولذلك، أرجوك، إذا شعرت أن اللحظة مناسبة، فى أى وقت، لمفاتحته فى هذا الموضوع، أن تفعل.. وعندها، ستكون قد قمت بعمل إنساني يجزيك الله عليه.

وفعلاً، كنت فى رحلة إلى القاهرة، عام ١٩٦٨، التقيت خلالها بسامى شرف، وشعرت أن الفرصة سانحة، لأن أفاتحه فى موضوع صلاح شادي، بينما كنت أقدم له تقريراً عن الموقف الإعلامي فى فرنسا، وعن مواقف القوى السياسية هناك، وهى تتابع استرداد القيادة السياسية فى مصر، لدورها، وبداية إعادة تنظيم القوات المسلحة، وإعدادها لحرب الاستنزاف.

شعرت أن اللحظة مناسبة، فطرحت موضوع الإفراج عن صلاح شادي.. وفجأة تغير وجه سامى شرف، وتغيرت نبرة صوته، بمقدار ١٨٠ درجة لأسمعه وهو يقول: الحمد لله أن ما بيننا يسمح بأن أنسي إنك طرحت هذا الموضوع أمامي، وأرجو أن تعلم، يا دكتور علي، أنه بالنسبة لي، لم يحدث أن عانيتُ يوماً، من أى تناقض داخلي.. فالأمور عندي واضحة كل الوضوح "ربنا فوق.. وجمال عبدالناصر تحت.. ولا شئ بينهما".

وطويت الصفحة، وأنا أحاول أن أفسر ما سمعت.. وكان تفسيري، لنفسي، أن علاقة سامى شرف بجمال عبد الناصر، لم تكن مجرد علاقة عمل، ولكنها علاقة ولاء سياسي وقيادي لا يساوره الشك.

وجاء وقت، بعد النكسة، أنتقل خلاله السفير عبدالمنعم النجار، من باريس، إلى حيث تولى الإدارة الثقافية فى وزارة الخارجية.. وجاء انتقاله المفاجئ وسط روايات مختلف عليها، باعتبارها السبب فى نقله.. من بينها أن أم كلثوم كانت قد استاءت من عدم وجوده فى المطار، عند وصولها إلى باريس، لاحياء حفلتها الشهيرة هناك بعد النكسة، فاشتكت إلى عبدالناصر، فتقرر نقله.. والعلم عند ربي..

والغريب أنه، أثناء مظاهرات التنحي، كان قد ارتكب ما يوجب نقله، من وجهة نظر كثيرين، إلا أنه ظل فى مكانه لشهور تالية، حتى جاءت واقعة أم كلثوم إياها..

ففى أثناء تلك المظاهرات، رأى أعضاء السفارة توقيع بيان يطالب عبد الناصر بالبقاء وعدم ترك موقعه لزكريا محي الدين.. ولما ذهبوا للسفير ليضع توقيعه رفض وقال: عبدالناصر وزكريا محي الدين أخوة.. ولا مانع من تبادل المواقع !!

على كل حال، جاءت بعد السفير النجار، إلى باريس، شخصية من طراز رفيع، من النادر جداً، أن يصادف الواحد منا، كثيرين من نوعها الفريد، فى حياته.. وأقصد حافظ إسماعيل، الذى كان قد سبق وعمل مديراً لمكتب المشير عبدالحكيم عامر.. ولكن ذلك الموقع، لم يكن هو الموقع الأمثل بالنسبة له، فعينه عبدالناصر وكيلاً لوزارة الخارجية، ومما يُذكر له، إلى اليوم، أنه وضع النظام الداخلي للعمل بالخارجية، بدقة وإتقان،.. حتى بلغ الأمر، أن أبناء الخارجية، أطلقوا على النظام الذى وضعه، لسنوات طويلة: نموذج حافظ إسماعيل.

وقد سافر الرجل، بعد ذلك، سفيراً لمصر فى عدة مدن كبرى، منها لندن وروما وموسكو.

وكان مجيئه إلى باريس، فرصة كبرى لكى أتعرف عليه، واخترق مظهره الصارم، واكتشف شخصية طيبة القلب، واضحة فى فكرها، شديدة الإخلاص فى وطنيتها.. وقد نال احترام كثير من القيادات السياسية فى فرنسا، لأن رؤيته كانت دائما تتخطى العلاقة الثنائية المصرية الفرنسية، لتعطى البعد الاستراتيجي للتفاعلات فى الشرق الأوسط.

ومن المعروف أنه كان ضابط أركان حرب واجتاز عدداً من الدراسات العليا، فى أمريكا، فى بدايات الثورة..



د. علي السمان مع حافظ إسماعيل.. القدوة والنموذج وأحد أباء الجيش المصري

وقد توثقت العلاقة بيني وبينه، على المستوى العائلي، لأعرف زوجته السيدة صفا حافظ إسماعيل، وهى من عائلة نور المعروفة، وكان لها إلى جانبه، دور الزوجة التى قررت أن تكرس حياتها لراحته الذهنية والنفسية، ليتمكن من أداء مهام عمله، وقد كانت باستمرار، تلك الزوجة الفاضلة، أماً واعية، صالحة، ربت ابنيها على أحسن ما يكون.. وكان عندها، إلى جانب الابن عمرو حافظ، الابنة ليلى حافظ، مديرة مكتب الأهرام فى باريس.

وقد عرفت ليلى، مع أبويها فى باريس، وهى تسجل نفسها لدراسة العلوم السياسية، وكانت، فى كل الأحوال، مثل أبيها: جادة، مثابرة، ومؤدبة، ومهذبة.. وكانت مثله أيضاً: لا تتنازل فى الحياة عن رأى أو مبدأ.

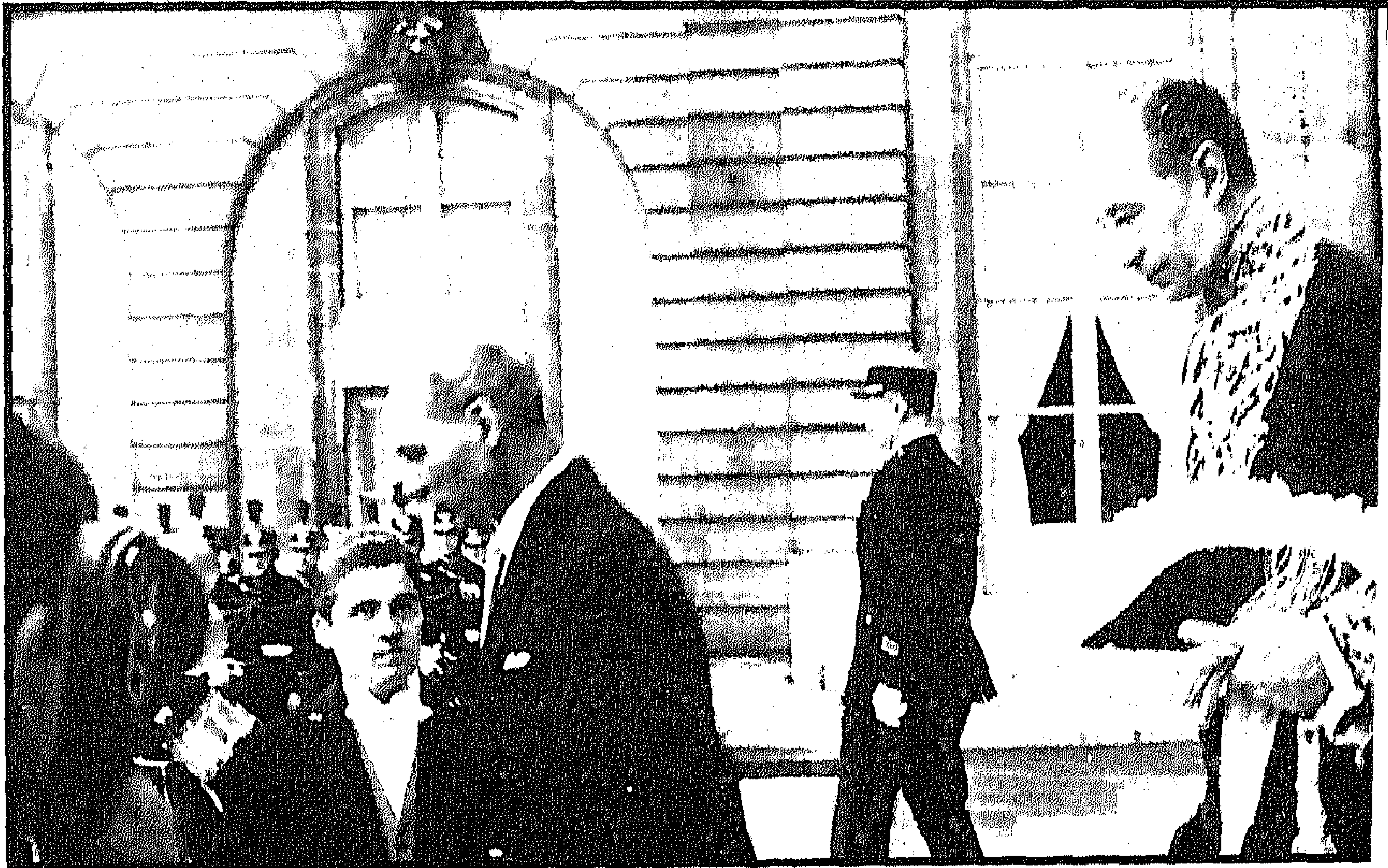
وكم من جلسات طويلة، جمعت بيننا، فى بيته، ونحن نلقى سوياً نظرة إلى المستقبل.. وتعودت أن أكون معه، فى الغالب، على مائدة الغداء.. حتى جاء يوم قال لي فيه: حينما يأتي موعد الغداء، ولا أكون على ارتباط، ولا أنت كذلك.. فالغداء سوف يكون سوياً فى بيتي.

وأذكر لهذا الرجل، احترامه "لنقطة النظام".. ففى أحيان كثيرة كانت تأتى رسائل لي، من خلال الحقيبة الدبلوماسية، وعليها ما يشير إلى أنها من مكتب سكرتير الرئيس لشئون المعلومات.. ومغلقة تحت العبارة الشهيرة "سرى ولا يفتح إلا بمعرفة سيادته".. وكنت حين تأتى رسالة من هذا النوع، أتسلمها منه، وأحاول أن أفتحها أمامه، احتراماً لقدره.. فكان يرفض وهو يقول: "هذه الرسالة لك، وليس مطلوباً مني أن أعرف بمضمونها".

وعندما انتهت مهمته فى باريس اختاره الرئيس عبدالناصر، رئيساً للمخابرات العامة، ليقوم بدوره فى إعادة ترميم هذا البيت الكبير للأمن القومي، بعد إصابته بتصدعات وزلازل، أيام صلاح نصر.

ومازلت أذكر واقعتين، يوم عودته من باريس، ليتولى موقعه الجديد.

الأولى خاصة بابنته ليلى.. فبحكم ما كان يربطني به من مودة عميقة، وصلت إلى درجة الصداقة القوية، رجوته بإلحاح أن يترك ليلى فى باريس تكمل دراستها، خاصة بعد أن كانت قد أمضت جانباً كبيراً من حياتها فى معادلة شهادات حصلت عليها، عندما كان أبوها يعمل فى لندن وروما.. ولكنه قال لي بالحرف الواحد: لا توجد لدىَ إمكانيات تسمح بأن تستكمل ابنتي تعليمها فى الخارج!



السفير حافظ إسماعيل بعد تقديمه أوراق اعتماده بقصر الإليزيه وفى وداعه الحرس الجمهوري

قلت: من الممكن الحصول لها على منحة دراسية فرنسية.

فقال: إن موقعي الجديد، كرئيس للمخابرات، يمنعني من أن أرجو أية جهة، للحصول على ميزة ما، لابنتي.

وقد تطوع صديق عزيز لي، تحدثت عنه من قبل.. وهو الكاتب الفرنسي "بيير روسيه" بتدبير منحة دراسية لليلى، وقد أكملت دراستها بتفوق وجدارة.. ولكن الأهم من الجدارة العلمية، هو قدرتها غير العادية على القراءة، والإطلاع، والاستيعاب.

أما الواقعة الثانية، فهى تلك التى كانت تتصل بظروف سفره، وكيفية حماية مغادرته لباريس، كرئيس لمخابرات جمال عبدالناصر، فى ظل عربدة إسرائيلية على كل المستويات، خصوصاً وأن خبر تعيينه، كان قد نُشر فى الصحف جميعاً.

وكان من حسن حظي، أن أشترك فى وضع خطة تمويه متواضعة، لمغادرته فرنسا إلى مصر، عن طريق البر، حتى مدينة فينسيا، حيث أخذ المركب من هناك إلى الإسكندرية فوجه الدعوة لحفلة الاستقبال لوداعه وغادر باريس قبل هذا التاريخ.

وكان الترتيب لهذه الرحلة، لا يعلم به إلا هو، وزوجته، وأنا.. وقد توقفنا، فى وسط الرحلة، فى مدينة "جرونوبل" التى كنت تعلمت فيها من قبل، وأمضينا ليلة فى نفس المكان الذى كنت أسكنه أيام الدراسة، وكان به فندق متواضع، تحول فيما بعد إلى فندق شهير تملكه نفس العائلة الفرنسية التى أحببتها، وأحببت كرمها، خاصة أثناء مولد ابني الوحيد سامى، من زوجتي الأولى.

وأكملنا رحلتنا فى اليوم التالي، وتولدت خلال هذه الرحلة، ثقة عالية متبادلة بيننا، فضلاً عن صداقة متصلة، إلى آخر يوم من عمره.. يرحمه الله.

وفى كل مرة كنت أتعرض فيها للشباب، إعلامياً، كنت أضرب بحياة وشخصية حافظ إسماعيل، المثل، وأتمنى أن نقدم، فى كتيبات صغيرة، القيادات الطاهرة، للجيل الجديد.. وكنت دائماً أقول، أننا لو رأينا أن نبدأ بحافظ إسماعيل، فسوف يكون عنوان الكُتيب: القدوة والنموذج.

الفصل الثاني عشر

أم كلثوم فى باريس.. بين الفن والوطنية

عند وصول أم كلثوم، إلى مطار "البورجيه" الفرنسي، شعرت للوهلة الأولى، ومنذ أول لقاء لي معها، أن هناك خيطاً رفيعاً، قد امتد ليربط بيننا.

وقتها، لم أكن قد التقيت بها، من قبل، ولا حتى كنت قد حضرت إحدى حفلاتها الشهيرة، التى كانت تقام آخر كل شهر،.. فقط، كنت أتابعها، مثل أي شاب من شباب مصر فى ذلك العصر، وكنت أسمعها، من خلال جهاز الراديو، الذى كنا نتجمع حوله جميعاً، عند إذاعة أي أغنية جديدة لها..

وفى مطار البورجيه، ها أنا ذا أراها أمامي، على أرض باريس، بحضورها العالي وقدرتها على الدعابة التي لم تكن تفارقها.

ومنذ تلك اللحظة، وحتى غادرت باريس، بعد أن أقامت حفلتين كبيرتين شهيرتين، لم أتركها لحظة واحدة، اللهم إلا خلال الساعات التى كانت تخلد فيها إلى النوم.. كانت تقيم فى فندق جورج الخامس، وعندما التقينا، شعرت بذكائها، وهى تتطلع نحوي، أنها أمام إعلامي كان قد أقام نحو عشرين عاماً فى فرنسا، وأنه – بالتالي – أدرى الناس بهذا البلد وبتقاليده.



"كوكاتريكسى"، رئيس قاعة الاوليمبيا، محراب قمم الفن فى باريس وأوربا، يقبل يد أم كلثوم شاكراً لها، بعد أن أنهت حفلتها الغنائية الشهيرة هناك

ومن جانبي، أحسست بأنني أمام صوت عبقري، وبجانب ذلك، روح وطنية عالية، ذات قدرة على عطاء بلا حدود لبلدها، وهو الأمر الذى ترك فى داخلي انبهاراً بشخصيتها، إلى أن رحلت عن دنيانا عام ١٩٧٥.

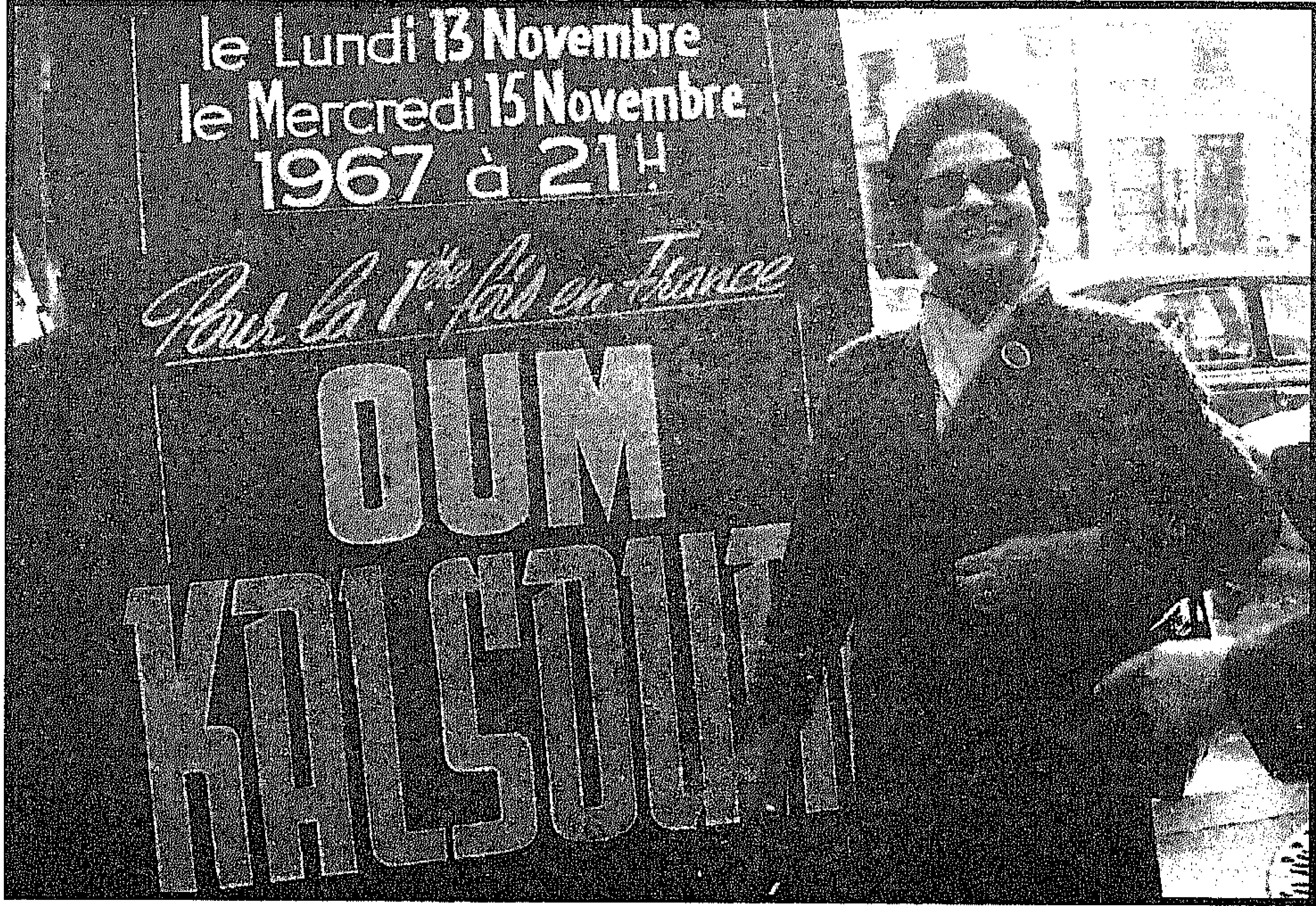
وأبادر فأقول، إن حكاية تلك الأيام التى قضيتها برفقة أم كلثوم، فى باريس، تحتاج إلى كتاب كامل، يستوعب أحداثها وتفاصيلها.. ولكنني أفضل أن أتناولها، من خلال خطوطها العريضة، وملامحها العامة فقط.

ويشاء الله، أن ينكشف سر هام بعد زيارة أم كلثوم لباريس، بنحو ١٥ عاماً، وهو أن دعوتها إلى العاصمة الفرنسية، لم تكن بناءا على تفكير تجاري، جاء من جانب "كوكاتريكس" صاحب قاعة الأولمبيا الشهيرة، للغناء،.. ولكن المبادرة بالدعوة، جاءت من الجنرال شارل ديجول، رئيس جمهورية فرنسا.. إذ إعترف كوكاتريكس بذلك، فى فيلم تم تصويره عن حياته، ولم يقدر له أن يراه، قبل رحيله عام ١٩٧٠.. فلم يكن العمل بالفيلم قد انتهى بعد.. ورآه "لوسيان بيترلان" الصديق الصحفي الفرنسي المعروف بصداقته للعالم العربي،..، وأفضى إليَّ، بأن مستشار الجنرال ديجول قد استدعى "كوكاتريكس" يوماً ليقول له، إن العرب قد خرجوا منهزمين من معركة يونيو ٦٧، وأنه لابد من خلق أحداث فى أوروبا ترفع من معنوياتهم،.. وبالتالي، أراد الجنرال ديجول أن يتبنى، هذا الحدث، وهو دعوة أم كلثوم، ومجيئها إلى باريس.

وحين أبدى "كوكاتريكس" قلقه من أن نسبة الحجوزات للتذاكر لم تكن كافية، وأبلغ قلقه هذا إلى معاوني الجنرال ديجول، كان الرد الجاهز، هو أن العرب ليسوا معتادين على الحجز قبل الحفل بأيام طويلة.. وأنك – هكذا ابلغوا كوكاتريكس – سترى بنفسك حينما يقترب موعد وصولها الفعلي إلى باريس، وكتب لوسيان بيترلان هذه القصة فى كتاب يعتبر وثيقة عن هذه الرحلة، وأهداه لي مع بعض تفاصيل أخرى ووضعت كل ذلك تحت تصرف الوزير الفنان فاروق حسني الذى أمر بإعطائه مكاناً مميزاً فى متحف لأم كلثوم الذى شرفت السيدة سوزان مبارك حفلة افتتاحه فى هذا المكان المتميز "مقياس النيل" من جانب الفنان فاروق حسني صاحب فكرة عمل متحف أم كلثوم واختيار مكان تاريخي يمثل لمسة فنان ولمسة وفاء تجاه هذه الشخصية التاريخية لمتحف أم كلثوم.

وبالفعل، فقد كتبت الصحافة الفرنسية، فى ذلك الوقت، عن الطوابير التى لم تكن تنتهى أمام شباك التذاكر، فى قاعة الأولمبيا، إلى حد أن أحد العرب قد هدد عاملة الشباك، بالسلاح، إذا لم تتصرف وتدبر له تذكرة !

كنت، بالطبع، ملازماً لأم كلثوم، قبل أن تصعد إلى خشبة المسرح، ورأيت بعيني، كيف أن القلق قد استبد بها، شأن كل الفنانين العظام، قبل أن يبدأ أي حفل لهم، أو قبل أن يكونوا على وشك إتمام عمل جديد.. إنهم، فى كل مرة، يرفعون درجة الاستعداد، والجهد، ليتأكدوا من نوعية الأداء، ومن النتيجة..



أم كلثوم أمام لافتة الإعلان عن حفلتها الشهيرة فى باريس، يومي ١٣ و ١٥ نوفمبر ١٩٦٧

وأذكر الآن، جيداً، ما حدث أثناء حفلتها الأولى، وكيف أنني كنت دائم التنقل ما بين الصالة، وما بين خلف ستار القاعة، وأنا أرى درجة حرارة وحماس جماهيرها، تتصاعد وتيرتها خطوة.. خطوة.. إلى درجة وصلت سكرة الإعجاب، فإذا بشاب مغربي يلقي بنفسه، تحت قدميها، ليقبلهما.. وكادت الجماهير تفتك به، حينما اهتز توازنها قليلاً.. وقد ساهمت، من ناحيتي، مع آخرين، فى جذبه بعيداً عن خشبة المسرح، وهى واقعة شهيرة، كتبت عنها الصحافة الفرنسية، يومها، فى صفحاتها الأولى، وأعطتها مساحات كبيرة، بالكلمة والصورة !

وإلى جوار مقعدي، فى الصالة، جلست مغنية فرنسية "مارى لافوريه"، كانت تستمع لأم كلثوم للمرة الأولى، ولم تستوعب – فى البداية، فن التكرار فى الأغنية العربية، وهى تتابع الآهات تتكرر على المسرح، من جانب أم كلثوم، ثم وهى تعيد، أكثر من مرة، أداء الكلمة.. إلى آخره.. وحينما اكتشفت المطربة

الفرنسية، أن التكرار فى كل مرة، يكون له أداء مختلف، وإيقاع مختلف أيضاً، مالت عليّ، وهمست فى أذني، قائلة: لقد فهمت.. وبدأت تتمايل مع أغاني أم كلثوم!!

وحين أنهت أم كلثوم، حفلتها الثانية، كان عليها أن تصعد إلى الدور الأول، فى القاعة، حيث كان السفراء العرب فى فرنسا، قد قرروا إهداءها ميدالية من الذهب الخالص.. غير أن الزحام الهائل، قد منعها من القدرة على الوصول إلى حيث كان من المقرر إهداؤها الميدالية، فاكتفت بأن ألقت كلمة قصيرة، تحية للذين قرروا أن يكرموها،.. وتلقت الميدالية، وهى تشكر السفراء الذين كانوا قد جعلوا الميدالية بأسمائهم، وأسماء دولهم، تقديراً لمكانة أم كلثوم.

وكنت قد أعددت عربة صغيرة، لأخذها بجانبي، بعد انتهاء الحفل، ومعها ابن شقيقها محمد الدسوقى، الذى كان يرافقها فى أغلب رحلاتها وأسفارها، وكانت هى ترتاح إليه نفسياً.. خرجنا من باب القاعة الجانبي، تجنباً للزحام الشديد، وحين وصلنا إلى الفندق، كان فى انتظارنا عدد من الأمراء العرب، كانوا قد جاءوا، ليعبروا لها عن سعادتهم، وليقولوا أنها، بالحفلتين اللتين أحيتهما، قد رفعت من معنوياتهم كثيراً.

أوصلتها إلى باب غرفتها، وأنا أودعها قائلاً: إلى غد إن شاء الله.

ولكنها نظرت إليّ، وقالت مبتسمة: إلى أين أنت ذاهب ؟! أننا لم ننته من عملنا بعد!

انتظرت قليلاً، لأراها تعود إلى صالون جناحها بالفندق، بعد أن بدلت ملابسها لتستمع إلى مقاطع مسجلة من الحفلتين، وتبدى ملاحظاتها على العازفين الرئيسيين فى فرقتها، مما زاد يقيني، باحترامها غير العادي، لفنها.. ولازلت، إلى اليوم، أقدم هذه الصورة الصغيرة، باعتبارها نموذجاً لأهمية احترام الأداء المهني، من جانب سيدة بلغت أعلى درجة من درجات السمو، فى فنها، وادائها، وتأثيرها على جماهيرها، إلى الشباب كقدوة ونموذج لاحترام واتقان المهنة.

وبطبيعة الحال، فإنه مما ضاعف من حماس الجماهير لها، وإعجابهم بها، هو شعورهم بأن زيارتها لباريس، كانت جزءاً من جولة كبيرة، زارت خلالها عدداً كبيراً من العواصم العربية، وغير العربية، لتشد من أزر الأمة، بعد النكسة، ولتدعم المجهود الحربي، من أجل معركة التحرير.



الدكتور علي السمان مع أم كلثوم فى المؤتمر الصحفي
الذى أنعقد بعد انتهاء حفلاتها الشهيرة فى باريس عام ١٩٦٧

وبعد عودتها إلى مصر، توطدت بيني وبينها مودة كبيرة، بل صداقة وثيقة، ولاحظت أن لها طقوساً فى ممارسة المودة أو الصداقة، وهذه الطقوس هى حرصها على استمرار حبل الاتصال قائماً، بينها وبين من تثق فيهم وتمنحهم صداقتها ومودتها.

وقد تعودت، من جانبي، أن أبادر إلى الاتصال بها، عند كل عودة لي، إلى مصر، وأن أزورها.. وأشهد الله، أن شيئاً لم يكن يشغل هذه السيدة الكبيرة، منذ ٦٧، قدر انشغالها الدائم بهموم الوطن، وبمستقبله، وبقدرته على أن يدفع عن نفسه آثار الهزيمة،.. وكان كل ذلك يستغرق الجانب الأعظم، من حديثنا، فى كل زيارة كنت أقوم بها لها، فى بيتها، كلما كنت متواجداً فى القاهرة.

وكان حبها لجمال عبدالناصر، واضحاً، وكانت تعبر عنه كثيراً، كلما التقيت بها، وكانت تقول، بتلقائية، أنها شديدة القلق على الرئيس، من الهموم التى يحملها فوق كتفيه.

وكانت روح الدعابة، جزءاً من شخصيتها، وكانت تكره النكد، ومن دعاباتها الدائمة، معي، أنها كانت تقول لي، فى كل مرة تراني فيها: إذا أردت أن تتزوج من مصر.. أخبرني أولا.. لأني عارفة كل الناس!

وذات مرة، كنت فى مصر، وعلى غير عادتي لم أتصل بها.. وعند مدخل فندق الهيلتون، وجدتها أمامي، فسارعت إليها، فإذا بها تداعبني بقولها: قف مكانك.. منذ متى حضرت؟

قلت: من يومين.. وللأمانة فأنا ضحكت عليك فى "يومين تانيين" !!

وقالت بدلال: ليس لنا كلام هنا.. اطلبني وسوف نرى !

هذه، من وجهة نظري، أم كلثوم، الإنسانة، ورمز عبقرية الفن، وصديقة منْ يصادقها.

ولن أنسى أبداً، وجهين إعلاميين بارزين، رافقا أم كلثوم فى رحلتها تلك، وكانا على علاقة مميزة بها.

أولهما جلال معوض، هذا الإذاعي التاريخي، ذو القدرات المهنية العالية، .. وقد كان إعجابه بأم كلثوم، فى رأيي، مؤثراً فى كل كلمة قالها من باريس، أثناء الزيارة.. ولقد اكتشفت أنه بجانب دوره الإعلامي الرفيع.. كان مناضلاً سياسياً فى كل معارك جمال عبدالناصر.. وقد سعدت بمعرفته، ولم أعرف زوجته، الفنانة ليلي فوزي رحمها الله، إلا بعد ذلك بسنوات طويلة، فى بدايات التسعينات، عندما تعرفت عليها من خلال الفنانة وردة الجزائرية.. وكان من الطبيعي أن يلفت نظري، قدرتها على الحفاظ على نفسها، وعلى جمالها.. وأيضاً كانت تعبيراتها، وهى تتكلم، بالقدر المطلوب، لا أكثر ولا أقل.. وقد لمست فيها استمرار الوفاء لذكرى زوجها، .. وبدت لي حياتها، دون أن أسألها عنها، وكأنها ساعة منضبطة، فى غذائها، ونومها، وفى ممارستها لرياضتها.. أقول ذلك، باعتبارها نموذجاً حياً للطموح المشروع لأى سيدة، فى أن تحافظ على صحتها، وعلى نضارتها بالتالي حتى آخر لحظة.

أما صاحبة الوجه الثاني، فقد كانت المذيعة الراحلة، ذات الوجه الجميل البريء، الهادي: سلوى حجازي.. من النوع الذى يؤثر فى محدثها، وكانت تحترم نفسها إلى أبعد حدود الاحترام، وتختار المكان الذى تذهب إليه، وتختار الكلمات التى تنطق بها، وكذلك نبرة الصوت.. وما هو أهم، أنني لاحظت أنها لا تتواجد، إلا حيث ينبغي أن تتواجد، رغم أنها كانت إعلامية نشطة ومتحركة.

ولم أسمع عنها، بعد ذلك، إلا حين وقعت المأساة، عندما لقيت مصرعها فى حادث طائرة، فى فبراير ١٩٧٣..



د. علي السمان مع أم كلثوم، بعد حفلتها الأولى فى باريس، وعلى يمينها تبدو المذيعة الراحلة سلوى حجازي

وكان من الصدف السعيدة، أن أستقبل، قبل عام مضى، عائلتها، وهى تحاول أن تقيم دعوى فى الخارج ضد إسرائيل، التى أسقطت طائرة المذيعة، قبل حرب أكتوبر، بشهور.. تلك الطائرة الليبية، التى كانت قد طارت من ليبيا، إلى القاهرة، لتسقط فجأة فوق الأراضي المصرية المحتلة فى ذلك الوقت.. وقيل كلام كثير، وقتها، واليوم، عن أن صاروخاً إسرائيلياً، أطلق على الطائرة، وهى فوق رمال سيناء.. ولقد طلبت من محام صديق، فى فرنسا، دراسة القضية، والإطلاع على أوراقها، ليعطيني رأيه، .. وهو - بالمناسبة - عضو هام فى البرلمان الفرنسي.. وبعد أسبوعين، جاءني المحامي الصديق وإسمه "اجزافييه دى رو" وكان رأيه، أنه من الصعب كسب الدعوى، من خلال الأوراق المتوافرة لها.. وأن احتمالات حصول ورثة المذيعة، على تعويض، ضعيف.

وقد لاحظت أن كريمتها، التي جاءتني لتطلعني على ظروف وأوراق الدعوى، تشبه أمها إلى حد كبير، هدوءاً وتهذيباً.. وعندما رأيت الابنة، تذكرت على الفور، كيف كان صوت الأم، وهى تغطى رحلة أم كلثوم، يبدو وكأنها تغني من الفرحة.



• د. علـــي السمـــان مـــع أم كلثـــوم فـــى حديقـــة اللوكسمبرج فـــى قلـــب الحي اللاتيني، بعد انتهاء حفلاتهـــا الشهيـــرة فـــى باريس.. نوفمبر ١٩٦٧

ولم أفاجأ، بالتالي، وأنا أعرف فيما بعد، أن هذا الصوت العذب، صوت سلوى حجازي، الذى رافق أم كلثوم، كان أيضاً صوت شاعرة، تركت وراءها، ديوان شعر يدل على أنها كانت صاحبة حس مرهف.

أما فاروق إبراهيم، المصور المعجزة، فقد كان هناك أيضاً، إلى جوار أم كلثوم، وكنا قد اعتدنا، قبل تلك الرحلة، وبعدها.. أن نراه إلى جانب أم كلثوم، وحولها، فى كل مكان، وكل وقت، يصوب إليها كاميراته، ويلتقط لها صوراً نادرة، تجمع بين الفن والحرفية العالية، لسيدة الفن، فى بلاد العرب.

الفصل الثالث عشر

اللقاء الثاني والأخير.. مع عبدالناصر

تنفيذاً لتوجيهات الرئيس جمال عبدالناصر، عند أول لقاء لي معه، كان علي أن أحضر إلى القاهرة، من باريس، أكثر من مرة في العام، لمتابعة الأمور باعتباري مسئولاً عن مواجهة دعايات العدو، إعلامياً، فى الخارج، بعد ٦٧.

وقد حدث، أن جئت إلى القاهرة، وقت أن كان الكلام دائراً، حول بيان مارس ١٩٦٨ وطموحه الذى كان يضع أسس بداية انفتاح سياسي.. وبالصدفة حضرت مؤتمراً نظمه الاتحاد الاشتراكي، فى المنصورة، وكنت حاضراً كملاحظ، لا دخل له مع الجماهير الحاضرة، ولا حتى مع القيادة المنظمة والموجودة في المكان وعلى رأسها عبد المجيد فريد أمين عام رئاسة الجمهورية.

وبالمناسبة كنت أكن لعبد المجيد فريد كثيراً من التقدير، منذ أن كان مسئولاً عن أمانة القاهرة، ومعه أمين عز الدين، وهو قيادة عمالية نقابية، أقدرها وأحترمها كثيراً، وأعجبني فيه إيمانه بالعمل الجماهيري الفعلي، وكانت له شعبية كبيرة، وعمل في الماضي، مستشاراً عمالياً بسفارتنا في باريس، فتوثقت علاقتي به، منذ ذلك الحين.

من هنا، كان عبدالمجيد فريد، من ناحية، وأمين عز الدين، من ناحية أخرى، مصدرين أساسيين أتابع من خلالهما، تطور واقع العمل الشعبي.

وكنت شديد الإعجاب بعقلية عبدالمجيد فريد، التنظيمية، عندما كان أميناً لرئاسة الجمهورية، مع جمال عبدالناصر.. ففي كل رحلة من رحلات الرئيس، كان كل فرد يعرف طريقه، ودوره، وحتى واجباته.

وكان ترددي على القاهرة، في تلك الأيام، من الفرص النادرة، التي لمست فيها عن قرب، رد فعل ونبض الشارع، وعن أهمية دور الاتحاد الاشتراكي خاصة أثناء المؤتمرات التي كان عبدالناصر يحضرها.

ولا يمكن أن نتحدث عن الاتحاد الاشتراكي، دون أن أذكر واقعة أراها مهمة في هذا الإطار.. ففى عام ٦٩، على وجه التقريب، ذهبت أقيد نفسي عضواً في نقابة الصحفيين، وفوجئت بأن من بين الأوراق المطلوبة باعتبارها شرطاً للقيد، شهادة تفيد عضويتي في الاتحاد الاشتراكي.. ولم أكن عضواً فيه، ولا كنت أسعى إلى ذلك، ولما أبلغت الزملاء المسئولين عن القيد بالنقابة، بذلك، أشاروا علي بأنه

يمكن الحصول على هذه الشهادة، بسهولة، من مقر مبنى الاتحاد الاشتراكي على النيل، بجوار فندق الهيلتون، وهو مقر الحزب الوطني الديمقراطي اليوم.

وكان ردي إنه إذا كانت العضوية بالاتحاد الاشتراكي، بهذه السهولة، فلا داعي لها، ولست أريدها.. فلا أريد أن أكون عضواً لا دور له، ولا انتماء لديه لفكرة محددة، داخل الاتحاد الاشتراكي.

وتصادف أن كان الصديق المرحوم الدكتور يوسف إدريس، من بين المسئولين عن لجنة القيد في نقابة الصحفيين، فبادر بالقول بأنه لا مشكلة وأشار بضرورة قيدي بالنقابة، على أن أوراقي مكتملة، فإذا تنبه أحد، مستقبلاً، بأن الملف ينقصه هذه الشهادة من الاتحاد الاشتراكي، فمن السهل - عندئذ- الحصول عليها، وضمها إلى الملف أو استبعاده من النقابة..!

والغريب أنني فوجئت، في اليوم التالي، بأحد معاوني الرئيس عبدالناصر، يتصل بي تليفونياً، وفى وقت مبكر، ليقول لي: يا دكتور علي.. الاتحاد الاشتراكي ليس تهمة، حتى ترفض أن تكون على قوائمه.

وأجبته وأنا أقول: بصراحة، إن فهمي لطبيعة أحزاب الغالبية الحاكمة أنها تأخذ أكثر مما تعطى، لأن قضية الوصول إلى السلطة، بالنسبة لها، قد تمت، ولا مشكلة فيها، فهل لديكم مانع من أن يكون تعاوني معكم، أن تأخذوا مني، ما أستطيعه، دون انتظار لعائد لي ؟!

وتم قيدي، فعلاً، فى النقابة.

وفى الإسكندرية، جاءت فرصة اللقاء الثاني والأخير عندما كنت فى قصر المنتزه، لمتابعة عملية الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس، ودخلت إلى القاعة التى كان الرئيس عبدالناصر يصوت فيها، ووجدتني فجأة، فى مواجهة الرئيس، عن بُعد.. ولما رآني أشار لي، بإصبعه، بأن أقترب.. وبنظرة أعترف أنها كانت محملة بالمودة، قال لي: كيف تسير الأمور منذ التقيت بك فى بيتي ؟

وطمأنته بأن الإعلام الغربي، رغم أنه لا يزال واقعاً تحت التأثير الإسرائيلي، إلا إنه بدأ ينظر إلينا نظرة احترام، بعد أن وصلته أخبار حرب الاستنزاف، وبعض العمليات الفدائية.

وقال لي عبدالناصر: اطمئن، أنا أتابع ما تعمله في باريس.



اللقاء الثاني للدكتور علي السمان مع الرئيس عبد الناصر، بعد التصويت على الاستفتاء على بيان ١٨ مارس ١٩٦٨

وكانت هذه الكلمات القليلة، من رئيس الجمهورية، تستحق مني أن أتوقف مرة أخرى، أمام أسلوب العمل الذى كان السيد سامى شرف، سكرتير الرئيس لشئون

المعلومات، يتبعه مع جمال عبدالناصر.. كان يعرض عليه كل شئ، ويحيطه بكل شئ، حتى ولو كانت الدائرة التى كنت أتحرك فيها في باريس، في نهاية المطاف، دائرة محددة متواضعة، داخل مصنع كبير للدولة ولا أزال احتفظ فى أوراقي، بخطاب وصلني إلى باريس، فى ذلك الوقت، من السيد سامى شرف، يقول لي فيه: إن أخباراً تصلني، من وقت لآخر، أن هناك مناورات تبغي عرقلتك، وتريد أن تعوق تحركك، بدافع من الغيرة والحقد.. وإني أنصحك، وبشدة، بألا تلتفت إلى شئ من ذلك، وأن تمضى فى عملك، .. وكن على ثقة، بأن الرئيس عبدالناصر، على علم بكل شئ، يتعلق بك، وفى رسالة أخرى فى ٨ يناير ٦٩ بخط يده - وكان نادراً ما يكتب – قال لي "لا تنتظر توجيهات ولا رأى ولا تلتفت للوراء"..

وقد فهمت فى لقاء لي مع سكرتير رئيس الجمهورية لشئون المعلومات، ومن مصادر أخرى، أنه كانت هناك محاولات كثيرة، ومناورات، ودسائس، من كثيرين، بقصد الإيقاع بي عند رئيس الجمهورية، ولكنها، جميعها، لم تؤد إلى شئ، ولم تنجح فى الإقلال من فاعلية دوري، ولا من حجم جهدي، وهذه المصارحة والمكاشفة كانت سبباً، مع أشياء غيرها، فى ترسيخ أسس علاقة قوية، ربطت بيني، وبين سامى شرف، الذى مازلت حريصاً على أن أكون على صلة دائمة به، وأن أطمئن عليه.

وقد كان هذا جزءا من طبيعتي، التى تأبى أن تتخلى عن علاقتها بقيادات كثيرة، تترك مواقعها.. فأظل محتفظاً بعلاقتي بهم كما كانت وهم فى مواقع الحكم.

ومن المناسب، هنا، أن أقول لشباب اليوم، أنه من الخطأ أن نحكم على عهود مضت، دون أن نقيمها تقييما موضوعياً، وجاداً، ودون أن نضعها فى ظرفها المحلي، والإقليمي، والدولي وقتها وأن نتفادى تعميم الأحكام.

وفى وقت من الأوقات، نصحني السيد سامى شرف، بأن التقى بالفريق محمد فوزي، الذى قاد جانباً مهماً من حرب الاستنزاف..، وكانت زيارتي له، وهو فى سرير المرض.. وقد شعرت، وأنا أزوره، والقادة يتوافدون عليه، بالحزم، والصرامة غير العادية التى كان يتسم بها.. وراودني إحساس - ساعتها – بأن جيش مصر، قد أنتقل من مدرسة إلى مدرسة أخرى، قيادياً.. وفهمت بعدها، لماذا قال لي الفريق كمال حسن علي، الذى كان قائداً للمدرعات فى حرب أكتوبر: لقد ظُلم الجيش

المصري فى ٦٧.. عندما حاسبوه على معركة لم يقم بها.. لقد كان ضحية حسابات سياسية خاطئة، وانغماس القيادة العسكرية فى معارك الصراع الداخلي.

لقد رأيت، كيف أن محمد فوزي، وهو فى سرير مرضه، كان يوجه، من مكانه، ويعطى الأوامر.. ولا أخفى أنني شعرت بنوع من التفاؤل، وأنا أرى ذلك، وأيقنت بأن ما يقوم به، هو ورجال القوات المسلحة، سوف يؤدى بنا حتماً إلى النصر.. ورغم أن هذا الباب، ليس هو موضوع الحديث عن حرب أكتوبر، إلا أنني أقول أن حرب الاستنزاف، باستراتيجيتها، ومَنْ قادوها، من جمال عبدالناصر، إلى الفريق فوزي، كوزير للحربية، إلى حافظ إسماعيل كرئيس للمخابرات، هى جزء لا يتجزأ من نصر أكتوبر، فيما بعد.

وحتى لا ننسى، لابد أن نذكر أهمية تجنيد شباب الجامعة، فى تلك المرحلة، لمدد غير محدودة، ودورهم فى إعطاء مستوى أداء يتناسب مع المطلوب للمعركة من تطور وتطوير، ولا ننسي أن هذا الشباب الجامعي دخل الجيش وهو يعلم أنه لن يخرج قبل تحرير الأرض.

وبطبيعة الحال، وبحكم ما كان يربطني، بالعملاق حافظ إسماعيل، رئيس المخابرات العامة، وسفيرنا السابق فى باريس، من صداقة قوية، فقد كنت فى كل مرة، أحضر فيها إلى القاهرة، أتناول الغداء فى بيته، بدعوة كريمة منه، وكنا نتبادل، كما تعودنا، الافكار والمعلومات "المتاحة".. وكان حافظ إسماعيل يعطيني الانطباع بأنه يتحرك على كل شبر من أرض مصر، وهو يحمل هموم هذا الوطن، وآماله، وطموحاته، وخططه للمستقبل، فوق كاهله.. وكنت، من متابعتي، أشعر بمدى الثقة غير العادية التي كان الرئيس عبدالناصر، يمنحها إياه.. وأشهد الله، كصديق، أنه كان صامتاً، فيما كان ينبغي أن يحتفظ به من أسرار.. وعلمت منه، أن الرئيس عبدالناصر، كان يلتقي بأعداد كبيرة، من رجال الجيش، لكي يتابع بنفسه، انطباعهم عن خطط الإعداد العسكري لهم، .. وكان عبدالناصر يفعل ذلك، طوال سنوات حرب الاستنزاف، رغم الظروف الصحية السيئة التى كان يمر بها.

وقد فهمت، وأنا أسمع ذلك – ومسئولية التفسير تقع عليَّ وحدي – أن هذه السنوات مثلت أيضاً، استعادة قيادة جمال عبدالناصر الفعلية، على القوات المسلحة.. لقد شاء تنظيم الدولة، قبل ٦٧ أن يعتبر جيش مصر، من اختصاص المشير عبدالحكيم عامر.. وحده !!.. دون أن ينازعه فيه أحد، حتى ولو كان هذا الأحد، هو رئيس الدولة !

الفصل الرابع عشر

حوار مع أكبر جنرال فرنسي

مسئول عن العدوان الثلاثي سنه ٥٦

ذات يوم، من أيام عام ١٩٦٩، ذهبت إلى "نادى الحلفاء" فى باريس، لأستمع إلى محاضرة، كان سيلقيها الجنرال "بوفر" رئيس أركان حرب الجيش الفرنسي، أثناء عدوان ٥٦، ورئيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى العاصمة الفرنسية، وقت إلقاء المحاضرة.

وبالمناسبة، فإن نادى الحلفاء، كان نادياً للأرستقراطية الفرنسية، وكان نادياً للعائلات الفرنسية القديمة، ورجال الدبلوماسية. وكان له نشاط ثقافي دائم.. وموقعه فى قلب باريس، على بعد خطوات من قصر الإليزيه للرئاسة الفرنسية.

وقد أحسست، أثناء المحاضرة، أن الجنرال "بوفر" يستقي معلوماته، من مصادر واحدة، هى فى الغالب مصادر إسرائيلية.. ووجدت أنه من الضروري أن أسأله سؤالاً محدداً، هو: فى رأيك، ما هى الأسباب الحقيقية لحرب السويس، بعيداً عن موضوع تأميم شركة قناة السويس ؟!

وكان جوابه كالتالي: من حيث الواقع والتاريخ، فإن فرنسا ذهبت إلى مصر، وهى تحارب، من أجل تصفية حسابات مع جمال عبدالناصر، الذى كان الحليف الأول، فى رأيها، لثورة الجزائر، خاصة بعد إكتشاف المركب "أتوس" قرب شواطئ تونس، وهى تحمل سلاحاً إلى الجزائر عام ١٩٥٦.

بالتالي، فإن حكومة "جى موليه" الفرنسية التى كانت تتمسك بقوة، بأن الجزائر جزء من الجمهورية الفرنسية، ولم تكن تريد أن تتنازل عن ذلك أبداً.. هذه الحكومة، ومع استمرار ثورة الجزائر، كانت تعتبر أن ضرب جمال عبدالناصر، قد يفيدها فى حرب الجزائر.. ذلك أن ضرب عبدالناصر، كان يمثل تحطيماً لحليف كبير ومهم، لجبهة تحرير الجزائر.

أما إسرائيل، ثانية الدول التى شنت حرب ٥٦ على مصر مع إنجلترا وفرنسا، فكانت ترى أن الظروف ليست فقط مواتية لضرب عبدالناصر، وحده، وانما مواتية أيضاً لضرب مشاعر القومية العربية، وقدرة عبدالناصر على تحريك الجماهير.. خاصة بعد أن كان عبدالناصر بدأ يكوّن نواة لجيش قوى، بعد اتفاقية "براغ" عام ١٩٥٥، لتوريد السلاح إلى مصر من الكتلة الشرقية، وهى اتفاقية تفاوض فيها حافظ إسماعيل، بصبر واقتدار.. وكان الغرب بصفة عامة يعتبر أن وصول أسلحة شيوعية، إلى أرض المنطقة، خطر كبير.

أما إنجلترا، فربما أنها كانت – هكذا قال الجنرال "بوفر" وهو يجيب على سؤالي – تتوقع علاقات جيدة، مع عبدالناصر، بعد توقيع اتفاقية الجلاء معه.. ولكنها فوجئت بأن خطابات عبدالناصر الثورية، بدأت تسبب مشاكل لها، وبالذات فى مناطق استراتيجية بالنسبة لإنجلترا، مثل عدن، التى دفعتها خطابات عبدالناصر إلى المطالبة بطرد الجيوش البريطانية.

ثم قال بوفر: تلك كانت هى الأسباب البعيدة التى سهلت – من وجهة نظري – خلق تحالف بين الدول الثلاث: إنجلترا وفرنسا وإسرائيل، لضرب مصر.

وكنت قد قدمت له نفسي، وأنا اسأله، باعتباري صحفياً مصرياً.. فقال وهو يعقب على تحليله، للأسباب البعيدة لحرب ٥٦.. قال: على كل حال، فإنه شئ جيد، أن يأتى إنسان مصري، ليستمع بموضوعية، إلى رجل ارتبط إسمه بحرب ٥٦.

وبمجرد انتهاء المحاضرة، اتجه نحوي، وحياني وقال: الآن جاء دوري لأسألك عن رأيك فى المحاضرة ؟

قلت له: أقول لك، بكل صراحة، أن إحساسا عميقاً قد ترسب عندي، كباحث، وأنا أستمع إليك، وأنت تتكلم عن الشرق الأوسط، بأن مصادر العلم بالشيء، بالنسبة لك، غير متوازنة.. بمعنى أنها من طرف واحد، وهو بطبيعة الحال حليف الأمس موشى ديان !!

رد الجنرال بوفر قائلاً: فى هذه النقطة، أنا لا أعارضك، ولكن على المصريين، إذا شاءوا، أن يقيموا هذا التوازن المفقود !

وهنا، لمعت فى ذهني فكرة وجدتها ضرورية، وهى: لماذا لا ندعوه إلى مصر، لتسمع أذنه الثانية، وجهة نظر أخرى ؟!

ثم تبادر إلى ذهني سؤال: ماذا يمكن أن يقال للقيادة السياسية فى مصر، لتبرير أهمية دعوة قائد العدوان الثلاثي، لزيارة مصر ؟

وهنا، ومرة أخرى، أعود إلى أهمية عنصر الاطمئنان والثقة، بين مواطن يريد، فى نهاية المطاف، أن يخدم بلده، وبين القيادة السياسية..

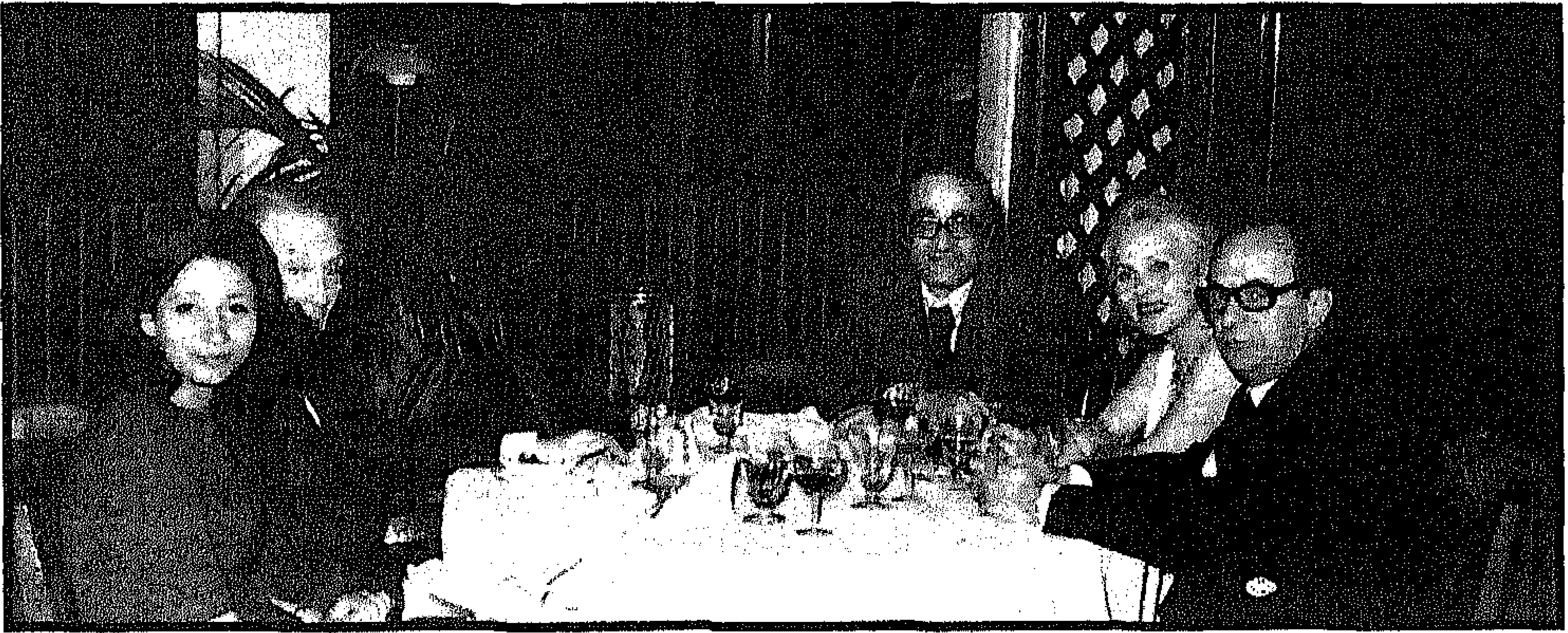
ووجدت نفسي أكتب خطاباً، أوجهه إلى السيد سامى شرف، أشرح له، وجهة نظري، فى مشروع دعوة الجنرال "بوفر" الذى كانت له، فى ذلك الوقت، أحاديث كثيرة، ومقالات، فى الصحف الفرنسية، وفى كل أجهزة الإعلام.

وكتبت إلى السيد سامى شرف، أقول له، أنني – بكل تواضع – اعتبر بصفة عامة، أن العسكريين ليسوا مسئولين عن قرار الحرب،.. وأن المسئولية تقع على

الحكومة السياسية المدنية.. وأن رجل الجيش لا يملك إلا أن ينفذ قرار الدولة، ممثلة فى حكومتها وبرلمانها.

وكانت المفاجأة، أن رد القيادة السياسية، بقبول الفكرة، جاءني فى وقت قصير جداً.. وكان ذلك معبراً عن درجة عالية من الوعي السياسي.

وحين سألوني، فى مصر، عن الجهة الأمثل، التى يمكن أن توجه هى الدعوة، للجنرال بوفر، كانت نصيحتي أن يكون مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، هو الجهة الداعية.. وهو مركز كان يديره، فى ذلك الوقت حاتم صادق، صاحب العقلية المنظمة الهادئة، والذى كان يتسم بتواضع جم، حتى فى ظل وجود حماه، جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية، وكانت علاقتي به قد توثقت حينما قدمه لي سامي شرف بخطاب فى ١٥ أبريل ٦٩ يوضح فيه، أن أساعده فى مهمته بباريس كشخصي..، أى أنه لا يريد أن تجند السفارة لخدمته..وأكتشفت فى حاتم صادق الرغبة الشديدة فى العلم والمعرفة بأسلوب منهجي وعصري.



د. علي السمان.. وعلى يمينه الجنرال الفرنسي "بوفر" ثم الدكتورة ليلي الخواجه ..
وعلى شماله مدام بوفر، والسفير برونو دولوس، سكرتير عام وزارة الخارجية الفرنسية السابق

وحين جاء موعد زيارة "بوفر" إلى مصر، كان قد مر نحو عام، على مولد علاقتنا، التى توثقت بسرعة، وكنت أزوره فى بيته، وتعرفت على زوجته جاكلين، التى كان لها أسلوب مرح وساخر فى النظر للأمور.. وتعرفت أيضاً على أبنته "فلورانس" التى كانت صحفية فى المجلات الفرنسية النسائية.. ثم على أبنه "رولون" وكان بدوره مصوراً فناناً.

وقد رافقته فى الرحلة إلى مصر، وعند وصولنا إلى مطار "البورجيه" الفرنسي، لم تستطع زوجته جاكلين، إلا أن تداعبه وهى تقول: ألا ترى أن رحلتك لمصر، هذه

المرة "أكثر شياكة" وراحة، من رحلتك الأولى، أثناء الحرب.. ها هو سفير مصر يودعنا فى المطار، وسوف يستقبلوننا بالورود فى مطار القاهرة، حينما نصل، ولن يهددنا أحد، ولن نهدد أحداً.. وسنمضي وقتاً مفيداً وسعيداً.. أرجو أن تعترف، بأنها رحلة أكثر ذكاء، من رحلة السويس.. عام ٥٦.

وأجاب "بوفر" باسماً: من الصعب رفض وجهة نظرك، لاسيما إذا كان الهدف الاستراتيجي، فى النهاية، هو الوصول إلى مصر.. وأعترف أن هذه المرة ستكون بلا خسائر !!

وللحقيقة، فإنه لحظة وصوله، ولقائه مع الأستاذ محمد حسنين هيكل، توثقت العلاقة بينهما، لأن بوفر كان فى النهاية، له أسلوب الدارس الجاد، المهتم بالوثائقية.. وقد شعر، بأن الأستاذ هيكل، فى هذا المجال، لديه ثروة وثائقية كبيرة عن الشرق الأوسط.

وكان مستوى التنظيم، للقاء بوفر، مع كثير من المختصين والمفكرين والكتّاب، جيداً، ومتميزاً.. وهو تنظيم بذل فيه الدكتور حاتم صادق، جهداً هائلاً.. وكان إلى جانبه مجموعة عمل على رأسها السفيرالمرحوم سميح صادق، مستشارنا السابق فى السفارة المصرية فى باريس، وقد قام بدور كبير، أثناء الزيارة، بإجادته للإنجليزية والفرنسية، وبمعرفته الواسعة بتاريخ العلاقات الدولية.

وأعتقد أن الجنرال بوفر، قد أعطى خلاصة ما لديه، من فكر، عن دور الدول الكبرى فى الشرق الأوسط، وعن التوازنات الدولية، وعن التسليح فى المنطقة.. وأقول أيضاً، وبصراحة، إنه كان اكتشافاً هائلاً له، حين التقى بالوجه الجديد لجيش مصر، بعد أن صقلته مرحلة حرب الاستنزاف واستطاع أن يقف على قدميه تدريباً وتعاملاً مع الأسلحة الحديثة.

وحينما نظرتُ إلى عيني "بوفر" لم أرْ أثراً لروح كراهية، من عدو سابق..

أقول ذلك، لأنه كان بالنسبة لنا، من وجهة نظري، عدواً فنياً.. بمعنى أنه كانت لديه مهمة تلقى أوامر يقوم بتنفيذها، ولم يكن يملك إلا أدائها.. ثم جاء اليوم الذى أكتشف فيه، الوجه الحقيقي لمن حاربهم بالأمس.

وقد أبدى الجانب العسكري، الذى التقى به، من عندنا، مستوىً راقياً من العلم العسكري، فى ملاحظاته وكلماته، وبالذات الأخ والصديق اللواء أحمد فخر، الذى كان زميل شباب فى طنطا الثانوية، والذى نظم فيما بعد عام ١٩٩٨، ندوة كبرى، اتسمت بالجدية والثقل والرؤية المتعمقة، وكان تنظيمها فى ذكرى مرور ربع قرن على حرب أكتوبر.

ثم كان على الجنرال "بوفر" أن يزور مصر، للمرة الثانية.. ولكن بعد أن كان السادات قد وصل إلى الحكم، وأصبحت الجهة الداعية، وهى الجيش المصري ومؤسساته العلمية، بدون أى عقدة تجاه الماضي.. وعلى ذلك، استقبله، من البداية إلى النهاية، الفريق أحمد إسماعيل علي.. وأذكر أنه كان هناك استعراض كامل، لحرب السويس، بموضوعية وعلمية فائقة من الطرفين، خلال هذه الزيارة الثانية.. وكان الفريق أحمد إسماعيل علي، الذى أصبح مشيراً بعدها، كريماً فى استقبالي، ومقدراً لدوري فى توثيق العلاقة بالجنرال بوفر، لدرجة أنه دعاني، عند استقبال القادة العسكريين لبوفر، إلى أن أكون على يساره، وأن يجلس "بوفر" على يمينه.

وفى مرحلة من مراحل اللقاءات المتواصلة، بين "بوفر" وبين القادة العسكريين، طلب مني الفريق أحمد إسماعيل علي، ما كنت أرفضه دائما وهو الترجمة من وإلى الفرنسية والعربية.. إذ كان اعتقادي الراسخ، أنه لا يكفى أن تجيد الفرنسية والعربية لتترجم بينهما.. فالترجمة حرفة، تحتاج إلى معرفة عالية، بالتكنيك، وتحتاج أيضاً إلى ممارسة لها لا تنقطع

وحين تكون الترجمة، على مستوى قيادي، مثل "بوفر" أو أحمد إسماعيل علي، فإن الترجمة لا تنقل الكلمات فقط.. وإنما قبل الكلمات، تنقل روح المناقشة.. بل يمكن أن تنقل روح المودة أيضاً.

وحين عاد بوفر إلى فرنسا، توثقت العلاقة أكثر، بيننا، فى وقت كان قد صدر قرار باختياري مديراً للإعلام الخارجي، برئاسة الجمهورية، بجانب الرئيس السادات، بالإضافة إلى موقعي كرئيس لمكاتب غرب أوروبا للإذاعة والتليفزيون وأنباء الشرق الأوسط.

وعندما يأتى الكلام عن حرب أكتوبر، سنتعرض بطبيعة الحال، لهذه المرحلة، من مهامي الإعلامية فى باريس وأوروبا، التى كانت موازية لمهامي بجانب الرئيس السادات...

وحين أراد الله للجنرال "بوفر" أن يموت، كان فى زيارة ليوغسلافيا، ووضع الرئيس اليوغسلافي (تيتو)، تحت تصرف فرنسا، طائرة خاصة، تحمل الجثمان إلى مطار البورجيه فى باريس.. ولن أنسى أن مراسم الاستقبال والوداع العسكري للجثمان كانت منظمة ومهيبة.. وكان التقليد الفرنسي يقضى بأن يكون هناك إلى جانب الجثمان، مكان يجري تخصيصه للعائلة، وهى تمشي وراءه إلى مثواه الأخير.. وكانت مفاجأة من مدام "بوفر" لي، وهى تصر على أن يكون مكاني،

أثناء الجنازة، معها ومع أبنائه، فى المكان المخصص لهم.. وقد نظر رئيس أركان حرب الجيش الفرنسي نحوي، بدهشة، وهو يجدني بين أفراد العائلة فى المكان المخصص لهم فقط، وكأنه لا يفهم مبرراً لوجودي بين أفراد أسرة "بوفر".. فقالت مدام بوفر، وهى تخاطبه: أنا أعلم جيداً، أين مكان علي السمان، بالنسبة للجنرال الراحل.. مكانه كان فى قلب زوجي.. وبالتالي فهو، هنا، فى مكانه الطبيعي تماماً.

وقد ذهبت زوجته، بعد رحيل "بوفر" لتعيش فى المغرب، وتحديداً فى منطقة طنجة، على الساحل، شأن بعض الفرنسيين.. وحتى الآن تربطني بها، وبأبنائها، كما عودت نفسي دائماً، مع مَنْ أعرفهم، حبل من المودة يظل على اتصال لا يعرف الانقطاع.

الفصل الخامس عشر

شاهد على أحداث ١٥ مايو

لا يمكن الحديث عن ١٥ مايو ١٩٧١، وما حدث فى ذلك اليوم، دون الإشارة إلى الخطاب الذى ألقاه السادات، فى يوم أول مايو، أى قبلها بأسبوعين، وهو خطاب لا ينساه كثيرون، لأن السادات هاجم فيه، لأول مرة، مراكز القوى، فى وجودهم بجانبه فى الاحتفال بعيد العمال، الذى يقام أول مايو من كل عام.

ويذكر الذين عاشوا ذلك اليوم، أو حضروا الحفل، أن العمال الذين جاءوا لحضور الحفل، فى حلوان، رفعوا صوراً لعبدالناصر، طوال وقائع الحفل، وأن السادات ختم خطابه، بعبارة أضافها من عنده إلى نص مشروع الخطاب، الذى كان قد كتبه، فى حد علمي الأستاذ محمد حسنين هيكل.. وكانت العبارة تقول: لن أسمح بتكوين مراكز قوى تؤثر فى القرار السياسي.

كنت حاضراً هناك، ولاحظت بعد انتهاء الحفل، علامات المفاجأة والدهشة، على وجوه معظم رجال عبدالناصر.. وفوجئت بعد فترة قصيرة من الزمن .بصديق شبابي أحمد يونس، الذى كان زميلي فى طنطا الثانوية، وكان من زعماء شباب المدرسة، وأصبح فيما بعد، عضواً بمجلس الشعب، عن محافظة البحيرة، ثم رئيساً للاتحاد التعاوني المركزي، أول أيام السادات، وهو اتحاد كان يضم فى عضويته أكثر من مليون فلاح.. وكان أحمد يونس، فى شبابه، من الحزب "السعدي" اليميني.. فوجئت به، يزورني، فى الشيراتون حيث كنت أقيم فى ذلك الوقت، بعد إلقاء السادات لخطابه الشهير، وقد كان أحمد يونس قريباً جداً من الرئيس السادات، .. زارني وأبلغني بأن السادات طلب منه أن يهيئ الأمور ليتمكن من إلقاء خطاب هام من فوق منبر من منابر القانون فى مصر، خاصة وأن الخطاب سوف يكون عن فكرة سيادة القانون..

وقال لي أحمد يونس وهو يشرح الفكرة: إن الرئيس السادات يفضل أن يكون هذا المنبر، هو نقابة المحامين، وأن الرئيس لما سأله عن أقرب الناس إلى أحمد الخواجة، نقيب المحامين، قال له أن الدكتور علي السمان على علاقة وثيقة بالخواجة، وبعائلته، وابنتيه ليلي ودينا.

ثم قال أحمد يونس: مطلوب منك، إذن، أن تسأل أحمد الخواجة، عن مدى استعداده لاستقبال الرئيس السادات، لإلقاء خطابه من داخل نقابة المحامين.

ومن ناحيتي، ذهبت وعرضت الموضوع على الخواجة، وتناقشنا فى الفكرة بصفة عامة، وعما إذا كانت منصة نقابة المحامين هى الأفضل فعلاً، وانتهينا إلى أن الخواجة سوف يحاول أن يرتب هذا الأمر.

وحين أبلغت أحمد يونس، بذلك، لم يمر أكثر من ٢٤ ساعة، حتى عاد يونس إليَّ، من جديد، ليقول لي: الرئيس السادات يريد رداً قاطعاً من أحمد الخواجة.. نعم أم لا ؟!.. فأرجو إعادة فتح الموضوع معه، مرة أخرى، وبسرعة.



الراحل أحمد كمال يونس، أحد الجنود المجهولين في أحداث ١٥ مايو، وزعيم فلاحي مصر، بعد انتصار السادات، قال لي إن الرئيس الراحل السادات، أثناء هذه اللقطة، قال له: "لو لم ننجح، كان زمنًا في أبو زعبل يا كمال"

سارعت إلى الخواجة، أساله من جديد، فصارحني بأن الأمور، هذه الأيام، معقدة، لأن نقابة المحامين، فى نهاية المطاف، هى تحت سيطرة أمانة التنظيم بالاتحاد الاشتراكي، التى يرأسها شعراوى جمعه، فلابد من موافقته، إذا أردنا لمثل هذا الأمر أن يتم.. ثم قال الخواجة لي: وفى كل الأحوال، سأحاول ترتيب هذا الموضوع مع شعراوى جمعه.

وحينما أبلغت أحمد يونس، بنتائج هذه الجولة الثانية، من الكلام مع أحمد الخواجة، جاءني للمرة الثالثة، فى اليوم التالي، ليسألني سؤالاً مباشراً، وغريباً جداً.. وكان السؤال هكذا: هل صدقت أحمد الخواجة، عندما قال لك أنه سيحاول مع شعراوى جمعه ؟!

وقلت له: أن الخواجة أخ، وصديق، أحبه، وأقدره، وأحترمه.. غير أني عودت نفسي، فى حياتي، ألا أصدق رجال السياسة.. وأحمد الخواجة، رغم مكانته القانونية، والمتميزة.. وصدقته لي إلا انه فى نهاية المطاف، شخصية سياسية أيضاً.

وبالتالي، لم ينجح مشروع ذهاب السادات إلى نقابة المحامين، قبل ١٥ مايو ١٩٧١.. وعرفت بعدها، أن السادات قد سجل فى ذهنه، ردى على أحمد يونس، بأنني لم أصدق الخواجة، عندما قال انه سيحاول مع شعراوى جمعه، لأن الخواجة، ساعتها، كان فى داخل ملعب السياسة.

وقد ردد السادات، هذه الحكاية، أكثر من مرة، فى أحاديثه مع بعض الأصدقاء، فيما بعد.

كانت هذه هى مقدمات ثورة ١٥ مايو ٧١، بالنسبة لي.

وفى أوراقي، التى احتفظ بها، عن تلك الفترة، أجد أنني بعد انتهاء حفل أول مايو، الذى أشرت اليه، قبل سطور، كنت على موعد مع الأستاذ محمود السعدني، فى مبنى دار روزا اليوسف.. وحين وصلت إلى مكتبه، وجلست، جاءته مكالمة تليفونية من صديق له، يرجوه فيها السعي للسماح لأحد الصحفيين الذين كانوا يعملون معه، فى صباح الخير، بالتوقيع على مقالاته.. حيث كان الحرمان من التوقيع على ما يكتبه الصحفي، نوعاً من العقاب المتعارف عليه فى تلك الأيام.

وسمعت المتحدث يقول للسعدني: وأنت شايف الأمور متغيرة النهاردة، بعد خطاب السادات ؟!

رد السعدني بأسلوبه الساخر: أنا أعلم أن أصدقاءنا سوف يأخذون وقتاً طويلاً، فى الإعداد، والتفكير، والترتيب، والتدبير، وجس النبض، وأن السادات سوف ينقض علينا جميعاً، قبل أن ننتهى من كل ذلك.

وقد علمت بعدها، أن هذه المكالمة، كانت مسجلة، خاصة وأن التعبيرات التى استخدمها السعدني فى كلامه، مع صديقه، كانت على طريقة السعدني، التى اعتدنا عليها، والتى نعرفها جميعاً.. كانت تعبيرات مباشرة، وتشجع الرقيب وتغريه على أن يسجل.

وكان السادات، بعد ١٥ مايو، وبعد القبض على السعدني، يضحك كثيراً وهو يتذكرهذا الشريط بالذات !!

وعندما ألقى السادات، القبض على مجموعة ١٥ مايو، أصارح نفسي، وأصارح القارئ، أنني تأثرت لاعتقال شخصيتين:

الأول: سامى شرف، الذى كانت قد تولدت بيني وبينه، محبة ومودة، طوال سنوات عملنا معاً، وكنت أقدر فيه طاقته الكبيرة فى العمل، وجهده الذى لم يكن يهدأ، ونوعية الأداء المرتفع التى كان يصر عليها وهو يؤدى عمله.

وحزنت، حين رأيت أن البعض يحاول أن يشكك فى نظافة يده، وكنت أعلم جيداً، أن هذا غير صحيح تماماً.. وعندي واقعة محددة، كنت شاهداً عليها، وهى تدل على معنى ما أقول.. ففى أواخر الستينات، وبينما كنت أؤدي عملي فى باريس، جاءني منه خطاب يفيدني فيه، بمجيء والدته وشقيقته إلى باريس من الجزائر، ويطلب مني شيئين على وجه التحديد:

أولهما: ألا تعلم السفارة بمجيئهما، حتى لا يكونا موضع مجاملات يرفضها.

وثانيهما: أن أساعدهما فى الأقامة فى فندق يتناسب مع امكانياتهما المادية الفعلية.. وبالفعل أقاما فى فندق متواضع من نجمتين، بجانب الأوبرا، وكانت تلك المناسبة فرصة لأن أتعرف على والدته، ووجدتها سيدة فاضلة ذات خلق عال، وكانت تعلم أن ابنها قاس على نفسه جداً.

أما الثاني، الذى حزنت لاعتقاله فهو محمد فائق، وزير الإعلام أيام عبدالناصر الذي كان يتمتع بالوطنية، وعلى العمل والعطاء والقدرة.. أحببته، وأحببت أولاده، .. وكنت حريصاً على أن أكون قريباً منهم، فى غيابه، وقد حدث أن مررت عليهم، عند أول حفل رأس سنه، يأتى وهو خلف الأسوار..

وحين ذهبت إلى بيته، فى غيابه بالمعتقل، عرفني رجل البوليس، الواقف أمام البيت، بعد أن استوثق من إسمي.. وقد ابلغوا السادات بزيارتي هذه لبيت محمد فائق، .. وأشهد الله، أنه فى المرة الأولى التى التقيت فيها بالسادات بعدها، بادرني قائلاً: كتر خيرك على ما فعلته مع أفراد أسرة محمد فائق، لقد علمت أنك زرتهم.. وإذا لم يكن لك فيهم خير.. فلن يكون لك خير فينا..

ومن الغريب، أن شعراوى جمعه، هو من بين النادرين من رجال عبدالناصرالذي لم أتعرف عليه.. كان شعراوى جمعه وزيراً للداخلية، .. وقد سمعت عن شهامته، ورجولته، ووعيه السياسي.. ومن الطريف جداً، أنني التقيت به، قبل ١٥ مايو، بيومين تقريباً فى حفل عشاء أقامه الوزير محمد فائق وقتها على شرف الوزير الفرنسي ليبلوفسكي، .. وقتها تبادلنا كلمات قليلة، واتفقنا على أن نلتقي يوم ١٧ أو ١٨ مايو، وطلب من سكرتيره، الذى كان يرافقه، أن يسجل ذلك فى أجنده مواعيده.. وفوجئت بممدوح سالم، الذى تولى موقع وزير الداخلية، بعد شعراوى جمعه مباشرة.. بعد أحداث ١٥ مايو يقول لي مداعباً: شعراوى جمعه كان مسجلك فى أول قائمة لقاءاته بعد النصر.

وقد كان ممدوح سالم، من أبطال ١٥ مايو الصامتين، إذا صح التعبير.. إذ أن السادات اعتمد عليه كثيراً، أثناء تلك الأحداث، بعد أن كان قد أعده لها جيداً، من قبل.

أما الدكتور عزيز صدقي، ثاني رئيس وزراء مع السادات، بعد وزارة د. محمود فوزى، فقد قام بدور كبير، بدأ فى بيت السادات، ليلة ١٥ مايو بالتحديد، واستطاع أن يعبئ العمال فى منطقة شبرا الخيمة الصناعية، لتأييد السادات، والتخلي عن علي صبري، أمين الاتحاد الاشتراكي، فى ذلك الوقت.

وإذا كان هناك كثيرون، فى فترة حكم السادات، قد حصلوا على نياشين، فإن ما قام به د. عزيز صدقى، أحد بناة صرح الصناعة المصرية، بجانب السادات، يستحق أكثر من نيشان.. لقد لعب دوراً كبيراً، فى وقوفه بجانب الشرعية، أثناء ١٥ مايو ٧١، ومن الأكيد أنه لم يحاول، من جانبه أن يقوم "بتسويق" هذا الدور.

أما العلاقة بينه وبين السادات، بعد حرب أكتوبر، فقد بدأت تتطور نحو الأحسن والأفضل، خاصة بعد أن أوفده السادات، فى مهمة بالغة الخطورة، بالسفر إلى سوريا، تحت تهديد ضرب الطائرات الإسرائيلية، وهى رحلة شاقة، قطعها عزيز صدقى براً، واستطاع، بعد جهد هائل، أن يحصل من الرئيس حافظ الأسد، على موافقته، على وقف إطلاق النار..

ولكن تبقى السياسة، هى السياسة.. وتظل لغتها دائما، هى لغة المصالح الحالية، والمباشرة.. وقد كان الدكتور عزيز صدقى، بشكل ما، ضحية التغيير فى الفكر الاستراتيجي للرئيس السادات، وهو ينتقل من صداقات دولية، إلى صداقات دولية أخرى، يحتاج فيها، مثل أى قائد، أن يغير من رجاله وقياداته..

وفى فهمي المتواضع، ومع كل احترامي للدور التاريخي، للرئيس السادات، فإني أعتقد أنه كان فى إمكانه، أن يتعامل مع د. عزيز صدقى، بعد نجاحه فى مهمته فى سوريا، بأسلوب أكثر تقديراً لا سيما أن أحداً لن ينسى أنه بعد قرار طرد الخبراء الروس، تمكن الدكتور عزيز صدقي أثناء زيارته للإتحاد السوفييتي أن يحصل من قيادتها على موافقتها بإعطاء مصر أحدث طائرات مقاتلة طراز (ميج ٢٣) والتي كان لها دور فعَال في معركة نصر أكتوبر.

الفصل السادس عشر

سفارة باريس: مكان متميز...لشخصيات متميزة..

تراجيديا نجيب قدرى !

عندما أستعرض أسماء الذين عرفتهم، من بين أعضاء سفارتنا بباريس أو من خارجها لشخصيات مصرية متفردة مرت بالعاصمة الفرنسية فإنني أتوقف عند أربعة منهم، على وجه التحديد، توثقت علاقتي بهم، وكانت بيني وبينهم علاقة من الود والحميمية، تستحق أن أحكي ما كان منها.

أما أولهم، فهو الدكتور أحمد القشيرى، الذى تعرفت عليه، فى مدينة "رن" الفرنسية، أثناء إحدى جولاتي فى أقاليم فرنسا، خارج العاصمة.

وقد توطدت العلاقة بيننا، بسرعة شديدة، وكانت لنا معاً، تجربة مثيرة، فى سياسة المواجهة لكشف واكتشاف كذب الآخرين.

لقد ذهبت إليه يوماً، وقلت له، أني عاتب عليك، لأن مستشارنا الثقافي أبلغني إنك هاجمتني فى غيابي، فأنكر بشدة وقال إنه لا سبيل أمام هذا المأزق، إلا بالمواجهة المباشرة مع المستشار الثقافي.

وحينما دخلنا عليه فى مكتبه، سوياً، امتقع وجهه، وفهم على الفور، أننا اكتشفنا كذب ما قاله لي، وما نقله لي منسوباً إلى صديقي أحمد القشيرى، على ما قاله فى حقي.. وعندما واجهناه، ذهب إلى اللغة المعروفة، حول سوء فهم ما أراد أن يقوله لي.. والمهم أننا خرجنا، أنا والقشيرى، من ذلك اللقاء، ونحن صديقان إلى اليوم، تربط بيننا رغبة مشتركة فى خدمة هذا الوطن وحماية صداقتنا.

ولم يكن غريباً علىَ، بعد ذلك، أن أسمع عن الدور العظيم، الذى قام به أحمد القشيرى فى مفاوضات طابا.. فالميزة الأولى للقشيرى، هي التواضع، والحرص على البعد عن أضواء الإعلام.. ولذلك لم يعرف الكثيرون شيئاً عن دوره فى قضية طابا، إلى أن أخذته يوماً "بالقوة" إلى برنامج صباح الخير يا مصر، فى ذكرى استرداد طابا، ليحكى للناس عن دوره،.. ومع ذلك، وأثناء إذاعة البرنامج على الهواء، وزع حصص نجاح مفاوضات طابا على كثيرين غيره !

ثم ازدادت علاقتي به قوة، عندما تزوج من الدكتورة سامية راشد، عالمة القانون الدولي الخاص، مثله،.. وقد كانت شخصية قوية، وفي نفس الوقت شديدة الحنان مع إبنيها طارق وهالة، اللذين كانا ومازالا صورة حية، ومشرقة، لجيل

الوسط، عملاً، وجهداً، وكرم خلق، ونبلاً، وتفوقاً فى تخصصهما وهو أيضاً القانون الدولي الخاص.

وقد كنت التقى بهم جميعاً فى باريس، لأن الدكتورة سامية راشد، بجانب كونها أستاذة جامعية، كانت محامية دولية لها مكانتها،.. ثم حدث أن مرت هذه السيدة العظيمة برحلة مرض طويلة، واجهته بشجاعة نادرة، وهى تفكر فى مستقبل ما بعد الموت،.. أى مستقبل: طارق وهالة

ومن الصدف النادرة، أن يكون زوجها الأول، هو الدكتور فؤاد رياض القاضى بمحكمة العدل الدولية سابقاً، وأستاذ القانون الدولي الخاص أيضاً وتربطه بزوجها الثاني، الدكتور أحمد القشيرى، علاقة ود واحترام متبادل.

والدكتور فؤاد رياض أعجب بحيويته وذكائه وعشقه للقانون وعلمه الوافر به.

باختصار، يندر أن يصادف الإنسان، فى حياته، محيطاً عائلياً كهذا المحيط، الذى صادفته أنا فى هذه الأسرة،.. وقد كانت كلمة واحدة، فى رأيي، هى التى تعبر عن هذه الأسرة، فى مجملها.. هذه الكلمة هى: التحضر.. فى أرقى معانيه.

ثم أصبح الدكتور القشيري مستشارا ثقافيا لمدة وجيزة مازلنا نذكرها لتميزه الخلقي والثقافي وتمكنه من اللغة الفرنسية.

وكان سمير صفوت، هو الشخصية الثانية، التى تعرفت عليها، من بين أعضاء سفارتنا، عندما جاء إلى باريس، وزيراً مفوضاً.. وكان من حسن حظي، أن أتعرف عليه، فى عام ٧٢، فأجده رجلاً بالغ الرقة والرقى.. وكنت قد عرفته، قبلها، مديراً لمكتب الوزير محمد فايق، وزير الإعلام الأسبق، ويبقى فى ذاكرتي، عن سمير صفوت، بيته المفتوح، باستمرار، لاستقبال ضيوفه العرب والأجانب بكرم نادر.

وكنت أنا الوحيد، الذى يعلم أنه من السفراء النادرين الذين لم يبحثوا يوماً عن بدلات التمثيل العالية فى الخارج، ليكتنزها إلى ما بعد عودته، كما يفعل كثيرون.. لقد كان الرجل على عكس ذلك تماماً، بل أنني كنت شاهداً، على قيامه بتحويل مبالغ من القاهرة، من ماله الخاص، كل شهر ليكمل الإنفاق على بيته المفتوح، دائماً.. وقد علمت أنه كان يبيع، كل عام، جزءاً من أرض يملكها فى مصر، ليتمكن من الاحتفاظ بمستوى عال لتمثيل مصر فى الخارج.. ولا أزال أذكر، إلى الآن، كيف أن العلاقة بينه وبين الرئيس الفرنسي جاك شيراك، قد توثقت إلى درجة لفتت أنظارنا جميعاً،.. ولم يكن غريباً، بالتالي، أن تلفت شخصيته، انتباه الرئيس مبارك، فيختاره بعد عودته إلى القاهرة، ممثلاً شخصياً

له، فى المؤسسات الفرانكوفونية، إلى أن أصبح رئيساً للجامعة الفرنسية فى القاهرة.

ثم كان ثالث الأربعة، هو فاروق حسني، وزير الثقافة.. وقد عرفته مديراً متميزاً للمركز الثقافي المصري، بالحى اللاتيني فى باريس، وكان وهو يدير ذلك المركز، ويتحلى بالكثير من الخيال والابداع، ونعرف أنه تعرف أثناء عمله بالسفارة، على الدكتور عاطف صدقي، الذى كان مستشاراً ثقافياً.. وكان بينهما تقدير وتفاهم متبادل.. ولا أزال أذكر للوزير فاروق حسني، أنه طوال إدارته للمركز الثقافي، قد أعطى فرصة نادرة، أمام عدد من فناني مصر، لإقامة معارضهم هناك.. وقد ربطته علاقة وطيدة، بملكة مصر السابقة، الملكة فريدة، باعتبارها فنانة، وحضر أكثر من معرض لها هناك، وأتاح لها الفرصة كاملة، فى المركز الثقافي، دون أى عقدة ما، من أى ماضٍ كان.. وقد زرت أحد معارضها يوماً، وأعجبتني لوحة لها، تصور سقفاً لبيت من بيوت الريف البسيطة، وعندما قررت شراءها، قالت لي الملكة فريدة: كنت أتمنى ألا تقع عيناك عليها،. لأني أحبها كثيراً، وكنت أود أن أقتنيها لنفسي!



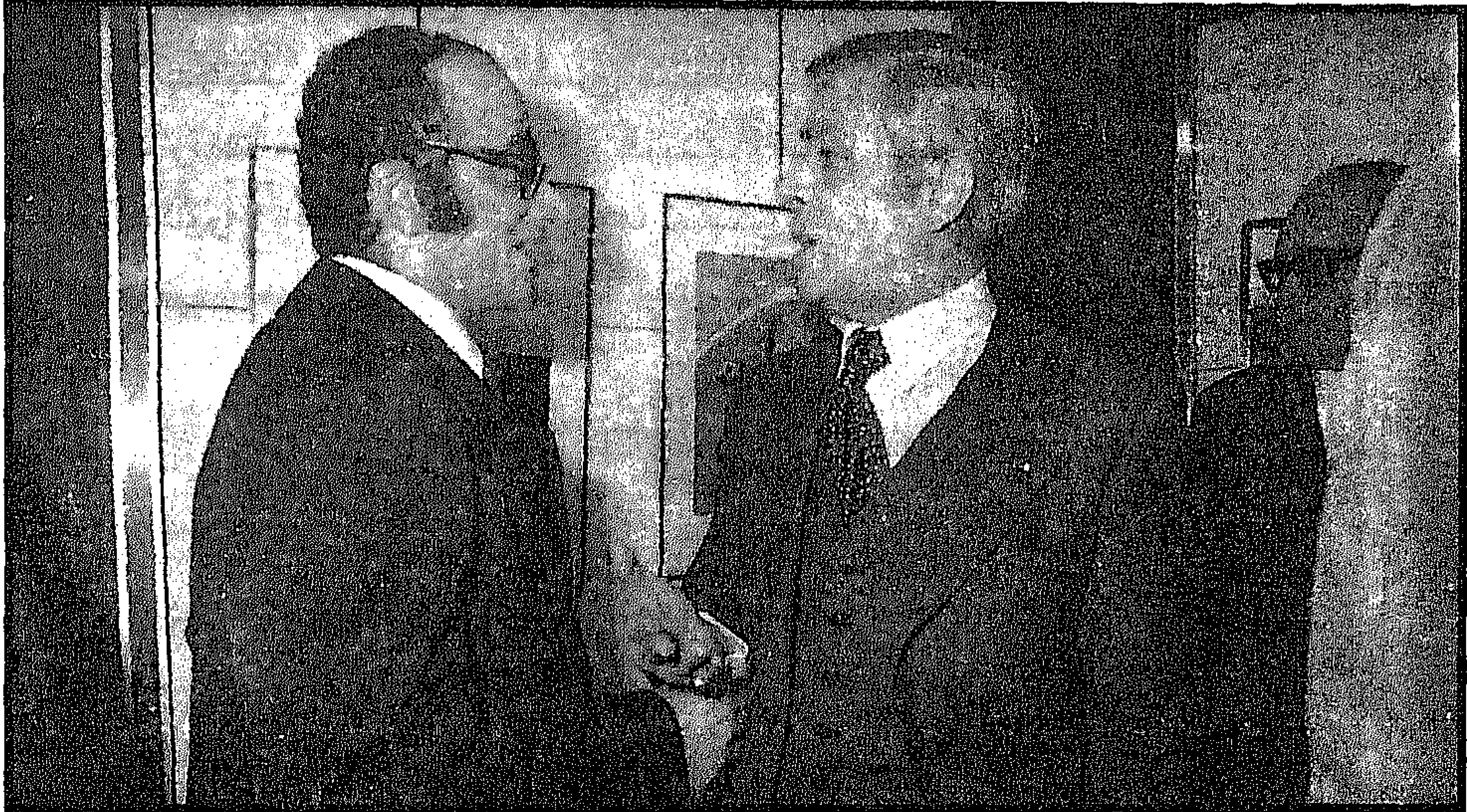
الوزير فاروق حسني وقت أن كان مديراً للمركز الثقافي المصري فى فرنسا وهو يودع السيدة جيهان السادات فى السبعينات وبجانبه الدكتور عاطف صدقي عندما كان مستشاراً ثقافياً

أما السفير نجيب قدرى، سفيرنا فى باريس، قبل وأثناء حرب ٧٣، فقد نشأت بيني وبينه علاقة غنية ومثمرة، وكانت لي معه تجربة تستحق أن أرويها، لأنها تجربة انتهت - للأسف - نهاية درامية..

كان الرجل معروفاً بإتقانه للفرنسية، وتذوقه العالي للفنون، والأنتيكات، وقدرته غير العادية على توثيق العلاقات مع شخصيات فرنسية قيادية.

ولكن،.. من خلاله عرفت أن هناك نوعين من الدبلوماسيين.. نوع يهتم اهتماماً غير عادى، بالشخصيات المصرية المسئولة، التى تصل إلى باريس، ويعطيها من وقته الكثير منذ وصول طائراتهم وحتى وقت مغادرتها.

وهى فى غالب الأمر علاقات محسوبة، تبغي رضاء الذين يؤثرون فى القرار بالقاهرة.



د. علي السمان مع السفير نجيب قدري قبل الخلاف الكبير بينهما..
وخلفه الدكتور عاطف صدقي المستشار الثقافي فى باريس وقتها

والنوع الثاني يعتبر أن مهمته بالدرجة الأولى، هى العلاقة مع الطرف الأجنبي - الفرنسي مثلاً - ويرى هذا النوع الثاني من الدبلوماسيين، أنه جاء معتمداً من رئيس الجمهورية، ليمثل مصر، لدى هذا الطرف الأجنبي، ويوثق العلاقة معه، ويجعلها أكثر تميزاً، وحيوية، وفاعلية.. ولا يرى شيئاً سوى ذلك.. ويكون اهتمامه بإنجاز هذه المهمة التى يراها، على حساب الاهتمام بالوافدين والقادمين من القاهرة، من أصحاب المواقع والمسئولية، وهم كثيرون، وأعترف بأن مطالب البعض منهم تكون

أيضاً كثيرة.. ومنهم من يرى، أن أهميته ومسئوليته تستأهل أن يكرس السفير وقته ونفسه، بنسبة مائة فى المائة، من أجل هذا القادم من مصر.

وكان هناك نوع ثالث نادر جداً ينجح على المستويين مثل السفير حافظ إسماعيل.

وقد كان نجيب قدري من النوع الثاني، وكان يصطدم كثيراً بمعاونيه من المصريين أعضاء السفارة،.. وكان الدكتور عاطف صدقي، المستشار الثقافي وقتها، من بين الذين اصطدم بهم، رغم ما هو معروف عنه – أقصد الدكتور صدقي – من دماثة الخلق، والهدوء وعمق علاقاته الإنسانية، أما علاقتي مع السفير نجيب قدري، فكانت متميزة جداً، لسبب بسيط، – أنه بفضل السفير أشرف غربال الذى كنت أعمل معه برئاسة الجمهورية عندما كان مستشاراً إعلامياً للرئيس السادات – كان لي دور، فى ترشيح اسم السفير قدري، عندما كان الموقع خالياً فى باريس.. وللأمانة، فإنني، مع السفير غربال، تعمدنا أن يأتى الترشيح متأنياً ومدروساً، قبل أن نقدمه للرئيس السادات، أثناء مشاركته فى مؤتمر لعدم الانحياز سنة ١٧٢! كان منعقداً وقتها فى الجزائر.. وكان السفير قدري حاضراً، ضمن وفد الخارجية المتخصص فى الشئون الأفريقية حيث كان قدري، قد خدم فى سفارتنا فى السنغال، قبل ذلك التاريخ بقليل، وأقام علاقات مميزة، وعميقة، مع رئيس جمهورية السنغال، الشاعر والمفكر: سنجهور..

وكانت رغبة السفير غربال، ورغبتي فى ترشيح نجيب قدري، سفيراً لمصر فى باريس، تقوم على أن أقدم – أولاً – للرئيس السادات، صورة درامية، عن عدم ارتياح الفرنسيين لتأخر القاهرة فى ترشيح سفير لها هناك.. أما الخطوة الثانية فهى أن يحضر نجيب قدري لقاء معظم الرؤساء الأفارقة، الناطقين بالفرنسية، مع الرئيس السادات،.. وفهم الرئيس ما نوده ونتمناه من قرار، من ناحيته، وفاجأني بقوله: بس أنا سمعت أنه عازب؟!

وابتسمت وأنا أقول للرئيس: يبدوأن هذه ليست مشكلة فى باريس !

وفى طائرة العودة للقاهرة، علمت أن الرئيس السادات قد اقتنع بهذا الاختيار، على أن يظل الخبر سرياً حتى يجرى إعلانه رسمياً.

وحينما أفضيت، من جانبي، بالخبر إلى نجيب قدري، قال لي: هناك أحلام لا أحب أن أداعبها خوفاً من خيبة الأمل !! وكان يقصد أن يقول، أن تعيينه فى باريس، يقترب من درجة الحلم، لأنه لم يكن قد خدم فى أوروبا يوماً.

وصدر قرار تعيينه، وجاء إلى باريس، فى المرحلة التى كانت مهمتي فيها منقسمة بين عملي مديراً للإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية فى القاهرة وبين عملي مسئولاً عن مكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط والإذاعة والتليفزيون فى باريس.



مع نائب رئيس الجمهورية حسني مبارك، أثناء المؤتمر الذى نظمته أنا وقتها، فى باريس، بمناسبة زيارة مبارك لباريس، وبصفتي سكرتير عام اتحاد الصحفيين الفرنسيين والعرب. وإلى يمين مبارك رئيس جمعية الصحافة الفرنسية، وعلى شماله اللواء عز الدين مختار أمين عام رئاسة الجمهورية، فى ذلك الوقت، والسيد حافظ إسماعيل سفير مصر فى فرنسا وقتها

وأصر نجيب قدري، بروح الاعتداد بنفسه، والتى كانت سمة بارزة فيه، على ألا يدخل إلى باب السفارة، إلا بعد اعتماد أوراقه من رئيس الجمهورية الفرنسية، وكان قبل اعتماد الأوراق، يفضل أن يأتى إلى مكتبي هناك، بحي الأوبرا، ليجري اتصالاته التليفونية.

وتوثقت علاقتنا أكثر فأكثر، واكتشفنا أننا معاً، من المغرمين بزيارة حي البراغيث، فى باريس، صباح كل أحد.. وهو الحي المشهور ببيع وعرض الأنتيكات القديمة..

وكنت أحضر معظم حفلات استقباله فى السفارة، وكنا نذهب سوياً إلى مطاعم باريس الشهيرة، خاصة وأنه كان يملك تذوقاً عالياً للأطعمة الفرنسية.

وجاء يوم، أقمت فيه، إفطار عمل، بصفتي سكرتير عام جمعية الصحافة الفرنسية العربية، على شرف نائب رئيس الجمهورية – وقتها – حسني مبارك، وذلك عند زيارته لباريس.

وأذكر أن الزميل والصديق د. محمد عبداللاه، كان يعمل وقتها فى وكالة الأنباء الفرنسية، وكان عضواً معنا فى الجمعية، وكان نادراً فى تمكنه من العربية والفرنسية، وقد تكرم متطوعاً، بترجمة الأسئلة والأجوبة، بين نائب الرئيس، وبين رجال الإعلام.

وأمام سؤال بالغ الحساسية، عما إذا كانت القيادة السياسية فى مصر، تفيد الاتحاد السوفيتي، عن بدايات اتصالاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، رد نائب الرئيس، بحذر شديد، يمثل تمكنه من تفويت الفرصة على كل المصايد الإعلامية، وأجاب "بأننا نفيدهم بالطرق المعتادة"..، وفوجئت وأنا أدير اللقاء، بالسفير نجيب قدري، يضيف من ناحيته، قوله: وعلى كل الأحوال، هناك قنوات مباشرة، روسية أمريكية.. وشعرت أن هناك نقطة نظام لم تحترم، إذ أن الضيف كان هو المتكلم الوحيد فضلاً عن أن إجابة أو إضافة السفير، تذهب بأجواء الاتصالات، إلى فكر آخر، فاضطررت لأن أقول بحسم، موجهاً كلامي للدكتور محمد عبداللاه، أرجو ترجمة كلام الضيف فقط.. وقلتها بالعربية والفرنسية ليفهمها الجميع.

وبعد مغادرة نائب الرئيس للقاء، أصيب نجيب قدري بهستريا، إذ أحس من ناحيته، أني مسست عصب الغرور، والاعتداد بالنفس الزائد عن الحد، لديه.. وأخذ يردد فى هستريا: مَنْ يعطيك هذا الحق.. ثم أضاف: بل ومَنْ يعطيك الحق فى أن تنظم هذا اللقاء.

ورددت عليه: الذى أعطاني الحق، هو صفتي كسكرتير عام لجمعية الصحافة الفرنسية العربية وموافقة نائب الرئيس على تلبية الدعوة.

وساءت العلاقات بيننا بشكل حاد، ووقع بعدها نجيب قدري فى أخطاء تكتيكية ونفسية، مع معظم وزراء مصر، الذين جاءوا إلى هناك، ولم يهتم بهم.

وامتد سوء الفهم، إلى موضوع بالغ الحساسية، وهو أن فرنسا وعدت – دون إعلان – بأنها مستعدة لأن تساعد مصر فى التسليح، وبدأ التفكير يتجه إلى فتح مكتب للمشتروات العسكرية، وهو تقليد لا يعرفه إلا الذين عملوا فى لندن، أو باريس أو واشنطن.. فهى مكاتب عسكرية، ولكنها تخصصية.. لها استقلاليتها.. ولها حصانتها الدبلوماسية كاملة.. وحين ذهب المسئول المكلف بفتح المكتب، إلى السفير قدري، يطلب منه المساعدة فى الحصول على موافقة الخارجية الفرنسية، على منح مكتب المشتروات العسكرية، الحصانة الدبلوماسية، رفض نجيب

قدري، وأفتى فيما لا يجب أن يفتى فيه، وقال بأنه يكفى مكتب الملحق العسكري !!.. وتأخر فتح المكتب، وكان هذا الموضوع بلا شك، خطيراً، حينما وصل إلى سمع القيادة السياسية فى مصر.



فى باريس مع نائب رئيس الجمهورية وقتها حسني مبارك، والسفير نجيب قدري، والوزير مفوض أحمد ماهر، والمستشار الإعلامي عاصم سويلم



د. علي السمان مع إسماعيل فهمي ، وزير الخارجية السابق ، وقد كان ضيفاً على جمعية الصداقة الفرنسية العربية بباريس.. بعد طي صفحة الخلاف بينهما

تجمعت كل هذه الأسباب، وغيرها ، ليفاجئ الرئيس السادات، يوماً ، إسماعيل فهمي وزير الخارجية ، بقوله: نجيب قدري ينزل من باريس وينقل للديوان العام.

وسأل الرئيس السادات عما إذا كان حافظ إسماعيل، الذى كان قد عين سفيراً فى الهند ، قد سافر أم لا.. ولما أجاب إسماعيل فهمي بأن حافظ إسماعيل لم يسافر بعد، ابلغه الرئيس بإلغاء قرارسفره الى الهند ، وتعديله ليسافر حافظ إسماعيل سفيراً فى باريس.

وبالفعل، فوجئ حافظ إسماعيل، وهو فى مبنى الخارجية ، بوزير الخارجية المصري، يقدمه إلى "شومان" وزير الخارجية الفرنسي، بقوله: أقدم لك سفيرنا فى باريس.. ثم أفهمه إسماعيل فهمي، بأنه لم يجد الوقت الذى يستطيع أن يبلغه فيه، بأن الرئيس قد قرر تعيينه سفيراً فى باريس.. للمرة الثانية !

إنها السياسة.. لها مفاجآتها.. لها أقدارها.. ولها أيضاً أمثالها.. ومن بين هذه الأمثال، التى تجد مكاناً فسيحاً لها فى دنيا السياسة، المثل الذى يريد أن يصف حدثاً ما ، على أنه كان البداية لتداعيات كبيرة،.. وهو مثل يتردد على ألسنتنا جميعاً ، حين نقول: "إنها القشة التى قصمت ظهر البعير".

وما أحزنني، بعد ذلك، هو اعتقاد نجيب قدري، أنني أحد المتسببين فى نقله.. لقد جاء ليقيم، بعدها، فى شقة خاصة بباريس، وكان يرفض مصافحتي إذا التقينا فى أى شارع من شوارع باريس.

ولكني، مع كل ذلك، ذهبت لزيارته فى المستشفى الأمريكي بباريس، فى أيامه الأخيرة، وكانت معي السيدة "ليا" حرم الدكتور بطرس غالي.. وهى صديقة عزيزة لا تهمل واجباً إنسانياً أبدا.. وأذكر أنها، ببراءتها الفطرية التى اعتدنا عليها، راحت ترجو من الدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف والشئون الإسلامية - وقتها - ، الذى كان يعالج أحد أقاربه فى حجرة مجاورة لحجرة نجيب قدري، أن يدعو له بالشفاء، إيماناً منها بأن وزير الأوقاف يعتبر بصفة عامة من أولياء الله الصالحين! وقد توفاه الله — أقصد السفير قدري - في نفس المستشفى، وحزنت أن يفارقنا على سوء فهم بيننا لم يمنعني يوماً من أن أعترف بدوره وقدراته.

أما الدكتور عصمت عبد المجيد فقد جاء إلى باريس مرة كوزير مفوض لمدة طويلة مع السفير عبد المنعم النجار فى الستينات قبل أن يأتى أليها سفيرا لمدة قصيرة جدا، وقد استطاع على المستوى الإعلامي أن يقيم علاقات قوية مع شخصيات إعلامية فرنسية مؤثرة وكان يعطى لتحركه الدبلوماسي نكهة لغة وطنية بصيغة غير متشنجة.

وهناك أيضا السفير أحمد صدقي الذى عرفته قبلها فى روما واذكر عندما زرته هناك وأنا مدير لمكتب رئيس الوزراء الدكتور مصطفى خليل لمشروعات البنية الأساسية مع غرب أوروبا، أنه كان لدى يومين فقط أود خلالها أن أكتشف روما..، ولكن البرنامج الذى وضعه لي السفير من الثانية صباحاً حتى العاشرة بنظام "فطار العمل" "وغداء العمل" "وعشاء العمل"..! مع رجال أعمال ومستثمرين إيطاليين لأدرس وأرفع مشروعاتهم إلى رئيس وزراء مصر وأجلت اكتشافي لروما لرحلة قادمة... روما التى أحبها الفنان فاروق حسني وأحبته عندما كان رئيسا للأكاديمية فيها.

وأعجبت مع الإيطاليين قدرتهم على زواج العقلانية الأوروبية مع مرح ومرونة.. دول البحر الأبيض والفانتازيا.. الإيطالية..

وكان السفير أحمد صدقي فى روما وفى باريس من بين أحسن السفراء الذين يوظفون السياسة فى خدمة المصالح الاقتصادية، والعكس.. وأيضا وظف معرفته العميقة بأفريقيا أمام أطراف أوروبية يهمها البعد الأفريقي لمصر، وظل يعمل بلا توقف إلى أن مات على مكتبه بسفارة مصر بباريس.. رحمه الله.

أما السفير علي ماهر فهو يتميز بشيء خاص جدا أنه حينما يذهب إلى مكان.. وليكن تونس.. ثم باريس.. يظل الناس وعلى مدى أعوام بعدها يذكرون قدراته ومودته.. على كل الجبهات.. وعلى كل المستويات.

الفصل السابع عشر

مفاجآت اللقاء الأول مع السادات

شاءت الصدفة، أن يكون الرئيس السادات، من قيادات ثورة يوليو، الذين لم التق بهم يوماً، طوال عصر عبدالناصر.. وشاءت الصدفة أيضاً، أن يتم الترتيب لأول لقاء لي معه، بالصدفة البحتة..

وقبل هذا اللقاء الأول، الذى كان بداية رحلة طويلة، معه، كانت ملامح شخصيته قد تكونت لدي، من خلال صديق طفولتي الدكتور محمود جامع، الذى كان يعرفه جيداً، طوال سنوات حكم عبدالناصر، وقد فهمت من الدكتور جامع، وهو يحدثني عن السادات، أكثر من مرة، أنه كان متمسكاً بانتمائه الريفي، حريصاً عليه، وأنه كان محباً للتأمل، ويستهويه الاستغراق فى التفكير لساعات طويلة.

ثم جاء المهندس فتحى سالمان، زميل طفولة الرئيس السادات، ليكمل لديَ، ملامح صورة الرئيس السادات، قبل أن ألقاه.. كانت علاقة فتحى سالمان بالسادات وطيدة، وهى علاقة استمرت إلى ما بعد وصول السادات إلى الحكم.. وكانت تربطني بفتحى سالمان علاقة نسب، إذ كان متزوجاً من عائلة نصار، التى كانت تعيش فى بلدة "بمم" مركز تلا بالمنوفية، حيث العمدة الحاج إبراهيم نصار، والحاج أبواليزيد نصار، وهما من أبناء عمومتي.

وفى أحد أيام الجمعة، من شهر يونيو ٧٣، زرت فتحى سالمان، فى بيته بميت أبوالكوم، وأنا فى طريقي إلى "بمم" لاداء صلاة الجمعة فى مسجد نصار هناك، والقيام بواجب الزيارة لأولاد عمومتي.. وبينما كنا نتحدث، فاجأني سالمان: لماذا لا تبقى لتصلي الجمعة هنا، فى مسجد ميت أبوالكوم، لتتعرف على الرئيس السادات، الذى سيصلي الجمعة فى المسجد نفسه !؟

وقلت له أولا أريد أن أزور أهلي.. وثانياً أتصور أنني حين اختار مسجد ميت أبوالكوم، من بين كل مساجد مصر، لأصلي فيه، فإنها ستكون "تمحيكة" إذا جاز التعبير، وسوف تفسر على أنها افتعال مناسبة للتعرف على رئيس الدولة، والتقرب منه، .. ولن تكون صلاة، كما ينبغي أن تكون الصلاة !

وأمام إصراري، تركني فتحى سالمان، لأذهب إلى بمم، حيث زرت أهلي بالفعل، وأديت صلاة الجمعة فى مسجد القرية.

بعدها، عرفت أن الرئيس السادات، أبدى ملاحظة أمام من هم حوله، والمقربين منه، بعد الصلاة، وتساءل قائلاً: الجامع النهارده كان مليان جداً!

وقد ردوا عليه وهم يداعبونه: الناس بعد النهارده، سوف تترك مساجد القاهرة، وتأتى لتصلي فى مسجد ميت أبوالكوم.!

وأنتهز فتحى سالمان الفرصة، وقص عليه ما حدث بيننا، وكيف أنني ترددت فى الصلاة هناك، خشية أن يقال أنني أفعل ذلك على سبيل النفاق لإيجاد وخلق مناسبة يكون الإنسان فيها على مسافة قريبة من رئيس الدولة.

رد الرئيس السادات قائلاً: هو فين علي السمان.. أنا أريد أن أراه، ليعطيني رأيه فى مشروع فيلم يريد التليفزيون الفرنسي أن يصوره عن حياتي، وقد تلقيت رسالة من أصحاب مشروع الفيلم، وهى رسالة بالغة التعقيد.

وأبلغني فتحى سالمان، بما قاله الرئيس، وطلب مني أن أبحث عن فرصة قريبة، ومناسبة، للقاء الرئيس.

وجاءت الفرصة عندما كنت فى زيارة أخي وصديقي الدكتور محمود جامع فى بيته بطنطا، وقلت له أن الرئيس أبدى رغبته فى أن يراني، وأنني أريد أن أرى الرئيس، فأبلغني بأن الرئيس موجود فى ميت أبوالكوم، وأنه سيصلي الجمعة بمسجد القرية، وأن هذه فرصة ملائمة للقائه.

وتوكلنا على الله، وذهبنا معاً، إلى ميت أبوالكوم، ولكننا وصلنا بعد صلاة الجمعة، فتوجهنا إلى بيت الرئيس هناك، ودخلنا قاعة الاستقبال، وكانت ممتلئة بالزوار، وكان هناك الأستاذ فوزي عبدالحافظ، سكرتير السادات.

وعندما أبلغوا الرئيس بوجودنا، أنا والدكتور جامع، جاء فتحى سالمان ليأخذنا إلى ما يشبه "الدوار" حيث كان يجلس الرئيس، مع جمع من الناس يتبادلون الكلام والأفكار.

وحين مددت يدي، لمصافحته، أحسست منذ اللحظة الأولى، أن الرئيس السادات حينما يستقبل أحداً، فإنه يفعل ذلك، بكل حرارة اللقاء.

بعدها أشار لي، وقال: أقعد يا ابني أنا عايزك.

وبعد فترة قصيرة، قام الرئيس مغادراً، وصحبني معه، ومررنا بحديقة البيت، إلى أن انتهينا إلى ما يسمى فى الريف بتكعيبة عنب، حيث جلسنا معاً، وبدأ كلامه عن الفيلم، وتكلم باختصار، وطلب من أحد معاونيه أن يعطيني المشروع لدراسته واعطاء الرأى، ثم أنهى كلامه معي، بأن سألني عن الدائرة التى تقف

فيها أوروبا بوجه عام، وفرنسا بوجه خاص، من الدول العربية، ومن إسرائيل، فى هذه المرحلة الحرجة.

وطالت الجلسة، واستمرت نحو ساعتين، وتطرقنا فيها إلى أمور كثيرة، منها الفرق بين صورة الرئيس عبدالناصر، وصورة السادات، لدى الغرب، وفرنسا على وجه التحديد.. ثم أحسست أن السادات يكره الشيوعية، رغم قوة العلاقات وقتها، بين مصر والاتحاد السوفيتي، الذى شعرت بأن الرئيس لم يكن يطمئن إليه.. ولاحظت أنه كان مهتماً بأن يعرف التركيبة الداخلية للجمهورية الفرنسية الخامسة، التى كان قد أسسها الجنرال ديجول عام ١٩٥٨.. وكان السادات يريد أن يعرف أكثر، عن شخصية الرئيس بومبيدو، الذى تولى الحكم بعد الجنرال ديجول عام ١٩٧٠.. وكان بومبيدو، من قبل، مديراً لبنك روتشيلد.. وقصصت على الرئيس، قصة بومبيدو مع روتشيلد، وهى القصة التى رويتها للمشير عامر، عند زيارته لباريس، قبل٦٧، كما ذكرت من قبل.

وقلت له، من جديد، إن روتشيلد اليهودي، وصاحب البنك، حين اختار بومبيدو مديراً للبنك، فإنه لم يفعل ذلك لمجرد موقف بومبيدو تجاه إسرائيل، بل لقدرته على إدارة وإنجاح أحد أكبرالمؤسسات المالية فى العالم.. وأحسست أن السادات قد ارتاح إلى هذه النظرة الموضوعية، فى تحليل الأمور، واتفقنا على أن نلتقي فى القاهرة، لنبدأ الخطوات العملية نحو تحقيق مشروع الفيلم الوثائقي للتلفزيون الفرنسي.

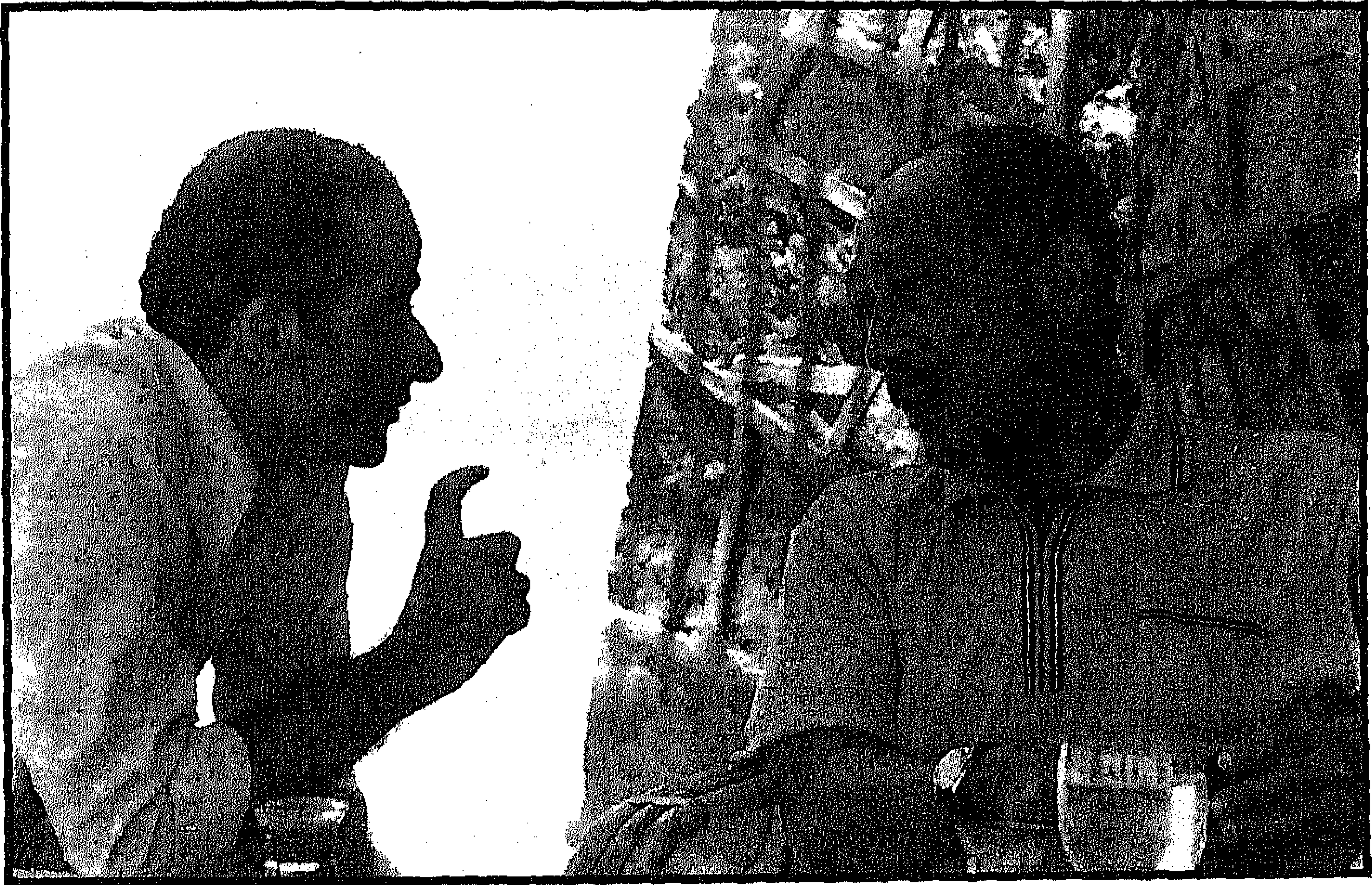
وجاء اللقاء الثاني، لاكتشف أن الرجلين اللذين كانا سينفذان الفيلم، من بين أصدقائي فى فرنسا.. كان أولهما هو روجيه ستيفان، وكان هو صاحب شركة الإنتاج، وكان ينتمي إلى اليسار الفرنسي المعتدل، وكان قد تعرف، فى بداية ثورة يوليو، على البكباشي خالد محي الدين عضو مجلس قيادة الثورة فى الخمسينات، وكان بينهما ود كبير.

وكان ثانيهما هو "فرانسو شوفيل" مسئول الشرق الأوسط فى مؤسسة الإنتاج التليفزيوني، وكان ذا أفكار يمينيه محافظة، وكان مشهوراً بكتاباته فى صحيفة "لوفيجارو" اليمينية الفرنسية، واذكر أنه كان يهاجم دائما حرب اليمن، وينتقد تهديدها للنظم المجاورة، ولكنه، إلى جوار ذلك، كان على درجة عالية من الحرفية فى مجال عمله، وكان يعرف الكثير عن الشرق الأوسط، وقد تزوج من مصورة صديقة، كانت ذات سمعة مهنية كبيرة فى فرنسا وأوربا، وكنا نسميها فيما بيننا "أميرة اللقطة المصورة".. وقد نشرت عدداً من الريبورتاجات المصورة فى

مجلات ذائعة الصيت، مثل "باری ماتش" الفرنسية.. وكان يربطها بالأسرة الهاشمية فی الأردن علاقة وطيدة، وقد صورت أكثر من ريبورتاج عن الملك حسين وعائلته، وعن الرئيس ياسر عرفات وعن الفريق سعد الدين الشاذلي.

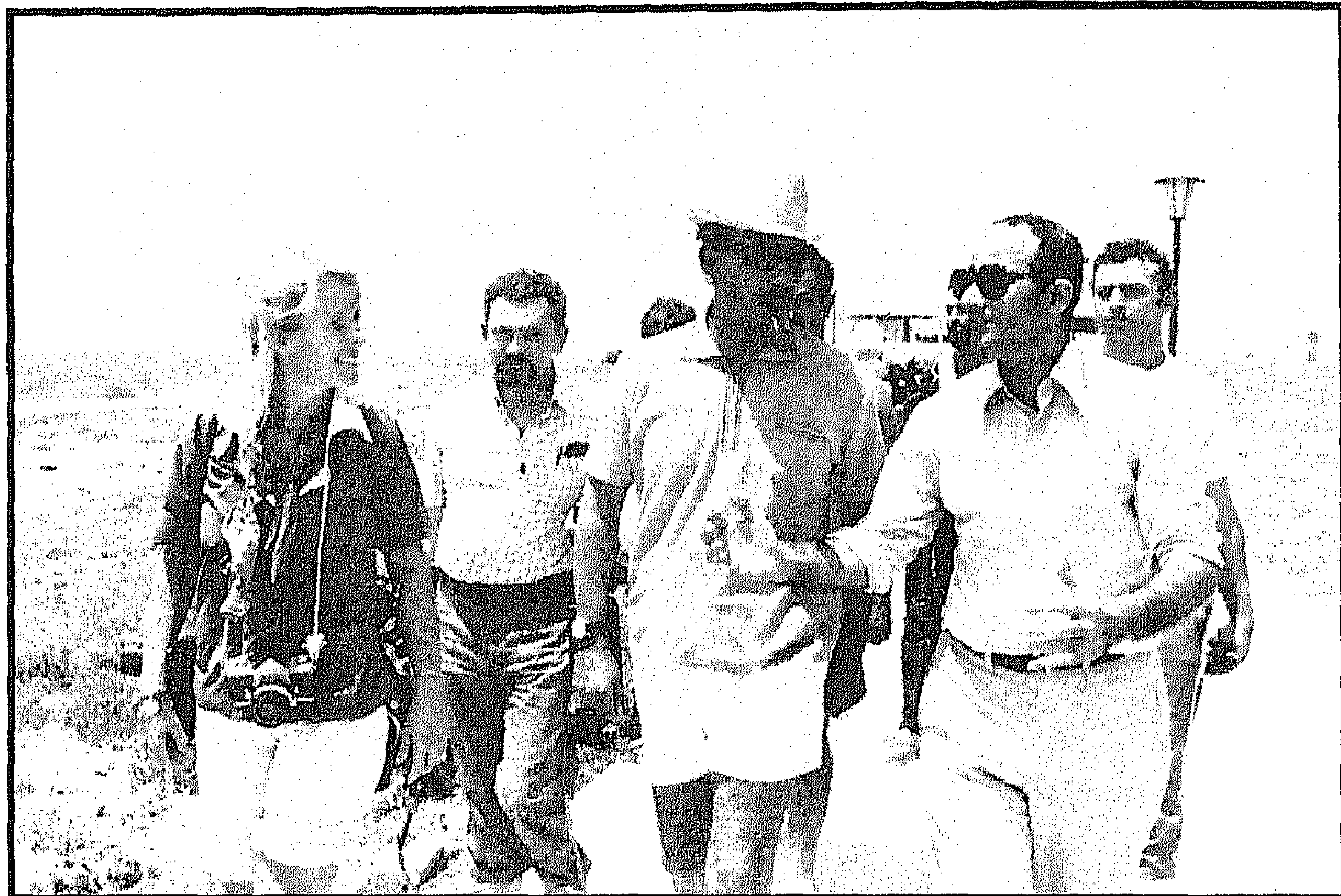
والتقيت بالرئيس السادات، فی بيته بالجيزة، وتناقشنا فی الأهمية التی يعطيها أصحاب الفيلم لقرية ميت أبوالكوم، التی ولد فيها الرئيس.. وكان من الواضح، ونحن نتناقش.. أن الرئيس السادات لم يكن من الذين يحبون أن يتدخلوا فی التفاصيل، أو أن ينشغلوا بها.. كان المهم عنده، هو أن أصحاب الفيلم يريدون أن يقدموه للجمهور الفرنسي، والأوربي، الذی لم يكن، فی ذلك الوقت، يعرفه جيداً، وكان رأيه أنهم إذا كانوا يرون أن ميت أبوالكوم مهمة، فی تحقيق هذا الهدف، فليست هناك مشكلة..

واكتشفت أن من عادة السادات أن يعطي ثقته كاملة، لمن يطمئن إليه.. وانهی كلامه معي فقال: أنت أدری بهم، وتجربتك الإعلامية تجعلك تعرف ماذا نريد منهم، فحدد معهم الموعد الذی يناسبهم، بالتنسيق مع مكتبي.. ولم أكن أدري، ونحن نستعد لتصوير الفيلم، فی أغسطس ٧٣، أننا كنا على مسافة حوالي شهرين من ساعة الصفر فی حرب أكتوبر.



د. علي السمان فی جلسة هادئة فی المعمورة مع الرئيس السادات قبل الانتقال إلى جزيرة الشاي لجلسة ممتدة حول إعلام معركة أكتوبر

وكانت هناك صعوبات غير عادية، ونحن نحاول أن نحدد موعداً نهائياً للتصوير، الذى تم تأجيله لأكثر من مرة، حتى كاد "شوفيل" وزوجته، "جانفييف" أن يقررا إلغاء التصوير والعودة إلى باريس، لولا أنني تعاملت معهما بهدوء ومودة شجعتهما على البقاء رغم الصعوبات الكثيرة التى واجهتنا.

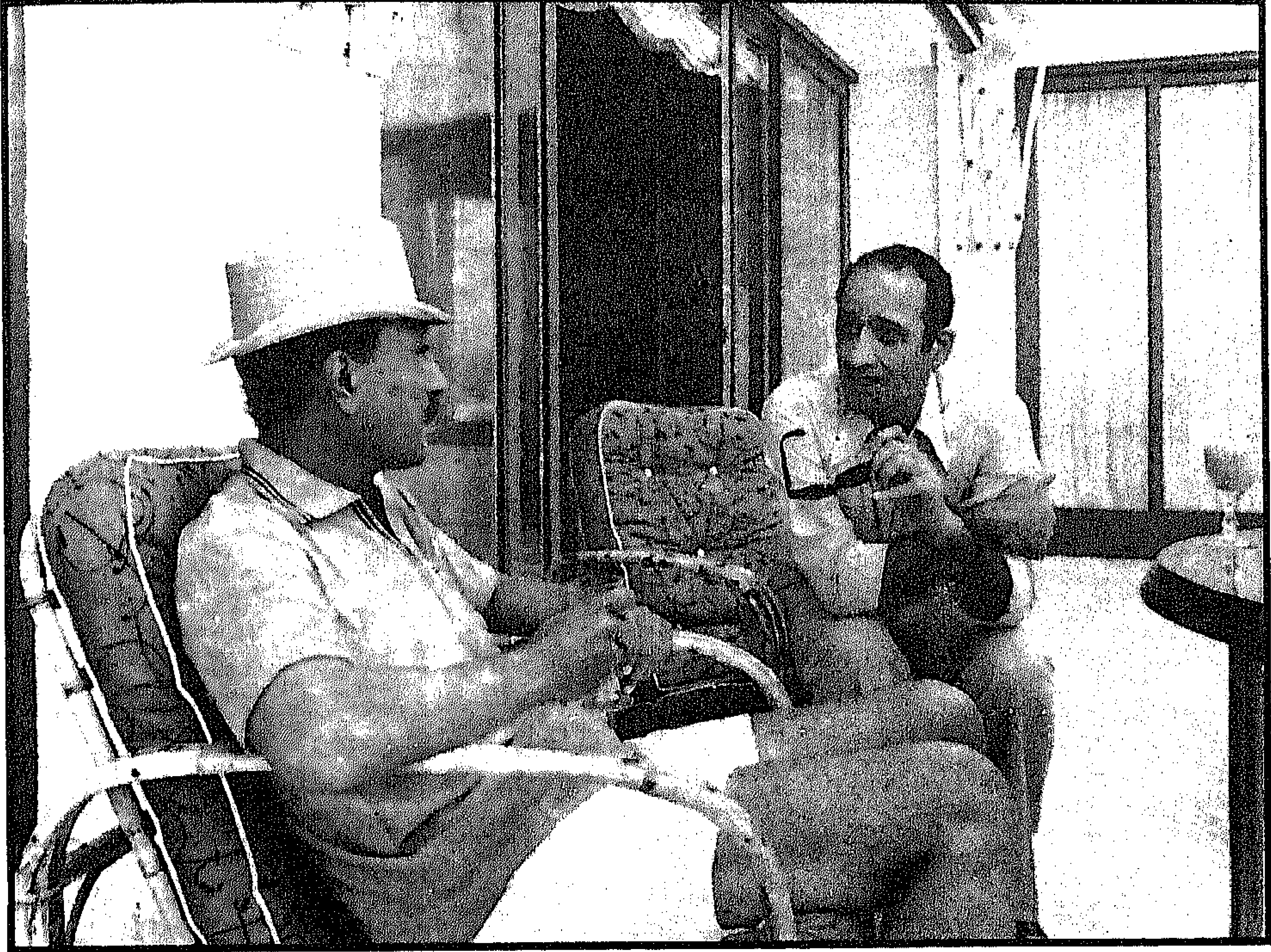


الرئيس أنور السادات مع مجموعة تصوير الفيلم التلفزيوني عنه قبل بداية التسجيل عام ١٩٧٣، ويُرى في الصورة على يمين السادات جون فرانسوا شوفيل الكاتب الكبير والخبير بشئون الشرق الأوسط ومدير الانتاج وبجانبه جنى فياف المصورة المتفـردة التي قامت بالتقـاط أهم الصور لأنور السـادات والتي أصبحت بعد ذلك كاتبة في أواخر التسعينات، وتخصصت في الكتابة عن شخصيات تاريخية في صور قصصية، ومن أهم كتبها كتاب عن صلاح الدين ثم أخيرا كتاب عن جرترود التي عملت لحساب المخابرات البريطانية في بداية الثلاثينات، كموظفة في وزارة الخارجيـة وكانت وراء دفع إنجلترا لخلق عراق مستقل، وعلى شمال الرئيس السادات الدكتور علي السمان.

ويرى أيضاً على يمين الرئيس، السفير أحمـد المسيـري، الذي كان في الحراسة الخاصـة للسيـد الرئيس، وحاول أثناء مدة خدمته بجانب الرئيـس إعادة تنظيم مكتبه ليأخـذ نموذجاً لنظام العمل والفاعليـة في مكاتب الرؤسـاء في العالم، ووضع صـوب عينيه نموذجين، همـا نموذج الرئاسـة الفرنسية، ونمـوذج الرئاسـة بالبيت الأبيض، وكان أحمـد المسيري أيضـاً ناجحاً بالمخابـرات العسكرية، وعندما ترك خدمة السيد الرئيس عمل سفيراً لمصر في عدة عواصم من العالم ومعروفاً بدماثة خلقه وسعة اطلاعه.

وكانت سعادتي غير عادية، حين تحدد أحد أيام الجمعة، لبدء التصوير فى استراحة الرئيس بالمعمورة، وحين التقينا به، بدا الرجل وكأن لديه كل الوقت، وأن لا شئ يشغله فى هذا اليوم، إلا تنفيذ مهمة التصوير، وأذكر أننا صاحبناه إلى

جزيرة الشاي، فى وسط البحر، أمام استراحته، والتقطنا له صوراً نادرة، كان من بينها لقطات له وهو يسبح فى البحر، وحوله حراسه، الذين اذكر منهم "حتاتة" و"زينهم" واللواء الدغيدى بمكتب الرئيس.. وغيرهم ممن أحتفظ بمودتهم وصداقتهم إلى اليوم.



صورة نادرة للدكتور علي السمان مع الرئيس السادات عشية حرب أكتوبر، وحوار حول إعلام الحرب

وفى جزيرة الشاي، قضيت معه، بعد انتهاء التصوير، وقتاً طويلاً، نتكلم فى كل شئ، من السياسة الخارجية، إلى السياسة الداخلية، إلى كل ما كان يهم الرئيس وقتها.. وتبين لي، أن السادات كان إذا أعطى ثقته لأحد، شجعه على أن يطرح أمامه ما يشاء من موضوعات بكل صراحة واطمئنان، ووجدت نفسي أقول له: يا ريت يا ريس، فى اختياراتك للقادة والمسئولين،.. أن يكونوا، على مستوى المرحلة التى ستواجهها مصر.. وفاجأني برده حين قال: إن من يحكم مصر، أياً كان، فهو فرعون مصر، وبالتالي فإن الفارق بينه، وبين مَنْ يأتون بعده، فى الأهمية وترتيب المسئوليات، كبير جداً، وبالتالي فلا خشية ولا خطر من تعيين قادة ومسئولين من الأحجام الكبيرة التى تتحدث عنها.. وبالفعل، أحسست بعدها أن الرجل كان يحيط نفسه، برجال من ذوى الأحجام الكبيرة، من أمثال د. عزيز

صدقي، ود. عبدالعزيز حجازي، والفريق كمال حسن على، والمشير عبدالغني الجمسي، ود. مصطفى خليل وغيرهم كثيرون.



ثلاثة من عمالقة مصر .. دكتور / عزيز صدقي والدكتور عبد العزيز حجازي والدكتور / مصطفى خليل رؤساء وزراء مصر السابقين ولقاء في بيتي

وفى ميت أبوالكوم، تم تصوير الرئيس، وهو يصلي فى مسجد القرية،.. وأذكر أني حضرت التصوير يومها، وأنا أرتدي عباءة سوداء، كنت قد فصلتها عند رجل عجوز من قدامي (الترزية) المتخصصين فى طنطا، وعندما رآني السادات بها، داعبني قائلاً: إيه يا ابني العباية دي؟.. دي تفصيل عند بيير كاردان واللا إيه؟!

ثم كان علينا أن نصور السادات، وهو فى حديقة بيت ميت أبوالكوم، مع بعض فلاحي القرية، الذين كانوا قد جلسوا معه على الأرض، يتحدثون، وهو يتحاور معهم، فى لغة بسيطة، ومشهد أكثر بساطة.. ورغم أن فلاحي ميت أبوالكوم جميعاً، كانوا يعرفون السادات،.. ولم يكن غريباً عليهم، أن يجلسوا، أو أن يتحاوروا معه.. ولكن، عند التصوير، بدا واضحاً لنا، أن الفلاحين لم يكونوا على طبيعتهم، لأنهم، كانوا يحسون أنهم، رغم كل شئ، يجلسون - فى نهاية المطاف - مع رئيس الدولة.. وليس مع السادات ابن القرية، وأحد أفرادها، وقد أحس السادات بذلك، ولاحظه بسرعة.. وهنا برزت قدرة السادات الإعلامية غير العادية، حتى فن إخراج المشهد.. لقد شعر، من ناحيته، أن الصورة لو

خرجت على هذا النحو، الذى يبدو فيه الفلاحون على غير طبيعتهم وتلقائيتهم، فلن تكون كما ينبغى أن يراها الناس.. وإذا به يفاجئنا، وهو يروى لهم قصة، ويتبسط فيها، ويقربهم إليه وهو يقول، فى لغة شدت الفلاحين إلى أبعد الحدود: أنا كنت الشهر الماضي يا أولاد، عند الرجل الطيب كرايسكي رئيس النمسا، وأعجبني نوع البقر النمساوي، وأعجبت به أكثر عندما علمت بما يدره من خير كثير، وطلبت منه أن يبعث لنا ٢٠٠ بقرة، (وإن شاء الله حيكون لكم نصيب).. وفعلاً، بدأت وجوههم تنفرج، وتبدو عليها الدهشة والابتسامة، وهم يتابعون موضوعاً يهمهم ويعرفون أنهم سيكون لهم فيه نصيب..

هذا هو أنور السادات، الخبير بشئون الإعلام، فكراً، وعملاً، وتنفيذاً.

ثم اتجهنا إلى تصوير جزء من الفيلم فى قصر رأس التين بالإسكندرية، وتسلق الفنيون فى صناعة الفيلم إلى أعلى أحد أشجار القصر العالية، ليصوروا موكب الرئيس وهو فى طريقه إلى داخل القصر، فى مشهد مهيب لا يمكن أن ينساه من يراه مع تحية الحرس الجمهوري.. وهناك حكى السادات قصة خروج الملك فاروق، من رأس التين، عندما قامت ثورة يوليو عام ٥٢.

كان التصوير قد تم، فى ميت أبوالكوم، بالجلباب البلدي والعباءة،.. وفى جزيرة الشاي كان بالمايوه والشورت.. أما فى رأس التين فكان على الرئيس أن يرتدى بدلة زرقاء.. وسمحت لنفسي بأن أنصح الرئيس بأن يرتدى قميصاً لبنياً (أزرق فاتح) لأن التجربة مع الكاميرا تقول أنه عندما تكون البشرة تميل إلى السمرة فإن اللون الأبيض فى القميص لا يعطى نضارة الوجه المطلوبة.. ولم يناقشني الرئيس فى ذلك،.. ولكن عندما شاهد – على شاشة صغيرة – تجربة ما قبل الطبع النهائي للفيلم، عرف أهمية النصيحة، وعبر عن سعادته قائلاً: الفرنساويين أساتذة فى فن التليفزيون.

بعدها، كان الرئيس على موعد مع عشاء رسمي، وذهب إليه وهو يرتدي القميص اللبني،.. وحاول نور فرغل، المسئول فى ديوان الرئاسة عن البروتوكول، أن يشرح للرئيس، بأدب ودبلوماسية، أنهم فى انتظار أن يسمح وقت الرئيس بتغيير القميص استعداداً للعشاء الرسمي.. وفاجأه الرئيس قائلاً: يا ابني أنا عارف انه عشاء رسمي، بس ده عشا متصور.

وكانت هناك لقطات رائعة في استراحة القناطر الخيرية حول هذه الشجرة الكبيرة والقديمة، والتي قيل أن جمال عبدالناصر جلس تحتها يفكر في القرار التاريخي بتأميم قناة السويس ٥٦، ونفس الشجرة من المحتمل أن تكون هى مصدر إلهام للرئيس السادات قبل قرار حرب أكتوبر، وكانت اللقطة الأخيرة في هذا

الفيلم للرئيس وحده صامتاً ووراءه النيل الخالد، قبل أن يقول: "أحياناً تكون الوحدة مخيفة على قمة السلطة".

وذهبت إلى السادات فى بيت الجيزة، ومعي شوفيل، مسئول إنتاج الفيلم، وقلت للرئيس هذا هو الفيلم أمامك، وهذا هو مسئول الإنتاج، وهذا هو المقص نمارس به دور الرقيب.

وإذا بالرئيس يقول: لقد قمتم بتجربة عظيمة وجديدة، وهى أن معظم التعليقات على الصور، كانت من كلامي نفسه، وقد أتى الوقت الذى ينبغي ان نفهم فيه، بأننا حين نأتي لنخاطب الغرب، فإننا يجب أن نخاطبه من منظوره هو، وباللغة التى يفهمها، وبالتالي فليست عندي أية ملاحظات، ولن نلغي لقطة واحدة.

وكان الفيلم، بعد ذلك، على توقيت غير عادي.. إذ اندلعت حرب أكتوبر بعد الانتهاء من تصويره بشهر واحد، فانتشر أمره وذاع صيته فى الغرب، بطريقة هائلة، فتم توزيع الفيلم فى ٥٤ بلداً على مستوى العالم.

وفوجئت بعد توزيع الفيلم، وتحقيقه لمستويات نجاح باهر فى أوروبا وأمريكا واستراليا وكندا. وكنت وقتها قد تم تعييني مديراً للإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية،.. فوجئت بأن هناك ردود فعل غاضبة وثائرة، من عدد كبير من سفرائنا فى الخارج، الذين كانوا قد رأوا فى بعض لقطات الفيلم البريئة، إساءة إلى مصر، ودعاية ضدها.

كانوا يرون أن الطفلة الصغيرة البريئة، التى تظهر فى الفيلم، وهو يعرض حياة الرئيس فى ميت أبوالكوم.. هذه الطفلة سوف تجذب أنظار الغرب بعينيها السوداوين التى تذكرهم بأجدادها الفراعنة من حيث شكل العين ولونها.. ولكن - من وجهة نظر السفراء الذين احتجوا وقتها - فإن الذبابة التى قد تظهر فى الصورة، وهى واقفة على رأس الطفلة، سوف تشد - أكثر - أنظار المشاهد الشرقي والغربي.. ونفس الشيء، حين يظهر فى الفيلم، طفل صغير، وهو يستحم عارياً فى الترعة.

أن السفراء الذين تربوا فى جامعات اكسفورد، وكامبريدج، والسربون، إنما كانوا يحلمون بالصورة التليفزيونية الأمثل لمصر،.. كانوا يحلمون بشارع العروبة فى نظافته،.. وبنادي الجزيرة فى فخامته..

ولكن، وعلى مستوى آخر، كان هناك نوع من التنافس المفهوم، بين إعلام الدولة التقليدي، وبين هذا الإعلام الجديد الذى شاء الرئيس السادات أن ينشئه خصيصاً لحرب أكتوبر، مع السفير أشرف غربال، المستشار الإعلامي للرئيس وقتها، ومع شخصي، باعتباري مديراً للإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية.

كان تقرير الإعلام الرسمي عن أحداث الفيلم سلبياً للغاية.. وفوجئت عند عودتي إلى مصر بعدها، وعندما ذهبت مع صديقي رئيس التليفزيون فى ذلك الوقت المرحوم عبدالحميد يونس لأداء صلاة الجمعة فى جامع السيدة نفيسة، التى يعتقد كثيرون فى بركاتها - وأصارح القارئ بأنني منهم - .. فوجئت بعد أن فرغت من الصلاة، برجل يقترب مني، ولم يكن متسولاً، ولا طالباً للحاجة.. وإنما فاجأني وهو يشد سترتي نحوه ويقول لي: "أرادوا بك شراً ولكن الله هو خير الحافظين".

أما المفاجأة الحقيقية فكانت عندما توجهت بعدها مباشرة، إلى استراحة الرئيس فى القناطر الخيرية، بصحبة السفير أشرف غربال، للقاء الرئيس السادات.. وإذا بالرئيس يخاطب أشرف غربال، وهو يشير نحوي ويقول: كانوا عايزين يدبحوه يا أشرف عشان موضوع الفيلم التليفزيوني.. ولم أتابع باقي كلمات الرئيس.. ذلك أن ذهني قد شرد بعيداً، وسريعاً لأتذكر الرجل الذى قابلته منذ قليل فى السيدة نفيسة.



الرئيس الأمريكي نيكسون يودع السفير أشرف غربال حتى باب سيارته بعد عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وأمريكا

وأحس السفير أشرف غربال بالقلق، وهو يستمع إلى كلام الرئيس السادات، عن غضب وعدم ارتياح واحتجاج سفرائنا فى الخارج على الفيلم، وكذلك عن رأى الإعلام المصري.. وبادر السفير غربال، بذكاء ودبلوماسية، فقال للرئيس: من الطبيعي يا ريس فى هذه المرحلة، التى نجتازها، أن نقيم كل تجربة نمر بها، وأن نصحح السلبي منها.

وكانت المفاجأة الأكبر، حين أكمل الرئيس كلامه (وهو يقلب على الوش التاني) ويقول: دول متخلفين يا أشرف.. ماذا يطلبون مني حين أصور القرية المصرية.. هل أغطيها بملاية.. هل يفهم هؤلاء الناس، أن ما يهم فى الصورة، هو التعليق الذى يقال عنها ؟!

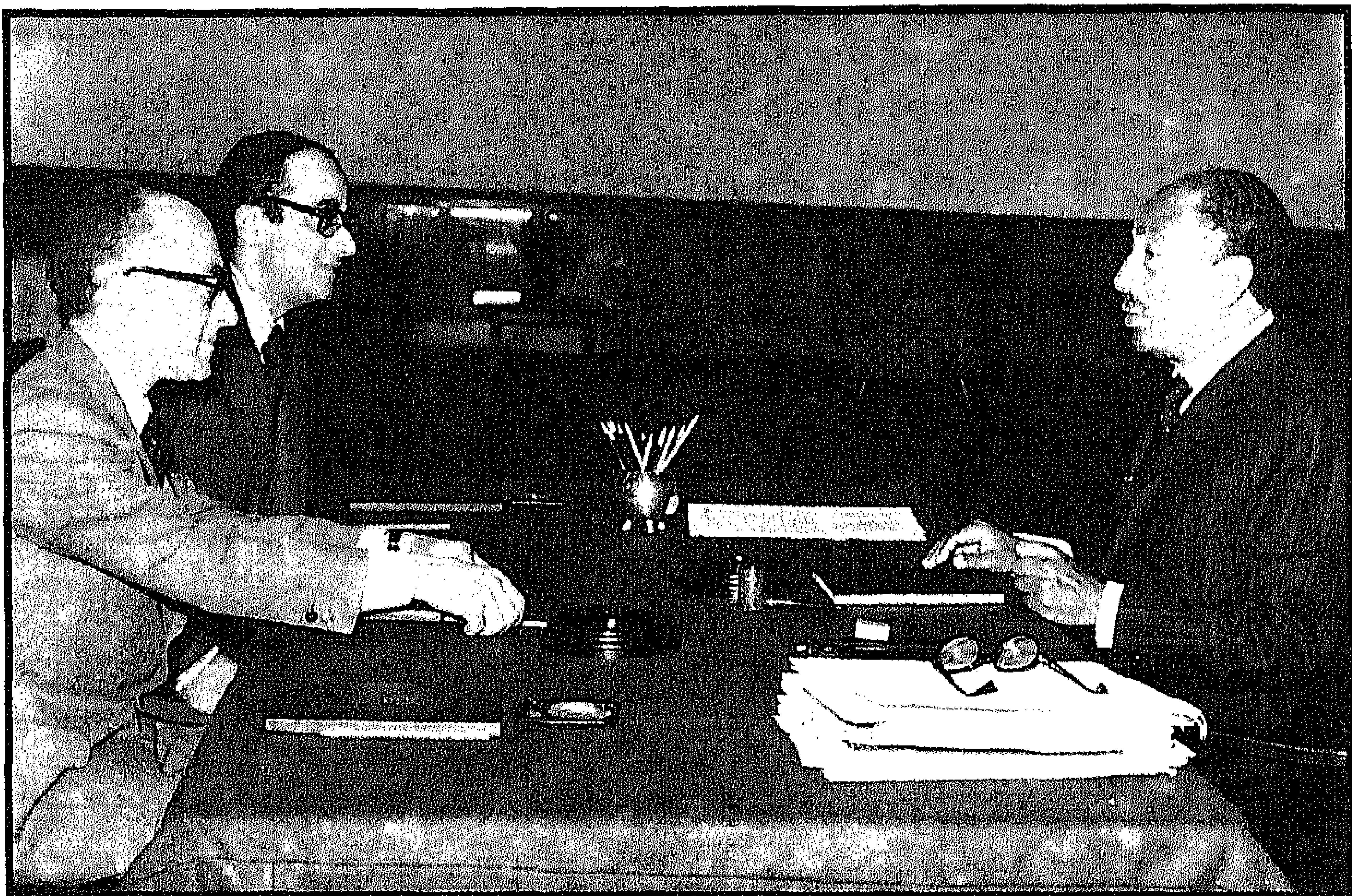
وخرجنا من عند الرئيس، وأنا أقول بيني وبين نفسي: لقد أُنقذ علي السمان من التهلكة، بفضل النظرة المتقدمة للرئيس السادات، وبفضل فهمه العميق للإعلام.. وهو فهم سبق الرجل به عصره، بكل المعايير والمقاييس.

ويحتمل أيضاً بفضل "بركة" السيدة نفيسة.. !

الفصل الثامن عشر

قبل الحرب بساعات.. تلقيت أمراً بمغادرة القاهرة

اسُتدعيتُ يوماً، للقاء الرئيس السادات، فى حضور السفير أشرف غربال، وكان ذلك فى قصر القبة، وأعتقدت للوهلة الأولى، أن اللقاء إنما هو للكلام حول موقف أوروبا من مصر، وعن الصراع العربي الإسرائيلي، الذى كان السادات قد طلب مني أن أتابعه عن قرب، وأن أفيده، أولاً بأول، بكل تطورات هامة، فى موقف القيادات السياسية فى أوروبا، فيما يتصل بهذا الشأن.



مع الرئيس السادات ، ومستشاره السفير أشرف غربال ،
يوم تعيين الدكتور السمان مديراً للإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية

وعندما جلست إلى الرئيس السادات، سارعت فقلت أنني أتممت دراسة وتقييم موقف قيادات أوروبا.. إلا أنه فاجأني فقال: بس فيه نقطة نظام !

استمعت إليه بنوع من القلق، عما يمكن أن تمثله نقطة النظام هذه.. وإذا بالرئيس ينطق بأمر جمهوري شفهي ويقول: من الآن فصاعداً، سوف تتبع رئاسة الجمهورية، لتتولى مسئولية الإعلام الخارجي فيها.. والمهمة التى أريدك لها، هى

العمل على إعداد نماذج جديدة للتعبير الإعلامي، وبالذات فى الإذاعة والتليفزيون، بحيث نتكلم لغة واحدة، فى الداخل والخارج.

ثم أضاف السادات: وبالمناسبة، سوف يكون موقعك الجديد، فى رئاسة الجمهورية، بجانب موقعك الصحفي فى باريس.

واستطرد الرئيس قائلاً: فى المعركة القادمة، أريد أن يكون الإعلام على مستوى المعركة، بمعنى أنني أريد أسلوباً جديداً فى إعلامنا.. ولم يضف الرئيس أى تفصيل فيما يتصل بوضعي داخل رئاسة الجمهورية.

وعندما عدت إلى بيتي، بدأت أفكر فى الفارق بين لقائي مع الرئيس جمال عبدالناصر، الذى تحدثت عنه من قبل، وبين لقائي هذا، مع الرئيس السادات.. وأسلوب كل منهما فى العمل.

كان أسلوب السادات، أنه لا يحب الدخول فى التفاصيل.. فالمهم بالنسبة له، أن يتبع على السمان رئاسة الجمهورية، وأن يتولى الإعلام الخارجي فيها.. فى حين أن الرئيس عبدالناصر، كان يهتم بكل التفاصيل اللازمة لتنفيذ قراره بأن أتفرغ للرد على دعايات العدو فى أوروبا.

وقد فكرت، بعد ذلك، فيما سيثيره هذا القرار الجديد، بالنسبة لي، من حساسيات، لدى أجهزة الإعلام الرسمية، عندما تحس بأن هناك إعلاماً موازياً، سيكون فى رئاسة الجمهورية، وعلى مقربة من صانع القرار.

وأخذ إعداد قرار التعيين، وقتاً طويلاً، لأنه – فى نهاية المطاف – كان إنتداباً من الإعلام، لرئاسة الجمهورية.. وأيضاً من الناحية القانونية كانت هناك صعوبة الجمع بين العمل فى رئاسة الجمهورية، وهى وظيفة عامة، وبين الاحتفاظ بعملي الصحفي فى باريس.

وفى هذه الأثناء، انعقد اجتماع للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، وهو الاجتماع الذى أعلن الرئيس السادات فيه قرار طرد الخبراء الروس من مصر.. وقد استأذن السفير أشرف غربال، الرئيس السادات، كي أحضر الاجتماع.. وعندها سأله الرئيس عما إذا كانت إجراءات قرار عملي فى رئاسة الجمهورية قد انتهت، فأجابه السفير غربال، بأنها فى سبيلها للانتهاء.



د. علي السمان مع الدكتور عبد القادر حاتم يوم افتتاح مكتب اتحاد الإذاعـة والتليفزيون بباريس، وتكريس شرعية وجود المكتب، قبـل طلب الميزانية!

ويبدو أن الرئيس، بعدها، أستعجل إنهاء إجراءات القرار، لأني تلقيت فى اليوم التالي، وفى ساعة مبكرة، اتصالاً تليفونياً من الدكتور عبدالقادر حاتم، نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام السابق، وطلب مني الحضور إلى مكتبه، بوزارة الإعلام، خلال نصف ساعة.. وقال لي أن أوامر الرئيس الخاصة بك، ليست فى حاجة إلى دبلوماسية لنقلها إلينا، ونحن هنا اليوم، لننهى جميع الإجراءات قبل أن تغادر المبنى، وبالفعل انتهت كل الإجراءات خلال ساعة من الزمن، وساهم فى صياغتها أخ عزيز، يرحمه الله هو جمال بركات، الذى كان وكيلاً لوزارة الإعلام، وكان عقلية قانونية وإدارية متفردة.

وعندما أتاح لي، الدكتور حاتم، فرصة اللقاء مع قيادات الإعلام، لتقديمي وتقديم مهمة الإعلام الخارجي لرئاسة الجمهورية، لهم، سمحت لنفسي أن أطلب الكلمة، قبل أن يشرح الدكتور حاتم لهم أبعاد مهمتي، وقلت على مسمع منهم: يهمني قبل بدء الكلام أن أوجه شكري للدكتور عبدالقادر حاتم، لترشيحه لي، للسيد الرئيس، لتولي مهمتي الجديدة، ورغم أن هذا الترشيح لم يحصل فعلياً إلا أنني أردت احترام التركيب الهرمي للدولة.



الدكتور السمان مع الأخ والصديق اللواء عز الدين مختار الملحق العسكري السابق فى باريس، والمتحدث الرسمي لإعلام القوات المسلحة

وكان اجتماعاً مفيداً جداً، وشعر الجميع أنه لا ولن يكون هناك تناقض فى الأداء بين الإعلام الرسمي للدولة، وإعلام رئاسة الجمهورية، فضلاً عن علمي بأن الرجل المسئول عن إعلام مصر، وقتها، وهو الدكتور عبدالقادر حاتم، هو فى النهاية، المسئول عن أخطر حملة إعلامية فى تاريخنا.. تلك الحملة التى صاحبت العدوان الثلاثي على مصر، عام ١٩٥٦.

وتلقيت توجيهاً من الرئيس السادات، بأن يكون هناك تنسيق بين إعلام الرئاسة، وبين الإعلام العسكري الذى كان يمثله فى المخابرات العسكرية، المتحدث الرسمي اللواء عز الدين مختار وكانت تجربة رائدة، بالنسبة لي، لتنسيق الفكر والتعبير، بين الإعلام العسكري، وبين الإعلام المدني والسياسي، كما أنها كانت مناسبة متاحة لي، كي أتعرف على جهاز المخابرات العسكرية، لأكتشف الجدية غير العادية، التى يتميز بها أعضاء هذا الجهاز.

أما اللواء عز الدين مختار، فإن معرفته القوية باللغة الفرنسية، والتجربة التى عاشها فى فرنسا، فى الماضي، ساعدته على سهولة التزاوج الكامل بين الإعلام العسكري، وبين إعلام الرئاسة، الذى كانت مهمته - أساساً - التوجه إلى الخارج.

طرد الخبراء الروس، وتمصير قرار حرب أكتوبر

أما عن موضوع طرد الخبراء الروس في يوليو ٧٢، قبل حرب أكتوبر، فقد كان هذا الموضوع، هو موضع الخلاف الفكري الوحيد، بيني وبين السفير حافظ إسماعيل، الذى كان، فى ذلك الوقت، مستشاراً للرئيس لشئون الأمن القومي، ورئيساً لديوان رئيس الجمهورية.. وأذكر الآن جيداً، كيف أني عندما تلقيت الدعوة، وقتها، لحضور اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، وهو اجتماع قيل أن الرئيس السادات سوف يعلن، خلاله، قراراً هاماً.. وذهبت إلى الاجتماع، ولاحظت أن السادات لم يلجأ إلى أى تعبير مرن، فقد تعمد استعمال تعبير "طرد الخبراء الروس" وهو يعلن القرار.. ويُحتمل أن ذلك كان جزءاً من أسلوب كان يفضله فى السياسة بصفة عامة، وهو أسلوب الصدمة الكهربائية.

وخرج الجميع، بعد أن استمعوا إلى القرار المفاجأة، ووجدت نفسي وجهاً لوجه، مع العملاق حافظ إسماعيل، ورأيت وجهه متجهماً، رغم أنه كان يعلم القرار قبلها وكان الموضوع قد طرحه الرئيس السادات أمامه ومن ناحيته وجد هو على وجهي ارتياحاً شديداً، فقال لي: يبدو أن ردود فعلنا مختلفة،.. فلنذهب إلى البيت.

وذهبنا إلى غداء فى بيته، كما عودني فى الماضي، فى باريس، حينما كان سفيراً هناك، ثم عندما عاد إلى القاهرة، مستشاراً للرئيس، ورئيساً للديوان.

وتعمدت أن أسمع منه، أولاً، لماذا لم يشعر بالارتياح للقرار.

وقال لي: إن أول وأكبر شئ يهمني، هو استمرار وصول الأسلحة اللازمة للمعركة، من الاتحاد السوفيتي، وأنا أعلم أن القدر الباقي، واللازم، هام لتحقيق النصر فضلاً عن أهمية عدم الخلل بالتوازن فى ميزان القوى بين أمريكا الاتحاد السوفيتي شرق البحر الأبيض.

ثم فاجأت السفير حافظ إسماعيل، وأنا أقول له: بدوري، أقول لك، وبصراحة لماذا شعرت بالارتياح إلى قرار السادات بطرد الخبراء الروس.. إن الرئيس السادات، بهذا القرار، قد أعلن تمصير قرار الحرب، أى أنه جعله قرارًا مصرياً خالصاً.. لأن قرار الحرب، لو صدر فى ظل وجود عال للخبراء السوفييت فى مصر، وبعد تشاور معهم، فإن القوى الخارجية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، ستعتبر هذه المعركة، جزءاً من الحرب الباردة التى يقف على طرفي المواجهة فيها، الكتلة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفيتي من ناحية، والكتلة الغربية بزعامة أميركا من ناحية أخرى،.. وعندها لن يسمح الأمريكان، بأن تنتصر روسيا، فى هذه المعركة.. ولن يسمح الأمريكان، لنا، بأن نتقدم كيلو متراً واحداً على الأرض.

أما على المستوى الداخلي، فأعتقد أن السادات قد أنهى، بقراره، الدور الذى كان يقوم به الفريق محمد صادق، وزير الحربية وقتها، داخل القوات المسلحة، منتقداً ومهاجماً السوفييت، وهو أمر كان الفريق صادق قد حقق به شعبية كبيرة، بين صفوف الجيش، فضلاً عن تحديه سلطات رئيس الجمهورية بسحبه وفد المفاوضات العسكرية من موسكو فى منتصف شهر مارس دون استئذان الرئيس السادات.

وعلق السفير حافظ إسماعيل على كلامي قائلاً: هذه قضية أخرى، يصعب أن أتخيل أنها أكثر أهمية من وصول السلاح إلى أيدينا..

وبعد هذا القرار، وقعَ السادات، بدهائه، اتفاقية تعاون وتحالف مع الاتحاد السوفيتي، وبعث إليهم، فى موسكو، برئيس وزراء مصر وقتها، الدكتور عزيز صدقي، الذى كان السوفييت قد اعتادوا على التعامل معه بقدر كبير من التقدير والاحترام والثقة فى مهمتين الأولى فى ١٣ يوليو سنه ١٩٧٢ والثانية فى ١٦ ،١٨ أكتوبر سنه ١٩٧٢.. وحتى لا أترك لدى القارئ أية شبهة، أسارع لأقول، أنه رغم المكانة العالية التى كان عزيز صدقي يحتلها لدى السوفييت، إلا أنه كان وطنياً من رأسه إلى قدميه.. لقد كان عزيز صدقي قد أستوعب طريقة الروس فى التعامل، وكان قد فهم أسلوبهم جيداً.

وكان دهاء السادات، فى أنه بعث إليهم بالدكتور صدقي، ليتفاوض معهم، ليس فقط على الأسلحة المطلوبة، وإنما فاجأهم بأن طلب سلاحاً جديداً متميزاً.. وكان ذلك مفاجأة لهم، خاصة بعد طرد الخبراء الروس من مصر، واضطرت القيادة السوفيتية إلى أن تعقد اجتماعاً طارئاً لدراسة مطالب السادات.. وكان نصراً كبيراً لمصر، ولجيشها، وللدكتور صدقي، أن يرد الاتحاد السوفييتي على مطالبنا بالإيجاب.. ولا ننسى بالطبع، الدور الذى لعبه فى ذلك الوقت، أكثر سفرائنا علماً وقدرة على التعامل مع الاتحاد السوفييتي، وهو الدكتور مراد غالب، الذى تميز دائماً بأسلوبه العلمي، وعقليته الواعية.

وحصلت مصر نتيجة نجاح د. عزيز صدقي فى مهمته على:

١٦ طائرة ميج ٢٣ تسلم الجزء الثالث من ١٩٧٣، ١٦ طائرة سوخوي ٢٠ تسلم فى نفس التاريخ السابق، ولواء صواريخ أرض أرض سكود مدى ٣٠٠ كيلو متر.

عندما تلقيت أمراً من السادات
بمغادرة مصر يوم ٥ أكتوبر ٧٣

بكل صراحة، وأمانة، أقول أنه فى يوم ٥ أكتوبر ٧٣، لم أكن أعرف أنه بقى على موعد الحرب ٢٤ ساعة فقط.. ففى ذلك اليوم، تم تكليف السفير أشرف غربال، بأن يحمل بياناً، تم إعداده، لنعلنه على العالم، ونقول فيه أن إسرائيل قد قامت بعمليات هجوم على الأراضي المصرية.. وكان الهدف من البيان، هو إعداد أرضية الشرعية الدولية للتعامل مع معركتنا.. وقد أطلع على البيان، يومها، قبل إعلانه، عدد من القيادات، من بينهم وزير الدفاع،ووزير الداخلية.. وللأمانة كان الأستاذ محمد حسنين هيكل، من بين من طلب السادات عرض البيان عليهم، وعما إذا كان له عليه ملاحظات إعلامية، يمكن إضافتها إليه، قبل إعلانه.

وقد رافقت السفير أشرف غربال، فى جزء من هذه الجولة، وكانت التعليمات أن ينتهي البيان بين يدي السفير حافظ إسماعيل، مستشار الأمن القومي.. وعندما وصلت إلى بيته، فى عمارة لوبون بالزمالك، كانت عنده تعليمات بأن أغادر القاهرة إلى باريس.. وعندما أبلغته بأن مطار القاهرة كان قد أُغلق فى التاسعة مساء نفس اليوم (٥ أكتوبر) أخبرني بأن ممدوح سالم، وزير الداخلية، سوف يتكفل بمهمة سفري، وفهمت أن السفر يمكن أن يكون بطريق البر، عن طريق ليبيا.

وصباح يوم ٦ أكتوبر، جاء رجل برتبة عقيد من أمن الدولة، وصحبني إلى حيث كنت اعتقد وأتصور.. أى إلى الإسكندرية، .. ومنها إلى ليبيا، بطريق البر.. وفوجئت بأنه يتوجه بي إلى مطار القاهرة، ولما سألته قال إن التعليمات أن يصحبني إلى المطار، رغم أني كنت أعرف، كما قلت، أن المطار كان قد تم إغلاقه، مساء اليوم السابق.

وكانت مفاجأة لي، وأنا فى مكتب التشهيلات العسكرية بالمطار، أن أرى المطار، وهو يعاد فتحه للعمل مرة أخرى، فى التاسعة صباح ٦ أكتوبر وأن تتحرك طائرة "إير فرانس" التى أخذتها إلى باريس، فى موعدها..

وبالمناسبة، عندما نقرأ كتاب "موشي ديان"، وزير دفاع إسرائيل وقت الحرب، سنعرف مدى الأهمية غير العادية لخطة التمويه، التى كان السادات قد وضعها، وصاحبت معركة أكتوبر.. وسوف نعرف، من كتاب موشي ديان، أن جولد مائير، رئيسة وزراء إسرائيل، فى ذلك الوقت، قد استشاطت غضباً، عندما علمت بإغلاق المطار مساء ٥ أكتوبر، ووبخت وزير دفاعها، لأنها فهمت أن إغلاق المطار، هو

إعلان للطوارئ، استعداداً لتحرك عسكري مصري.. وكان ديان يختلف مع مائير، دائماً حول نية وقصد المصريين تجاه المعركة.

جولد مائير كانت تعتقد دائماً، أن المصريين سوف يحاولون العبور.. أما ديان فكان يرى، فى صلف وغرور، أن المصريين لن يتجاسروا على بدء معركة حقيقية، ضد إسرائيل، وكان يكرر دائماً، أن اليوم الذى سيقرر فيه المصريون ذلك، فإن معناه أن أمريكا والاتحاد السوفييتي، سوياً قد قررتا مساعدة مصر.. كان يقول ذلك، على سبيل السخرية بالطبع، وعلى سبيل الإقلال من قوة الجانب المصري، وبالتالي فإنه عندما تقرر فتح المطار، صباحاً، ابتهج موشي ديان، وأسرع إلى مائير يقول لها: وهكذا ثبت لك، أن كل ما يفعله السادات، هو استعراض عضلات، ومحاولة لأن يقول، أنه سوف يحارب، ليطمئن شعبه.

المهم، أني سافرت إلى باريس، وكانت المعركة قد بدأت، وأنا فى المجال الجوى الفرنسي والمؤرخون لتاريخ الحروب يمكنهم أن يؤكدوا لنا عما إذا كانت معركة أكتوبر هى المعركة الوحيدة التى أعلنها صانع القرار فى ظل سماء مفتوحة لمطار العاصمة.

وهنا، أريد أن استدرك قليلاً لأقول، أن علمي بموضوع البيان الذى تم إعداده قبل الحرب، الذى أشرت إليه، قبل سطور، قد أعطاني مؤشراً، بأن المعركة التى لم أكن أعرف تاريخها بالطبع، لم تصبح بعيدة، وأنها لا يمكن أن تكون على مسافة شهور أو أسابيع، منا.. وإنما على مسافة أيام.

وحين هبطت بي الطائرة، فى باريس، أعدت حساباتي، وبدلاً من الذهاب إلى مكتبي فى حي الأوبرا، أخذت غرفة فى المطار، لأعمل فى هدوء، بعيداً عن ضغوط أعضاء السفارات، ومكاتبها الفنية فى باريس، .. لقد توقعت أنهم جميعاً، سوف يحاولون أن يعرفوا مني، وأنا قادم من القاهرة، فى نفس يوم المعركة، ماذا حصل، وماذا سيحصل.

واستدعيت كل معاوني، إلى غرفتي بأحد فنادق المطار، وأعددت خطة عمل، بدأتها بفتح خط اتصال مباشر، بين باريس والقاهرة.. ولم يكن ذلك سهلاً على أى مستوى، خاصة إذا علمنا مدى الحالة البائسة، التى كانت عليها الاتصالات بين مصر ودول العالم، فى ذلك الوقت.. وكان من حسن حظي أن رئيس وحدة العلاقات الدولية، بهيئة الاتصالات الفرنسية، كان من بين أصدقائي.. وكنت قد دعوته قبلها، لزيارة مصر، وسهلت التعاون بينه وبين هيئة الاتصالات المصرية، وكان يعمل جاهداً على تنفيذ كابل الاتصالات البحري بين الإسكندرية ومارسيليا.

اتصلت بالرجل، وشرحت له أهمية حاجتي العاجلة، إلى الخط المباشر، خاصة بعد اندلاع الحرب.. وحينما سألني: متى تريد هذا الخط؟

قلت: هذا المساء

انفجر الرجل ضاحكاً وساخراً، وقال لي: إن تدبير خط مباشر، بهذه السرعة، لابد أن يكون أمام حالة طوارئ قصوى، وأن يكون الألمان - مثلاً - قد أعادوا احتلال منطقة الألزاس فى فرنسا.

قلت له، بنفس روح الدعابة: ولكن هناك حالة أخرى، يمكن تدبير فيها الخط، بهذه السرعة.. وهى أن أكون صديق الرجل الأول فى العلاقات الدولية لهيئة الاتصالات الفرنسية.

وقال لي: لا أعدك بشيء، ولكن أعدك بأن أبذل أقصى الممكن فى هذا الموضوع.

وأعترف بأنني تعلمت منه هذه العبارة، فى كل مرة يطلب مني إنسان فيها أداء خدمة.. تعلمت ألا أرد بسهولة، على طريقتنا المصرية، وأقول "من عينينا" مثلاً.. بل أقول نفس العبارة: أعد بأن أبذل الحد الأقصى من الجهد.

ولن أنسى لهذا الرجل، أبداً، أن الخط تم تركيبه، فى الثامنة مساء، وتم فتح الاتصال المباشر بين القاهرة وباريس.

وحين دخلت إلى الأستوديو، لأبعث إلى القاهرة، بأول رد فعل فى فرنسا وأوروبا، على بدء معركة أكتوبر، كان معي، وقتها، صحفيون وإعلاميون أجانب.. وعندما كنت أبث رسالتي إلى القاهرة، أدركت وقتها، لماذا أصر الرئيس السادات، عندما أسند لي مهمة مدير الإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية، أن يكون ذلك إلى جانب عملي الصحفي العادي.. فخلال البرنامج الإذاعي، الذى كنت أتحدث منه، إلى القاهرة، شعر الجميع، من المصريين والعرب، أننا أصبحنا نتكلم لغة واحدة، فى الداخل والخارج، وقد كان ذلك هو الهدف الذى حدده الرئيس السادات، وقت تعييني.

للنصر رائحة!

وحينما غرقت، بعدها، فى قراءة البرقيات، ومتابعة البرامج التليفزيونية، أحسست برائحة النصر، وظللت طوال هذه الليلة، وحتى الرابعة صباحاً، فى مكتبي، الذى حولته إلى غرفة عمليات،.. ومن سريري الذى كان قد تم إعداده

لي، فى الغرفة، كنت - باعتباري مسئولاً عن الإعلام الخارجي كله - أتلقى البرقيات التى تأتى، من أمريكا، مع فارق توقيت يصل إلى ٦ أو ٧ ساعات.

والأمانة تقتضي أن أقول، أن التعاون مع الدكتور عبدالقادر حاتم، نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام، أثناء الحرب بسبب رفضي منذ اليوم الأول قيام أى علاقة تنافسية بين إعلام رئاسة الجمهورية وبين وزارة الإعلام قد ساعد على إنجاح مهمتي.

وكانت البرقيات التى أبعث بها للقاهرة، يتم إعفاؤها من الرقابة، على أساس أن المسئول عنها، هو فى نهاية المطاف، مسئول إعلامي برئاسة الجمهورية

وحينما هممت بالذهاب إلى النوم، بضع ساعات، راود مخيلتي فيلم تليفزيوني أخرجه خيالي، ورحت أقارن فيه، بين بشائر أخبار النصر، وبين المشاهد المأساوية التليفزيونية، التى عشتها فى نفس العاصمة باريس، أثناء حرب يونيو ١٩٦٧، والتعليقات الساخرة، والمهينة، لرجال الإعلام الفرنسي والأوروبي، على مصر، وجيش مصر.. هذه المساخر التى قال عنها الفريق كمال حسن علي، فيما بعد، أنها تمثل أكبر ظلم تاريخي لجيش عظيم يستحق مكانة أخرى، تليق به وبتاريخه، وليس كما أشاعوا حوله، وأطلقوا على أفراده النكات، ظلماً، بعد ٦٧.

وكان رأى كمال حسن علي، أن جيشنا قد أخذوه، فى النكسة، على غرة، واستدرجوه إلى معركة لم يكن مستعداً لها..

ثم ذهب خيالي إلى بعيد، ليتصور استحالة الفصل بين معركة اليوم - مساء ٦ أكتوبر - وهى تحمل أولى بشائر النصر، وبين الجهد غير العادي، الذى بذلته القيادة السياسية والقادة العسكريين الجدد، وعلى رأسهم الفريق محمد فوزي، فى حرب الاستنزاف، ومسيرة إعداد جيش مصر، على مدى أربع سنوات، من ٦٧ إلى ٧٠، تحت قيادة جمال عبدالناصر.

وقد دعاني التليفزيون الفرنسي، فى اليوم التالي للمعركة، إلى مواجهة تليفزيونية مع إسرائيليين، فى برنامج تليفزيوني.. وأحسست هذه المرة، أن ما قمت به، من مواجهات، عام ٦٧، لا أستطيع أن أقوم به هذه المرة، لأن موقعي فى رئاسة الجمهورية، يمكن أن يعطى لكلامي رسالة سياسية رسمية غير مقصودة، ويمكن أن تؤخذ كل كلمة أقولها على أنها تعبر عن فكر الرئيس السادات.

واضطررت لأن أطلب من التليفزيون الفرنسي، أن يكون اشتراكي من خلال أستوديو منفصل، عن الأستوديو الذى سيشارك منه الإسرائيليون.. وجاء الإسرائيلي، الذى كان عليّ أن أواجهه على الهواء مباشرة، وكان أقرب إلى شخصية الممثل المسرحي، منه إلى أى شئ آخر.. فبدأ بالهجوم عليّ، وعلى الحائط

الذى أقمته بيني وبينه، باستديوهين منفصلين، وهاجم مقاطعتي له، وأتم دوره المسرحي، حين تظاهر بأنه منهار، وأنه يريد مغادرة الاستديو فى برنامج مباشر "على الهواء".. وكان درساً إعلامياً لي، لن أنساه.. فبعد انتهاء البرنامج، فوجئت بتليفون من "منديس فرانس" رئيس وزراء فرنسا السابق، الذى كنت قد التقيت به، من قبل، مع السفير حافظ إسماعيل، بعد النكسة.. وقد كان رجلاً له مواقف موضوعية، وأمينة، تجاه استقلال تونس والجزائر، وكانت له تحفظات على حرب السويس، رغم أنه كان يهودياً، وكان متزوجاً من مصرية يهودية، هى ابنة اليهودي "شيكوريل" صاحب المحلات الشهيرة.



الرئيس ميتران وقت وصوله إلى الحكم يحي خصمه السياسى اللدود منديس فرانس رئيس وزراء فرنسا السابق، والذى كان متزوجاً من بنت شكوريل المصرية اليهودية، ويبدو منديس فرانس منفعلاً وهو يسمع ميتران يقول له: بدونك وبدون أفكارك كان يستحيل أن أصل للحكم

وحين تلقيت اتصاله التليفوني، قال لي: لم أختلف معك فى كلمة واحدة مما قلته على الشاشة، ولكن أقول لك، إن النظام، الذي فرضته، من خلال استديو منفصل، عن استديو الإسرائيلي الذى كان يواجهك، قد لعب دوراً لغير صالحك، وانتصر الفريق الآخر، من أول المعركة، لأنه كان يتكلم عن رفضكم للإنسان الإسرائيلي، ورفضكم للجلوس بجواره، فابتعد الحديث عن موضوع معركة أكتوبر، وانقلبت العملية إلى موقف عنصري من جانب الطرف المصري.

وفى اليوم التالي، وصلتني دعوة أخرى من التليفزيون الفرنسي للمشاركة فى مائدة مستديرة مع الطرف الإسرائيلي، وأخذت أفكر على مدى ساعتين، كيف يمكن أن أوفق بين الفاعلية المطلوبة مني، وبين احترام شكل انتمائي إلى رئاسة الجمهورية، وفى الساعة السادسة، أى قبل بدء البرنامج بساعتين، أرسلت برقية إلى رئاسة الجمهورية، فى مصر، طلبت فيها من مستشار الرئيس للأمن القومي، السفير حافظ إسماعيل، أن يبلغ الرئيس أنني أتحمل مسئولية المخاطرة بقبول الاشتراك فى المائدة المستديرة مع الإسرائيليين، تقديراً مني للموقف على أرض الواقع، وهو تعبير يعرفه الإنسان العسكري قبل أى فرد آخر، حين تكون فى معركة، ويطلب منك تحمل مسئولية تقدير الموقف على الأرض.

وعندما عملت بهذا الأسلوب، تغير المسرح الإعلامي، وواجهت الطرف الإسرائيلي بموضوعية، وتفاديت أية مواجهة شخصية مع الإسرائيلي، لأترك للعقل الفرنسي وحده، أن يكون حكماً بين الطرفين.. وكان عرضي عبارة عن رحلة سريعة، ومستمرة، بين الواقع على الأرض، فى أكتوبر ١٩٧٣، وبين العدوان الإسرائيلي المتكرر، على الأراضي العربية، من عام ١٩٤٨، إلى ذلك اليوم، أى عام ١٩٧٣.

وكتبت الصحف الفرنسية فى اليوم التالي تقول ما معناه: "جون" لصالح الطرف المصري على شاشة التليفزيون الفرنسي.

ولكن هذا لم يمنع أن أستخدم تعبيرات إنسانية أعرف مدى تأثيرها على المشاهد، فحين سألني المحاور: لماذا كل هذه الكراهية لليهود والإسرائيليين ؟

قلت له: إنه عدو لي، لأنه – فقط – يحتل أرضي، وأشارك فى الحرب ضده، مع أهلي بهذا المنطق، ولهذا السبب، وليس لأى سبب آخر، ولست فى احتياج، لأن أكرهه عنصرياً، وأنا أؤدي دوري، فى معركة تحرير الأرض.

وأذكر أنه كان بجانب مكتبي، فى الأوبرا بباريس، تاجر يهودي.. وأذكر كيف كان الخلاف يحتدم بينه وبين ابنه، وهو يراه يتحاور معي فى الشارع، وكان الأب يقول لي: أنا سعيد أن أسمع أنك لا تكرهني.. فكان الابن ينفجر وهو يقول: نعم إنه لا يكرهك، ولكنه سوف يقتلك فى المعركة!

ومن الصور المشرقة، والمشرفة، فى نشاطنا الإعلامي، المواكب للحرب ما تم إنجازه بالتعاون مع الأخ والصديق الدكتور ممدوح البلتاجي، الذى كان قد أنهى دراسة الدكتوراه فى الاقتصاد، وكان معروفاً بين زملائه بالحس الوطني العالي، وبتمكنه من الفرنسية، وبقدرته على التعبير بها، بوضوح.. وقد جاء إلى مكتبي ومعه الدكتور محمد عبد اللاه رئيس جامعة الإسكندرية حاليا وكان وقتها

صحفيا مرموقا لوكالة الأنباء الفرنسية وقتها، ليقول لي: كل دقيقة، وكل لحظة من وقتي، هى فى المعركة الإعلامية الحالية، وأنا على أتم الاستعداد للتعاون معك.

وأذكر جيداً، كيف أنه نجح فى ذلك الوقت، فى تكوين مجموعة سميناها "مجموعة الرد" وكانت تتمثل فى مجموعة كبيرة من الفرنسيين والأوروبيين، بحيث يكون أفراد هذه المجموعة، جاهزين للتصدى لما قد تتعرض له مصر، من هجوم ظالم فى وسائل الإعلام، التى كانت تتلقى خطابات، أو برقيات، أو اتصالات تليفونية، من أعضاء المجموعة، توضح وترد على كل ما يقال عن مصر..

وكانت تلك المجموعة، تعمل مع الدكتور البلتاجي، عن قناعة، وكانت هذه المحاولة شبيهة بالتحرك الإسرائيلي، عندما تتعرض إسرائيل لأى هجوم إعلامي.

وكانت الفكرة ناجحة جداً، وكان لها ردود فعل بالغة الأهمية، إذ كانت المرة الأولى، التى يتلقى فيها الإعلام الفرنسي، ردود فعل فرنسية، وأوروبية تتفهم وجهة النظر المصرية.

ورغم وجود ميزانية تحت تصرفي، للتحرك الإعلامي، فإنني أشهد الله،أن الدكتور البلتاجي، وكان مبعوثاً وقتها، لم يقبل أى مكافأة عن عمله الإعلامي والوطني بجانبي، طوال شهور، حتى تم تعيينه مستشاراً إعلامياً بسفارتنا بباريس، بناء على ترشيح مني للسيد ممدوح سالم رئيس الوزراء والصديق الفريق كمال حسن علي رئيس جهاز الأمن القومي.

الفصل التاسع عشر

لقاء مع السادات فى "الضلمة".. بميت أبو الكوم

- السادات: "لا أحد يذهب إلى الحرب من أجل الحرب"، ولكن من أجل مكان محترم على مائدة مفاوضات
- الجنرال بوفر: الثغرة "عملية سينمائية" وسماها السادات"تليفزيونية"
- وزير فرنسي فجر ٧ أكتوبر: لقد أنقذ السادات بالأمس كرامتي أمام مجلس الوزراء الفرنسي
- الرئيس الفرنسي بومبيدو: مواجهة ساخنة مع أصدقاء إسرائيل فى شيكاغو

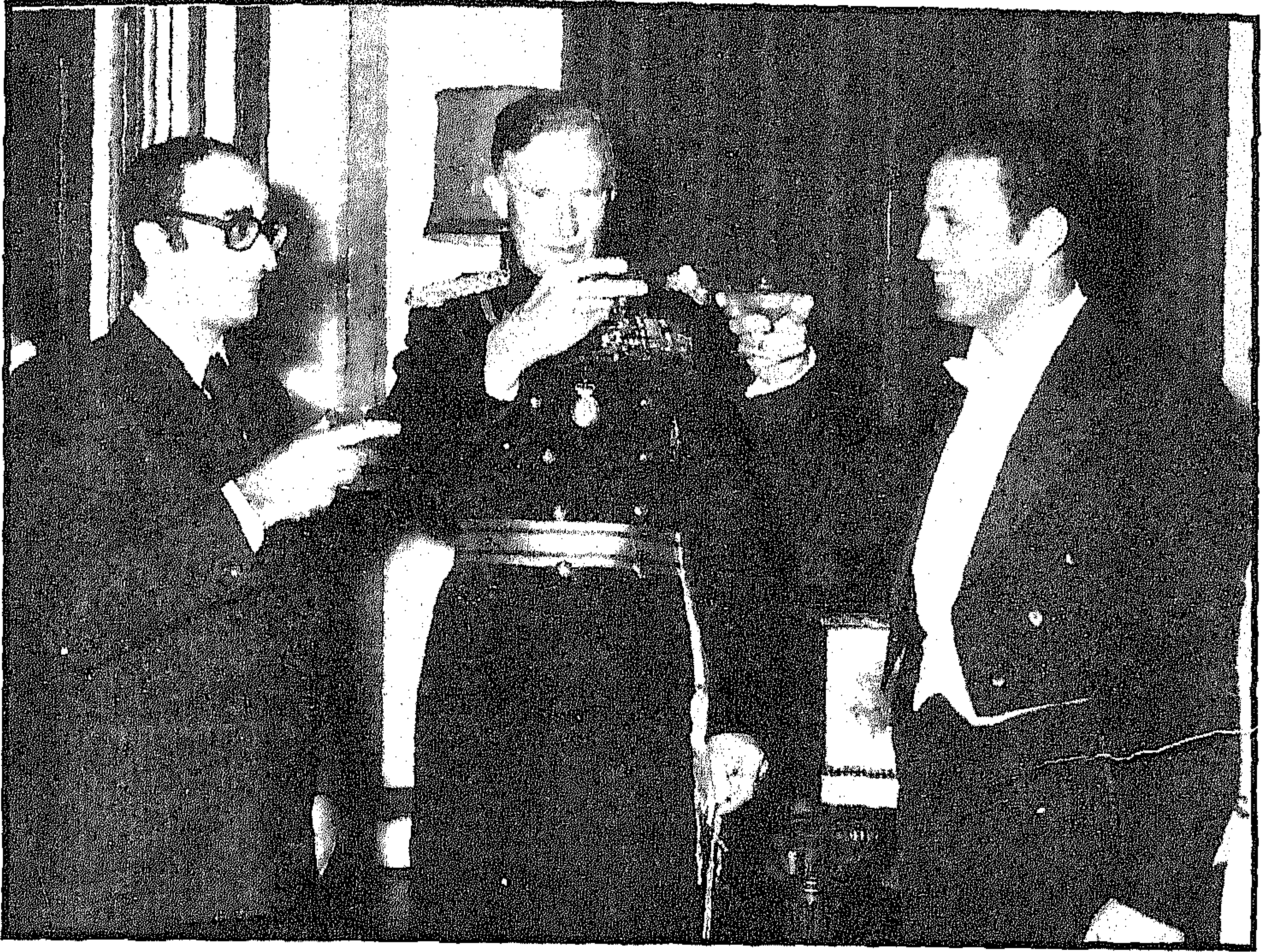
فى إحدى زياراتي للقاهرة، قبل حرب أكتوبر، التقيت بالمشير أحمد إسماعيل علي، وعبر لي عن عدم ارتياحه، لأن الإعلام الفرنسي يريد أن يحول الفريق سعد الدين الشاذلي إلى نجم.. وأننا، فى تقاليد العمل العسكري، لا نحب النجومية للقادة العسكريين.

وقلت له: اسمح لي أن أختلف معك، فالرأى العام الأوروبي، والغربي بوجه عام، عاش صورة محددة عن الجيش المصري، وهى صورة فُرضت علينا ظلماً، من خلال الصور التى كانت وسائل الإعلام تنشرها هناك، للجندي المصري المنهزم، على رمال سيناء فى عام ١٩٦٧.

أما اهتمام جريدة "بارى ماتش" الفرنسية، بوجه خاص، والصحفية جنفييف شوفيل، بالفريق سعد الدين الشاذلي، فسببه أنهم اكتشفوا فيه نموذجاً جديداً للضابط المصري، يقترب من صورة ضابط المظلات الشهيرة، التى يحبها الرأى العام الأوروبي، كما أن العائد الحقيقي لهذه الصورة، هو فى نهاية المطاف، للجيش المصري.

والواقع، أنه قد أتيحت لي فرصة زيارة الجبهة أكثر من مرة، بمرافقة اللواء عز الدين مختار، وشعرت أن الفريق سعد الدين الشاذلي، بالنسبة لبرنامج الإعداد للمعركة، هو المهندس الحقيقي للتخطيط، والتدريب، والتنفيذ لعملية العبور.. هذا ما أحسست به، وهى نظرة إنسان أعترف بأنه "غير خبير".. لقد كان لسعد الدين الشاذلي، الدور الرئيسي، بلا منازع فى معركة عبور قناة السويس.. أما بعد العبور، فليختلف الناس ما شاءوا، فيما أتى من أحداث.

وبالمناسبة، فقد أجبت على المشير أحمد إسماعيل علي، فيما أجبت، بأنه لو أراد إبراز شخصيته، ودوره، فنحن على استعداد لذلك، فى الإعلام الفرنسي والأوروبي.. ولكنه قال لي: لا أحب ولا أريد ذلك.

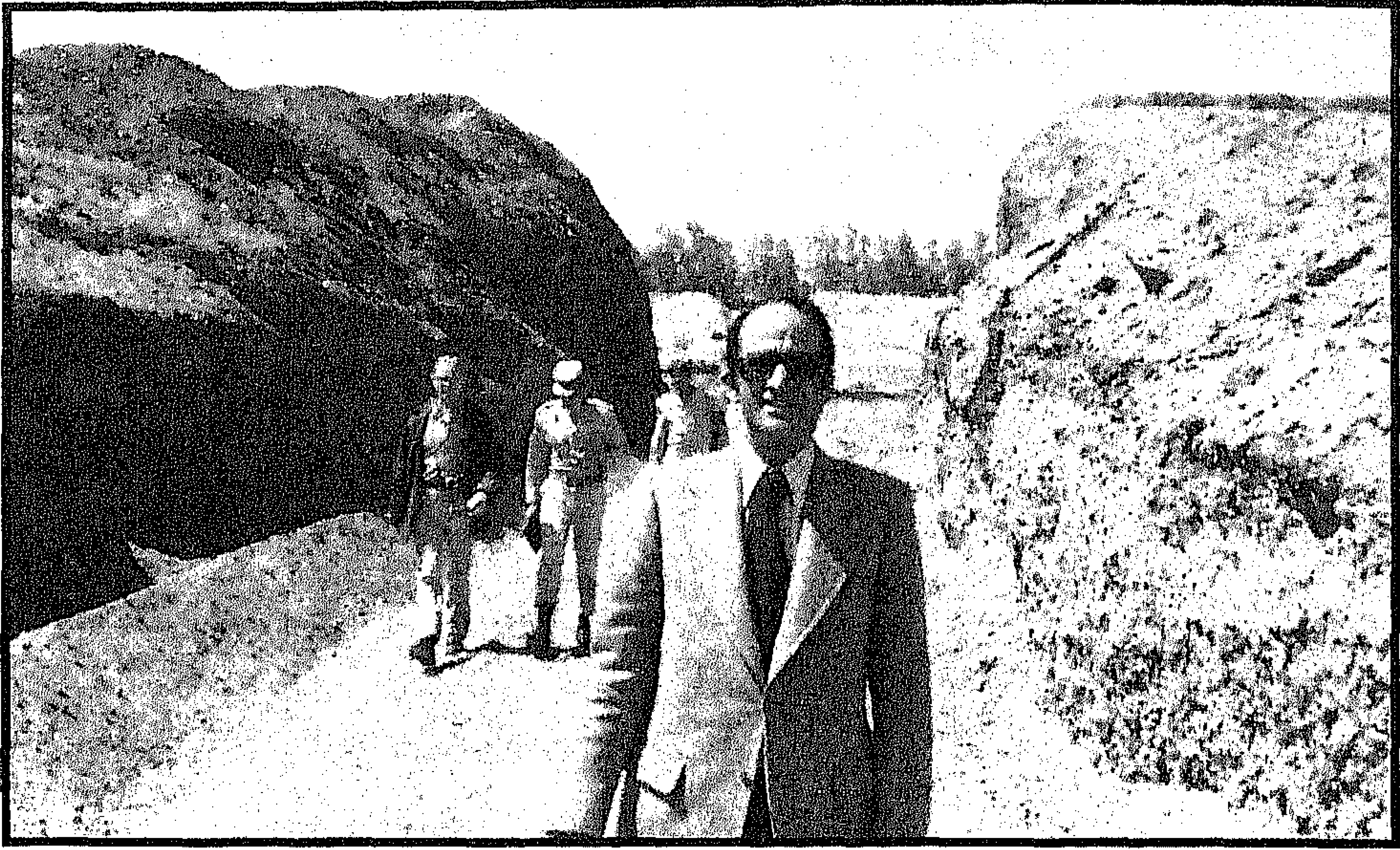


د. علي السمان مع الفريق سعد الدين الشاذلي، ومارشال باكينجهام.. قبل أن يرافقه في العربة الملكية لتقديم أوراق اعتماده للملكة.. بدون نياشين عسكرية!!

وفى مرة أخرى، زرت الجبهة، والتقيت بالمشير الجمسي، وكان وقتها برتبة لواء، وكان مسئولاً عن العمليات.. وكانت دهشتي كبيرة عندما أسرع نحوي، عدد كبير من الجنود، وهم يخرجون من خنادقهم، ثم راحوا يقبلونني، ويقولون إن تأثير برنامجي الإذاعي "أتحدث إليكم من باريس" عليهم، كان هائلاً، وقد ساهم فى رفع معنوياتهم بشكل كبير. وقال لي أحد الجنود: أنت ترفع معنوياتنا، دون أن تكذب علينا..

والتفت إليّ المشير الجمسي، وقلت له: إذا نسيت الدولة، منحي أى نيشان، فأرجو أن تذكر أن هذا الجندي قد أعطاني نيشاناً لن أنساه.

وبالنسبة للجمسي، كرجل عسكري، فقد اكتشفت فيه عقلاً منظماً، ومرتباً، ووجدت أنه كان إذا تكلم، فى الأمور العسكرية، فكأنه يقرأ من كتاب.. ومما لفت نظري فيه، بقوة، أنه كان حذراً، تجاه أى تفاؤل، فى تقدير الأمور، بوجه عام.. وقد ظللت على علاقة طيبة به، لسنوات، حتى أختاره الله لجواره مما سوف يأتى الكلام عنه، فيما بعد.



د. علي السمان فى زيارة للجبهة عام ١٩٧٣

وحين أعود إلى باريس، فإنني أقول، إن نشاطنا الإعلامي هنا، بلغ ذروته، خصوصاً أثناء الحرب وبعدها، وقد كان ذلك ضرورياً جداً، حتى يمكن أن نرد، وبقوة، على الإعلام الإسرائيلي، الذى أراد أن يحرمنا من صورة المنتصر، فى معركة أكتوبر، بحجة حكاية "الثغرة"، التى أرادوا استغلالها، إعلامياً، أقصى استغلال ممكن.

أما يوم أن وقعت الثغرة فى مصر، أثناء حرب أكتوبر، فقد بدأ القلق يسود بعض دوائر الحكم فى القاهرة.. وكان من المهم، بالنسبة لي، أن أعرف بالضبط أهمية وحقيقة الثغرة، من أجل ضبط إيقاع توجهي الإعلامي.

فى ذلك الوقت، كانت الأخبار التى تبعث بها مكاتبنا فى أمريكا تمر بباريس، بحكم مسئوليتي عن الإعلام الخارجي، بوجه عام، ومن هنا ضرورة البقاء فى موقع عملي بصفة مستمرة.

طلبت الجنرال بوفر، رئيس أركان الجيش الفرنسي السابق، وأبلغته بأني فى أمس الحاجة للقائه، ولكن التزاماتي أثناء المعركة، لا تسمح لي بأن أغادر مكتبي.. واستجاب الرجل، وبعثت إليه بسائقي، لكي يأتى به إلى المكتب.. والطريف أن السائق كان حارس أمن أرسلته القاهرة لي، وكان ممن تم تدريبهم فى فرق الصاعقة.. وحين دخل بوفر مكتبي داعبني قائلاً: سائقك هذا من المؤكد أنه رجل عسكري، وغالب الأمر أنه ينتمي إلى فرق الكوماندوز..

ولما سألته: كيف عرفت، رغم أنه يرتدى الملابس المدنية.

قال: هولاء الناس أشم رائحتهم، عن بعُد، مهما اختلفت أجناسهم.

واكتفيت بالابتسامة !

وسألته فوراً: ما هو بالضبط، تقييمك لأهمية وخطورة عملية الثغرة ؟

وفاجأني حين قال: إن الثغرة تمثل نوعاً من الردع لمعنويات الطرف المصري، كما أنها فى الوقت نفسه تمثل شيئاً إيجابياً لمعنويات الطرف الإسرائيلي.. ولكني واثق من أن الطرف الإسرائيلي لا يستطيع استثمار الثغرة، فى اختراق الدلتا.. مثلاً.

ثم أضاف: إنها، فى رأيي، عملية سينمائية، وليست ذات بُعد استراتيجي.. وعندما سمعت هذا الكلام، من رجل على مستوى "بوفر"، عسكرياً وفنياً، اتصلت فوراً، وكان الوقت مساء، بمكتب رئيس الجمهورية، وأصررت على ضرورة إبلاغ الرئيس السادات، بمحتوى كلام "بوفر".. بل إنني تجرأت، وأفهمت مَنْ تلقى مني الرسالة، أنه يتحمل المسئولية، إذا لم يبلغها للرئيس، فى لحظتها.. فقد كان من رأيي، أنه من الضروري أن يتلقاها السادات، على الفور، دون تأخير.

ومنذ تلك اللحظة، أصبح رأى الجنرال بوفر، سنداً ومرجعية فى العلم العسكري، بالنسبة للسادات، وهو يتكلم عن حكاية الثغرة.. ولكنه، عندما استخدم رأى بوفر، فى عدة خطابات سياسية متتالية، أستخدم تعبير "عملية تليفزيونية"، "بدلاً من عملية سينمائية"..

وكان رأى "بوفر" رأياً له وزنه وثقله، باعتبار أن الرجل كان صاحب أكبر عقل استراتيجي فى أوروبا، فى ذلك الوقت.

على كل حال.. إنه جزء صغير، من تاريخ مصر الكبير، على أرض حرب أكتوبر وشاء حظي أن تكون لي علاقة مباشرة، ولو"متواضعة" بهذا التاريخ.

وقد أقنعت الجنرال بوفر، فيما بعد، بكتابة مقال فى جريدة "لو فيجارو" الفرنسية عن موضوع الثغرة، كما أنه أعلنها، أيضاً، فى برنامج تليفزيوني.

ثم.. بقى موضوع آخر، ذو طابع سياسي، وإعلامي، وهو بداية انحسار الدور الفرنسي والأوروبي، عن المنطقة، بعد بدء تواجد الدور الأمريكي، الملحوظ، فى مفاوضات وقف إطلاق النار، والاتصالات المباشرة بين هنري كيسنجر، مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية الأمريكي، وقت وبعد الحرب، وبين الرئيس السادات وبالتالي كان مهما تنشيط بعض قنوات الاتصال بين بعض الشخصيات الفرنسية والرئيس السادات.

***

وهنا، أريد أن أذكر القارئ، بالدور الذى قام به "جان دى ليبكوفسكي" وزير الدولة للشئون الخارجية الفرنسية، وقد كان هذا الرجل شخصية محورية، وصديقة، وكنت قد تعرفت عليه، فى باريس، فى الفترة التى سبقت وصول الرئيس السادات للحكم.. وقد اصطحبته فى زيارة إلى مصر، والتقى بمحمد فايق، وزير الإعلام وقتها، فى محاولة لاقناعه بتبني مصر نظام "سيكام" للتليفزيون الملون.. وكان الرئيس الفرنسي "بومبيدو" يقود فى ذلك الوقت، منافسة شديدة ضد النظام الألماني "بال".. واقتنع الوزير فايق، خاصة أنه يعلم بوعيه السياسي، بأن الوزير ليبكوفسكي ديجولي، فى اتجاهه السياسي، وأن الرئيس بومبيدو يحبه كثيراً، وأن مجاملة مصر لفرنسا فى تبنيها لنظام "سيكام" سوف يكون نوعاً من التعاون السياسي والفني المطلوب.

وقبل الإعلان عن تبنى مصر، لنظام "سيكام" فى الصفحة الأخيرة فى الأهرام أبلغني الوزير فايق، أن السيد سامي شرف، له رأى، وهو أننا يجب أن نتتبه ونحن نختار عبارات البيان، الذى سنعلنه عن تبنينا للنظام الجديد، حتى لا يبدو للرأى العام المصري وكأننا ننفق أموالنا فى تنفيذ التليفزيون الملون، فى الوقت الذى تستعد فيه البلد للمعركة، فيظهر ذلك وكأنه نوع من الترف.!!

وذهبت من فوري، إلى الوزير ليبكوفسكي، حيث كان يقيم فى الفندق، وطلبت منه أن يطلب من الرئيس بومبيدو موافقته على منح مصر معونة فنية لتطوير نظام التليفزيون بها، وأرسل ليبكوفسكي برقية بالفعل إلى الرئيس بومبيدو، الذى رد على الفور، بالموافقة، وقبل مرور ٤٨ ساعة،.. وبالتالي فإن تبني مصر للتليفزيون الملون، جاء بمعونات مولتها فرنسا أملا فى أن اختيار مصر لنظام السيكام قد يؤثر فى اختيار بعض الدول الغربية الأولى.

ولو أردت أنا، من ناحيتي، أن أتحدث عن الوزير ليبكوفسكي، فإنني أستطيع أن أصفه بأنه "حدوته" فى التاريخ الفرنسي.. إذ كان قد التحق بالمقاومة الفرنسية، تحت قيادة الجنرال ديجول ضد الاحتلال النازي لباريس، وأصبح وهو فى سن ١٨ ضابط احتياط فى المظلات، وقد قُتل أخوه فى معركة التحرير، وكانت أمه أيضاً من السيدات اللاتى ساهمن فى معركة التحرير، فاختارها الجنرال ديجول لتكون السيدة الوحيدة، العضوة فى المركز القومي للمقاومة.



د. علي السمان مع "جون دى ليبكوفسكي" وزير الدولة للشئون الخارجية الفرنسي سابقاً.. وصديق السادات

وحين التقى ليبكوفسكي، بالرئيس السادات، التقت "كيمياء" الرجلين، وأقبلت روح كل منهما على الآخر، وأحبه السادات، ووثق فيه.

وهنا، أتوقف عند الأسلوب الذى كان الرئيس السادات يمارس به، ثقته، حين يمنحها لأى طرف يتعامل معه.. فحين التقى ليبكوفسكي بالسادات، قبل حرب أكتوبر بشهرين ـ أمسك السادات بذراعه، وصاح به وهو ينطق بالمقطع الأول من أسمه ويقول: جان.. أرجو أن تثق فى أنني ذاهب إلى الحرب والمعركة، كحل أكيد.. أرجو أن تثق فى ذلك، لأنني أعلم أنه لا أحد فى أوروبا (يأخذني جد)، ولكن ما يهمني هو أن تؤمن أنت شخصياً، بما أقوله لك.. وحين عاد ليبكوفسكي، أعلن ذلك، فى اجتماع لمجلس الوزراء الفرنسي وبحضور بومبيدو، فتهكم عليه بعض الوزراء، وسخروا منه، وهو يعلن لهم، أن السادات ذاهب إلى الحرب.

ولعل هذا الأمر، هو الذى جعله يوقظني من نومي، صباح ٧ أكتوبر، ويقول لي: لقد أنقذ السادات كرامتي أمام الوزراء، وجعلني أنتقم منهم، وأنا أرد عليهم وأقول:

بعض التشكيك قد يكون مفيداً، ولكن التشكيك الكامل، علامة من علامات الغباء السياسي..!

وعندما عاد ليبكوفسكي إلى مصر، والتقى بالسادات بعد المعركة، وبعد النصر، تعانقا بحرارة عند اللقاء فى القناطر الخيرية، وروى الوزير الفرنسي للسادات، بمرح، قصة إنقاذه أمام مجلس الوزراء الفرنسي.. وحينئذ فاجأه السادات بقوله: الحرب الآن وراء ظهرنا وسوف تكون مطالباً، مرة أخرى، بأن تصدقني، حين أقول لك أني أملك، الآن، استراتيجية للسلام.

***

وفي مارس ١٩٧٤، كان علىَّ أن أعود إلى مصر، وأن أقدم للسادات تقريراً كاملاً، عن مهمتي كمدير للإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية، أثناء الحرب، وبعدها.. وتحدد لي موعد فى ميت أبوالكوم.. ظهراً.. ثم تأخر الموعد ليكون فى المساء، وكعادتي، حين التقى مع قيادة عالية المستوى، فإنني أجهز أوراقي، وأعمل على إعدادها جيداً.. وفى نقاط محددة.

لا أحد يذهب الى الحرب من أجل الحرب

وفى بيت صديقي وقريبي فتحى سلمان بميت أبوالكوم، انتظرت قليلاً، حتى يحل موعدي مع السادات، وكان فتحى سلمان يطمئنني على تأخير الموعد قائلاً: من الأحسن أن يكون موعدك مع الرئيس مساء.. فالرئيس يكون "رايق" أكثر.

وحين دخلت إلى صالون البيت، اكتشفت أنه يجلس بعيداً، فى الحديقة، وبعيداً عن نور الصالون.. وكان يجلس، تقريباً، فى الظلام.. وحين اقتربت منه، ابتسمت وأنا أقول له: سيادة الرئيس لقد أعددت نفسي لهذا اللقاء عدة أيام، بأوراق ونقاط محددة أريد أن أقرأها أمامكم، وكتبت كل شئ، وهيأت نفسي لكل شئ، إلا أن يكون اللقاء، تقريباً، فى الظلام.. ولن أستطيع، بالتالي، قراءة أوراقي

وضحك الرئيس وهو يقول: أنتم يا ابني نسيتم الريف المصري.. ونسيتم أن مشكلته الأساسية هى الناموس، وقد أضأت النور، للناموس، لكي يذهب إليه بعيداً عني، وجلست هنا، وأنا آمن من شره !! وعلى العموم، سوف تكلمني من الذاكرة، ثم تذهب إلى النور والناموس لتقرأ أوراقك، إذا نسيت بعض النقاط !

وبينما كنت أقدم له تقريري، لاحظت على وجهه، أنه كان مشغولاً بالمستقبل.. وحين أتى الكلام عن حرب أكتوبر، قال لي: "لا أحد يذهب إلى الحرب، من أجل الحرب، إنما يذهب إليها، من أجل أن يوصله النصر إلى مكان محترم على مائدة المفاوضات".. وأحسست، أن مهمتي التى كلفني بها الرئيس، عن إعلام الحرب، فى

معركة أكتوبر، قد انتهت، فسمحت لنفسي بأن أذكر الرئيس، فى هذه الجلسة، أنني سبق أن قلت له، عندما عينني مديراً للإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية، إنني أعتبرها مهمة، وليست وظيفة، وأنه يكفيني، من الشرف، أن يكون قد أُتيحت لي فرصة المساهمة، ولو بقدر متواضع، فى أكبر وأشرف معركة، من معارك مصر.

وكان رد الرئيس السادات: لا تهم شكلية المناصب، .. ويمكنك الآن أن تعود إلى عملك الصحفي والإعلامي العادي، فى أوروبا، لأن المرحلة القادمة، ستكون فى حاجة، إلى حشد القوى السياسية فى أوروبا، حتى نستطيع مقاومة اللوبي الصهيوني هناك.. ويحتمل أننا سنحتاج أيضاً، إلى أن يتفهمنا بعض الشخصيات اليهودية المستقلة هناك، أثناء الاتصالات المستقبلية مع إسرائيل.

وأضاف السادات وكأنه يستشرف آفاقاً محددة فى المستقبل المنظور: "لا أدرى كيف يمكن أن تتطور الأمور.. ولكني أذكر، أني سمعت يوماً، من الوزير عباس رضوان، وهو يحكى أمام المشير عامر، الذى كان عائداً لتوه من زيارة إلى باريس.. أذكر أن عباس رضوان، حكى عن تجربة لك، فى الحوار العلني مع أطراف إسرائيلية ويهودية فى باريس.. وبالتالي فإن رصيد التجربة، يمكن أن نحتاج إليها يوماً".

وكان الرئيس السادات، يشير إلى تجربة الحوار مع شخصية إسرائيلية، فى مدرج العلوم السياسية فى باريس، وهى تجربة رويت عنها فى الفصول الأولى، من هذا الكتاب وعن الزوبعة التى أثارتها.

وخرجت من بيت الرئيس، فى ميت أبوالكوم، وأنا أشعر أنني قد استرددت حريتي، لأعود صحفياً حراً، دون قيود وظيفة الدولة.. وكان عندي إحساس بالرضا، وبأنني سوف أكون على موعد، مرة أخرى لخدمة مصر وقضايانا العربية، فى مراحل مقبلة.

مغامرة بومبيدو فى شيكاغو.. ومغامرتي

فى شهر ديسمبر ٧١، قامت فرنسا بعقد صفقة هامة، لبيع طائرات الميراج، إلى ليبيا.. وجن جنون اللوبي الصهيوني، وخصوصاً فى أمريكا.

فى ذلك الوقت، صاحبت الرئيس الفرنسي بومبيدو فى رحلة له إلى الولايات المتحدة، ورأيت رأى العين، مدى قوة وسيطرة هذا اللوبي، على الشارع الأمريكي، وخصوصاً فى شيكاغو، التى زارها بومبيدو، .. لقد انحاز حاكم الولاية، بالكامل، للسياسة الإسرائيلية، وقاطع الرحلة.. وحين ذهب بومبيدو، إلى أحد

فنادق شيكاغو الكبيرة، للاحتفال به، فوجئ عند انتهاء الحفل، بمظاهرة من أصدقاء إسرائيل تخترق الفندق، وهذا ما لا يحدث عادة هناك.. فالنظام الأمريكي يفرض، عند التظاهر، أن تبقى المظاهرة على الرصيف المواجه للمكان.

وقد وجه المتظاهرون، للرئيس الفرنسي، سباباً قبيحاً، وبصقوا على الأرض أمامه، لإظهار مدى احتقارهم له، ولاحظت أن بومبيدو، ساعتها، كان مهتماً بشيء واحد، هو حماية زوجته كلود بومبيدو، التى كانت بطبيعتها تكره التجمهر،.. ولم أجد حرساً فرنسياً كافياً حوله، فى الوقت الذى لم يتدخل فيه الحرس الوطني الأمريكي.. بل ورأيت، على البعد، رئيس بوليس شيكاغو، واقفاً فى أقصى أحد ممرات الفندق، يمضغ "لبانة" فى فمه، وهو يرد على الذين ذهبوا يستغيثون به ويقول: لا تخشوا شيئاً !!

عدتُ، إلى هذه الجمهرة، لأجد الصحفيين – كالعادة- منشغلين بتغطية الحدث، لا المشاركة فى حماية الرجل، فنسيت للحظة مهمتي، وصحت فيهم: تعالوا نلتف جميعاً، لنحمي الرئيس من الغوغائية.

وبالفعل استجابوا.

وحين غادر الرئيس بومبيدو، شيكاغو، بعد هذه المهانة، رأيته يتصرف كإنسان ريفي فرنسي، يريد أن ينتقم لشرفه، ولما لحق به، بالأمس.. فعندما اكتشف أن السجادة التى كان يسير عليها، فى المطار وهو فى طريقه إلى الطائرة، تبعده عن مكان تواجد الصحفيين، غادر الطريق الذى ترسمه السجادة، واتجه نحو الصحفيين، وقال لهم بنبرة حادة، ولكن مع ابتسامة كبيرة: "لن يمر وقت طويل حتى يكتشف هولاء الذين سبوني بالأمس، كيف أنهم أساءوا إلى القضية التى يزعمون خدمتها هنا".

وبالمناسبة، فإنه عند عودته إلى فرنسا، شدد إجراءات الحظر على تصدير السلاح إلى إسرائيل.. وقال لوزير خارجيته بوضوح: من الآن فصاعداً، إذا شاء سفير إسرائيل لدينا أن يلتقي بأحد، من المسئولين، فليذهب إليك، لأني لن التقي به.

وكان هذا الحادث، يعنى بالطبع الكثير، العقلية الإسرائيلية فى ممارسة الضغوط، وكيف أن كثير منهم لا يحترمون الجرعة الواجبة، تجاه القضايا التى يتصدون لها، ويتخطون حساباتها، فتنقلب ضدهم !

وقد أشيع عند وصول بومبيدو، إلى نيويورك، وقبل ذهابه إلى حفلة ساهرة، أن حرمه، قد عبرت عن رغبتها فى مغادرة أمريكا، قبل موعد انتهاء الرحلة، فاتصل بها الرئيس نيكسون، وحاول معها المستحيل، حتى اثناها عن رغبتها، بل وأجرى

من أجلها تغييراً فى قواعد البروتوكول، فى اليوم الأخير للرحلة، الذى لم يكن من المقرر فيه، أن يذهب الرئيس الأمريكي للمشاركة فى برنامجه، وأبلغ نيكسون، الرئيس الفرنسي وزوجته، أنه سيأتي بنفسه، ليكون بينهم، وأمضي وقته معهم، وهو يحاول أن يمزح، ويخفف وطأة ما حدث، على حرم الرئيس الفرنسي.

قبل هذه الاحتفالية، كانت الجالية الفرنسية قد دعت بومبيدو، للقاء معها.. واختار الرئيس الفرنسي، أن يلقي كلمة للجالية، من فوق منصة، كانت حرمه فى الصف الأول، مع الجماهير.. وكان وراءها السفير الفرنسي، وكنت خلف السفير مباشرة.. ولأمر يتعلق بترتيبات برنامج الحفلة، غادر السفير الفرنسي، موقعه، على أطراف أصابعه، وهمس فى أذني، بأنه ذاهب ليري بنفسه، شيئاً ما، يتعلق بفقرات البرنامج.



الرئيس الأمريكي نيكسون بجانب حرم الرئيس الفرنسي بومبيدو ، بعد نجاحه فى إقناعها بالرجوع عن رغبتها فى عدم استكمال رحلتها إلى أمريكا احتجاجاً على أحداث شيكاغو

بعدها بلحظات، وجدت كلود بومبيدو، تميل برأسها للخلف، معتقدة أن السفير لا يزال فى مكانه.. ولما لم تجده فى مكانه، أمالت رأسها أكثر، حتى صارت رأسها قرب كتفي، وشعرت وقتها بفلاش من فلاشات الكاميرا، يبرق من بعيد.. دار فى ذهني سريعاً، أن لقطة كهذه، إذا وجدت طريقها إلى النور، فإن صورة لحرم الرئيس الفرنسي، ورأسها على كتفي تقريباً، يمكن استغلالها أسوأ

استغلال، فى هذه الظروف الساخنة، ضدهما معاً.. ذهبت لفوري، إلى صاحب اللقطة، وقلت له: الصورة التى حصلت عليها الآن، لا علاقة لها بالرحلة.

ولابد أن آخذها.

فقال لي: ليس من حقك !

قلت: نحتكم، أذًا، إلى رئيس جمعية صحافة رئاسة الجمهورية الفرنسية، وسارعت إليه، وأصررت على طلبي، وثقتي أنه سيكون حكماً بيننا، بعد أن يرى الصورة، بعد طبعها.

وبالفعل، أتاح لي أن أري الصورة، ثم مزقناها،.. وأحسست أنها كان من الممكن، أن تثير مشاكل كثيرة، خاصة وأن حرم الرئيس الفرنسي، كانت محل هجوم شديد، من بعض أجنحة الحزب الديجولي.. وقد تعرضت وقتها لحمله كبيرة، سُميت في الصحافة باسم أحد حراس الممثل الفرنسي الشهير آلان ديلون، الذى كان صديقاً للرئيس الفرنسي، وكان أحد حراسه من يوغسلافياً، وأُثير لغط كبير، حول لقطة تجمع بينهما.. بين حرم الرئيس الفرنسي، وبين ذلك الحارس، على أحد الشواطئ.. وهذا ما جعلني أصر على حمايتها من ناحية، وعلى إبعاد نفسي عن أن أكون محل لغط، من ناحية أخرى.

ومن الطريف أنه عند وداعنا للرئيس الفرنسي، وهو يغادر مطار نيويورك، اقتربت منه، لوداعه، ففهمت أن الجمعية الفرنسية للصحافة، قد أبلغته بالواقعة، فقال لي ضاحكاً: أنت أيضاً تطبق سياسة الحظر مثلي.. مشيراً للحظر على السلاح لإسرائيل، من ناحيته، وحظري أنا على الصورة من ناحيتي.. ثم أضاف: لقد أعطيت تعليمات لمستشاري الصحفي، بأن يعطي لمهمتك الصحفية، فى فرنسا، كل الاهتمام، فيما يتصل بتعاملك مع رئاسة الجمهورية الفرنسية.

ومبارزة على الشاشة حول حرب السويس

فى ذكرى مرور عشرين عاماً، على حرب ١٩٥٦، اتصل بي فريق العمل، فى أهم برنامج على شاشة التليفزيون الفرنسي وقتها، واسمه "دوسيه الشاشة" وطلبوا مني الاشتراك فى إحدى حلقات البرنامج، مع ترشيح شخصية مصرية أخرى، تظهر معي.

كان البرنامج مشهوراً بأنه برنامج وثائقي، وتحقيقي، من الطراز الأول، وكانت المجموعة القائمة على تنفيذه، تعمل على أن يظهر، فى كل

حلقة، أشخاص مسئولون، بما يحفظ له مكانته القوية والبارزة، بين سائر البرامج، وكنت قد ظهرت فيه من قبل، بعد حرب يونيو ١٩٦٧، وأثناء حرب ١٩٧٣.

ورشحت وقتها الدكتور إسماعيل صبري عبدالله، أستاذي فى جامعة الإسكندرية، والوزير السابق.. ولكني فوجئت بمكتب الرئيس يفيدني بأن الرئيس السادات يفضل مشاركة الدكتور بطرس غالي، معي.. وكان وقتها أستاذاً بالجامعة..

وقلت لهم، أني أعلم أنه، سوف يكون معي، فى نفس الحلقة، كل ممثلي حرب السويس، فى فرنسا وإسرائيل، ممن عاشوا الحرب، وشاركوا فيها، أو كانوا مسئولين عنها، بشكل أو بآخر، وأريد بالتالي شخصية قادرة على الهجوم، ولا تتحلى بأدب الدكتور بطرس غالي ودبلوماسيته.

وقيل لي، أن الرئيس السادات، عندما طلبوا رأيه، رشح الدكتور بطرس، وأصر عليه.. وأن الرئيس "مقتنع به".. وشعرت وقتها أنه يحتمل أن الرئيس سيقربه منه، واختاره فعلاً بعدها وزيراً للدولة للشئون الخارجية.

وذهبنا، سوياً، وعندما دخلنا، بدا الأستوديو، لنا منذ الوهلة الأولى، أقرب إلى المسرح، منه إلى الأستوديو.. فكل الجالسين فيه، فى انتظارنا، كان لهم جميعاً دور، وقت حرب السويس.. كان هناك: الملحق العسكري الإسرائيلي، ورئيس مكتب المشتريات العسكري الإسرائيلي، وأيضاً "بينو" وزير خارجية حكومة "جي موليه" وهى التى كانت فى السلطة، فى باريس، وقت الحرب،.. وكان هناك أيضاً سفير إنجلترا فى باريس وقت الحرب.

ولم يكد البرنامج يبدأ حتى ارتفعت درجة حرارته، حين قال المشارك الإسرائيلي "فى حركة استهبال": لقد ذهبنا إلى مصر، لننقذها من ديكتاتورية عبدالناصر !!

رددت عليه فوراً فقلت: إذن، أنتم تقومون بدور "الصليب الأحمر السياسي"، الذى جاء لينقذنا من الدكتاتورية، وهذا يجعلني أسألكم بدوري: ماذا ستفعلون مع بقية الدول التى تعانى من الدكتاتورية ؟! هل سيعمم الصليب الأحمر السياسي مهمته فى العالم ؟!

عندها رد المشارك الإسرائيلي فقال: لا تهزأ بي، لقد انتصرنا فى ٥٦ !

ورددت على الفور: فعلاً انتصرتم لعدة شهور، قبل أن تنهزموا سياسياً، وتنسحبوا مرغمين من أرض مصر.



المشاركون فى برنامج تليفزيوني فرنسي بمناسبة مرور عشرين عاماً على حرب السويس..
وفى الصورة الأطراف المسئولة عن الحرب من الجانب الفرنسي والبريطاني والإسرائيلي ،
ومعهم د. بطرس غالي أستاذ الجامعة وقتها ، ود. علي السمان

وأضفت له: بمناسبة الصليب الأحمر الإسرائيلي، لإنقاذ الشعوب، يهمني أن أقول لكم: بفضلكم تأكدت شعبية وشرعية حكم عبدالناصر، التى كانت أحياناً محل تساؤل قبلها، وبفضلكم أيضاً، تحول رئيس الدولة إلى زعيم.

أما "بينو" وزير الخارجية، فقد سخرت منه وأنا أقول له: لم يكن لديكم طموح النظر إلى التاريخ.. وإلا لوجدتم فى نابليون نموذجاً.. ولا كانت لديكم نظرة مستقبلية، وإلا لوجدتم فى ديجول نموذجاً آخر.. وحين حرمتم أنفسكم من النظر إلى هذين النموذجين، وضعتم أنفسكم فى مستوى وحجم "حقير جداً" وكم كانت دهشتي بالغة، حين خرجت إحدى الصحف الفرنسية فى اليوم التالي، وفى صدر صفحتها الأولى عنوان عريض يقول: بينو.. الحقارة !!

لقد استعارت الصحيفة نفس كلمتي التى كنت قد استخدمتها فى البرنامج.

أما د. بطرس غالي، فقد شرح لهم، الموقف القانوني للدولة المصرية من تأميم القناة، وموقف الشرعية الدولية، من العدوان الثلاثي، بعمق، وعلم، وإسهاب.

الفصل العشرون

الجهد الشعبي .. لخدمة الأمن القومي

قيادات ورجال ... بجانب السادات

يوسف السباعي

كان الكاتب والمفكر الكبير يوسف السباعي، من بين رجال السادات، الذين توثقت علاقتي بهم، وتوطدت، رغم قصر عمر هذه العلاقة، ورغم أنها بدأت بطريق الصدفة.

لقد أتيحت لي، يوماً، فرصة غير عادية، أن أكون معه، على الطائرة، لأربع ساعات، بين القاهرة وباريس، فى رحلة عمل كان هو فى طريقه إليها، عندما كان وزيراً للثقافة والإعلام.

وحين وصلنا إلى باريس، أحسست أن عمر العلاقة أربعون عاماً، وليس أربع ساعات فقط.

واكتشفت فى الرجل، أنه كان يجمع، فى معادلة نادرة، بين عذوبة الحديث، وبين القدرة على الدعابة، وبين الثروة الفكرية.

وربما يكون من المناسب، هنا، أن أقول علاقتي به، كانت قد بدأت قبل ذلك، بوقت قصير، عند تعيين الدكتور ممدوح البلتاجي، مستشاراً إعلامياً في باريس، بعد اتصال مباشر كان قد جرى، بين يوسف السباعي، بوصفه وزيراً للإعلام والثقافة، وبين كمال حسن علي رئيس جهاز الأمن القومي، الذى كان مقتنعاً كل الاقتناع، بشخصية الدكتور البلتاجي، بحكم ما كان قد عرفه عنه، أثناء حرب أكتوبر، عندما قام البلتاجي، بالتعاون معي، بتشكيل مجموعات الرد، على الدعايات الإسرائيلية، وهو ما تكلمنا عنه من قبل.

وحين ذهبت إلى يوسف السباعي، قبل صدور قرار تعيين الدكتور البلتاجي، قال لي: أن أحد المسئولين بسفارتنا فى باريس، جاء يحذرني من أن الدكتور البلتاجي ثوري، وصعب المراس.

وأجبته بقولي: هذه هى التهمة التى واجهت كل الوطنيين فى الماضي.

فقال: على كل حال، اطمئن، فإن ترشيحه جاءني من صديقي كمال حسن علي، رئيس الأمن القومي تقديراً لدوره فى التصدى للدعايات الإسرائيلية أثناء حرب أكتوبر.

وأعود إلى رحلتنا المشتركة، أنا ويوسف السباعي، إلى باريس، لأقول أنه قبل وصولنا إلى أرض المطار، سألني: ماذا سنفعل مع المستشارين الثقافيين والإعلاميين فى أوروبا، الذين أريد أن اجتمع بهم من خلالك ؟

ثم أكمل تساؤله ضاحكاً: أنت تعلم أن هولاء جميعاً، يجيدون الكلام، وأنهم "مملكة كلام" فى الأول، وفى الآخر، وأنا أريد أن أجعل الاجتماع بهم مفيداً، وموجزاً.

وحين دعوتهم إلى الاجتماع به، كان ذلك فى فندق الكريون الشهير فى باريس، أمام ميدان الكونكورد، الذى توجد به المسلة المصرية.

وبدأ حديثه بكلمة قصيرة فقال أن لديه فلسفة لاقتصاد الوقت، أُوجزها، فى ملاحظتين :

الأولى أنني أرجو منكم – وهو يخاطب المستشارين الإعلاميين والثقافيين – أن تتجنبوا، فى كلماتكم، طرح المشاكل التى لا حل لها.. ففى ذلك عذاب للنفس، لا طائل من ورائه..!

والثانية أني أرجو عدم العودة إلى كلمتي، التى افتتحت بها اللقاء معكم، فتكرروا بعض ما قلته .. فأنا أعرفها، واستمعت إليها معكم.

وأشهد الله، أن عبقرية يوسف السباعي، البسيطة، اختصرت الوقت إلى الثلث.

وحين أنهى زيارته لباريس، أبدى رغبته فى أن أصحبه إلى لندن، حيث كان ذاهباً لزيارة كريمته "بيسه" التى كانت تعالج من وعكة صحية كانت قد ألمت بها.

وفهمت رغبته فى أن أرافقه إلى لندن، بأنها رغبة فى استمرار الحوار، والمحبة، والمودة.. وتعرفت بكريمته،القريبة إلى قلبه زوجة صديق العمر الدكتور أحمد الغندور، وكانت تعالج وقتها في لندن .

ولم أشعر فى حياتي، بقدر من الغضب، قدر شعوري يوم اغتالته يد الغدر الأعمى فى نيقوسيا، التى تجرأت على حياة كاتب، وفنان، ومفكر، قبل أن يكون وزيراً.. وعندما كان وزيراً، كان شريفاً، وكان متواضعاً، وكان قريباً من الناس.

د. عبد العزيز حجازي

ومن رجال السادات، الذين تعرفت بهم أيضاً، عن قرب، الدكتور عبدالعزيز حجازي، رئيس وزراء مصر، عقب حرب أكتوبر مباشرة .

وعن الدكتور حجازي أقول: لقد قدرت فيه، واحترمت، عقليته الاقتصادية المتفردة،.. ولكني أشفقت عليه، من المناورات العالية التى كانت تدار ضده، وقتها، من ناحية سيد مرعي، رئيس مجلس الشعب، الذى كان مثل قائد أوركسترا، ينظم هجوم على د. عبد العزيز حجازي داخل البرلمان.

وكنت أشفق عليه أيضاً، من مناورات صديقي ممدوح سالم وقت كان وزير داخلية، إلى أن جاء اليوم الذى خرجت فيه مظاهرات حاشدة، ضد عبدالعزيز حجازي، وهى تردد: حكم النازي ولا حجازي !!

وحين أثير هذا الموضوع، فى حضرة ممدوح سالم، همست فى أذنه، بأني لم أكن أعلم أن رجل الشارع فى مصر، أصبح أستاذ تاريخ يذكر حكم النازي ومعانيه !

ونظر ممدوح سالم، نحوي، نظرة ذات معنى.. ولم يعلق !!



د. عبد العزيز حجازي بمنزلي ، ومعه أحد رواد إصلاح نظام الجوازات ، اللواء أحمد فهمي ، الذى نظم بجدارة اتحاد الملاك ، لعمارة أبو الفتوح التى نعيش فيها أمان وسلام

وكان من الطبيعي، أن يذهب الدكتور عبدالعزيز إلى لقاء السادات، بالقناطر الخيرية، وهو منفعل، خاصة عندما علم أن رجال ممدوح سالم كان لهم دور فى تنظيم تلك المظاهرات.

وأتصور أن الرئيس السادات، فى بداية اللقاء، كان متعاطفاً مع الدكتور حجازي، إلى أن قال الأخير، بانفعال، ما يعنى أنه من المستحيل أن يتعاون مع ممدوح سالم.. وهو كلام لا يحب الرئيس السادات أن يسمعه لأنه كلام يعنى، أن قائله، قد وضع نفسه موضع صاحب القرار.. وهذا ما يفسر ما تبع ذلك من أحداث، أدت إلى استقالة الدكتور حجازي..

ولكن، كمتابع لشئون مصر، من منطلق وطني، أقول أننا سنظل مقدرين للدكتور حجازي، أنه كان أحد مهندسي اقتصاد حرب أكتوبر، وهو اقتصاد كان، كما نعرف، فى حالة الصفر.

ممدوح سالم

أما ممدوح سالم، فقد استمرت مغامراتي، التى بدأتها معه مبكراً، كما رويت فى الفصول الأولى من هذا الكتاب، .. وجاء يوم ذهبت بناءاً على دعوة من الأخ والصديق المرحوم محمود أبووافية (هذا الفلاح الشهم) إلى لجنة الشكاوى بمجلس الشعب، لنتكلم عن مشكلة الطلبة الذين كانوا يسافرون إلى الخارج، بدون إمكانيات مالية، ويتشردون فى عواصم أوروبا، ثم تجمعهم السلطات هناك، وتعيدهم إلى مصر، مما يشوه سمعة مصر.

واعتقد أن محمود أبووافية، كان قد دعاني لهذا اللقاء، باعتباري طالباً طال عمر دراسته فى فرنسا، ويعرف المجتمع الطلابي فيه، ووجدتني يومها أقترح أن يكون السماح للطلبة بالسفر، فى حالة واحدة فقط، هى أن يكون الطالب متفوقاً فى امتحان البكالوريا، ويأتي السماح بالسفر بمثابة المكافأة له على ذلك.

وقد غضب ممدوح سالم، وزير الداخلية، من اقتراحي، وقال: لقد ألغينا نظام فيزا الخروج، وأصبح السفر حقاً للمواطن، وما تقترحه هو إلغاء لهذا الحق.

وأمام هذه اللغة الليبرالية المطلقة، وجدت نفسي أخاطب أعضاء اللجنة، وممدوح سالم، مداعباً: عذراً.. لقد فاتني أن أعرف أننا أصبحنا من دول الاسكندنافيا، حيث يسود الحق، قبل كل شئ، ولا سبيل لتقييده !!

وتصادف، فى ذلك الوقت، أن دعاني الصديق اللواء حسن أبوباشا، حينما كان رئيساً للأمن الجنائي، لإلقاء محاضرة بنادي ضباط الشرطة.. وكان موضوع المحاضرة هو: "التأثير المتبادل بين الأمن الداخلي والأمن الخارجي".

وأذكر أني قلت، بتلقائية، لجمهور الحاضرين وقتها، أن لدى إحساساً، بأن منْ يمر فى شوارع القاهرة، يستطيع أن يشم "رائحة شياط" بالمعنى السياسي للعبارة.. وإذا كان ممثلو الدول الأجنبية، فى مصر، يشعرون بنفس الشيء، مثلي، فأعتقد أن حساباتهم سوف تختلف فى تقييم مدى استقرار النظام.

وفوجئت بعدها بقليل، باندلاع أحداث الشعب فى ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧.. ولم تكن الأحداث مفاجأة لي، بعد محاضرتي التى سبقت الأحداث بوقت وجيز.. ولكن المفاجأة بالنسبة لي، كانت أن أحد معاوني الرئيس السادات، روى لي، كيف كان الرئيس السادات عنيفاً، وهو يخاطب ممدوح سالم، أثناء الأحداث، خاصة وأن السادات قد وجد صعوبة وقتها، فى أن يغادر مطار أسوان، إلى القاهرة.

وقيل لي، أن الرئيس السادات، قال لممدوح سالم: ده علي السمان، اللي "جاي من آخر الدنيا"، قال أنه حاسس "برائحة شياط".

وفهمت أن كلمات المحاضرة، ومعانيها وصلت إلى أذني الرئيس السادات.. والغريب أن السادات أضاف، وهو يخاطب ممدوح سالم – كما روى لي من سمع ما جرى بينهما – وقال له: يبدو أنك رئيس وزراء دولة من دول اسكندنافيا !!

وحينما التقيت بممدوح سالم، بعدها، شعرت بفتور من جانبه، لم أستطع تفسيره إلا بافتراض أنه عاتب عليّ، لأن كلماتي التى لم أخطط لها، ولم أقصد بها إيذاء أحد، قد وصلت فى وقت مناسب، أو غير مناسب، إلى أُذن رئيس الدولة، فى لحظة غضب، وهو يخاطب رئيس وزرائه !!

محمود أبو وافية

مصطفى أمين وعلي أمين توأمان لا يتشابهان..!

وأعود مرة أخرى، إلى الفلاح الشهم، محمود أبووافية، فلا تزال هناك بقية فى علاقتي به، تستحق أن تروى.. ففى يوم زفاف نهى أنور السادات، إلى حسن سيد مرعى، وكنت حاضراً الحفل، فوجئت بمحمود أبووافية، ومعه موسى صبري، يتجهان نحوي، وهما يقولان: انضم إلينا، لنشكل معاً، ما يشبه مظاهرة محدودة

نفاجئ بها الرئيس، فى نهاية الفرح.. ولم أكن أعرف ما هو موضوع المظاهرة، حتى تقدمت السيدة جيهان السادات، لتتقدم المظاهرة، ونحن معها، وانضم إلينا الكاتب الساخر الفذ أحمد رجب، ورحنا جميعاً نطالب الرئيس السادات بالإفراج عن مصطفى أمين.. وراح كل واحد منا، يتبرع بكلمة، إلى أن قالت السيدة جيهان السادات للرئيس: إحنا اخترنا يوم فرحك بابنتك، لنرجوك أن تفرج عن الكاتب مصطفى أمين، حتى يشاركنا الفرح باستعادته لحريته.

وهز الرئيس رأسه، بالموافقة، دون أن ينطق بها.

وحينما ذهبت أزور محمود أبووافية، فى بيته، بعدها، جاءنا موسى صبري، مسرعاً، وأنفاسه تتتابع بقوة من الفرحة، وهو يطلعنا على مقالين كتبهما الأخوين مصطفى وعلي أمين، بمناسبة الإفراج عن الأول.. وقد نشر مقال مصطفى أمين، فى الأخبار، فى اليوم التالي، وكان قد كتبه من المعتقل، قبل الإفراج عنه بوقت قصير، وأقسم لنا موسى صبري، أن مصطفى أمين، حينما وضع القلم على الورق، ليكتب المقال، لم يرفعه إلا بعد أن أتم كتابة المقال كاملاً، وكان موسى صبري يريد أن يعبر لنا، عن قدرة مصطفى أمين، غير العادية، على التفكير والكتابة، حتى وهو وراء الأسوار.. أما علي أمين، فكان على العكس، مزق الورق عشر مرات، قبل أن يتم كتابة مقاله.. وقد أدركت وقتها، أن التوأم مصطفى وعلي أمين، لا يتشابهان إلا شكلا..

وبعدها، دعيت لحضور الزيارة الرمز، التى قام بها الرئيس السادات، لسجن أبوزعبل، وهناك أمسك بالفأس بيده، وحطم جزءاً من حائط السجن، وكان بجانبي مصطفى أمين، وفى اللحظة التى همَ السادات أن ينقل الفأس من يده، إلى يد شخص آخر، رأيت وجه مصطفى أمين يتهلل، معتقداً أنه سوف يكون المرشح الأقرب لذلك، بعد أن كان قد أصدر أكثر من كتاب، تحت عنوان: سنه أولى سجن.. سنه ثانية سجن.. سنه ثالثة.. إلى آخره..

وإذا بالرئيس السادات، يضع الفأس فى يد شخصية أخرى، غير خلافية، وهو يقول له: تعالى يا عبدالفتاح.. أضرب بالفأس هنا.. ووضعها فى يد عبدالفتاح عنايت، بطل قضية مقتل السردار الإنجليزي، قبل الثورة

وكان من الطبيعي، بعدها، أن يقود مصطفى أمين، وآخرون، هجمة شرسة على جهاز المخابرات العامة، وفكرها، وأسلوبها.

ولم يمضْ وقت طويل، حتى أصبحت تلك الهجمة، التى بدأها مصطفى أمين، نوعاً من الموضة، وتخطت، فى فهمي المتواضع، بعض الخطوط الحمراء، لأنها تجاوزت جهاز الأمن القومي، كجهاز، لتهاجم ضرورات الأمن القومي.

وحدث فى ذلك الوقت، أن التقيت بصديقي الراحل، اللواء كمال حسن علي، رئيس المخابرات العامة، حينئذ، وكان قد عرفني به، اللواء عبدالغفار حجازي، الذى شارك فى حرب أكتوبر، ووضع أكثر من كتاب، فى العلوم العسكرية، وعمل أستاذاً فى كلية أركان الحرب وأنا مدين له بأنه عرفني بإنسان عالي المستوى مقاتل وقائد وإنسان.

وتوثقت علاقتي بكمال حسن علي، الذى طلبني يوماً، لألتقي به، لأمر هام، وفوجئت به وهو يقول لي: إنني علمت أنك أرسلت مقالاً هاماً للأهرام، تتكلم فيه عن موضوع يُعتبر بالنسبة لي، موضوع الساعة، وهو الخلط بين دور جهاز المخابرات العامة فى مرحلة معينة، وبين ضرورات الأمن القومي، وأضاف أنه علم، أن الأهرام تردد فى النشر.

ثم قال لي: من هذا المنطلق أريد منك أن نفكر سوياً، فى كيفية دعوة عدد من رجال الفكر والقلم، وبعض الشخصيات الإعلامية، لزيارة جهاز المخابرات العامة، والالتقاء برجاله، وإلقاء نظرة عامة على دوره، من داخل أسواره.

وكنا قد اقتربنا من شهر رمضان، فانعقدت تلك اللقاءات، على موائد إفطار، فى أيام متعددة.. وحضر تلك الموائد، مفكرون ومثقفون وطنيون كثيرون، أذكر منهم، الدكتور عبدالعظيم أنيس الذى كان على علاقة قرابة مع كمال حسن علي.

وأعتقد، أنها كانت عملية ناجحة إلى حد بعيد، لأن فكر الكاتب التقى بمنطقة الأمر الواقع، على لسان المسئولين عن حماية الأمن القومي.

وأذكر مناقشة فريدة، جرت بيني وبين كمال حسن علي، حول بحث الجزء الفني فى قضية مصطفى أمين، والذى قيل عنه، أن أحد العناصر التى أثارت حفيظة وغضب عبدالناصر عليه، هو التسجيل الذى فهموا منه، أن مصطفى أمين كان ينصح الأمريكان بالضغط على عبدالناصر، بتأخير تسليم شحنات القمح عن مواعيدها، وقلت لكمال حسن علي: هناك نقطة فنية، وهى أن القيادة السياسية حينما تنجح فى تكليف شخصية عامة، بحجم مصطفى أمين، لتلعب دوراً سياسياً بموافقتها، أى دور "العميل المزدوج" شكلا، فإن ذلك يختلف تماماً، عن الحالة التى يجند فيها الجهاز إنساناً عادياً.

وفى حالة مصطفى أمين، فمن الطبيعي حينما يلتقي بالأمريكان، أن يكون بينهما أسلوب "خد وهات".. وبالتالي، فإذا صح ما قاله مصطفى أمين، فى موضوع القمح، فهو لم يقل لهم "معلومة".. إنما يمكن تفسير ما قاله، باعتباره جزءاً من خطاب جذب الطرف الآخر، من خلال "طُعم" لا يمثل خطورة حقيقية على الأمن القومي، لأنه من البديهي، أنه بمصطفى أمين، أو بدونه، فإن مبدأ الضغط بكارت القمح، موجود، يمكن أن يرتب آثاراً بعيدة.

لكن هذا لم يمنعني، من الاعتقاد بأن الهجوم على جهاز المخابرات العامة، فى مرحلة معينة، وفى ظروف معينة – وقت صلاح نصر مثلاً – لا يعني أن يصل النقد والهجوم إلى الضرب فى أسس وضرورات الأمن القومي، الذى أعترف أنه كان بالنسبة لي، دراسة وعقيدة، وجزء لا يتجزأ من فكرة استمرار الدولة.

هكذا تعلمت من الكتب، وهكذا فكرت وحدي،.. وهكذا تعاونت بإرادة مستقلة، من خلال القيادة السياسية، لأضع تحت تصرف أمننا القومي، كل ما يمكنني معرفته، أو دراسته، طالما أن جميع القريبين مني كانوا يعلمون، أن هناك بالنسبة لي خطوطاً، وحائطاً كبيراً، يفصل بين التعاون على مستوى الأمن القومي، أى على مستوى العمل الخارجي، والرد على مناورات العدو، وبين أن يكون الإنسان طرفاً فى مشاكلنا الداخلية.. أقول هذه الكلمات، وأنا أعلم على مدى عمري، أن هناك كثيرين، كانوا يضعون فوق رأسي لافتة التعاون مع الأمن القومي، وكنت واثقاً أنه سيأتي يوم، أشرح فيه بهدوء، علاقتي الحقيقية بهذا الموضوع.

إنني أذكر جيداً، أنه فى الأيام التى سبقت تعييني برئاسة الجمهورية، مديراً للإعلام الخارجي، أنني خلال لقاء هادئ مع السادات، وفى جو من المودة، قال لي الرئيس السادات مداعباً: قريبك فتحى سلمان لا يريد أن يبيع لي قطعة أرض يملكها بجوار بيتي، فى ميت أبوالكوم، لتهبط فوقها الطائرة الهيلوكوبتر.. وصارحت الرئيس السادات، بأن قريبي فتحى سالمان قال لي، إنه على استعداد لأن يضع الأرض تحت تصرف أخيه الأكبر، وصديقه، ورئيسه أنور السادات، ولكنه لا يتصور أن يبيعها، لأن الأرض والشرف بالنسبة للفلاح المصري لا يزالان موضوعين لا ينفصلان.

أقول أنني خلال ذلك اللقاء الهادئ، مع الرئيس السادات، انتهزت تلك اللحظات لأخاطب الرئيس قائلاً: أن التعاون بيننا، فيما يخص موقف أوروبا منا، يتزايد، كما أني أشعر بثقتك نحوي، ويهمني يا سيادة الرئيس أن أصارحك أني أشعر، أن الهجوم على عبدالناصر ورجاله أصبح على الموضة، ومن الأمانة أن أقول لك، أنني

كنت على علاقة خير به، كما أنني مدين للرئيس عبدالناصر، لاختياره لي، عام ٦٧، لأرد على دعايات العدو بالخارج، كما أنني كنت على علاقة ود وتعاون مع كل من السيد سامى شرف، سكرتير الرئيس عبدالناصر، لشئون المعلومات، ومحمد فايق وزير الإعلام، من أجل تحقيق المهمة التى كلفني بها الرئيس عبدالناصر.

ضحك الرئيس السادات وقال لي: صديقاك الاثنان، ممدوح سالم وزير الداخلية، وحافظ إسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومي، قاما بتوضيح طبيعة نشاطك فى تلك المرحلة.. واطمئن.. لقد علمت من خلالهما، أنك لم تكن يوماً، طرفاً فى أى "علك داخلي" وأنك فعلاً كنت متفرغاً للموضوع الخارجي.

وشعرت، بعد هذا الكلام من الرئيس السادات، بينما كنت خارجاً من بيته، بسعادة غامرة، لأنني لم أخن صداقة ولا تعاوناً، مع أحد، ممن تعاونت معهم سابقاً.. لم أفعل ذلك أبداً، فى أى وقت، من أجل خير قادم.

وتوارد إلى ذهني، ما قاله لي، يوماً، كمال حسن علي، ونحن نتكلم عن أنه على علم، بالتعاون الذى كان بيني وبين مكتب الرئيس عبدالناصر، لشئون المعلومات.. إذ قال لي تعبيراً فريداً وجديداً.. قال: كان دورك، فى حقيقة الأمر، دوراً متفرداً، وهو ما يدفعني أن أهمس إليك، بتعبير فكرت فيه وأنا أسمعك، تلك العلاقة القديمة، بينك وبين مكتب الرئيس عبدالناصر.. يلخص فى عبارة : "الجهد الشعبي لخدمة الأمن القومي"،

وأذكر أن الدكتور إسماعيل صبري عبدالله، جاء يوماً إلى باريس وكان وقتها وزيراً للتخطيط، فى حكومة الدكتور عزيز صدقي، ثاني الحكومات فى عصر السادات.. والتقى يومها بالمسئولين فى فرنسا.. وحين عدت أنا إلى القاهرة، سألني الرئيس السادات عما إذا كنت قد أحسست "بالاتجاهية" فى كلام الوزير إسماعيل صبري عبدالله، وبمعنى أصح، الفكر السياسي اليساري، خلال أحاديثه مع المسئولين، وقلت للرئيس: للأمانة يا سيادة الرئيس، كان يتكلم من البداية للنهاية، كرجل دولة.

رد الرئيس السادات ضاحكاً: آه.. ما هو ذكي !

وذات يوم كان الرئيس السادات يعلق أمامي، على برنامج تليفزيوني، قبل حرب أكتوبر، وهاجم وهو يتكلم، الصحفيين المنتسبين إلى اليسار، لأنهم - فى تقديره - كانوا يستضيفون المراسلين الأجانب، ويعطونهم صورة خاطئة عن مصر.. وأذكر أنني قلت للرئيس، وأنا أشاركه التعليق، على الذين ظهروا فى ذلك البرنامج، أن

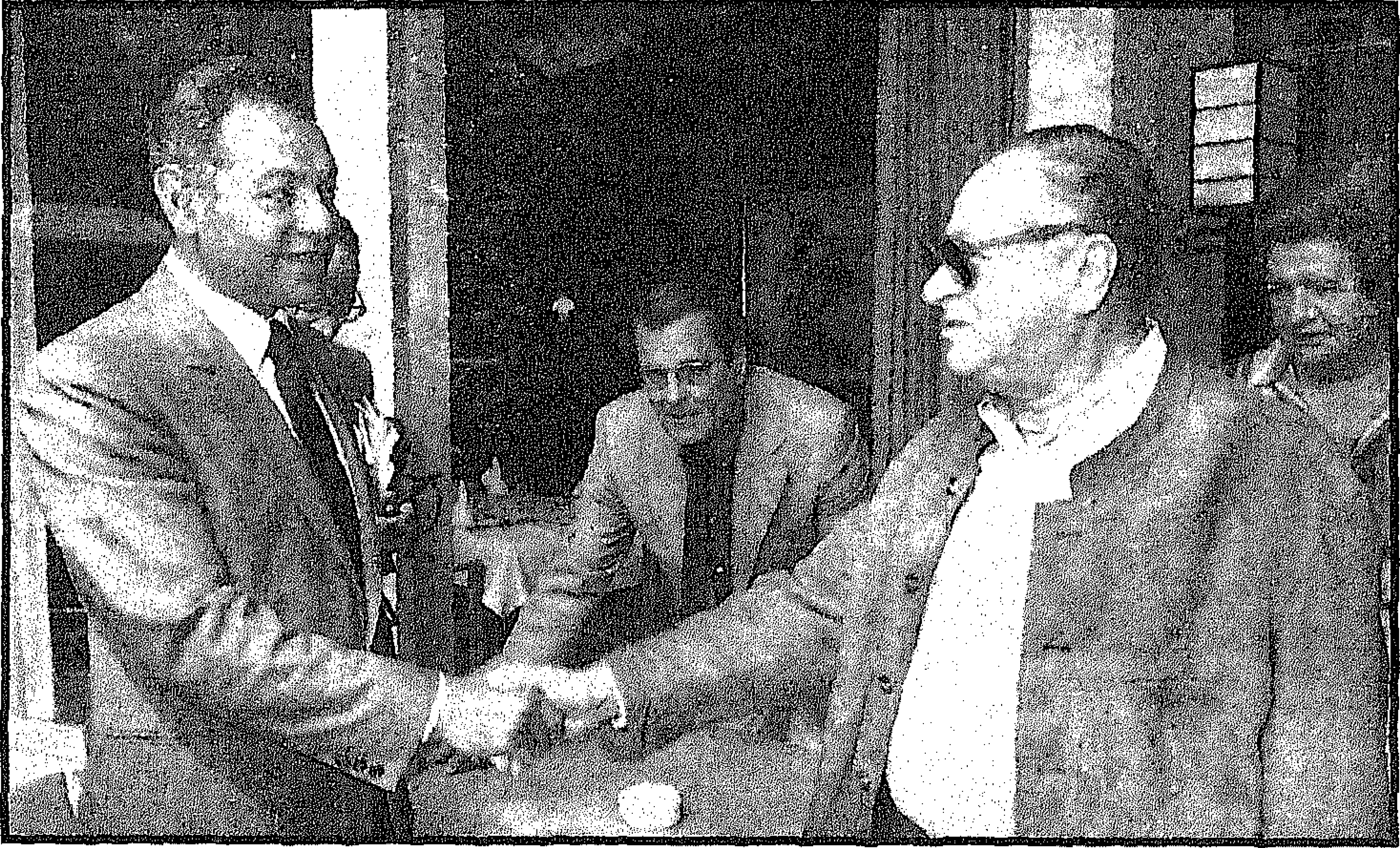
هناك يساراً وطنياً، وهناك غيره من الاتجاهات اليسارية، ولكن الرئيس السادات رد قائلاً: بالمناسبة يا ابني، لا يوجد شيء أسمه يسار وطني، ويسار غير وطني.. اليسار كل لا يتجزأ، وأنا لدىَّ موقف منهم، من أولهم.. لآخرهم !!

وانتهزت الفرصة لأذكر السيد الرئيس أنني لست متخصصاً فى الشئون الداخلية ولكن للرد على دعايات العدو فى الخارج..

منصور حسن.. والإعلام

ومن الصعب أن أتكلم عن الإعلام المصري، بغير أن تكون لي وقفة خاصة، أمام الوزير السابق منصور حسن، الذى كان وزيراً للثقافة، والإعلام وشئون رئاسة الجمهورية.. وقد جاء إلى موقعه، بفكر شاب، وأسلوب يفضل الحوار، والنقاش، والإقناع.. وكان مختلفاً بشكله، ومظهره، ومضمونه.. ولا أنسى أبداً، أنه فى نهاية السبعينات، نشبت بعض المشاكل بيني وبين قيادة العمل فى وكالة أنباء الشرق الأوسط، التى كنت أنتسب إليها.. وكانت المشاكل ناجمة عن رغبة فى إنهاء مهمتي فى باريس، فى الوقت الذى شاء فيه الرئيس السادات، ورئيس الوزراء، د. مصطفى خليل، أن أستمر فى أداء مهمتي هناك.. وفوجئت بالوزير منصور حسن.. أكثر الوزراء شباباً وقتها، يصارحني بتعقل واتزان رجل "كبارة" ويقول لي: لماذا الإصرار على البقاء فى مؤسسة بينك وبينها مشاكل.. فى الوقت الذى توجد فيه مؤسسة أخرى، أنت سعيد بها، وهى أيضاً يسعدها أن تتفرغ لها، .. وكان يقصد الإذاعة والتليفزيون.

وذهبت لأستشير أخي وصديقي حسين عنان، الذى كان وقتها رئيساً للقطاع الاقتصادي باتحاد الإذاعة والتليفزيون.. فقال لي: أرجو ألا تتردد لحظة واحدة، فى قبول هذا العرض.. وساهم باقتدار – كعادته – فى صياغة قرار انتقالي لاتحاد الإذاعة والتليفزيون، وأكرمني الوزير منصور حسن، بأن جعل القرار ينص على معاملتي معاملة التمثيل الخارجي بوزارة الخارجية..



الوزير منصور حسن ، وعلى شماله الدكتور علي السمان ،
مع مستشار النمسا كرايسكي وحرمه فى مصحة علاجية بجوار ميونيخ

نادي الأحبة.. لغير الربح..

ومنذ ذلك اليوم، وبالذات بعد أن ترك الوزير منصور حسن، منصبه، كنت أحب دائماً أن ألقاه، وأن أكون سعيداً بذلك، فى "ملتقى محدود العدد".. إنه ملتقى يتغير أحياناً، ولكن مؤسسيه الثابتين كانوا هم: منصور حسن، والأخ والصديق المستشار يوسف دراز، الرجل الثاني فى جهاز المدعى العام الاشتراكي فى وقت من الأوقات، ورئيس محكمة الاستئناف حالياً، والذى ورث عن والده الشيخ دراز، الكثير.. وخصوصاً طهارة اليد.. واللسان اللاذع.. وفى هذا الملتقى، كنت أيضاً التقى مع مكرم محمد أحمد أستاذ المقال السياسي ورئيس مجلس الإدارة القادر على أن ينزل إلى أرض الواقع من أجل تحقيق صحفي متميز، وهو أحد الكتاب النادرين الذين مازالوا يمارسون مهنة الصحافة على أرض الواقع لينتقل إلى لقاءات وحوارات وكأنه يُخرج تحقيقاً صحفياً وبالتالي لم يؤدّ منصبه كرئيس مجلس إدارة إلى أن "يعجز" مهنياً، وبقي لديه شباب الصحفي الذي لم ينفصل عن الشارع المصري ورجل الأعمال عادل البنداري، الكريم بطبعه، وعف اللسان.

وكنت شديد الإعجاب، من أن المستشار دراز، وقت أن كان يملك جزءاً كبيراً من سلطة المدعى الاشتراكي، التى يهابها الكثيرون، فإن الغرور لم يتسرب

إلى عقله، ولا الحقد إلى قلبه.. وظلت عقليته القانونية تتميز دائماً بالحنكة والمهارة.. وما أسعدني فى فرسان هذا الملتقى، أن تكون فى مصر مجموعة من الأصدقاء، لا تربطها لغة المصالح.. ولكن المحبة، والمودة، والصداقة وسميته

"نادي الأحبة.. لغير الربح" وفيه أعضاء مؤسسون والآخرون منتسبون.. يتم فصلهم إذا خلطوا المودة والمصالح !!.

وبمناسبة قرار تعييني رئيساً لمكتب غرب أوروبا باتحاد الإذاعة والتليفزيون، لا أنسي قصة طريفة فى ممارستي للنظام الإداري المصري "بالممارسة" فقد اكتشفنا جميعاً أنه لا يوجد لاتحاد الإذاعة والتليفزيون مكتب فى باريس، ولا ميزانية لإنشائه.. ووجدت أن مسئوليتي كرئيس لمنطقة غرب لوكالة أنباء الشرق الأوسط، تنتهي فى ٣١ ديسمبر وتفتق ذهني عن أن مكتب الوكالة بمبنى الأوبرا يسمح حجمه بأن نتقاسمه بين الإذاعة والتليفزيون وبين الوكالة.. فأتيت فى الصباح المبكر ليوم ٣١ ديسمبر.. بعمال بناء ونجارة ونفذوا فعلاً قرار الفصل بين المكتبين ووضعنا على باب مستقل لافتة منطقة غرب أوروبا لاتحاد الإذاعة والتليفزيون.. وكان الزميل حازم فوده الذى عين ليخلفني فى الوكالة قد جاء يوم ٣٠ ديسمبر ورأى المكتب على حاله، وحين جاء يوم ٣١ ديسمبر وجد أن "حائط برلين" قد أقيم بين المكتبين والسلطتين، وأمام اندهاشه لما حصل بين ليلة وضحاها.. فسرت له ما حصل بقولي: " النظام الإداري المصري يعطيني السلطة الكاملة على المكتب حتي ٣١ ديسمبر الساعة الثانية عشرمساءا.. أستطيع أن أغير الحوائط وأضع أبواباً أخرى.. وعلى كل لا تقلق فمعي قرار من رئيس وزراء مصر، يسمح لمكتب الإذاعة والتليفزيون أن يقتسم مع الوكالة بيتها !!

رفعت المحجوب يراهن.. ويخسر الرهان

فى عام ١٩٧٥، كنت فى فيينا، حين وصلها الدكتور رفعت المحجوب، أمين الاتحاد الاشتراكي وقتها، ومعه وفد كبير، أذكر كان من بينهم أخ وزميل عزيز من مدرسة طنطا الثانوية هو الدكتور عبد الأحد جمال الدين الوزير السابق وعضو البرلمان، للمشاركة فى اجتماعات الاشتراكية الدولية، بدعم من كرايسكي، تقديراً لدور مصر.

وبعد أن أنتهى الوفد المصري، من أعماله، اجتمع رفعت المحجوب، بالجالية المصرية، فى النمسا، وكان بين أفراد الجالية، عدد من رجال الأعمال، الذين عبروا، أمام المحجوب، عن رغبتهم فى أن تتخطى مصر، مرحلة الاتحاد الاشتراكي، ونظام الحزب الواحد، وأن تصل إلى التعددية الحزبية، ساعتها،

ارتفعت نبرة صوت الدكتور المحجوب، وهو يرد عليهم، ليقول لهم: "أن مَنْ يطالبون بالتعددية فى مصر، لا يقدرون أن ذلك سيفتح باب الصدام الاجتماعي على أشده، بل من المحتمل أن يفجر ذلك، بحوراً من الدماء".



مستشار النمسا كرايسكي ومعه د. رفعت المحجوب، والدكتور عبدالأحد جمال الدين، أثناء اجتماعات الاشتراكية الدولية، بحضور سفير مصر السابق فى بون عمر سرى، والدكتور علي السمان

أحسست أن رد فعل الرجل، كان عنيفاً جداً، بأكثر من اللازم، وكنت أحبه، وأصارحه دائما بفكري.

وفكرت سريعاً، فوجدت أنه من الأفضل، أن أضع أمامه، ورقة صغيرة: "أرجو ألا تأخذ موقفاً عنيفاً في هذا الموضوع بالذات".

وحين قرأ الورقة، لم يعلق،وسألني عقب انتهاء الإجتماع مباشرة، عما إذا كنت قد سمعت شيئاً، عن احتمالات تغيير الخط السياسي فى مصر ؟!

قلت له: لم أسمع شيئاً، ولكني اعتقد أنه سيأتي يوم نصل فيه إلى مرحلة التعددية الحزبية.

بعد ذلك بشهور، كنت فى القاهرة، حين أيقظني الدكتور المحجوب، في السابعة صباحاً، ليقول لي: "كما قلت لك، ولم تصدقني، فإن موضوع التعددية السياسية، غير مطروح.. وليس أدل على ذلك، من أن الرئيس السادات، فاجأنا أمس، بوصوله إلى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، وهاجم بشدة، الأصوات التى كانت تطالب بالتعددية".

قلت له: أفهم ذلك، ولكن يهمني أن التقى بك اليوم، لنتحدث فى هذا الموضوع..

واتفقنا على اللقاء.. مساء اليوم نفسه.

وذهبت إلى منزله، وقلت بأسلوب يمزج بين السخرية والجدية: "يا دكتور رفعت، هل من المعقول، حينما يكون فى فكر رئيس الدولة، التحول نحو التعددية الحزبية، أن يأخذ قراره، كمجرد استجابة، لرغبة بعض الأعضاء فى الاتحاد الاشتراكي.. أم أن القرار يتم تقديمه للرأي العام كمبادرة مستقلة تحتسب في التاريخ السياسي للرئيس السادات وحده".

نظر نحوي الدكتور المحجوب، بدهشة بالغة.. ولم يعلق.

والغريب أن ما توقعته، وقرأته فى الغيب.. حدث فعلاً !!

وهو أن الرئيس السادات أصدر قراراً هاماً فى تاريخه السياسي عام ١٩٧٦ بفتح الباب لتكوين أحزاب سياسية بعد سماحه بإنشاء المنابر.

الفصل الحادي والعشرون

السادات يفجر قنبلة داخل الكنيست..!

فى مارس ١٩٧٤ قدمت تقريري النهائي للرئيس السادات عن مهمتي أثناء الحرب، والتقيت بالرئيس بعدها عدة مرات، فى بيته بالجيزة، تارة، وفى استراحته بالقناطر الخيرية تارة أخرى، وكان الكلام خلال تلك اللقاءات كلها، وفى جانب كبير منه، عن موقف فرنسا منا، ومخاوفها من تنامي الدور الأمريكي، فى المنطقة، بعد مفاوضات فك الاشتباك، ودور هنري كيسنجر المتعاظم، وبداية حديث الرئيس واشاراته المتكررة، عن أن أمريكا تملك ٩٩٪ من أوراق الحل فى الشرق الأوسط.

وتصادف بعد انتهاء إحدى مقابلاتي مع الرئيس السادات، أن جاء كيسنجر للقائه، بعد رحلة مكوكية، قام خلالها، بعدة جولات بين مصر وإسرائيل، فى يوم واحد.. ورأيته حين دخل على الرئيس، وقبل بدء المباحثات الرسمية بينهما، .. رأيته يلقى نفسه على مقعده، وهو يتنفس الصعداء، بروح الكوميديا.. ثم يقول للرئيس: "لقد أخطأت خطأ كبيرًا، حينما اعتقدت، أنه يكفى أن تكون وزير خارجية دولة عظمي، مثل الولايات المتحدة، وأن تكون أستاذاً للعلوم السياسية، وأن تكون يهودياً، لتنجح فى التفاوض بسهولة، مع الإسرائيليين.. لقد كان ذلك، يا سيادة الرئيس، طموحاً مبالغاً فيه من ناحيتي".

رد عليه الرئيس السادات، كما لو كان يداعبه: سأعفيك من جلسة المباحثات اليوم، وتستطيع أن تذهب الآن، إلى الفندق، لترتاح، على أن نبدأ مباحثاتنا غداً فى الصباح.. وقد كان السادات معروفاً بأنه لا يحب جلسات العمل فى الصباح المبكر، لأنه كان يستيقظ متأخراً، بسبب نومه فى أوقات متأخرة من الليل.

وصاحبت كيسنجر، فى رحلة عودته، إلى فندق شيراتون، وسمعته وهو يقول لي، بينما كان يهم بدخول الفندق: "المشكلة مع المفاوض الإسرائيلي، أنه لا يستطيع أن يكون مطمئناً، إلا إذا أمسك فى يده بمائة فى المائة من الأوراق..!!

" وأن ٩٩٪ تمثل بالنسبة بداية الانهيار في الموقف .!"



د. علي السمان مع هنري كيسنجر ، وزير الخارجية الأمريكية السبق وبينهما الكاتب المسرحي والرئيس التشيكي "هافلاف" فى مؤتمر انعقد فى براغ

وصعد كيسنجر إلى غرفته، ثم طلب أن يسهر، مساءاً، فى الملهى الليلي للفندق، لأنه كان يريد أن يتفرج على الرقص الشرقي، لنجوى فؤاد، التى كان قد سمع عنها.. وحين شاهدها، وهى ترقص، كان مندهشاً، وسعيداً، وكان كلما أنهت فقرة من فقرات رقصها، صاح قائلاً: Again . وكان يريدها أن تكرر الرقص، من جديد.. وكان يشاركنا، فى الضحك، من دهشة كيسنجر للرقص الشرقي، حسن كامل رئيس الديوان وقتها.

وبعد أن أنهت رقصها، ذهب إليها، وهنأها، وقال لها: أرجو أن نراك فى واشنطن.

ولا أنسى في اليوم التالي، أني صادفت نجوى فؤاد عند باب الفندق، فقالت لي أنها سعيدة بإعجاب وتقدير كيسنجر لها وانها على استعداد للمساهمة فى حل "أزمة الشرق الأوسط..!"،

ومن الطريف أن نعلم، أن الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون، حين جاء إلى مصر، فى زيارته الشهيرة، رقصت أمامه فنانة أخرى، واكتشف نيكسون أنها

ليست مثل نجوى فؤاد التى كان كيسنجر قد حدثه عنها، عند عودته إلى واشنطن، وعلق نيكسون على ذلك قائلاً أن كيسنجر كان أسعد حظاً منى.

خلال تلك الفترة، من ٧٤ إلى ٧٧، كان الرئيس السادات فى المرات النادرة التى التقيت به يسألني دائما عن موقف الإعلام فى أوروبا، وعما إذا كانت اللغة التى نتوجه بها إلى الرأي العام الأمريكي، والتى كنا نحمله خلالها مسئولية تأييد مصر فى المفاوضات والحل.. تثير غضب الإعلام فى أوروبا أم لا، وعن الطريقة التى يمكن أن نواجه بها هذه المشكلة، إذا كانت قائمة حقاً.

وأطلعت الرئيس على الاتصالات مع القيادات الإعلامية المؤثرة فى فرنسا، وأوروبا، وكنت قد شرحت لهم أن الهدف الأمثل للسياسة المصرية، وللرئيس السادات، هو الالتزام بسياسة دولية متوازنة، ولكن المواقف والأزمات تلزمنا، أحياناً، باختيارات تفرضها مفاوضات السلام.

السادات وانفجار مفاجأة زيارة القدس

حين ألقى السادات خطابه الشهير، بمجلس الشعب، أعلن أنه مستعد للذهاب إلى أبعد مكان فى العالم، وإلى نهاية المطاف، وإلى الكنيست.. من أجل السلام.

وما إن انتهى الرئيس من خطابه، حتى كان قد أحدث، بما أعلنه، ضجة إعلامية عالمية، واتصل بي أصدقائي من الصحافة الفرنسية، وهم يحاولون أن يتعرفوا على أهمية وخطورة تلك الجملة، التى وردت فى خطاب الرئيس.. وعشت معهم تجربة إعداد الصفحات الأولى، من جرائد الصباح، التى ستصدر فى اليوم التالي.

وحين وجدت، أن هناك شبه إجماع، فى الصحافة الفرنسية، على أن معنى هذه الجملة، أن الرئيس سوف يكون فى القدس، عند أول فرصة قادمة، خشيت أن يكون تعبير "إلى آخر العالم" أو "إلى نهاية المطاف" أو "إلى الكنيست" هو مجرد صورة "مجازية" خطرت على ذهن الرئيس، وليس شيئاً حقيقياً، بمعنى أن يذهب إليهم فعلاً.. واتصلت بسعد زغلول نصار، المستشار الصحفي للرئيس وقتها، وهو بالمناسبة قريبي، ومن عائلة نصار التى تحدثت عنها، من قبل، وكان قبلها رئيساً لمحطة إذاعة صوت العرب، وكان إنساناً دمث الخلق، وكان "جنتلمان" بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة..

المهم أني سارعت بالاتصال به، وقلت له: أرجو أن تبلغ الرئيس، أن صحف الغد، فى باريس، تجمع على أنه ذاهب فعلاً إلى القدس،.. فإذا كان الرئيس لا

يقصد هذا المعنى، على المستوى الفعلي، والتنفيذي، فأرجو إفادتي خلال ساعة من الآن، حتى أستطيع أن أتصرف قبل أن يتم طبع الصحف.

وعاودت الاتصال مرتين، وأبلغني سعد زغلول نصار، أنهم أبلغوا الرئيس بالرسالة، وأن الرئيس رد بالصمت، ولم يعلق..

وفعلاً خرجت الصحافة الفرنسية، فى اليوم التالي، وهى تؤكد أن زيارة الرئيس السادات للقدس، مسألة وشيكة.

وربما أراد الرئيس، بصمته، وعدم تعليقه على رسالتي، أن يظل خطابه محاطاً بشيء من الغموض والتساؤل.. إلى أن يصل فعلاً إلى أرض العدو.

وحين دوّت فى العالم كقنبلة، أنباء زيارة السادات للقدس، ووصوله إليها فعلاً، هرعت إلى بيت حافظ إسماعيل، سفيرنا فى باريس وقتها، لنرى معاً، التغطية التليفزيونية للزيارة، وتابع حافظ إسماعيل، ما يجرى على الشاشة، معي، وكأنه فى منتصف الطريق بين الحلم والواقع.

وكعادته، نظر إليّ، نظرة من يتأمل الأمور فى هدوء وصمت، وقال: لقد طوينا، الآن، كتاباً كاملاً، من تاريخنا، وسنفتح بهذه الزيارة، كتاباً جديداً، لا يعلم إلا الله، إلى أين نحن ذاهبون فيه.

وتبادلنا الرأى والنقاش، ثم قال لي، وهو يتذكر أحداث الماضي القريب:" هذه القصة، بدأت فى حقيقة الأمر، مع تصريح هنري كيسنجر، لي، قبل حرب ١٩٧٣.. حين همس فى أذني قائلاً.. "إن وزنكم على الأرض، لا يسمح بتدخل أمريكي آخر"، أى أنه تكفي مبادرة روجرز، التى كان الجانب الأمريكي قد تقدم بها، من قبل، فى نهاية الستينات.. وعلمت من حافظ إسماعيل، أن الرئيس السادات حين سمع هذه العبارة منه، نقلاً عن كيسنجر، قال: لقد أخذ كيسنجر، بهذه الطريقة، مبادرة قرار الحرب، كحل وحيد، لتحريك المواقف من خلال معركة أكتوبر.

وحين جاء السادات، ليلقي خطابه، أمام الكنيست فعلاً، ألحت علىَ، إذاعة أوروبا، وكانت أقوى إذاعة وقتها فى فرنسا وأوروبا معاً، وكانت محطة غير تقليدية.. ألحت علىَ، بأن أكون معها على الهواء، لترجمة روح الخطاب، أكثر من كلماته وعباراته.. بل أنها طلبت مني، أن أترجم، قدر الإمكان، نبرات صوت الرئيس.. ثم دعت صحفياً إسرائيلياً، كنت أعرفه، حيث كان زميلاً لنا، معتمداً لدى رئاسة الجمهورية الفرنسية،.. دعته إذاعة أوروبا، ليترجم خطاب بيجين، من العبرية للفرنسية.

ولن أنسي أبداً، إحساسا بالفخر والاعتداد بالنفس، ظل يلازمني، وأنا أتابع المستوى العالي لخطاب السادات، فكرياً، وتاريخياً، وإنسانياً.

وحين جاء الصحفي الإسرائيلي، ليترجم خطاب بيجين، فوجئت، باحتباس صوته، أثناء الترجمة، وعجزه عن مواصلة الترجمة، فاضطررت للاستمرار فى الترجمة مكانه.. فقد كنا نلخص، ولا نترجم حرفياً، حتى لا نفقد المعاني الكبيرة.

وحين انتهى البرنامج، سألته: ماذا جرى لك، حتى يحتبس صوتك ؟

وقال لي: لقد صُعقت من تفاهة مستوى خطاب رئيس وزراء بلدي، بجانب المستوى الرفيع لخطاب السادات، فاحتبس صوتي حنقاً وغضباً.

أما أنا فقد تصورت، وأنا أرى السادات، على أرض العدو، يتبادل السلامات، والتحيات، والكلمات، مع قادتهم وكأنني أمام مسرحية من مسرحيات شكسبير، ذات المستوى الدرامي المذهل والعالي..

ولم أكن، وقتها، قادراً على استيعاب قدرة السادات، على أن يواجه كل واحد ممن لقيهم، من قادة إسرائيل، بالكلمة التى تناسبه، حتى بدت لي، أسماء مثل موشي ديان، جولد مائير، شارون.. وغيرهم.. وكأنهم من خيال.. أو كأنهم يتحركون فى دراما عالية، بطلها ومحركها هو الرئيس السادات.

وتوقفت طويلاً، أمام صورة الرئيس السادات، وهو يواجه جولد مائير، بوجهها الذى خاصمه الجمال منذ وقت طويل، ثم يقول لها :.. أخيراً !!

قالها السادات، على درجة من الاداء، يشعر معها المتابع للمشهد، أنه أمام لقاء حب، قد تأخر طويلاً..!!

وكان الإسرائيليون ينظرون إليه، وهم فى حالة من الذهول.. لقد وجدوا أنفسهم أمام رجل يتقن دوره، جيداً، ويختار كلماته بقدرة فائقة، ويضبط أعصابه بما لم يره أحد من قبل.. لقد كان ذلك اليوم، بالنسبة للسادات، هو اليوم الأول من لقائه مع أعداء الربع قرن.

وبطبيعة الحال، خرجت الأصوات العربية، منذ اليوم التالي لزيارة القدس، تهاجم، وتنذر، وتقاطع، وتشجب وتدين، وتعزل.. وتحركت مجموعات أخرى للاعتداءات والتفجيرات والاغتيالات وأحسست فجأة، وليعذرني أخوتي العرب، والفلسطينيون أصحاب القضية، حين أصارحهم، بأنه خلال عشرين عاماً من حياتي فى فرنسا — وقتها — أمضيتها فى جولات لا تهدأ، من الحوار مع شخصيات عربية

حرة، وكنا خلالها نتجول فى مدن وأقاليم فرنسا، وأوروبا، دفاعاً عن الحق العربي.. فجأة، أحسست أن ما قامت به مصر، ورجالها، قد نسيه العرب، فى لحظة..

ولكن، لابد من وقفة موضوعية، أقول من خلالها، أن الصدمة الكهربائية، التى أحدثها السادات، هذه المرة، بزيارته للقدس، كانت أكبر من قدرة الإنسان العادي، على الاحتمال والاستيعاب.

الفصل الثاني والعشرون

السادات.. ولقاء "خاص جداً"..

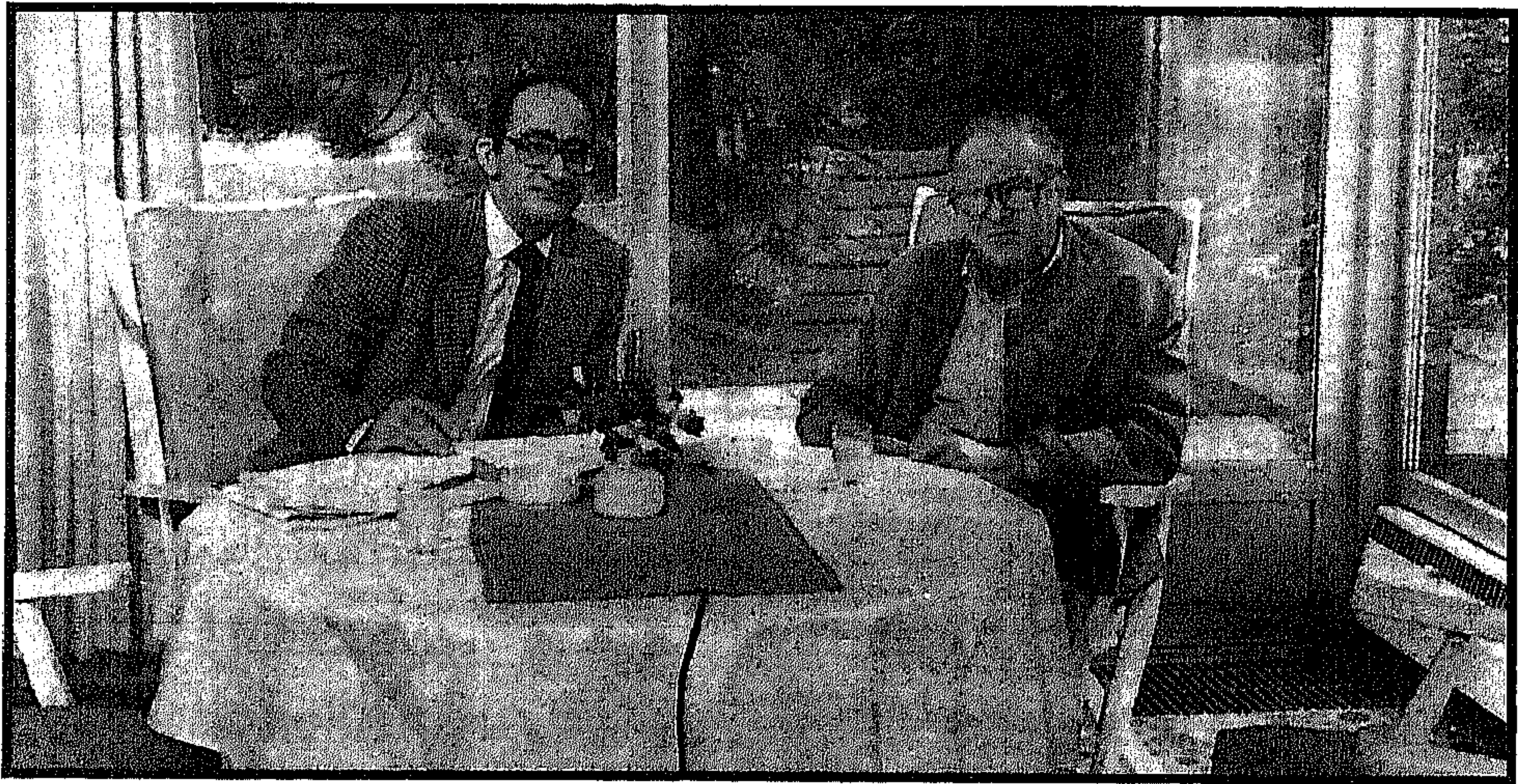
مع قيادات تاريخية يهودية بباريس

- جيسكار ديستان: "المصري ليس فى احتياج إلى تعريف"

قبل سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أثناء إحدى جولات مفاوضات كامب ديفيد، التقى بي الرئيس السادات، فى بيته بالجيزة، وقال لي: أتى الوقت الذى تبدأ فيه المرحلة الثانية من التعاون معي، من أجل مفاوضات السلام.. وأطلب منك، عند توقفي فى فرنسا، وأنا فى طريقي للولايات المتحدة، أن ألتقي بقيادات يهودية مؤثرة، ومستقلة.. وأضاف: وأرجو أن تضع خطين تحت كلمة مستقلة، وأعني بها، أن يكونوا غير أعضاء، فى أى اتحادات يهودية، وأن يكون حجم شخصياتهم مؤثراً..

وذهبت، إلى فيينا، واجتمعت مع صديقي اليهودي النمساوي كارل كاهان، الذى كان صديقاً لمستشار النمسا، وقتها، برونو كرايسكي، وكان أيضاً رئيساً لبنك مونتانا، وكان كذلك، من بين ممولي حركة "السلام الآن".. وكان مناصراً لسياسة كرايسكي، فى اتجاه فتح أبواب أوروبا أمام ياسر عرفات، وكنت قد قدمته للرئيس السادات، فى نفس العام، ونشأت بينهما محبة، ومودة، وثقة كبيرة.

وتشاورت معه، حول نوعية القيادات اليهودية، التى من الممكن دعوتها، للقاء الرئيس السادات فى باريس.



د. علي السمان والمستشار النمساوي برونو كرايسكي

وبعد بحث مطول فى أكثر من عاصمة أوروبية توصلت إلى اختيار أربعة شخصيات يهودية:

أولاً: ناحوم جولدمان، رئيس المؤتمر اليهودي السابق، وهو قيادة تاريخية يهودية، كانت تطالب منذ عام ١٩٥٨ بضرورة إقامة وطن فلسطيني، ووطن إسرائيلي.. وكان متقدماً فى أفكاره، وكان يتميز بطابع ساخر، فى عرضه للموضوعات حينما تتعقد الأمور، وكان مستشار النمسا كرايسكي قد قدمني له، أثناء إحدى زياراتي للنمسا، والمعروف أن ناحوم جولدمان كان أمريكياً، من أصل نمساوي.



ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي وقت عقد المؤتمر بفرنسا سنة ١٩٨٢ يوم بعث جولدمان ليهود العالم بوصيته حول مستقبلهم ويري الدكتور على السمان على المنصة

ثانياً: اتفقنا على شخصية تاريخية أخرى، غير معروفة، هى سير سيجموند فاربورج، رئيس مجموعة البنوك التى تحمل أسمه فى أوروبا، وهو ألماني الأصل، وكان دوره فى التاريخ اليهودي معروفاً بأنه هو الذى تفاوض مع هتلر، فى الماضي، على دفع أموال له، أى لهتلر، نظير أن يترك هتلر اليهود فى سلام.

وعندما اكتشف فاربورج، أن هتلر يريد المال ونهاية الشعب اليهودي معاً، هرب من ألمانيا إلى إنجلترا، ليعيش فيها ويمارس مسئولياته البنكية.. وكان معروفاً عنه فى دوائر المال، انضباطه غير العادي، إلى درجة أنه كانت هناك دعابة شاعت فى

لندن، تقول أنك إذا وجدته يدخل بنكه فى الصباح، ونظرت إلى ساعتك ووجدتها بعد الثامنة بدقائق، فاعلم أن ساعتك هى التى تعطلت، أو أنها ليست مضبوطة.. فقد كان يصل إلى مكتبه، يومياً، فى الثامنة تماماً، وقد كان الناس يضبطون ساعاتهم على ساعة وصوله.

أما من ناحية المضمون، فقد كان شخصية نادرة، فى رفضها الحاسم، أن يكون هناك فصل، بين المبادئ، وبين السلوك فى الحياة اليومية.

ومعروف عنه، أنه وجه رسالة قاسية شفهية إلى مناحم بيجين، رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت، بعد زيارة الرئيس السادات للقدس، وبداية المشاكل فى المفاوضات، وهى رسالة قال له فيها: لم يحصل فى تاريخنا، أن كنا مدينين لشخص، مثلما نحن مدينون اليوم، للرئيس السادات، وهو يعرض علينا السلام مقابل الأرض، ولا نملك أن نسمح لك أن تضيع هذه الفرصة، اليوم، باسمنا.

بل إنه رفض يوماً، أن يذهب إلى القدس، ليتسلم الدكتوراه الفخرية، وقال لأصدقائه، وهو يشرح لهم أسباب رفضه: بماذا يفيد، " أن التقى أثناء هذه الزيارة برجل – يقصد بيجين – فقد حاسة السمع"..

ذلك أن بيجين، كان يرفض الاستماع لنصيحة أى يهودي من الخارج، فى شئون إسرائيل بالداخل.

أما الشخصية الثالثة، فكانت "لورد جودمان".. وهو حفيد جودمان، المستشار القانوني، الذى صاغ وثيقة وعد بلفور الشهير.

وأما الرابع، فكان هو البارون إدموند روتشيلد، حفيد "روتشيلد" الذى وجه إليه بلفور، وعده الشهير، بإنشاء دولة إسرائيل، وساهم هو مالياً فى إنشاء هذه الدولة، وكانت ميزة روتشيلد، عن غيره، من أعضاء هذه العائلة الأرستقراطية، ذات الفروع الثلاثة فى إنجلترا، والنمسا، وفرنسا، أنه كان رجلاً عاطفياً ذا قلب، وكنت أعلم أنه سيكون مقدراً للجميل، حين ينال شرف لقاء السادات، ذلك أنه كان هناك، بين أعضاء عائلة روتشيلد، مَنْ هو أكثر أهمية منه، فى التركيب الهرمي المعقد، لتلك العائلة.

وانضم لهذه المجموعة، بالطبع، الصديق كارل كاهان.

وقال لي كاهان، عندما عرضت عليه القائمة، فى صورتها النهائية، قبل أن يصحبني إلى باريس، فى طائرته الخاصة، قبل لقاء السادات بهم بيومين.. قال: لو كنت مكانك مع مجموعة بحث، لما وقعت أعيننا على اختيارات أفضل من ذلك،

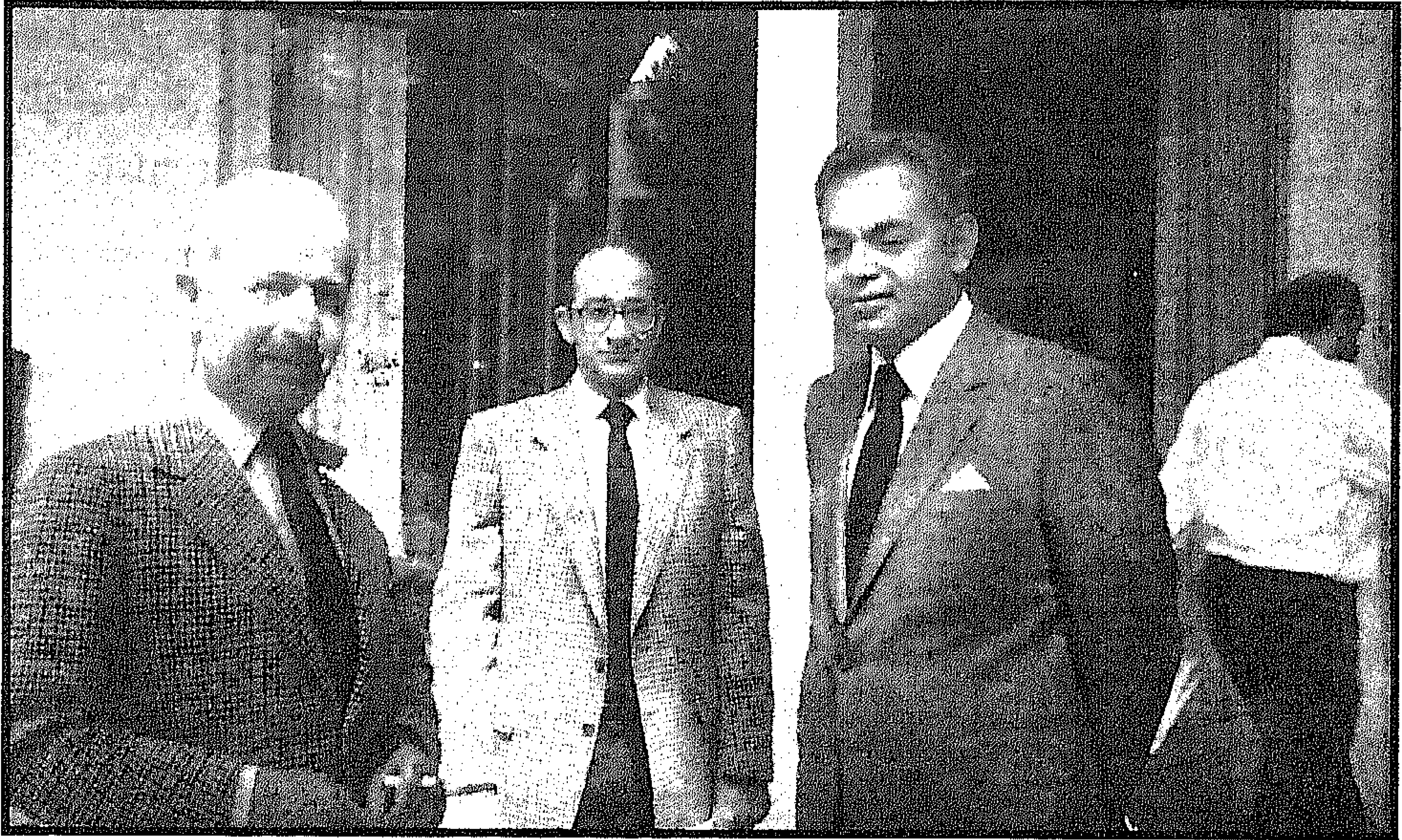
لتحقيق هدف السادات، في الالتقاء بشخصيات يهودية ذات تأثير عظيم.. ثم أضاف: وأنا أقول لك، أن لهم جميعاً موقعاً هاما، في التاريخ المعاصر للشعب اليهودي.



مع الزعيم الراحل أنور السادات، ونائب الرئيس وقتها حسني مبارك.. وقف الدكتور علي السمان، بينما السادات يقول لرجل البنوك العالمي روتشيلد: يجب أن تقدم لمصر جزءاً مما قدمه جدك لإسرائيل

وجاء يوم اللقاء..

وحين دخل الرئيس السادات، إلى صالون قصر الضيافة الفرنسي المارينيه، بجانب قصر الإليزيه، للقاء ضيوفه الخمسة، وقفوا جميعاً، عندما وجدوا أنفسهم أمام شخصية تمثل جزءاً حياً من التاريخ، وكانت في نظراتهم جميعاً، رغبة حقيقية، وعميقة، لاكتشاف هذه الشخصية التي كانت ملامحها لا تزال في مخيلتهم، وهو يهبط في مطار ديفيد بن جوريون بإسرائيل، يوم زيارته للقدس في نوفمبر ١٩٧٧، وهي زيارة كانت، كما قيل عنها يومها، بمثابة هبوط آخر، للإنسان، على القمر!



د. علي السمان مع الوزير منصور حسن ورجل الأعمال كارل كاهان ، صديق كرايسكي..
وكان ذلك فى بيت كاهان

وبدأ السادات، كعادته مداعباً بكلمات وجهها إلى ناحوم جولدمان، وكان قد قارب الثمانين من العمر.. فقال له: لو كنت قد قبلت، فى الماضي، رئاسة إسرائيل، عندما عرضوها عليك، بدلاً من أن تفضل الترف، فى الحياة الغربية، لما كنت أنا اليوم، أمام كل هذه المشاكل، وكانت الأمور بينكم، وبين الفلسطينيين، سوف تسير على خير ما يرام..

ثم أضاف السادات، وهو يخاطب جولدمان، على مسمع منا جميعاً: ولن يغفر الله لك ذلك.

وضحك الجميع من قلوبهم، ثم رد جولدمان وهو يقول: لست متديناً، وعندي – لذلك – شك كبير فى أن يغفر الله لي !!

وبدأ السادات يعرض أمامهم، الخطوط الرئيسية، بأن لخص المعاني التى سبق أن رددها فى خطابه بالقدس.. وكان صريحاً جداً معهم حينما قال لهم: هناك فرص فى التاريخ لا تتكرر، وإنني أحمل كل واحد منكم، مسئولية إضاعة الفرصة التى أتيحت بعد زيارتي للقدس.. دعونا نعيش جنباً إلى جنب فى سلام.. فالحياة، والتاريخ، قد فرضا علينا أن نعيش أعداءاً على مدى نحو نصف قرن.. واليوم لم نعد أعداء.. وعلينا أن نعد المستقبل لنكون شركاء فيه، ولكن على أساس إعطاء

كل ذي حق حقه، وعلى أساس رد الأرض المحتلة إلى أصحابها، وإعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه..

وأطال الرئيس، أمامهم، فى شرح معنى وأهمية كلمة "شبر" من أرض الوطن، بالنسبة للشعب المصري.. وقال لهم: لو درستم التاريخ لعلمتم، أن هذه الدولة، ذات السبعة آلاف سنه، لم تتغير أرضها، ولا حدودها.. وأن كل شبر من أرضها، وحدودها، بالنسبة لأهلها، هو جزء من مقدساتها،.. ومهما طالت المفاوضات، وحُسنت النيات، فأنا على استعداد لأى شئ، إلا للتنازل عن سنتيمتر واحد من هذه الأرض.. والباقي كله قابل للتفاوض.

وقال لهم: مسئوليتكم هنا، مثل مسئوليتنا.. أن نصل إلى النصر الحقيقي، وهو تحقيق السلام.

ثم فاجأني، وفاجأهم، حين قال لهم: "لقد سبق أن قلت لصديقكم علي السمان، حينما التقيت به، بعد حرب أكتوبر مباشرة، أنه لا توجد حرب من أجل الحرب، وأن الحرب هى من أجل الحصول على مكان محترم، على مائدة المفاوضات".. وطبعا كلمة "صديقكم" كان يعنيها بعد أن لاحظ روح المودة بيني وبينهم.

وكان من أهم الكلمات التى رد بها ناحوم جولدمان، على حديث الرئيس إليهم: أرجو أن يكون سلاحك الرئيسي، يا سيادة الرئيس، هو الصبر.. والصبر.. ومقاومة أسلوب المشاغبات، التى يحسن المفاوض الإسرائيلي ممارستها، حتى يخرج التفاوض من موضوعه الرئيسي إلى موضوعات فرعية.

ولمح روتشيلد، إلى أنه من الضروري، أن تصل رسالة إلى الشعب المصري، تقول له، أننا مهتمون بالتنمية الاقتصادية لهذا البلد، وأن رجال الأعمال فى العالم تابعوا، بكل اهتمام، سياسة الانفتاح السياسي والاقتصادي، التى بدأها الرئيس السادات.

وتكلم كارل كاهان، عن أهمية أن تجد حركات السلام فى إسرائيل، المقابل لها فى مصر، ولو أمكن فى فلسطين، لأنه ليس من المعقول، ولا من المشروع أخلاقياً، أن نعاقب جماعات "السلام الآن" على أساس أن حجمها متواضع، وأن التيار ضدها قوى جداً.

أما "لورد جودمان" فلأنه يحمل رغم أنفه، أسم وعد بلفور، فقد قال: إن التاريخ ما هو إلا تاريخ .. ويجب أن نفرض على أنفسنا رؤية للمستقبل تنبع من حاضرنا.

وكان الوحيد، الذى ظل صامتاً، طوال اللقاء، هو صديقي السير سيجموند فاربورج، الذى كان معروفاً بأنه ملك مدينة المال فى لندن.. وحين سألته بصوت خافت: لماذا لم تشارك برأيك في اللقاء ؟

قال لي بهدوء: نحن أمام رجل يصنع التاريخ.. والتعقل.. يقول أن الوقت، فى هذه الحالة، ينبغي أن يكون للاستماع إليه فقط، وأن كلامنا، ما هو إلا مضيعة للوقت.

وعندما انتهينا من اللقاء، قال لي الرئيس السادات: يجب أن تتفاهم معهم، على الموعد المناسب، الذى يمكن أن يصلوا فيه إلى القاهرة، ضيوفاً علينا

وأعتقد أن الرئيس السادات قد فوجئ، وأنا أقول له: لن يصلوا إلى القاهرة، معاً فى وفد واحد.. فإن كل واحد منهم يعتقد أنه الملك داود.. ومن مصلحتنا أن نستقبلهم الواحد تلو الآخر، وكلٌ بقدره!!.

وهمهم السادات وهو يقول: تمام.. تمام

وحين يقارن الإنسان، بين هذه الصور، للقيادات اليهودية الأمينة فى فكرها،.. ثم يقفز إلى المستقبل، ليعقد مقارنة بينهم وبين متطرف فى حزب الليكود الإسرائيلي، يجد نفسه أمام منطق بسيط، يفرق فيه أى مجتمع، بين العقلاء وبين السفهاء.. بين منْ يبني وبين منْ يهدم !

الرئيس الفرنسي "ديستان" يقول: "إذا كان الإنسان مصرياً.. فهو ليس فى حاجة لتعريف"

فوجئت يوماً، بالرئيس السادات، أثناء أحد لقاءاتي معه، يسألني عن الأسباب التى من أجلها، يصر الرئيس الفرنسي جيسكار دستان، على دعوته وأسرته، إلى باريس، رغم أن الرئيس السادات كان يعلم، أن ديستان، عقب بدء مفاوضات السلام بين مصر وإسرائيل، عام ١٩٧٨، خاف من ردود الفعل الغاضبة للدول العربية المعادية لمصر وقتها، واحتمال إقدام بعض تلك الدول على عدم التوقيع على عقود اقتصادية ضخمة، مع باريس، إذا ما أبدى ديستان، مواقف مؤيدة للسادات.

ومن قبيل الصدف الغريبة، أنني قبل أن أعود إلى القاهرة، فى ذلك الوقت، وألتقي بالسادات، كنت قد التقيت بوزير داخلية فرنسا "بونيا توفسكى" الذى ظل مدة طويلة، رئيساً لجمعية الصداقة الإسرائيلية الفرنسية.. ورغم قربه الشديد، من الرئيس الفرنسي، إلا أن وجهة نظره كانت معارضة لديستان فى الاستجابة للضغوط العربية، وإلحاح العرب المستمر، على فرنسا، من أجل أن تبتعد عن الرئيس السادات.. فخيار السلام، بالنسبة لبونيا توفسكي، كان فى نهاية المطاف، مفيداً للأطراف كلها.

وأثناء حديثي مع " بونيا توفسكي" همس فى أذني، بأن قياسات الرأي العام الفرنسي تشير إلى أن هناك عدة تحفظات لدى الفرنسيين، تبعدهم عن اختيار

ديستان، لمدة رئاسية جديدة، وأن أحد أسباب هذه التحفظات، لدى قطاعات لا بأس بها فى الرأى العام الفرنسي، عدم تأييد ديستان، للسادات، فى مفاوضاته للسلام مع إسرائيل.

كنت، إذًا، فى موقع يسمح لي، بأن أقدم للرئيس السادات، رأى وزير داخلية فرنسا، وأن أشرح له، بالتالي، الأسباب التى من أجلها، يرغب ديستان، فى أن يزور السادات، باريس، فى هذا التوقيت، تحديداً.. كان يريد، باختصار، ووضوح، أن يكسب شرائح من الرأى العام الفرنسي قبل انتخابات الرئاسة، التى تؤيد السلام بين مصر وإسرائيل، وكانت له مصلحة مباشرة، فى أن يستجيب السادات، ويقبل بالحضور إلى فرنسا.

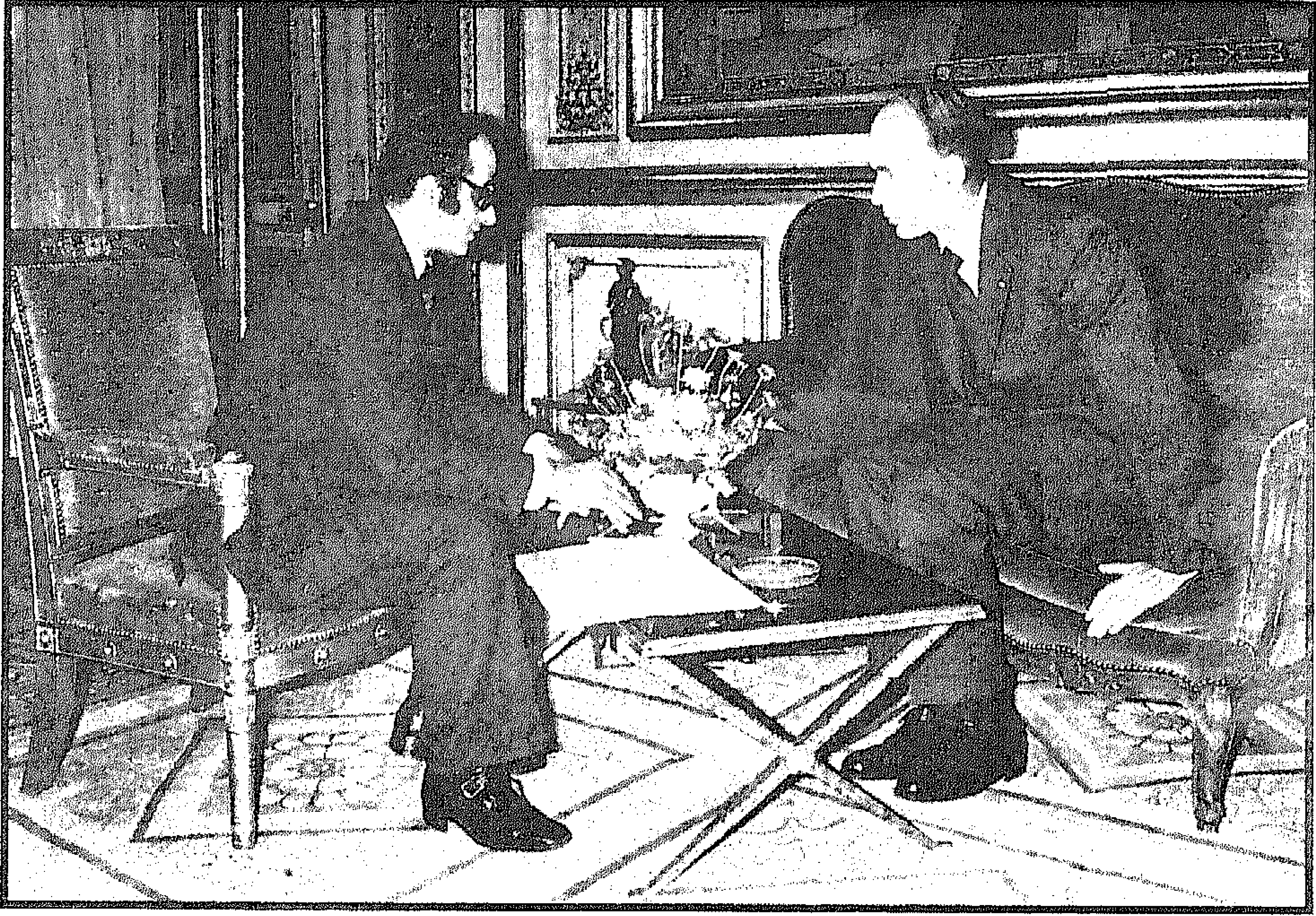
وسألني الرئيس السادات: وما رأيك فى الدعوة ذاتها ؟!

قلت له: اسمح لي، يا سيادة الرئيس، أن أنصح بالاستجابة للدعوة، لأنك حين تذهب إلى فرنسا، فسوف تستمع لك وسائل الإعلام الفرنسي بأكملها، كما أن الرئيس الفرنسي سيضطر للاقتراب، عمداً، من مواقفك.

وهذا ما حدث بالفعل.



بقصر الإليزيه مع الرئيس ديستان والرئيس السادات ، والسيدة جيهان السادات ، وحرم الرئيس الفرنسي ، وجاك شيراك رئيس الوزراء وقتها



د. علي السمان والرئيس الفرنسي ديستان

وأذكر، فى هذا المقام، أني التقيت بالرئيس الفرنسي ديستان، فى العام الأول لتوليه الرئاسة، من أجل إجراء حوار معه، للإذاعة والتليفزيون المصري.. وكنت أعلم أنه يطبق قاعدة العلاقات العامة الأمريكية، التى تقضى بأن يقرأ المسئول، ورقة صغيرة، ترفعها إليه أجهزة الرئاسة المختصة، لتحيطه علماً بالضيف الذى سيلتقي به، وبحياته وأفكاره. وحين تهيأت لبداية الحوار معه، قال لي: لقد عشتَ فى فرنسا، مدة من الزمن، تساوى تقريباً، المدة التى عشتها فى مصر، وبالتالي فأنت نتاج حي، مصري فرنسي.

وقلت له: سيادة الرئيس، لا أريد أن أكذب عليك، وأوافقك على رأيك، لأن الحقيقة هى أني مصري مائة فى المائة.. غير أن هذا لا ينفي، أني كنت سعيداً، ومتشرفاً بأن أعيش فى بلادكم، فترة من حياتي، تصل لأكثر من ثلاثين عاماً.

وكان معروفاً عن ديستان، سرعة بديهته، وقدرته على الرد السريع، الذى ينم عن ذكاء.. وبسرعة رد على تعليقي، فقال: لك كل الحق، فحينما يكون الإنسان مصرياً، فهو ليس فى حاجة إلى تعريف، ولا إلى توضيح يقدمه للآخرين عن نفسه؟!

الفصل الثالث والعشرون

حكايتي مع الخميني.. والشاه
.. والإمبراطورة فرح ديبا.. وملك مصر..

فى عام ١٩٧٨، قدمني الأخ والصديق المفكر المصري أنور عبدالملك، إلى الحسن بنى صدر، أول رئيس للجمهورية الإسلامية، فى إيران، بعد رحيل الشاه

.. كان ذلك فى فرنسا، وكان قبل قيام ثورة الخميني بنحو عام، وقد قال لي أنور عبدالملك، وهو يقدمني إليه، إنه، أى الحسن بنى صدر، أحد الذين يعدون لقيام ثورة إسلامية فى طهران.

كنت أعرف الصديق أنور عبدالملك، قبلها، بالطبع، وكنت أعرف عنه شغفه بعلم المستقبليات وعبقرية الجغرافية السياسية، ومازال من القادرين على التخيل والتصور فى هذا المجال.

وعندما التقينا، أنا والحسن بني صدر، تذكرنا معاً، أننا التقينا أكثر من مرة، ونحن نسكن، فى المدينة الجامعية، وكان لقائي معه، عام ١٩٧٨، مبعثاً لارتياح نفسي وروحي بيننا، دام طويلاً، وربما إلى اليوم.

وقد بدأت بعدها، أهتم بالحركة الإسلامية، وبمستقبلها، وعمقها فى إيران، وبدأت أتابع تطوراتها.

وبعد مدة قصيرة، وصل الإمام الخميني إلى باريس، لاجئاً سياسياً، تحت حماية الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان، الذى كان يعلم أن أحد فروض المستقبل، هو اندلاع ثورة إسلامية فى إيران، وقد كانت معلوماته، فيما يتصل بهذا الشأن تأتيه من أكبر وأذكى قيادات الأمن الفرنسي، وقتها، وهو "الكونت دى لا ماراتش" وقد كانت تلك هى المرة الأولى التى يضعون فيها، على رأس جهاز الأمن الفرنسي، أحد نبلاء فرنسا.. وهو رجل كانت له اتصالات واسعة، وصداقات شخصية عميقة.

وقد تصورت وقتها، وكأن الرئيس الفرنسي وهو يعطى حق اللجوء السياسي، للخميني، فإنه كان يمارس ما نسميه فى العقل الغربي "الرهان على المستقبل".

ذهبت بعدها، للقاء عدد من قيادات الثورة الإسلامية، الذين كانوا يلتفون حول الخميني، فى مقر إقامته فى قرية "نوفل لى شاتوه" وكانوا يقيمون فى خيمة أُقيمت فى حديقة القرية، وكانوا يؤدون فيها صلاة الجمعة، وكنت أؤديها معهم.. وكان أقربهم إليّ هو آية الله خشخلي، الذى أصبح، فيما بعد، رئيساً لمحكمة الثورة.. وقد كان رجلاً بديناً، ومرحاً.. ولا أنسى أنني فى كل مرة، كنت أكلمه فيها عن شخصية ما، فإنه كان يشير بحركة ما، تعنى أن منْ أتحدث عنه، يستحق الشنق

أو الذبح، وكنت أتصور، وقتها، أنه كان يعنى ذلك، مجازياً، .. قبل أن أكتشف أنه كان يعنى ذلك، فعلياً، وأنه راح يطبق ما كان يشير به، عندما أصبح رئيساً لمحكمة الثورة، بعد أن عاد مع الخميني إلى إيران.

وقد تمكن الصديق بنى صدر، الذى كنت أثق فى كلمته، وفى قوله، وأشعر أنه ينتمي، فى نهاية المطاف، إلى إسلام معتدل مستنير. تمكن من تقديمي إلى الخميني، الذى التقيت به، صباح يوم جمعة، كان شديد البرودة، وكان الثلج يحيط بكل مكان، فى قرية "نوفل لى شاتوه".

وكان الموعد فى الثامنة صباحاً، وفى الموعد المحدد، بالضبط، كنت هناك، بعد أن اتفقت مع مصور وكالة الأنباء الفرنسية، على تصوير اللقاء.. ولشدة الأسف، لم تستطع سيارة المصور، أن تقاوم الجليد حول القرية، فوصل بعد الموعد واللقاء.

وحين صافحت الخميني، وجدته لأول مرة، مبتسماً، ومرحباً، وعلى خلاف كل الصور المنشورة له، فى ذلك الوقت.

من ناحيتي، كنت مندهشاً، وأنا أرى هذه الروح، من جانب الخميني، تجاهي، مع أنه كان يعرف عني، أني أتعاون مع الرئيس السادات، الذى كان الخميني يناصبه العداء، بسبب رحلة القدس.

وبعد أن أجريت معه اللقاء شعرت بخيبة أمل كبيرة، لأني لم أستطع أن أسجل ذلك اللقاء، بالصورة، كما أنني لم أستطع أن التقط صورة نادرة للخميني، وهو يبتسم، عند استقبالي.

وسارعت أسأل صديقي بنى صدر:- لماذا استقبلني الرجل، بهذا القدر من الترحيب رغم علمه بأنني تعاونت مع الرئيس السادات. وسألته أيضا لماذا قال الخميني لي: " أنت مجتهد " ورد علي مبتسما: " أنت فعلا مجتهد بحكم ما كتبته في رسالة الدكتوراه عن الإسلام، ولكن ما قصده الخميني هو أن يضعك على أول "سلم" في التركيب الهرمي الشيعي كمبدأ الإنسان... مجتهد... ثم مله... ثم آية الله..!! ولم أنل بعدها أي "ترقية".. وظللت "مجتهدا".. ولاشيء غير ذلك ..!!

وقال لي بنى صدر: "إنك ضعيف الذاكرة.. ولا تذكر أن الشاب الذى كان يترجم بينكما، هو نفسه الشاب الذى جاءك فى فرنسا، من قبل، يطلب منك المساعدة فى ترجمة الجزء الخاص بتجربة كمال أتاتورك مع الإسلام في رسالتك للدكتوراه، إلى الإيرانية، ليوضع ذلك فى مكتبة مدينة "قم" مسقط رأس الإمام الخميني وعاصمة الفكر الشيعي".

ومن الأكيد، أن الخميني كان سعيداً، بما كتبته عن الإسلام، وعن كمال أتاتورك، وتركيا، لأنني عارضت المنهج الغربي فى اعتبار كمال أتاتورك مصلحاً إسلامياً.. لقد كان رأيي أنه كان يريد "لا أسلمة تركيا" أى إخراج تركيا من الإسلام لتصبح دولة علمانية، عصرية وغربية المذاق، وذلك لا يمنع تفهمي لرغبة أتاتورك أخراج تركيا من الإمبراطورية العثمانية التى أصبح أسمها وقتها "الرجل المريض" كهولة..

وقد ظل فكر اتاتورك محدداً فى العاصمة أنقرة، وفى الجيش التركي،.. وظل العمق التركي إسلامياً.. وكانت الخلاصة التى توصلت إليها، **أن بلداً أسلم، يستحيل انتزاعه من الإسلام بعد ذلك.**

وقال لي صديقي بنى صدر: من الأكيد أن المترجم أعطى هذه الخلفية عنك، للإمام الخميني، ولعل هذا ما يفسر ترحيبه، وارتياحه لك..

وقد لفت نظري، موقفه المعادي للأزهر، حين تكلمنا عنه كمؤسسة دينية، ومن الكلمات النادرة، التى نطقها بالعربية وهو يتكلم معي، وصفه لرجال الأزهر، بأنهم "أهل التبرير" !

وذات صباح، اتصل بي صديقي الحسن بنى صدر، بعد أن عرف من صديقي أنور عبدالملك، أني سأرافق نائب رئيس الجمهورية، حسني مبارك، فى رحلة إلى إيران، للقاء الشاه.. وفوجئت بالحسن يقول لي:- حين تذهبون إلى إيران، وتلتقون بالشاه، سوف تسمعون تصريحات مطمئنة، ولكن أرجو أن تعلم، وأن يعلم المسئولون فى مصر، أن نظام الشاه يعيش شهوره الأخيرة، وأنه لا مجال لصد أو منع التيار الإسلامي ورجاله، من أن ينتصروا.

وفى إيران، وأثناء المباحثات فى طهران، فوجئت بالشاه، وهو يعبر عن رأيه فى المشاكل والقلاقل التى كانت قد بدأت تظهر على الساحة هناك.. فيقول:- لا توجد عندي مشكلة فى التصدى لهذه المشاكل، ولهذه التيارات.. المشكلة الوحيدة بالنسبة لي، هى عدد الضحايا الذين يمكن أن يسقطوا !!

وبعد شهور، بدأ بركان الثورة يهز إيران، وأحس الجميع أن أيام الشاه أصبحت معدودة، ولن أنسي الموقف الغريب لقيادات الغرب تجاه الشاه.

لقد التقى الرئيس الأمريكي كارتر، والرئيس الفرنسي جيسكارديستان، فى جزيرة "المارتينيك" قبل الثورة بأسابيع، وكأنهما قررا دون اتفاق مسبق، التخلي عن الشاه.. فكارتر تحمس لقضية حقوق الإنسان فى إيران، وأبدى رأياً بأنها قد تم امتهانها، وأن من الصعب استمرار التحالف مع الشاه.

أما جيسكار ديستان، فقد استعرض ذكاءه، وقوته، وهو يقول لعدد من قادة الغرب، إن مستقبل إيران سوف يبدأ من قرية "نوفل لى شاتوه" وأن الخميني سوف يخرج من هذه القرية، يوماً، وهو رئيس لإيران.

وقد كان فى هذا القول، من جانب ديستان، تفاؤل كبير، فى الرهان على الخميني.. إذ كانت المفاجأة الكبرى، أن من أول القرارات التى اتخذها الخميني، عند وصوله إلى السلطة، وبعد أن احتضنته فرنسا شهوراً طويلة لديها، ووفرت له الحماية الكافية، أن ألغى عقود كل المشروعات النووية الإيرانية مع فرنسا !!

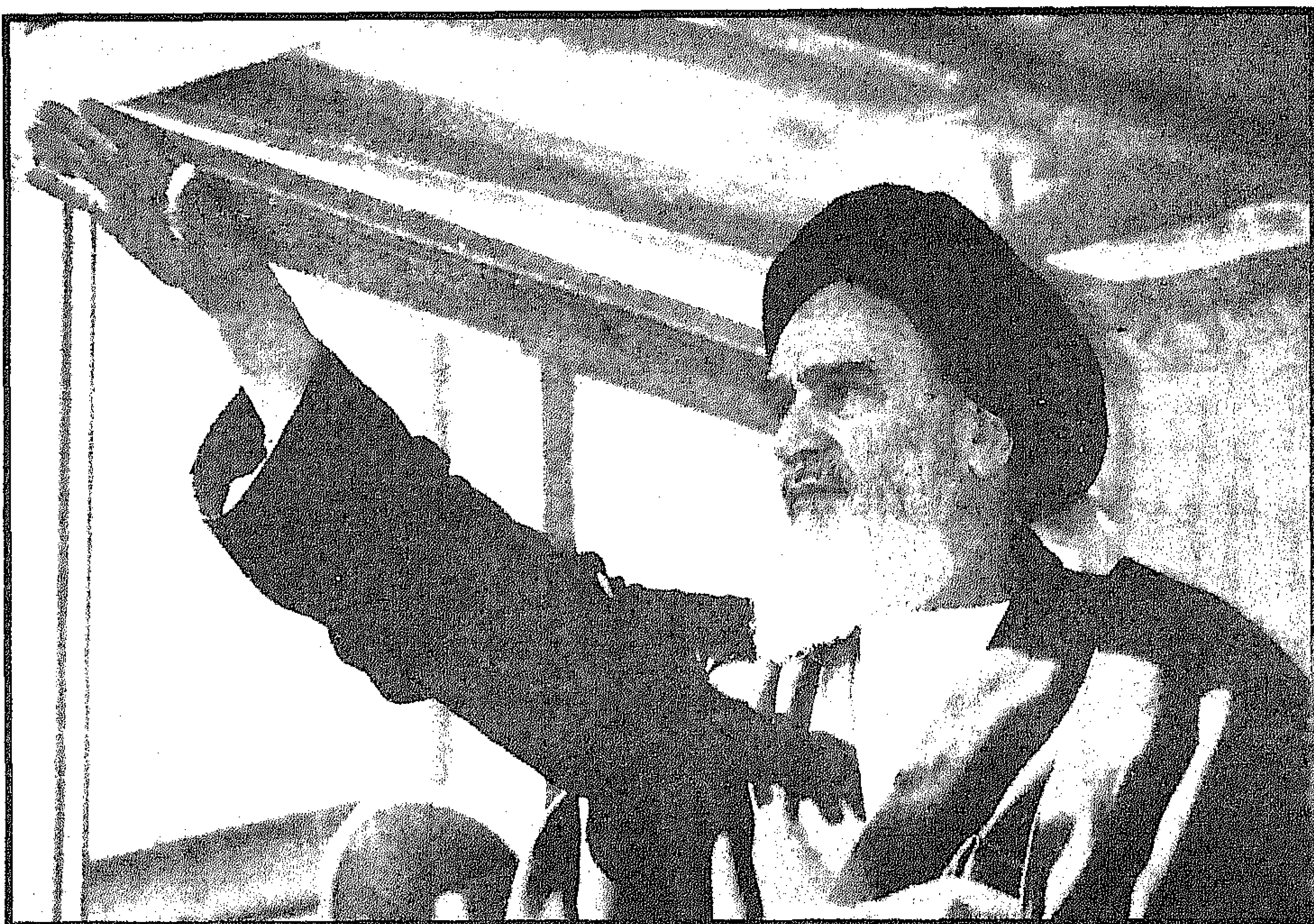
شعب إيران يحج إلى بيت الخميني فى "قم"

بالتنسيق مع بنى صدر، أعددت نفسي لزيارة صحفية إلى بيت الخميني فى قم، باعتباري مسئولاً وقتها، عن مكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط والإذاعة والتليفزيون، فى أوروبا.

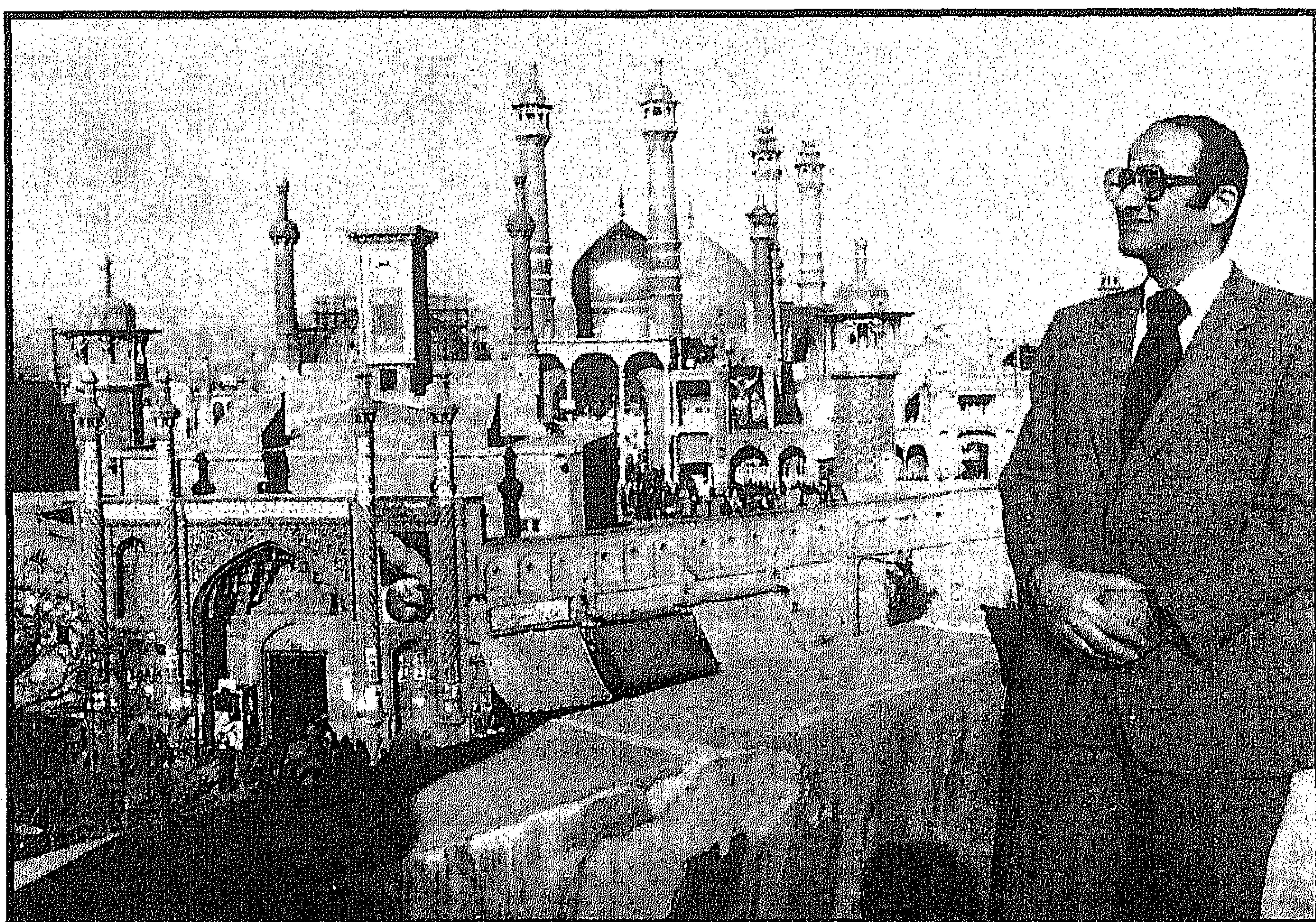
ولن أنسى ضيافة سفير مصر فى طهران، فى ذلك الوقت، وهو السفير سمير صفوت، الذي كان سفيرا أيضا وقتها والذي كنت أمضى لديه كل الوقت الذى يتبقى من مقابلاتي وعملي، وكان السفير صفوت يواجه التحديات والمخاطر، والاضطرابات بشجاعة غير عادية، ولا يمكن أن أنسى يوماً، كنت فيه مع السفير سمير صفوت، فى الطريق إلى مقر إقامته ليلاً، فإذا بإحدى سيارات الحرس الثوري تعترض طريقنا، وإذا بها تطلق النيران فى كل الاتجاهات، ولم أفهم وقتها، ما إذا كنا نحن الهدف، أم كان الهدف هو تخويف ممثلي الرئيس السادات فى طهران.

وكان بيت السفير صفوت، كعادته، وكما تعرضت له من قبل، بيتاً مفتوحاً بكرم حاتمي.. وكان وجودي هناك، فرصة نادرة للتعرف على المستشار بالسفارة محمد بسيونى، الذى كان يعمل بالمخابرات العسكرية، قبل أن يتم إلحاقه، فى وقت الشاه، مستشاراً بسفارتنا هناك..

وعندما توجهت إلى مدينة "قم"، مدينة الإمام الخميني، فى رحلة طويلة، توقفت وأنا فى الطريق لأزور مسجد الاثناعشر الشيعية، .. وأشهد أن السفير الصديق محمد بسيونى، كانت عينه لا تفارقني، وأنا فى مدينة "قم" وكان يعمل على تأمين وجودي هناك، بكفاءة عالية، وحذر شديد.. وحين وصلت إلى بيت الخميني فى "قم"، لاحت لي أمواج من البشر، تأتى إلى البيت وتظل على أعتابه تهتف ساعات، حتى يخرج لها الإمام الخميني، ملوحاً، ومباركاً، ثم ينصرفون، لتزحف أمواج أخرى، تظل تهتف هى الأخرى، بلا انقطاع، ولساعات طويلة.



آية الله الخميني يلوح لمؤيديه من مقر إقامته بباريس



دكتور علي السمان أثناء زيارته الوحيدة لإيران أمام مسجد الاثنى عشر مأذنه

رأيت بعيني، أمة بأسرها وهى تحج إلى بيت الخميني، قائد الثورة الإسلامية وهو بيت نجح فكر الشيعة فى تحويله إلى قيمة مقدسة، وهى قيمة كانت أقرب للعبادة منها إلى التأييد.

كان الحسن بنى صدر، وقتها، ممثلاً للثورة داخل معسكرات الجيش، ولم يكن قد أصبح رئيساً للجمهورية بعد، وقد ساعدني على التعرف على الموقف، على حدود إيران، وشعرت أن هناك تحركات تهدد إيران، فى عربستان وتركستان.

ورجاني أحد مساعدي الخميني، أن أوجه إليه سؤالاً أثناء لقائي به، عن رؤيته لمستقبل العلاقة بين الثورة الإسلامية، وبين الجيش الإيراني.. فلقد كان بنى صدر، وقتها، يتعجل التعاون بين الثورة، وبين الجيش الإيراني، رغم انتمائه الإمبراطوري.. فقد كان بنى صدر يخشى الموقف على الحدود.. وحين سألت الخميني عن رؤيته لمستقبل تلك العلاقة، وذلك التعاون، بين الثورة، وبين الجيش الإيراني.. أجابني فقال: لا تعاون بيننا قبل أن يصبح الجيش جمهورياً وإسلامياً.. وحاولت، فى حوار تكتيكي، أن أنبهه إلى أن ما رأيته على الحدود، يجعلني أتساءل عما إذا كان الموقف يحتمل الانتظار، حتى يصبح الجيش إسلامياً وجمهورياً..

وفوجئت به يرد ويقول: لم تفهم ما أقول.. أكرر لك، أنه لا تعاون بيننا، قبل أن يصبح الجيش إسلامياً وجمهورياً.. وأعتقد أنني فهمت، من وقتها، أن منهج الفكر المتطرف، هو أنك إذا لم تتفق مع ما يقول، فمن المحتمل أنك لم تفهم ما قيل لك، وأنه لا مفر، عندئذ، من أن يعيد عليك، ما قاله، من جديد.

وعدت إلى مصر، وأنا أحمل قدراً هائلاً من الأخبار، وأيضاً من المعلومات، وبعض الآراء عن كيفية التعامل مع ثورة الخميني، لأضعها تحت تصرف الرئيس السادات، وتحت تصرف رئيس الأمن القومي وقتها، كما عودت نفسي، فى كل ما يهم أمن مصر الخارجي لأن تاثير ثورة الخميني قد بدأ يتفاقم ويؤثر في الحركات الإسلامية داخل الوطن وخارجه.

وأذكر أنه كان لي رأى، فى محاولة إقامة قنوات اتصال مع آية الله شريعة مدارى أحد أركان الثورة، لأنني عندما التقيت به، قال لي: لسنا فى حاجة إلى عنف، لترسيخ الإسلام لدى الإيرانيين..، أن إسلامهم فطري وطبيعي.

وسألته: هل يمكن، رغم نقاط الخلاف بيننا، أن نجد نقاط اتفاق نتعاون حولها؟

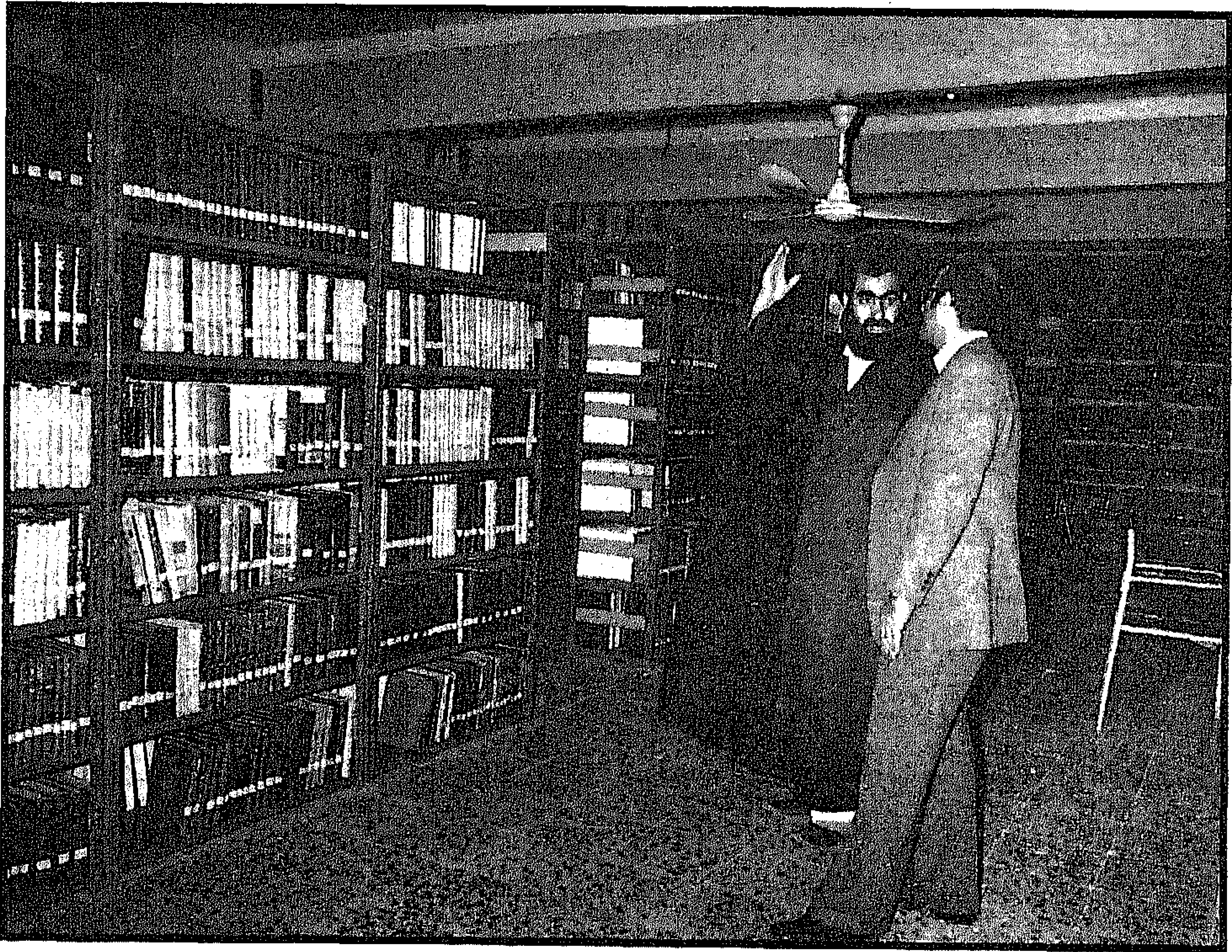
فقال: هناك إذاعة مصرية موجهة، من عندكم، إلى أفغانستان.. وأمر أفغانستان يهمنا نحن الإيرانيين..

ويمكن أن نتعاون فى الرسالة الموجهة إلى الشعب المسلم فى هذا البلد المجاور: أفغانستان.

ورفعت للقيادة السياسية خلاصة بعض ملاحظاتي، عن رحلتي إلى إيران، وتوقعاتي للثورة الإيرانية، والنقطة المحددة الممكنة للتعاون، من خلال قناة آية الله شريعة مدارى، وأذكر أن الرئيس السادات تذكر هذه النقطة بالذات، حين رأى فى مرحلة من المراحل، أن دور مدارى قد تعاظم، قبل أن يضربه الجناح المحافظ.

وأذكر أن الرئيس كان قد أعطى تعليماته وقتها، بعمل اللازم، وإقامة قنوات اتصال مع مدارى ولكن التنفيذ تأخر كثيراً.

ثم كانت لي جولة أخرى، مع الثورة الإيرانية، وأنا أتابع صعود وانهيار آمال صديقي وأخي بنى صدر، الذى كان أول رئيس لجمهورية إيران، بعد اندلاع الثورة الإسلامية، وكانت له اتصالات دولية واسعة، كما كان يتمتع باتصالات شعبية كبيرة، فى الأوساط المستنيرة بإيران..



مع آخر الموالة (قم) في المكتبة التي تحوى ترجمة لرسالة الدكتوراه لدكتور علي السمان التي أشرت أليها في الكتاب

ولولا أنه عمل كثيراً داخل الجيش الإيراني، كمتحدث باسم الثورة الإيرانية، بحثاً عن تدعيم قوى الإسلام والجمهورية بداخله، ولولا اتصالاته برجال القوات المسلحة، لما أمكن له أن يهرب حينما اصطدم بالجناح المحافظ والمتطرف فى الثورة الإيرانية.

بعدها، التقيت به فى بيته فى إحدى ضواحي باريس، وجلسنا نتحدث ساعات طويلة، نتبادل خلالها أفكارنا حول التجربة، تجربة الثورة الإيرانية..، وكان أهم ما قاله لي، ونحن نتحدث فى بيته:- لقد اختلفت معهم، مع الجناح المحافظ والمتطرف، منذ اللحظة الأولى، حول نقطة أساسية، وهى **"أن هناك فرقاً كبيراً بين أن يكون النظام إسلامي المبادئ والمنابع، وبين أن يكون الحكم لرجال الدين.."** لقد كانت السيطرة لآيات الله، ومن تحتهم الملالى، على الحكم، ولم يغفروا لي، أني تجرأت وأقمت هذه التفرقة، التى لم تكن تجوز فى نظرهم.

وكان إحساسي الشخصي، وأنا أسمع هذا الكلام من بنى صدر، أن آية الله الخميني، كان يحب بنى صدر، وهو فى خطواته الأولى.. ولكنه تخلي عنه، بعد أن تولى الحكم، لصالح الجناح المحافظ والمتطرف.. ولم يكن ذلك غريباً، وأنا أرى الفارق الكبير بين صورة الخميني، وهو لاجئ بباريس، يتحاور مع رجاله ويسمع منهم، وبين صورته وهو أمامي فى " قم"، لا يتجرأ أعوانه على أن يطرحوا عليه أسئلة يتوقف عليها مستقبل ايران، .. لقد كانوا يحجمون – مثلاً – عن مناقشة مستقبل العلاقة بين الثورة والجيش، إذا ما كانوا معه، أو فى حضرته.

ولكى أفسر ذلك، من جانبي، عدتُ إلى الطبيعة البشرية الأولى، لأكتشف أنه إذا عاش إنسان، أى إنسان، حتى ولو كان قوى الإرادة، فى مواجهة أمواج من البشر، بمئات الألوف، بل وبالملايين، يأتون إليه – كما فعلوا مع الخميني – وحول بيته، ويهتفون من أعماقهم، ويتطلعون إليه باعتباره قوة مقدسة، وزعيماً ملهماً لا يخطئ، فإن النتيجة الطبيعية هي أن يبتعد القائد عن آراء ونصائح من حوله، قبل أن يقتصدوا هم فى كلماتهم خوفاً من رد فعل القائد، والزعيم، والأب الروحي.

ثم شاءت الظروف أن أتابع الملف الإيراني، من خلال علاقة ثقة واحترام متبادل بيني وبين الإمبراطورة فرح ديبا، أرملة شاه إيران، وقد التقيت بها مرات عدة، بباريس، حيث تقيم، والتقيت أيضاً مع ابنها الأمير بهلوى، وبعد هذه اللقاءات كنت أقرب إلى تصديق ما سمعته من بعض الملاحظين والمتابعين لعهد الشاه، .. فهولاء كانوا يقولون، أن الإمبراطورة كانت بالفعل، قوة دفع إيجابية داخل النظام، وكانت من أنصار الإصلاح، وكانوا يقولون فى أوروبا، أثناء دراستها، كانت أقرب للتفكير الديمقراطي والبساطة فى التعامل..



د. علي السمان مع الشاهبانو فرح ديبا ، إمبراطورة إيران الشهيرة ، وصديقتها عصمت هانم عبد العزيز حجازي.. فى حفل أقيم فى بيته

وقد روت لي، رحلة العذاب، التى قطعتها، وهى بجانب الشاه، بحثاً عن مكان وملجأ، يلقى فيه زوجها الرعاية الصحية، وينتظر القدر المحتوم.. قبل أن يصدر أنور السادات، وبحكمة استمدها من أعماق شعب مارس الوفاء سبعة آلاف عام، أوامره بفتح أبواب مصر على مصراعيها لاستقبال الشاه.. بل إن السادات استقبله كرئيس دولة، فى وقت تخلى فيه عنه أصدقاء وحلفاء فى الغرب، كانوا يتمنون فى وقت من الأوقات رضاءه وتعاونه.

وقد حملتني هذه الرؤى، إلى يوم ذهبت فيه إلى زيورخ، وقت أن كان نيكسون رئيساً لأمريكا، لأتابع - إعلامياً - لقاء بين الشاه، وبين هنري كيسنجر، وزير الخارجية الأمريكي فى ذلك الوقت، وفى لحظة من اللحظات حاول كيسنجر أن يخلط الجد بالهزل، وهو يتقدم إلى جانب الشاه فى طريقهما إلى قاعة المؤتمر الصحفي.. راح يخطو إلى جوار الشاه بالضبط، وبمحاذاته تماماً.. ولكن ذلك لم يكن من الممكن أن يفوت على الشاه، الذى كان يعرف مكانته بروتوكولياً.. إذ توقف فجأة، ولثوان، قبل أن يخطو للأمام، وهى حركة فهم منها كيسنجر أنه يجب أن يحتفظ بمسافة بينه وبين إمبراطور الفرس !!.



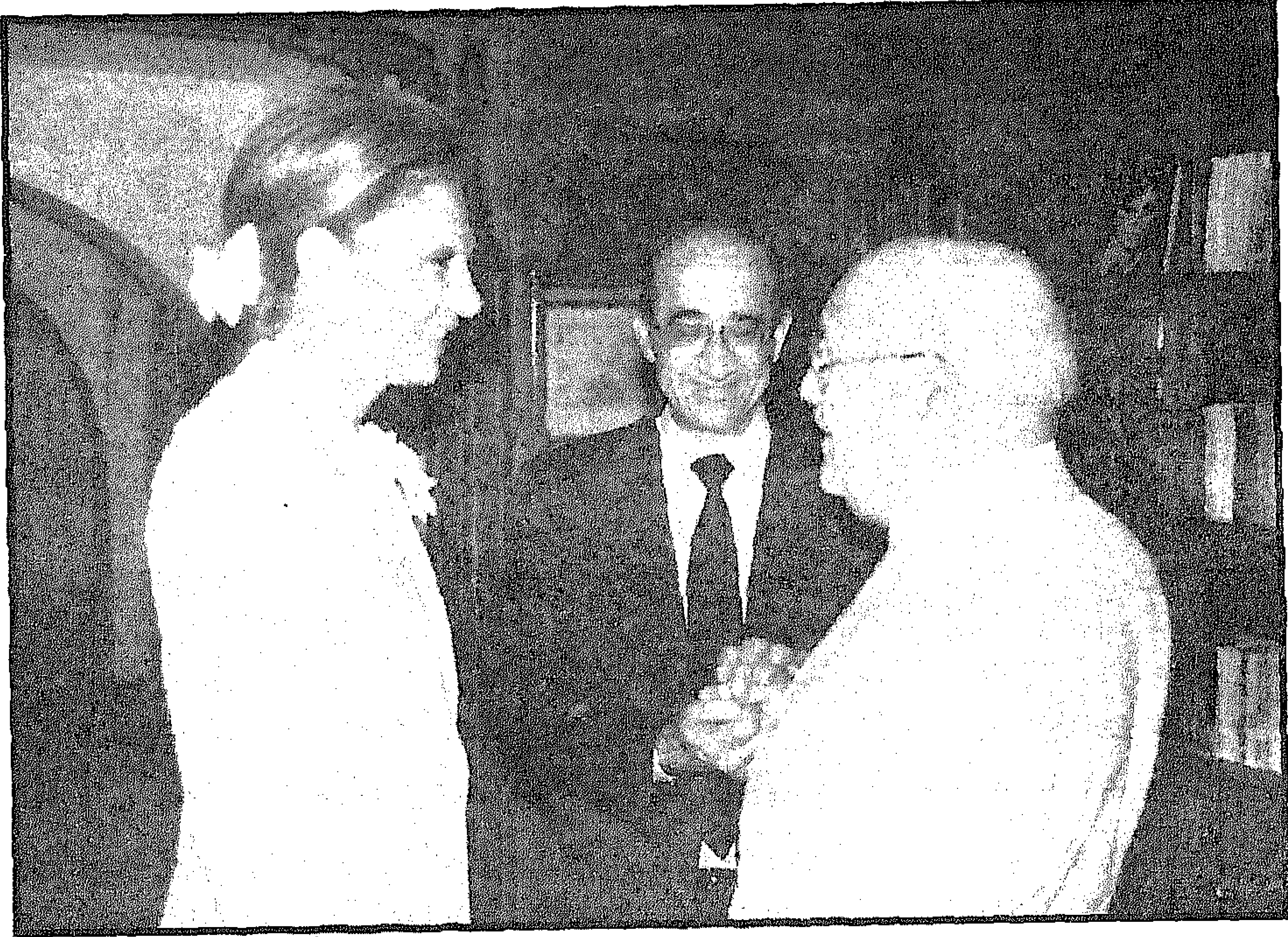
الشاهبانو فرح ديبا ، وعلى يسارها أخي وصديقي المرحوم اللواء سامي الخطيب..
وعلى يمينها زوجته العزيزة "ديدي"

وفى موقف آخر، وأثناء انعقاد المؤتمر الصحفي، قال كيسنجر وهو يتحدث عما دار بينهما، ما معناه، "إننا نفكر سوياً".. ليعترض الشاه فوراً، ويقول له "أنت تفكر" فى إشارة تقول: لا تجمع نفسك مع الإمبراطور فى جملة مفيدة !!

لقد جاء وقت، زادت فيه سيطرة رؤوس أموال إيرانية على دوائر واسعة، وكبيرة، فى أوروبا، وفى الغرب بوجه عام، وأصبحت إيران، تبعاً لذلك، طرفاً فى استراتيجية السيطرة والتأثير في مؤسسات صناعية وبنكية عالمية، ومشروعات صناعية وبنكية، وأصبح جيشها أكبر جيش فى الشرق الأوسط.. وأعتقد أن تنامي هذه القوة، بدرجة جبارة، تجاوزت معها سقفاً معيناً، كانت وراء تخلى كثير من قوى الغرب عن الشاه، فضلاً عن التحليل الخاطئ لمستقبل التعاون مع نظام الخميني، واعتقادهم فى الغرب، أن هذا النظام سيحقق قدراً من الديمقراطية، أكثر مما تحقق فى عهد الشاه..

ولعل سقوط الشاه، كان درساً هاماً، يجب أن يتم تدريسه إلى القادة والزعماء، الذين يعتقدون أن تحالف وصداقة القوى الكبرى فى العالم، يمكن أن تدوم.

ولكن، حين نتأمل مسيرة الشاه، على إجمالها، ينبغي ألا ننسى موقفه المتفهم، تجاه السادات، أثناء حرب أكتوبر، رغم العلاقات المتميزة التى كانت تربط إيران وإسرائيل وقتها، وهذا ما لم تغفره إسرائيل.



د. علي السمان أثناء حفل أقيم فى بيته.. وحوار بين الفريق الراحل كمال حسن علي والشاهبانو فرح ديبا

وعودة إلى الشاهبانو فرح ديبا، أحب أن أقول، هنا، أنها تمكنت بمقدرة وقناعة نادرتين، أن تترك الساحة الإعلامية فى أوروبا، وفى الغرب، لإبنها الأمير، كي يحتل مكان الصدارة فيها.. رغم أن هذه الساحة كانت قد أحبت الشاهبانو وارتبطت بها، واعتادت عليها.

وقد أحسست فى دوائر أوروبية كثيرة، أنهم يحملون للشاهبانو تقديراً عميقاً، لذوقها العالي، وأدبها، وشعورهم بأنها تحب بلدها أولاً.. وأخيراً.

ولا أنسى جلسة جمعتنا نحن الثلاثة الشاهبانو، وابنها المطالب بالعرش وأنا، وكان النقاش بيننا، حول مستقبل إيران، وكان الرأى الذى أجمع عليه ثلاثتنا، أن الخيار والبديل الأمثل، هو خيار العودة للملكية، كأحد الفروض الممكنة لإيران، فيما بعد آيات الله، وأن الطبيعي أن يقال، أن المهم أن يحرر الشعب الإيراني نفسه، وبعد التحرير تُفتح أمامه الاختيارات التى يريدها، ملكية كانت أو غير ملكية.

وقد كنت على اتصال بمجموعة من الضباط الإيرانيين، اللاجئين فى أوروبا، وبالذات فى فرنسا، والذين يمكن أن نسميهم "الضباط الأحرار الإيرانيون" أو "الجمهوريون العسكريون الإيرانيون"، وخصوصاً الكولونيل "أجلى بور" وكان ضابط أركان حرب تعلم فى فرنسا، وحاز على ثقة بعض الدوائر السياسية فى فرنسا وأوروبا، وقد كان شعلة من النشاط، والحركة، والحماس.. ولم يكن يمر شهر إلا ونلتقى لتبادل الرأى والفكر حول منطقة الشرق الأوسط ومستقبل إيران.

جمهوري يستقبل ملك مصر في بيته

شاءت الصدف أن يكون الملك احمد فؤاد الذي تولى العرش بعد خروج والده الملك فاروق في ٢٦ يوليو ١٩٥٢حتى إعلان الجمهورية في ١٩٥٣ ملكا لمصر، خلال هذه الفترة وشاءت الصدف في السبعينات ،بعد نصر أكتوبر، أن يكلفني الرئيس السادات بتسليم جوازات السفر إلى بعض اللاجئين السياسيين وأعضاء العائلة المالكة مثل الأميرة هانزادا، وزوجها الأمير إبراهيم والأمير طوسون وزوجته الأميرة نوال طوسون رحمها الله، وكذلك الأمير أحمد فؤاد.

وشاءت الصدف بعد ذلك، أن يكون الأمير أحمد فؤاد جاري في باريس، وجاء ليزورني أكثر من مرة، ولفت نظري أنه قارئ جيد، فعندما كنت أذهب إلى بيته ونتكلم عن موضوع، كان دائما يقول: "أعتقد أن هذا الموضوع قد تم نشره في كتاب كذا ، ثم يصعد إلى الطابق الأعلى بشقته، بشارع Foch، ليخرج الكتاب.

وكان متزوجا "بالأميرة" التي ولدت تحت اسم "دومينيك"، وهي من منطقة الألزاس بفرنسا ، وكان لديه منها ثلاث أولاد: الأمير أحمد علي والأميرة فوزية والأمير فخر الذي ولد بالمغرب حيث كان الملك الحسن الثاني يحيط هذه العائلة بعطفه ورعايته لأعوام طويلة.

وجاء يوم قال لي أحمد فؤاد إنه يود أن يزور مصر مع زوجته وأولاده ، ولكن يحز على نفسه أن ينزل في فندق أو يسبب إزعاجا "للملكة" الأم ناريمان رحمها الله، وعندئذ استجبت إلى معنى كلماته ، وقلت له إني سأضع بيتي في الجيزة تحت تصرفه أثناء الزيارة.



د. علي السمان مع ملك مصر السابق أحمد فؤاد فى زيارة للسيد البدوي بطنطا.. وعلى يمينه الدكتور محمود جامع ، والدكتور إسماعيل فهمي زوج الملكة ناريمان ، وعبد العزيز هلالي المناضل ومراسل الأخبار فى طنطا

وفكر في بداية الأمر أن يستأذن الرئيس في مجيئه ، وقلت له: أما وقد أعيد لك حق المواطنة ؟ فلا اعتقد أن الاستئذان هو السبيل".. وكتب برقية إلى الرئيس حسني مبارك قال له فيها: "إنني سعيد أن أبواب مصر اليوم مفتوحة لكل أبنائها دون تفرقة".

ونشر الأخ والصديق موسى صبري هذه البرقية في الصفحة الأولى، وتكرمت وزارة الخارجية بفتح صالون الشرف له دليلاً جديداً على تحضر هذا الوطن، ووضعت وزارة الداخلية حراسة عليه طول مدة زيارته.

وقام بجولة في القاهرة والإسكندرية وزار طنطا والسيد البدوي ، ودعوته في عطلة الأسبوع إلى بيتي الريفي، وتمتع أولاده بجمال الطبيعة.

وكانت الأميرة فوزية وقتها في العاشرة من عمرها ، وجلست بجانبي في وداعة ونحن نراقب غروب الشمس على البحيرات المرة، ولا أنسى كلمة قالتها: "هل أستطيع أن أقول أن"بلدي" جميل جدا؟" فقلت لها:"نعم هذا حقك لأنها فعلاً بلدك"، ولا أنسى، وأنا أكتب عن هذا الموضوع ، أن هذه المرحلة عاصرت كتابا كان له دوي، كتبه الكاتب والمفكر والوطني عادل ثابت عن "الملك فاروق المفترى عليه"،

وعاش العالم أيضا ربورتاجاً تليفزيزنياً هاماً، أعده في أوربا فريديريك ميتران إبن أخ الرئيس فرانسوا ميتران عن الملك فاروق بنفس العنوان "الملك المفترى عليه".



أحفادي وأهلي من كفر الشيخ وقطور وطنطا فى بيتي الريفي بكبريت

وأذكر تقديرا مني لماضي عادل ثابت هذا " الارستوقراطي" الذي تعاون مع الثورة منذ أيامها الأولى وأنشأ لها مجلة Egyptian Political & Economic Revue الذى قمت بتقديم كتابه في أحد الفنادق الكبرى أمام جمع من مفكري الطبقة الارستوقراطية في فرنسا ، وكنت صريحا معهم حين قلت من حقكم أن تتساءلوا كيف يمكن لشاب الأمس الذي أيد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وخروج الملك منذ اليوم الثاني للثورة فى ٢٤ يوليو ، أن يقدم كتاباً عن ملك مصر ، وردي عليكم بكل بساطة أنى أؤمن أن تاريخ مصر كل لا يتجزأ ، كل يوم من سبعة آلاف عام، مرتبط باليوم الذي قبله وبعده، وهو جزء من كل."

وكان لاستقبالي للملك أحمد فؤاد في بيتي ردود فعل بعضها ساذج وبريء من " دراويش الناصرية " الذين يتخيلون أحيانا " إمكانية عودة الملكية "

وبعد أعوام طويلة من عودة الأمير أحمد فؤاد وزوجته وأولاده إلى فرنسا ، صارت في حياته وحياة عائلته مشاكل ومآسٍ كثيرة.. أترك لهم وحدهم حق الكلام فيها.

الفصل الرابع والعشرون

مع السادات على طائرة كامب ديفيد

- السادات : "احتمالات فشل مفاوضات كامب ديفيد قائمة.. والحملة المضادة تبدأ من باريس"
- أبو حصيرة "من أولياء اليهود فى البحيرة !! وتفاوض لفتح باب "الحج اليهودي.." إليه

استدعاني الرئيس السادات من باريس إلى القاهرة، قبل سفره إلى إحدى جولات مباحثات كامب ديفيد، عام ١٩٧٨.. وكان استدعائي لمهمة لم يوضحها أحد لي، إلا بعد أن صعدت إلى الطائرة التى كانت تقل الرئيس السادات إلى باريس من مطار جاناكليس، ليتوقف فيها ساعات، ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانت مباحثات كامب ديفيد، تمضى نحو خطواتها الأخيرة.

دخلت إلى الطائرة، لأجد فى مواجهتي عدداً من القيادات الصحفية.. من بينهم: الراحل علي حمدي الجمال، والأخ والصديق الراحل موسى صبري،.. والكاتب الكبير أنيس منصور.. والأستاذ محمد عبدالجواد وغيرهم.. وكانوا جميعًا يتجاذبون الحديث الباسم مع السيدة جيهان السادات.

جلست معهم، فى انتظار استدعائي للقاء الرئيس، لنتحدث فيما كان يريدني من أجله، وفيما جاءوا بي من باريس للقاهرة، لنتكلم فيه.. ولم أكن أعلم أن كبار الصحفيين، كانوا قد سبقوني وطلبوا من السفير حسن كامل رئيس الديوان، ترتيب اجتماع لهم مع الرئيس، ففوجئت بالسفير حسن كامل، يبلغهم بأدبه الجم، بأنه لا يعتقد أن اللقاء مع الرئيس ممكن، أثناء هذا الجزء من الرحلة، فيما بين القاهرة وباريس.

بعدها بربع ساعة، عاد السفير حسن كامل، ليطلب مني الانتقال للقاء الرئيس، فى الكابينة الخاصة التى كان السادات يجلس وحيداً فيها.. وحين دخلت على الرئيس، داعبني فقال: قد يكون غريباً أن أستدعيك من باريس، إلى القاهرة، مع أني سوف أتوقف فى باريس عدة ساعات..

ثم أكمل حديثه ليقول: ربما يكون الوقت فى باريس، غير مضمون.. لذلك أردت أن أتحدث معك، قبل أن أصل كامب ديفيد،..

ثم بادر السادات، فقال: "فى كامب ديفيد، احتمالات النجاح والفشل قائمة، وأنا أريد – فى حالة فشل مفاوضات كامب ديفيد –أن تكون باريس، هى المنصة التى ينطلق منها الهجوم الإعلامي والسياسي على الموقف الإسرائيلي".

وقبل أن ندخل فى التفاصيل، وفى إجراءات تنفيذ هذه الفكرة، دخلت علينا السيدة جيهان السادات، فجلست معنا.. حينئذ قال السادات: على كل الأحوال، سنجد صباح الغد، ساعة فى باريس، نلتقي خلالها، ونتكلم عن تفاصيل الموضوع.

وحين عدت إلى مكاني بالطائرة، فوجئت بصديقي موسى صبري، يهمس فى أذني، ويقول: أحد كبار الصحفيين الذين لا يكنون لك حباً كبيراً، توسل إلى حرم رئيس الجمهورية بأن تسارع إلى حضور اللقاء بينكما، قائلاً: إنني قلق على نفسي من هذا "اللقاء المنفرد" بينهما.

وتبرع بعبارة ساخرة وقال: الدكتور علي السمان.. "قرصته بالدم" !!

وفي باريس التقيت بالرئيس السادات، فى قصر المارينيه، صباحاً، فأعطاني مظروفاً مغلقاً، وكان المظروف موجهاً إلى السفير حافظ إسماعيل، سفيرنا فى باريس فى ذلك الوقت، وعلى المظروف كانت هناك هذه العبارة: "سرى ولا يُفتح إلا بعد إعطاء الضوء الأخضر من كامب ديفيد".

وسمحت لنفسي أن أقول للرئيس السادات: أنا أعلم يا سيادة الرئيس، أن هناك سمعة أو شهرة، عن قدراتي الإعلامية فى فرنسا، ولكني أفضل أن أكون حذراً أمام المسئوليات القومية.. ويهمني أن أعرف قليلاً عن المطلوب مني لأداء وتنفيذ الفكرة التى عبرتم عنها فى الطائرة، وهى اختيار باريس لتكون المنصة التى تنطلق منها الحملة الإعلامية ضد إسرائيل، فى حالة فشل كامب ديفيد.. فمن المؤكد، أن خطورة الموقف تحتم علىّ – مهنياً – أن أجهز بعض قنوات الاتصال الإعلامية، فى حذر، حتى تكون مهيأة لاحتمال الحاجة إليها، وإلى جهودها، ونحن نواجه فشل كامب ديفيد المحتمل.

ثم قلت للرئيس السادات: ولا أستطيع أن أزعم، يا سيادة الرئيس، أنني يمكن أن أضغط على أزرار أو مفاتيح معينة، حتى تلبى جميعها ما نريده وما نوده أن يكون.

وأقتنع السادات، وفض المظروف، واستطعنا أن نحدد العناصر التى من الأفضل أن نبدأ معها، من وقتها، استعداداً لمواجهة كل الاحتمالات.

وكان هذا درساً لي، حين أتعامل مع رئيس الدولة، الذى يظل دائماً، فى أمس الحاجة إلى النصيحة والرأى، حتى ولو كانت النصيحة، أو الرأى، لا يتمشيان مع ما تقرر..

وأنهى الرئيس السادات، الجلسة، بأن طلب مني أن نلتقي فى أول محطة له، بعد عودته من كامب ديفيد، وقال أن هذه المحطة، سوف تكون – فى الغالب – هى الرباط.

وفى طريق عودة الرئيس، من كامب ديفيد، كنت فى انتظاره بالرباط، وحين دخلت عليه، حيث كان يقيم، لاحظت إرهاقاً على وجهه، وبدا لي أنه "غير مرتاح"، ولم يكن ذلك مفاجأة لي، لأن ديفيد بن عمار، رئيس الجالية اليهودية فى المغرب، كان قد همس لي قبلها، بأن ملك المغرب، الحسن الثاني، لم يكن سعيداً، بسبب عدم التشاور معه، فيما يتصل بالمفاوضات المصرية الإسرائيلية، رغم ما كان للمغرب من دور، فى الإعداد للقاءات الأولية، التى تمت على أرض بلاده، بين موشى ديان، وبين حسن التهامي، قبل زيارة السادات للقدس، وقبل مفاوضات كامب ديفيد، وأثناءها، وقد كان الملك يتصور أن التشاور سوف يستمر معه.

وقد التمس ديفيد بن عمار، العذر، للرئيس السادات، وأبلغ الملك الحسن، أن السادات كان على خط الجبهة المباشر بالنسبة للمفاوضات والخلافات مع بيجين، ومن المحتمل أن يكون هذا هو السبب الذى من أجله لم يجد السادات مساحة كافية، ليفكر فيها، فى استمرار التشاور على المستوى المطلوب.


د. علي السمان مع الملك الراحل الحسن الثاني، ملك المغرب السابق.. ملك عملاق مع مستشاريه ومعاونيه

والغريب، أنني عندما جلست أمام الرئيس السادات، فوجئت به وهو يقول:- خيريا علي !!

وبمعنى آخر، فإنه من شدة استغراقه فى موضوع كامب ديفيد، كان قد نسى أنه هو الذى طلب مني أن أكون فى انتظاره فى طريق العودة، وأن أكون في أول عاصمة يتوقف فيها، وهو عائد إلى القاهرة، بعد التوقيع على كامب ديفيد.

وبادرت فقلت: سيادة الرئيس.. لقد جئت إلى هنا، بناءاً على تعليمات سيادتكم.. وليست هناك أية مشكلة إذا أمرتم بتأجيل الموضوع لوقت آخر... حينئذ، عاد بسرعة، إلى طبيعته السمحة والمرحبة.

وحاولت شرح موقف الملك الحسن، للرئيس السادات، ونقلت إليه ما همس به اليّ ديفيد بن عمار، وأشرت للرئيس السادات، إلى قرب الصلة بين ديفيد بن عمار، وبين الملك الحسن، وهي صلة تجعلني أصدق ما يقول، وبدأ حديثي مع السادات، في مقر إقامته، فى أحد الصالونات الملكية، قبل أن نخرج لنستكمل الكلام، فى الحديقة المقابلة للصالون، حيث الهواء الطلق، نستمتع به،.. وحيث كان الحديث فيه أكثر هدوءاً وأمناً..!!

الشيخ أبوحصيرة.. اليهودي

وبادرني الرئيس السادات فقال: بمناسبة الحديث عن رئيس الجالية اليهودية هنا، أريدك أن تعلم أنه فتح معي، موضوع إتاحة أبواب محافظة البحيرة، حتى يستطيع آلاف الحجاج اليهود أن يأتوا إليها، ليزوروا قبر "الشيخ أبوحصيرة"، وهو يهودي من أصل مغربي، أستقر على أرض مصر منذ قرون، وقد اعتاد أبناء المنطقة التى تضم القبر، والمناطق التى تحيط به، أن يتعاملوا مع أبوحصيرة باعتباره ولياً من أولياء الله، بصرف النظر عن انتمائه الديني.. وكان كثيرون يذهبون إليه، تحديداً، معتقدين فى قدرته على التوسط، عند الله سبحانه وتعالي، ليفرج كرب الكثيرين منهم، وخصوصاً النساء اللاتي كن يعانين من العقم.

وطلب مني الرئيس السادات أن أتابع الموضوع مع محافظ البحيرة، على أن يُفاد ديفيد بن عمار، حين أتوصل إلى شئ مع المحافظ.

ثم أضاف الرئيس السادات مداعبا: بس خد بالك عشان ما يحولوش المقبرة وما حولها إلى مستعمرة !

وفعلاً، أصبح هذا المكان، فيما بعد، مكاناً للسياحة الدينية لكثيرين من اليهود، وبالذات يهود المغرب، وكانت هذه السياحة، تتأثر – بطبيعة الحال –.. بحالة العلاقات بيننا، وبين إسرائيل، ودرجة حيويتها، أو جمودها، من وقت لآخر.

الفصل الخامس والعشرون

هدية مشروع التليفونات.. أهم من جائزة نوبل..

- كرايكسي وكارل كاهان يهوديان من نوع خاص جدا

كان لي، من قبل، دور فى مد الكابل البحري بين مرسيليا والإسكندرية، فى نهايات الستينات، وهو موضوع كان حيوياً فى وقته، وكان موضعاً لحديث طويل، بيني وبين السيد سامي شرف، ووزير الاتصالات وقتها هنرى ابادير، فى واحد من فصول هذا الكتاب.. وجاء وقت آخر، بعد أن بادر السادات بالسلام مع إسرائيل، وجدتني على موعد مع دور آخر، فى مشروع عملاق، هو شبكة التليفونات، التى أنهت عزلة مصر، على مستوى الاتصالات، وكانت قفزة هائلة فى تاريخنا الاقتصادي. وكأن.. موضوع "مشروعات الاتصالات والتليفونات" شاءها القدر دائماً على طريقي.

وحين أتكلم عن هذا الموضوع، لابد أن نعود بالذاكرة إلى بداية السبعينات، لنتذكر معاً، كيف أنه لم يكن يوجد خط دولي مباشر، إلا فى مكتب سكرتير الرئيس لشئون المعلومات، ثم فى جهاز الأمن القومي.. ولن أنسى أبداً عندما كنت مسئولاً عن الإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية، أثناء حرب أكتوبر، كيف أن بعض الصحفيين والمراسلين الأجانب، كانوا يأتون إلى رئاسة الجمهورية، لنسهل لهم السفر إلى قبرص، حتى يتمكنوا هناك من استكمال اتصالاتهم، وإرسال وبث ما لديهم من أخبار، ثم العودة فى نفس اليوم !

وبعد كامب ديفيد، أجمع خبراء الاقتصاد والاتصالات، أنه من المستحيل، التقدم فى سياسة الانفتاح الاقتصادي والاستثمارات الدولية، وقطع خطوات جادة فى هذا الطريق، قبل أن يستطيع كل مستثمر أجنبي، من غرفته بالفندق، الاتصال بالعالم كله.

وشاءت الصدف أن أطلب من برونو كرايسكي، مستشار النمسا السابق، موعداً لاجراء حديث صحفي معه.. فأجابني بأني لن أكون فى حاجة للذهاب إليه فى فيينا، وفهمت أنه قادم إلى فرنسا، للاستشفاء، فى مصحة "كيبرون" العالمية، فى أقليم بريتاني، شمال غرب فرنسا.

وقبل أن أبدأ مهمتي الصحفية معه، أبلغني أنه من المحتمل، خلال الـ ٤٨ ساعة القادمة، أن ينجح بالتعاون مع هيلموت شميت، المستشار الألماني وقتها، فى تقديم

قرض لمصر، قدره ١،٤ مليار دولار، لتنفيذ أضخم مشروع اتصالات تليفونية فى تاريخها، مع فوائد منخفضة جداً وفترة سماح طويلة.

وأضاف فقال: لقد أبلغني شميت، أنه من الضرورى أن نسارع بإعطاء جائزة نوبل للسلام، للسادات، تكريماً له، على دوره العظيم، فى المبادرة بالسلام فى المنطقة.

وتوقف كرايسكي قليلاً ليضيف: لقد أبلغت شميت، بدوري، أن السادات ليس فى حاجة إلى جائزة نوبل للسلام، لأن مكان السادات، ومكانته فى التاريخ، سوف تأتى قبلي وقبلك.. ولذلك فالأهم، اليوم، أن تقدم للسادات، ولمصر، هدية فى شكل قروض ميسرة، تساعده على تنفيذ مشروعات البنية الأساسية، "وأن يكون الهدف من الهدية، هو أن يربط الشعب المصري، بين السلام وبين التنمية".

واستقر الرأى على أن تطوير الاتصالات التليفونية، التى كانت فى حالة متداعية،.. هذا التطوير كان يمثل خطوة أولى لا مفر منها ولا مهرب، حتى يمكن للاقتصاد المصري، وللاستثمار فى مصر، أن يقف على قدميه..

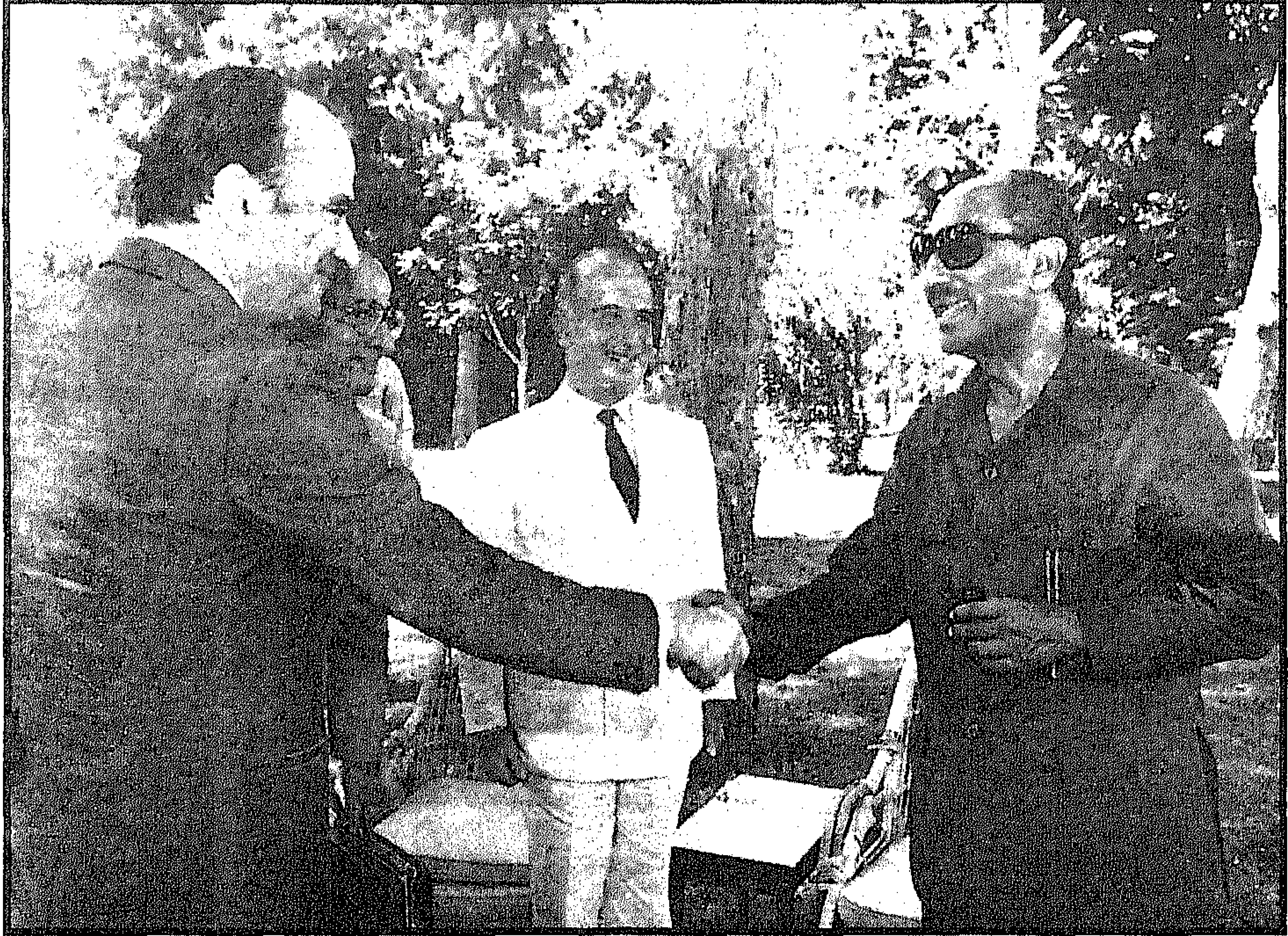
وأنهيت مهمتي الصحفية مع كرايسكي، فدعاني للبقاء يومين، فى هذه المصحة النادرة، وكان اكتشافاً لي، وأنا أرى كثيرين من رجال الدولة والأعمال، يختارون هذه المدينة للمجيء إليها مرة أو مرتين فى العام، فهى مدينة، رغم جوها المتقلب، وأمواجها العاتية، تتميز بأن فى هوائها أعلى نسبة أكسوجين، وأعلى نسبة من اليود، بالإضافة إلى "الأيون" وهى مادة نادرة، تعمل على تدعيم المناعة الطبيعية فى الجسم.. وفيها أيضاً، فرصة هائلة، للقيام بتدريبات مائية مستمرة، تعوض العضلات والدورة الدموية عن عدم الحركة، كما أن الذين يترددون عليها، يعرفون أن فيها نظاماً خاصاً ومتطوراً جداً للرجيم.

وقد أصبحت بعدها، زبوناً مستمراً، كل عام، فى "كيبرون" التى كانت نقطة لقاء نادرة، جمعت يوماً بين ميتران وشيراك، ولكن على ضفتين متقابلتين من البحر.

بعد يومين، وصل رد شميت إلى كرايسكي بالموافقة، على أن تساهم ألمانيا بـ ٦٠٪، وأن تساهم فرنسا بـ٣٠٪، والنمسا بـ١٠٪، حتى يمكن أن تثبت أوروبا، أنها تقف مع السادات، وتدعمه، وتكافئه، على مبادرته بالسلام.

وحرر كرايسكي خطاباً للرئيس السادات، يزف إليه فيه هذا النبأ بالموافقة على المشروع، ثم أضاف – بحكم قربه من السادات – عبارة صريحة:- "فى حالة قبولكم لهذا المشروع بمزاياه الاقتصادية والمالية النادرة، أرجو أن تتبنوه شخصياً، لخوفنا من البيروقراطية المصرية".

وكان برفقة كرايسكي، وقتها، "كارل كاهان" رجل الأعمال وصاحب بنك "مونتانا" الذى أخبرني أنه فى حالة الموافقة على المشروع، من جانب الرئيس السادات، فإنه سيعمل على إنشاء "كونسورسيوم" أى اتحاد شركات، بين شركة سيمنس الألمانية، وطومسون الفرنسية، ثم شركة سيمنس النمساوية.



الرئيس السادات مع وولف جنج سيلج رئيس شركة سيمنس ، وكارل كاهان النمساوي ، والذراع الأيمن لمستشار النمسا كرايسكي ، ود. علي السمان ، وقت تقديم عرض كونسروسيوم للتليفونات للرئيس السادات

وبصرف النظر عن الحجم الهائل للقرض (١,٤ مليار دولار) فقد كان يتمتع بفترة سماح تصل إلى ١٥ سنة، كما أن نسبة الفوائد عليه كانت منخفضة جداً، إذ كانت تتراوح ما بين ٢,٥ ٪ و ٣,٥٪ وقليل منه ٧٪، وكان المشروع، على إجماله، فى رأى خبراء المال والاقتصاد، بمثابة هدية كبرى لمصر..

سارعت بالعودة إلى مصر، والتقيت بالرئيس السادات، وقدمت اليه رسالة كرايسكي، وحين قرأها، لاحظت عليه حالة من الصمت والتأمل، قد انتابه،.. فخشيت أن تكون عبارة كرايسكي عن البيروقراطية المصرية، قد أغضبت السادات.. قبل أن أكتشف أن السادات كان يأخذ وقته ليفكر ليقول لي فجأة: "منذ زيارتي للقدس، وأنا أنتظر رداً ذكياً من الغرب على مبادرتي، .. وخطاب

مستشار النمسا، اليوم، وعرضه بمشروع التليفونات، هو أول مبادرة على هذا الطريق، من أجل تدعيم مستقبل التنمية فى مصر، ولتكتمل الحلقات الثلاث التى كانت واضحة فى ذهني، منذ عام ١٩٧٣، وهى: حرب تحرير الأرض، ثم مفاوضات واتفاق السلام، قبل أن نصل إلى الخطوة الثالثة وهى التنمية والرفاهية لشعب مصر".

ثم أضاف السادات باسماً: أما بالنسبة للبيروقراطية المصرية، فسوف أطمئنه، طالما إنهم وثقوا فيك، وطلبوا إليك أن تحمل إليَّ هذه الرسالة، مع أنه كانت هناك قنوات أخرى، يمكن أن تصلني من خلالها.. وسوف أطلب من الدكتور مصطفى خليل، رئيس مجلس الوزراء، أن يأخذك معه مديراً لمكتبه لمشروعات البنية الأساسية غرب أوروبا، لتكون بمثابة ضابط اتصال بين الحكومة المصرية، وبين المجموعة الأوروبية، لتنفيذ المشروع، بعد انتهاء التفاوض عليه.

وقد فاجأتني فكرة الرئيس السادات، وسمحت لنفسي أن أقول له: حتى الآن ياسيادة الرئيس كنت ولا أزال إعلامياً، والاقتصاد شيء جديد بالنسبة لي.

فقال السادات ببشاشة: أنت لم تفهم شيئاً فى فلسفة الاقتصاد، فهناك مستويان، الأول يقوم به القادرون على تحويل النيات الطيبة السياسية من جانب الدول إلى مشروعات اقتصادية كبرى.. والثاني هو المستوى الفني، الذى سنحتاج فيه كثيرين من أول محافظ البنك المركزي إلى رئيس هيئة التليفونات وغيرهما.. وأنا أريدك للمستوى الأول.

وأعترف أنه كان درساً لي، فى ممارسة الاقتصاد العالمي، على أرض الواقع..

أما الدرس الثاني فقد تلقيته من الرئيس حينما قلت له ألا يكفي أن أكون مستشارا لرئيس الوزراء بدلا من أكون مديرا لمكتبه، فقال :" إن كلمة مستشار لا تعني شيئا عمليا في مصر " .

أما كيف تقبل الدكتور مصطفى خليل، الأخ والصديق والعقل المفكر الكبير، فى التنمية والتنظيم بأسلوب علمي، أن أعمل معه، فكانت هذه قصة أخرى !

إذ يبدو أن وقت السادات، لم يسمح بإعطاء الخلفية الكافية، للدكتور مصطفى خليل عن الظروف التى أحاطت بتعييني مديراً لمكتبه لمشروعات البنية الأساسية.

وقد كان السادات يتعامل مع مصطفى خليل، بتقدير كامل، لرجل اعتاد على أن يحترم نفسه، ويصدق الكلمة.

وقد فوجىء الدكتور خليل بترشيح اسمي، وتعييني، وللأمانة أعترف أننا لم نكن قد تعرفنا، بالشكل الكافي، من قبل، باستثناء مرة أو مرتين فى مناسبات إجتماعية.

وبالتالي، لم يستجب الدكتور خليل لثلاثة اتصالات جرت من جانبي، مع مكتبه، للاتفاق على ما سوف يسير عليه العمل بيننا.

ومن حسن حظي، أن يتدخل القدر، كالعادة، لصالحي، فيجمع بين الصديق الكبير الراحل، الفريق كمال حسن على، وبين الدكتور خليل، وكانا فى طريقهما لزيارة عمل فى إسرائيل، وجاء ذكرى، مصادفة، فى حديث بينهما، ففوجئ الدكتور خليل، بصورة إيجابية تماماً، يقدمها له الفريق كمال حسن علي.. لم يكن مصطفى خليل، حتى تلك اللحظة، يعرفني بالشكل الكافي، وسمع من كمال حسن علي، خلفية كاملة عما أمكنني أن أقدمه من خدمة لهذا الوطن.

وكنت فى باريس، فتلقيت اتصالاً من مكتب الرئيس، يطلب عودتي بأسرع ما يمكن، وبمجرد عودتي، واتصالي بمكتب الدكتور مصطفى خليل، تم ترتيب موعد والتقينا، فى نفس اليوم، وكانت مصارحة بيننا، ومحبة، وتعاوناً، ومودة، وصداقة دامت إلى اليوم، وستظل تربط كل واحد منا بالآخر، إلى نهاية العمر.

واتفقنا على أن وظيفتي هذه، بجانبه، سوف تكون إلى جانب عملي فى باريس، تماماً كما كان الأمر، عندما كنت مديراً للإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية.. أى أنها وظيفة بلا أجر، ولا مرتب وبجانب عملي الاصلي الاعلامي بباريس .

وبدأنا مفاوضات مكوكية، ومكثفة مع أعضاء المجموعة الأوروبية، حتى أنني كنت أقوم – أحيانا – برحلتين أسبوعياً، إلى أوروبا، من أجل الإسراع بتنفيذ رغبة الرئيس السادات فى الانتهاء من المشروع على وجه السرعة.

ولن أنسى أبداً، أن وثيقة الاتفاقية، الخاصة بالمشروع، كانت جاهزة فى فيينا، وسُلمت إليّ مساء يوم جمعة، فطلبت من ممثلي المجموعة الأوروبية أن يتركوا عندي، وهم ذاهبون، إلى عطلة نهاية الأسبوع، أرقام تليفونات لضباط الاتصال، أعود إليهم، إذا ما كانت هناك أية نقطة تحتاج إلى تعديل طارىء وأن يكون لديهم سلطة التوقيع على أي توقيع يكون ضروريا .

ولأنني أعرف، أن قدراتي وطاقاتي الذهنية تكون أقوى، وأكثر قدرة على العمل والعطاء، فى الصباح الباكر، فقد فضلت أن أذهب إلى فراشي، وأن اترك

نـص الاتفاقيـة بجـانبي، حتـى إذا اسـتيقظت، كنـت أقـدر علـى قراءتهـا القـراءة الواعية، وعلى الإلمام بكل ما فيها.

(الفرق بين الفصلة.. والنقطة..)

وكانت مفاجأة بالنسبة لي، حين اكتشفت - مثلاً - أن هناك "فصلة" تحل محل "نقطة" أثناء تحرير الاتفاقية، الأمر الذي كان يعطي معنى مختلفاً عن المعنى المقصود.. بالفرق بينهما من الناحية العملية يعني عملا إعطاءنا أو حرماننا من قروض أخرى لصالح قطاع الاتصالات .

وبسرعة، طلبت ضباط الاتصال، الذين كنت أحتفظ بأرقام تليفوناتهم، وطلبت التعديل الذى أراه، على أن يجرى التوقيع بجانب كل تعديل أو تغيير يطرأ من جديد.. وفى نفس الوقت، كنت أتصل بالدكتور مصطفى خليل، الذى كان سيرأس اجتماعاً لمجلس الوزراء فى ظهر اليوم نفسه، لمناقشة موضوع الاتفاقية.

وكان من المفروض، أن أغادر فيينا فى العاشرة صباحاً، إلى القاهرة، بطائرة خاصة وضعتها المجموعة الأوربية تحت تصرفي.. لذلك، كان من واجبي، وقد علمت أن التعديل الذى طلبته سيؤخرني قليلاً، أن أسارع بالاتصال بالدكتور مصطفى خليل، لأبلغه، دون أن أقلقه، إنني سوف أتأخر ساعة واحدة، عن موعد وصولي المتوقع، ورجوته أن يبدأ الاجتماع فى موعده، وأنني سوف أصل أثناء اجتماع مجلس الوزراء، وليس قبل بداية الاجتماع، كما كان الاتفاق بيننا.. وطالبني الدكتور مصطفى، بضرورة الانتهاء، سريعاً، من التعديلات الطارئة، والعودة فى الحال، لأنه يريد أن يحترم جدول أعمال اجتماع مجلس الوزراء.

وتم ما أردت، فى أقل من ساعة، وأخذت طائرتي، ووصلت المطار، ولم يحدث فى حياتي أنني خرجت من أرض المطار، إلى خارجه، إلى مجلس الوزراء، بهذه السرعة الفائقة.. فسيارة مجلس الوزراء كانت فى انتظاري، عند سلم الطائرة، حتى أنني عندما سلمت جواز سفري إلى الضابط المسئول بالمطار، لم أجد وقتاً لانتظار استرداد جواز السفر، وإنما تلقيته فيما بعد.. ولم أكن أحمل معي إلا حقيبة واحدة، هى الحقيبة التى كانت تحوى نص الاتفاقية.. التى كانت نقطة تحول فى تاريخ الاتصالات فى مصر.

وأثناء المفاوضات مع الجانب الأوروبي، تعرفت بمستر "وولف جانج سيلج" رئيس "الكونسيرسيوم" أو اتحاد الدول التى تبنت المشروع.. وقد وجدت فى هذا الرجل، نموذجاً للألماني حين يقود العمل بإرادة وصرامة.. وعرفته مفاوضاً يعرف كيف

يحمى مصالح مؤسسة "سيمنس".. ولكن.. كان لديه الوعى الكافي، الذى يجعله يدرك أن هذا المشروع، مشروع التليفونات مع مصر، يتخطى دائرة مجرد مشروع صناعي تجاري، فهو جزء من مشروع سياسي اقتصادي أرادت به أوروبا ، وعلى رأسها ألمانيا والنمسا ، أن تدعم التنمية وموقف الرئيس السادات.

إلى كل ذلك، كان "سيلج" يملك من القدرات العصبية والنفسية والجسدية ما يمكنه من الاستمرار فى العمل، بلا توقف، من التاسعة صباحاً إلى التاسعة مساء.. وكان يساعده مستر "سايدل" الذى كان بالنسبة لـ "سيلج" بمثابة المقدمة فى الجيوش، وقت الحرب، بمعنى أنه كان عليه – أثناء المفاوضات- أن يطرح ويطالب بالحد الأقصى فى إصرار، قبل أن يتدخل "سيلج" بما يراه من حلول وسط بين الجانب الأوروبي، وبين ما يريده الجانب المصري، متمثلاً فى وزير المواصلات وقتها ، علي فهمي الداغستاني، ومعه رئيس هيئة التليفونات.

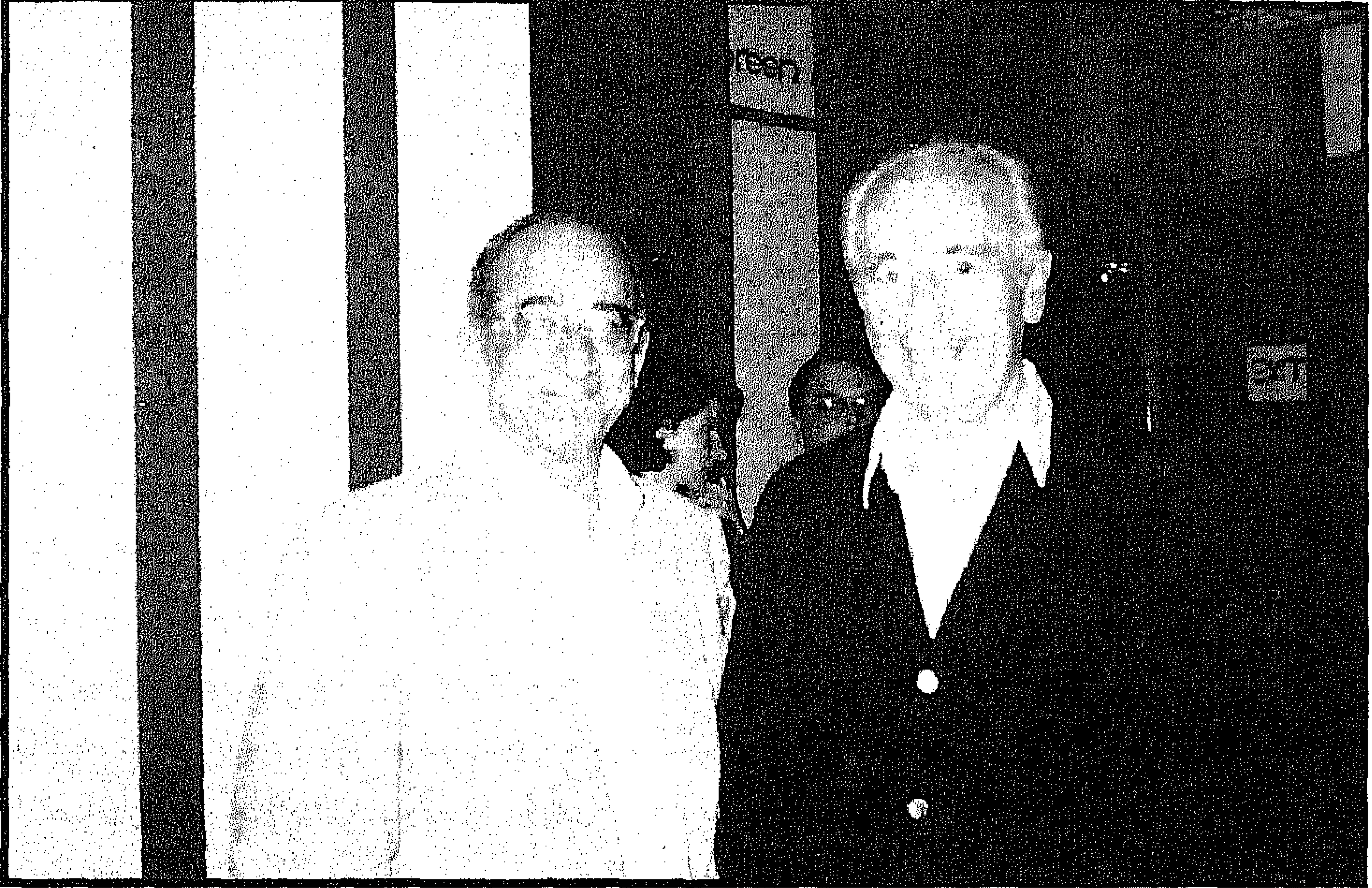
وقد لفت نظري أيضاً فى شخصية "سيلج" أنه بجانب عقليته الفنية ، وقدرته الكبيرة على التفاوض، كان خبيراً بالموسيقى الكلاسيكية وهاوياً لها.. وكان متيماً بموسيقى "فاجنر" على وجه الخصوص، حتى انه فاجأني يوماً ، وهو يقدم لي كتاباً وضعه هو عن "فاجنر" ذلك الموسيقار العملاق.. وقد كانت سعادة "سيلج" الوحيدة، أن يذهب سنوياً على مهرجان الموسيقى الكلاسيكية فى سالزبورج بالنمسا.. وهو مهرجان يحجز فيه من يشاء حضوره، قبل انعقاده بعام.. وفيه يلتقى الفنانون، ورجال الموسيقى، والأمراء والملوك، والرؤساء، فى النصف الثاني من يوليو فى كل عام..

وكان مستشار النمسا كرايسكي يداعبني دائماً وهو يقول:- متى ستتوقف عن هذا الإيقاع المجنون الذى تعمل به، وتصبح متحضراً ، وتقبل دعوتي على هذا المهرجان في سالزبورج.

وكنت أرد عليه حازما وأقول: أنا أعرف إنني لم أعدد الزوجات فى حياتي ولكني عددت اهتماماتي بين الإعلام وبين المهمات القومية ، وبين عملي مديراً لمكتب رئيس الوزراء لمشروعات البنية الأساسية ، وأن أكون مسئولاً عن منطقة غرب أوروبا لاتحاد الإذاعة والتليفزيون، ومديراً لمكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط فى باريس، ثم اضطلاعي بترتيب لقاءات للرئيس السادات مع شخصيات دولية ، تساعد في مفاوضات السلام

كارل كاهان بين المال ... السلام ... والحياة...

وحين أتكلم عن مفاوضات السلام، لا أستطيع أن أنسى شخصية "كارل كاهان" الذى كان صديقاً لكرايسكي، ومستشاراً له، وكان أيضاً صديقاً للسادات الذى توطدت علاقته به، حين عرف أنه من ممولي وأنصار حركة "السلام الآن" فى إسرائيل.



د. علي السمان مع شيمون بيريز فى مؤتمر البحر الميت عن مستقبل السلام الذى انعقد فى الثمانينات

وكان شيمون بيريز زعيماً للمعارضة فى إسرائيل، فى ذلك الوقت.. وكان إذا التقينا قال: قل لصديقك كاهان، أن يكون عادلاً فى مساعدته، بين حزبي، وبين حركة "السلام الآن" التى كان يجلس على قمتها "يوسى بيلين" ذلك الشاب الذى لم يكن يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره وقتها ومع ذلك استطاع مع نحو ١٠٠٠ شاب معه، أن يتصدوا لصلف وتطرف الأحزاب اليمينية الإسرائيلية وأصبح يوسى بيلين بعد ذلك وزير للعدل ثم صاحب مبادرة جنيف الإسرائيلية الفلسطينية على المستوى الشعبي لتقديم نموذج "للسلام الممكن".

ولا يمكن أن يأتي ذكر "كارل كاهان" دون أن أتوقف عنده قليلاً، لأقول أنه قد أدهشني بأسلوبه فى الحياة.. لقد اختار، كما نقول نحن، أن يمتع نفسه فى الحياة، خاصة بعد أن كان قد تجاوز السبعين من عمره، وبعد أن أصبح إبنه "ألكسندر" قادراً على أن يشاركه فى إدارة بنك "مونتانا" الذى كان يملكه.

كان كاهان يستيقظ مبكراً، ليتناول إفطاره فى سريره، ثم يطالع الصحف العالمية، ويجرى بعض الاتصالات التليفونية الهامة، ويتلقى بعضاً منها.. ثم يذهب إلى طقوس يومية، وهي الخضوع لحمام ساخن بالنباتات والزيوت الطبيعية.

كان بالغ الأناقة، وكان يقضى وقتاً طويلاً فى اختيار البدلة، والقميص المناسب، والكرافته التى تليق بهما.. وكان ينزل من بيته، إلى أول موعد له على غداء فى أحد مطاعم فندق "الإمبريال" أهم فنادق فيينا وأكثرها أصالة وعراقة.. وكانت له مائدته التى لا يتغير مكانها فى ركن من المطعم.. وكان يفضل الضيف الواحد، فى معظم الأحوال، حتى يستطيع أن يسمع منه، وأن يتكلم معه جيداً.. وكان قد اعتاد على أن يذهب إلى مصحة "كيبرون" الفرنسية التى تكلمت عنها، مرتين فى كل عام.

أما طقوسه فى آخر الأسبوع، فقد كانت قصة أخرى.. فقد أشترى طابقين فى أهم موقع فى مدينة فينسيا بإيطاليا، هذه المدينة الجميلة، وكان يذهب إليها، ظهر الجمعة، من كل أسبوع، بطائرته الخاصة، مصطحباً عائلته، ليعود مساء الاثنين.

وقد اعتاد أن يستضيف واحداً من أصدقائه، السياسيين أو رجال الأعمال،.. وكان يمنحه فرصة الحضور إلى فينسيا، بطائرته الخاصة، ليمضى يومي السبت والأحد، فى الطابق العلوى، الذى كان قد خصصه لضيوفه.. وكأن هذا الرجل أراد أن يكتب سيناريو الوداع لنفسه.. فقد دعينا، نحن أصدقاءه، حين موته، لنحيط بجثمانه في فيينا، وهو محمول فى "جندول"، ماراً ببيته، الذى كانت تنطلق منه أصداء قطعة موسيقية، كان "كاهان" يحبها.. وبعدها ذهبنا جميعاً، لوداعه على قبره.. وأذكر أنه كان يمنح بعض المساعدات للمعبداليهودي فى فينسيا.. وهو من أقدم المعابد فى أوروبا، وأشدهم، فى ذلك الوقت، حاجة إلى الترميم حتى يحتفظ بطابعه التاريخي.. وكان كاهان يقول لي على سبيل الدعابة: فضلاً عن حبي للأماكن الأثرية جميعها، فإن ما أقدمه لهم، فى هذا المعبد، إنما من أجل العناية بي، ليوم واحد.. هو يوم الوداع !!

كرايكسي ... الراحل ... والتاريخ

وقد تعلمت من كرايسكي ومن كاهان، أنه من الخطأ الجسيم أن نعمم فى أحكامنا على الأشياء والأشخاص.. فكلاهما كان نموذجاً لليهودي الذى تمثل الإنسانية طابعه الأول، إلى جانب الرغبة الحقيقية فى التصدى للتطرف الإسرائيلي بكل صوره وأشكاله.

وكان كرايسكي، رئيس الدولة الوحيد، الذى تحدى وتصدى للوكالة اليهودية، عندما أرادت التدخل فى معسكر اللاجئين اليهود القادمين من أوروبا الشرقية، إلى بلاده فى الستينات والسبعينات، قبل رحيلهم إلى إسرائيل.. لقد أرادت الوكالة أن يكون لها حق السيطرة على المعسكر، وأرضه، وحركة الدخول إليه والخروج منه، ولكن كرايسكي رفض بحزم، مشيراً إلى أهمية احترام سيادة دولة النمسا، وربما لهذا السبب ظلت جولدا مائير تناصبه العداء..

وسوف يُحسب لهذا الرجل، تاريخياً، أنه عندما انتقدته وسائل الإعلام الإسرائيلية وقالت عنه: كيف تكون يهودياً ولا تخدم دولة إسرائيل..

لقد قال لهم بحسم: "لعلمكم إنها صدفة بحتة، لم يكن لي اختيار فيها، وهى أني ولدتُ يهودياً.. شأن أى إنسان آخر، لحظة الميلاد".

وكان الشهيد عصام السرطاوى، الذى سيأتى الحديث عنه، بتفصيل أكثر فيما بعد، من أقرب أصدقائه.. مع ما نعرف عن السرطاوى من أنه كان طبيباً، ومحارباً، ومفكراً، ورجل سلام.. وممثلا لعرفات في أوربا وكان واحداً من القيادات الفلسطينية البارزة التى أيدت السادات فى مسعاه نحو السلام.. وكان له دور مهم، فى تنشيط العلاقة بين الرئيس عرفات، وبين المجموعات الداعية للسلام فى إسرائيل.. وبحكم علاقته الوطيدة مع كرايسكي، استطاع أن يقنعه بفتح أبواب النمسا - وأوروبا - أمام عرفات.

و من جانبي أيضاً، ترسخت علاقتي بكرايسكي وعائلته، حتى أنني كنت أصاحبه إلى مصحة على مقربة من ميونخ "باد فور سهوفن"، نعتنى بأنفسنا فيها، ونعتنى أكثر بتدعيم أواصر صداقة العمر بيننا.

وعودة إلى مشروع التليفونات لأقول: جاء يوم، وقع فيه انفجار إعلامي مدوٍّ، ترامت أصداؤه إلى الدوائر السياسية والإعلامية معاً، وذلك حين نشرت جريدة "الهيرالد تريبيون" مقالاً تحدثت فيه عن تاريخ التفاوض بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، وأشارت إلى أنه كان هناك تفاوض بين البلدين، حول مشروع لم يتحقق، عن إنشاء شبكة للتليفونات فى مصر.

ومما ذكرته الصحيفة، أنه حين جاء العرض الأوروبي هدية من "شميت" لم تكن هناك أية مقارنة بين العرضين، الأمريكي والأوروبي، لا من حيث نسبة الفائدة على القرض، ولا حتى من حيث فترة السماح الممنوحة، ولا كذلك من حيث نوعية التكنولوجيا التى أبدت ألمانيا استعدادها لأن تضعها تحت تصرف مصر.



الدكتور علي السمان فى جلسة عائلية مع مستشار النمسا برونو كرايسكي والسيدة حرمه

ثم قالت الصحيفة - بذكاء وخبث - إن الوسيط، في العرض الأمريكي، قبل انتقال العرض إلى أوروبا، كان هو الملياردير السعودي عدنان خاشوقجي، وأنه كان قد اتفق على عمولة تصل إلى مائة مليون دولار.

وقالت الصحيفة:- وحينما رُفض العرض الأمريكي، بعد فشل المفاوضات بين البلدين، عرض الوسيط نفسه، خدماته على المجموعة الأوروبية.

ولم تقل الصحيفة، أن المجموعة الأوروبية لم تتعاون مع الوسيط، وأن العرض ومعه العقد، قد تم على مستوى الرؤساء (السادات، شميت، كرايسكي)..

وحين سكتت الصحيفة عن فقرات، فى مقالها، وأبرزت فقرات، فإن الهدف كان هو أن يذهب الشك ويتسرب إلى المشروع الأوروبي، بما يعنى أن هناك عمولات تمت أثناء تنفيذ العقد.

وأخذ الدكتور حلمي مراد أحد زعماء المعارضة وقتها، هذا الكلام على عواهنه، وترجمه إلى العربية، وراح يهاجم به الحكومة، ويشكك فى النيات.. وأذكر أنه أضاف، وهو يهاجم الحكومة، فقال:- كما أني لا أفهم أن تختار الدولة شخصية تعودنا عليها فى الإعلام، هو الدكتور علي السمان، فتسند إليه مهمة مدير مكتب رئيس الوزراء لمشروعات البنية الأساسية. !!

وأقولها بصراحة، لقد تقبلت الموضوع بهدوء بالغ، ووضعت لنفسي هدفاً رئيسياً، هو أن ينجح المشروع، وأن تنتقل مصر نوعياً على مستوى الاتصالات، من

ماض متخلف، فى هذا المجال، إلى حاضر ومستقبل متقدم، وعلى مستوى آخر تماماً، وكنت على يقين كامل، بأن أية تنمية لا يمكن لها أن تخطو نحو النجاح، ما لم تكن مستندة إلى بنية قوية، فى حقل الاتصالات.

ومما أذكره جيداً، أني اتصلت بالدكتور حلمى مراد، الذى كان أستاذاً لي، وقت دراسة القانون فى جامعة الإسكندرية، وأعطيته الخلفية الكاملة التى أدت إلى دخولي طرفاً فى الموضوع.

غير أني فوجئت برد فعل عنيف، من جانب الدكتور مصطفى خليل، إلى الدرجة التى رفض معها الاستمرار فى التفاوض، إلا بعد أن تنتهى لجنة تقصى الحقائق بالبرلمان، من عملها.. بل أن الدكتور مصطفى خليل أبلغني أنه لن يقبل المضى فى التفاوض مع الكونسورسيوم الأوربي ، إلا إذا وقع جميع أعضائها على وثيقة رسمية، تقول بصراحة، أن أى طرف من أطراف المشروع، لم يتلق أية عمولة، بأى قدر، وعلى أى مستوى.

والحقيقة أن هذا المطلب، من جانب الدكتور خليل، كان مفاجأة للأطراف الأوروبيين، لأن أحداً لم يطلب منهم شيئاً كهذا، من قبل،.. ومن ناحيتي، بذلت المستحيل، بين فيينا، وميونخ، وباريس حتى حصلت على الوثيقة التى أرادها رئيس وزراء مصر.

وحين جلست مع د. مصطفى خليل، أرجوه أن يستجيب لرغبة الرئيس السادات، فى سرعة الانتهاء من المفاوضات، والبدء فى التنفيذ، قال لي: إن سمعتي تأتى قبل كل شىء.. فالرئيس السادات يستطيع أن يقول أنه بطل معركة التحرير فى أكتوبر ٧٣، وأنه بطل معركة السلام.. أما أنا، فإذا مس أحد سمعتي، فإنني لا أملك شيئاً بعدها "!

وحين التقيت بالرئيس السادات بعدها، نقلت إليه وجهة نظر د. مصطفى خليل، فقال: فعلاً.. ليس من حقي أن أضغط عليه، ولتأخذ الأمور مجراها فى لجنة تقصي الحقائق.. ثم توجه لي بالكلام وقال:- ولكني أطلب منك، أن تعمل، فى حدودك، لتتقدم الأمور، حتى لا نخسر عنصر الزمن..

وأذكر - الآن - بيني وبين نفسي، تفاصيل تلك الجلسة مع السادات، بعد أن أحسست أن عنصر الزمن لديه كان مهماً للغاية، وكأن عقله الباطن كان يقول له، أنه لن يعيش طويلاً.. يومها طلبت من الرئيس السادات، أن يقوم سلاح الإشارة فى القوات المسلحة، بمسئولية تنفيذ الجزء الخاص بالحفر وإرساء الكابلات، فنظر اليّ الرئيس وهو يقول: هل نسيت أني كنت أنتمى إلى هذا

السلاح وقت خدمتي فى القوات المسلحة.. فقلت له: تربطني علاقة صداقة بقائد السلاح - وقتها- اللواء فايز صبري، الذى كان قيادة عاقلة، وواعية، وكان يتصف بهدوء الأعصاب.. وقد كان لهذا الرجل، فيما بعد، دور كبير فى اختصار عنصر الزمن، عند تنفيذ المشروع.

وقد تعلمت من هذه المفاوضات، التى دامت وقتاً غير قصير، أن هناك أشياء فنية تطرأ أثناء التفاوض على مثل هذه المشروعات الكبرى، وتكون سبباً فى توقفها، أو حتى تعطيلها بعض الوقت.

مثلاً.. كانت تكنولوجيا التليفونات السائدة وقتها، فى العالم هى ما يسمى بتكنولوجيا أو نظام "الانالوج".. ولكن الجانب الأوروبي أقترح أن نتبنى نحن فى مشروعنا، أحدث صيحة، أى أسلوب "الديجيتال".

على كل حال، كان كل طرف يسوق الحجج التى تؤيد وجهة نظره، فالذين كانوا يعارضون أسلوب "الديجيتال" كانوا يرون أنه ليس من المقبول أن تتحول مصر إلى حقل تجارب لنظام جديد.. وكان هناك فريق آخر يرى أننا مادمنا نستثمر فى مشروع ضخم كهذا، أكثر من مليار دولار، فالأفضل أن نتجه مباشرة إلى تكنولوجيا الغد.. ولم يستطع الوزير الداغستاني، وكان إنساناً طيباً، وهادئ الطباع، أن يحسم هذا الخلاف، داخل هيئة التليفونات.

وعندما استبطأ السادات، البدء فى تنفيذ المشروع، استفسر عن السبب، فشرحت له بهدوء، تفاصيل هذا الخلاف بين الفريقين، غضب الرئيس من تردد الوزير الداغستاني، ولم يلبث الوزير أن ترك موقعه فى أول تعديل وزاري، وتولى الوزارة مكانه الأخ والصديق سليمان متولى، وأخذ على عاتقه مسئولية استكمال المشروع، وكان حازماً فى إدارة الأمور.

وانعقدت عدة جلسات مطولة، داخل مجلس الوزراء، برئاسة د. مصطفى خليل، وحضور ممثل البنك المركزي المصري، وأعضاء فريقي المفاوضات المصري والأوروبي، وكانت الجلسة الواحدة تمتد لأكثر من ٥ ساعات متصلة، قبل أن نوقع على العقد النهائى.

وفهمت طريقة د. مصطفى خليل، فى إدارة مثل هذه المشروعات، فلم يكن يريد أن يقترب من أى مشروع، قبل أن يستوعب أبعاده بالكامل، وقبل أن يدرس كل أنواع التكنولوجيا المقترحة، دراسة وافية.

وقبل التوقيع النهائى، طرأت لي فكرة، طرحتها أمام الجانب الأوروبي بصراحة، قائلاً: فى نهاية المطاف، لابد وأن تنعقد مقارنة يوماً، بين العرض

الأمريكي، وبين عرضكم، وبالتالي لابد من منح ميزة استراتيجية للجانب المصري، لم يكن الجانب الأمريكي قادراً على منحها، وهذه الميزة يمكن أن تكون فى صورة إعطاء مصر فرصة تصنيع جزء من تكنولوجيا التليفونات، على أرضها، وتقبل الجانب الأوروبي الفكرة، وسعد بها د. مصطفى خليل، وقال إن هذه الميزة، سوف تضيف إلى سمعة مصر، فى تكنولوجيا التليفونات، الكثير، وأنه قد يأتى يوم نستطيع فيه أن نصدر إلى الخارج بعضاً من هذه الصناعة المتقدمة..

وصدقت نبوءة رئيس وزراء مصر، وجاء اليوم الذى نجح فيه مصنع "EGTI" برئاسة المهندس جمال السيد، وزير الانتاج الحربي السابق، فى انتاج نحو ٤٠٠ ألف خط تليفوني، تمثل نسبة هامة من احتياجات هيئة التليفونات فى مصر.. وقد كانت الهيئة تملك ٨٠٪ من هذا المصنع، وتملك شركة "سيمنس" ٢٠٪ من أسهمه، قبل أن يحدث العكس، بعد إخضاعه لعملية الخصخصة.. وما أعرفه، أن هناك جهوداً جبارة، تبذلها - حالياً - بنوك الضمانات مع وزارة المالية، وهيئة الاتصالات، و"إجتى" لتشجيع تصدير منتجات هذا المصنع إلى السودان وكينيا، وكثير من دول القارة الأفريقية.. بل أن الشركة الألمانية "سيمنس" قد أغلقت بعض مراكز تدريبها، فى هذا المجال، فى عدد من الدول العربية، مكتفية بمركز تدريب القاهرة، الأمر الذى أكد أنها، أى الشركة الألمانية، ليست فقط تاجراً يبغي المكسب، أو كياناً يسعى إلى التصدير، وإنما هى أيضاً تريد أن تكون طرفاً فى عملية التنمية لمصر، وقد رسم الدكتور رشيد محمد رشيد وزير التجارة والصناعة في مارس ٢٠٠٥ خطة تحرك لإنشاء نظام جديد لضمان قروض البنوك المكلفة بتنمية الصادرات يعتبر الأول من نوعه.

وحين أجلس، اليوم، وأتطلع إلى ما خرجت به من هذه التجربة، وهذه المرحلة من تاريخ مصر الاقتصادي، أجد من أهم مكاسب تجربتي، أنني تعرفت بشخصية الدكتور مصطفى خليل، واكتشفت قدراته، وتأكد لي أن الإنسان المصري قادر على أن يكون مصدراً للخير، إذا ما سنحت له الفرصة المواتية.. وتعلمت كذلك، من تلك التجربة الطويلة، أن الإنسان حين يتصدى للعمل العام، فلابد أن يتقبل حداً أدني من المخاطرة، وألا يلتفت إلى اللغط، والمزايدات الكلامية، والاتهامات التى تعترض طريقه، لأنه إذا توقف عند كل ذلك، فلن يستطيع أن يخطو خطوة واحدة، نحو الأمام، ولن ينجح فى أن يكون جندياً يخدم بلاده، بالطريقة التى يرضى بها ضميره ويرضى بها ويرضي بها الله سبحانه وتعالي.

وخرجت من هذه التجربة أيضا باكتشاف مصحة كيبرون فى شمال غرب فرنسا كما قلت.. وأحببت المكان وأهله.

الفصل السادس والعشرون

نجاح عملية إنقاذ السادات من الاغتيال فى فيينا

الأمن القومي هو أمن الوطن والمواطنين..
ويستحق مساندة الوطنيين

فى صيف ١٩٨١، كنت موجوداً فى باريس، وتلقيت فجأة، اتصالاً تليفونياً من سكرتيرة المستشار النمساوي برونو كرايسكي، تطلب مني أن آخذ أول طائرة متجهة إلى فيينا للقاء كرايسكي.

بعدها، بدقائق، تلقيت اتصالاً تليفونياً آخر، من الشهيد عصام السرطاوى، ممثل الرئيس ياسر عرفات، لدى قيادات الاشتراكية الدولية،.. كان السرطاوى يتحدث من باريس، التى كان يقيم فيها، ويقول لي: سنسافر على نفس الطائرة، إلى فيينا، لنفس السبب، وسوف نلتقي فى المطار!

وفور لقائه بي، همس فى أذني، وهو يقول: من المحتمل جداً، أن يكون الموضوع الذى يريدنا المستشار النمساوي من أجله، هو محاولات بعض المجموعات الإرهابية العربية، الاعتداء على حياة الرئيس السادات، أثناء مروره بفيينا، فى طريق عودته من واشنطن، حيث كان يزور الولايات المتحدة الأمريكية، وقتها.

وأضاف السرطاوى: لقد فهمت ذلك الأسبوع الماضي، ولكن المسألة، وقتها، كانت لا تزال فى نطاق الشبهات!

وخرجنا من المطار، فوجدنا فى انتظارنا سيارة خاصة، من مكتب المستشارية، فحملتنا مباشرة إلى منزل المستشار النمساوي، الذى كان فى انتظارنا.

وفور أن رآنا كرايسكي، بادر فقال: لقد أكد وزير داخليتنا، أن الشبهات حول محاولات اغتيال السادات، فى سالزبورج بالنمسا، قد تأكدت وأنها أصبحت في مستوى الحقائق.. ويبدو أن هناك أكثر من خطة،.. وإحدى هذه الخطط ينظمها ويخطط لها أبونضال.

ثم قال كرايسكي موجهاً كلامه لي، ومعي عصام السرطاوى: لقد أعطيت تعليماتي إلى وزير الداخلية، بأن يضع كل المعلومات التى فى حوزته، تحت تصرفكما.

وقال: من حق الرئيس السادات، أن يعلم ذلك، وأن يأخذ الاحتياطات الكافية من ناحيته..



عصام السرطاوي فى مؤتمر صحفي بفيينا عقب اكتشاف محاولة اغتيال الرئيس السادات

ثم خاطبني فقال: "وأريد أيضاً، رغم المخاطر المتوقعة، أن نحاول إقناع الرئيس السادات، بالحضور إلى النمسا، حتى لا تشعر العناصر الإرهابية أنها تستطيع أن تتحكم فى حركة الرئيس السادات، وفى لقاءاته مع قيادات العالم".

واستدار نحو عصام السرطاوى ليقول: الأكيد أنك تعرف الكثير من الأسماء والمجموعات التى سيبلغك بها وزير داخليتنا، والتى سوف يطلعك عليها بالتفصيل.. ومن حق النمسا أن تطلب معاونتك، لاسيما وأنت تذكر، "أن النمسا كانت أول بلد أوربي يفتح أبوابه للرئيس عرفات، بناء على ما اقتنعت به أنا، من مشورتك ورأيك".

وقبل أن نغادره، أكد لنا أن النمسا سوف تبذل أقصى درجات الحذر، وسوف تتخذ كل الإجراءات الأمنية الممكنة، لتأمين رحلة الرئيس السادات.. وخرجت من عند المستشار النمساوي، وأنا أفكر فى قدري ... الذي كان يضع دائما موضوعات تهم الأمن القومي المصري فى طريقي.. ووجدتني أتساءل أيضاً، عن الكيفية التى كنت أجد نفسي معها، متجاوباً لأداء ما كنت أعتبره خدمة وطنية، ومساهمة من ناحيتي فى حماية الأمن القومي المصري.

ومر فى خاطري شريط طويل، وكأنه فيلم روائي، منذ أن بدأ التعاون مع الأخ سامى شرف، الوزير السابق، وسكرتير الرئيس عبدالناصر لشئون المعلومات لتنفيذ توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر لي فى ١٩٦٧ بالتفرغ للرد على دعايات العدو فى الخارج.. ثم رأيتني أتأمل، من بعيد، ملامح تلك الرحلة التى صاحبت فيها، السفير حافظ إسماعيل، براً، من باريس إلى فينسيا، عندما صدر قرار بتعيينه رئيساً للمخابرات العامة، وقت أن كان سفيراً للقاهرة فى باريس واستمرار التعاون بيننا.

ووجدتني أيضاً، أتطلع، عن بعد، إلى لقاءات المودة، والتعاون، والمحبة، مع الراحل الفريق كمال حسن علي، حينما كان رئيساً للمخابرات العامة.. وإلى جانب كل هذه المشاهد، التى كانت تمر سريعاً، فى مخيلتي، كنت أتذكر أيضاً – على خلفية لقائي مع كرايسكي – كل الدراسات والقراءات التى توقفت عندها، واطلعت عليها، قبل مناقشة رسالتي للدكتوراه، فى باريس، عن أهمية الأمن القومي بالمفهوم الأمريكي له.. أقصد المعنى الذى يربط بين الدبلوماسية، والاقتصاد، والمعلومات التى تمس الأمن القومي وبجانب كل ذلك كنت أضحك بيني وبين نفسي، من فكر وموقف هؤلاء الذين اختصروا موضوع الأمن القومي ومضمونه، إلى الصورة الكاريكاتيرية حول هؤلاء الذين ينقلون أقوالاً على لسان مواطنين تبرعوا بكلمات هجوم على الحكام.. رغم اعترافي بأن البعض دفع ثمناً بالغاً لكلمات لم يعقبها حركة أو تنفيذ.

الأمن القومي يا سادة أكبر وأعلى وأسمى من كل ذلك.. ويستحق أن يشغل حيزاً من اهتمامنا.. أمن الوطن هو أمن كل المواطنين ومن باب أولى أمر كل الوطنيين ويستحق عونهم..

وفهمت من وزير داخلية النمسا، أن هناك بالفعل ثلاث خطط لاغتيال الرئيس السادات، أثناء مروره بالنمسا، وأن إحداها كما قال لنا، المستشار كرايسكي، خطط لها أبونضال.. أما الثانية والثالثة فأمنع نفسي من الخوض فى تفاصيلها، احتراماً لاعتبارات لا تخفى على ذكاء القارئ.. كما سأمنع نفسي من الخوض فى كثير من تفاصيل لحقت بهذا اللقاء، الذى تم بيني وبين وزير داخلية النمسا ولكن يمكنني أن أقول دولتين عربيتين كانتا على علاقة بخطتين مستقلتين لاغتيال الرئيس وأن كلا الدولتين يحمل كما عُودنا اسمها دولة "شقيقة".. واكتفي بأن أقول، أنه تم اكتشاف شقة فى سالزبورج، مملوءة عن آخرها بالأسلحة التى كان من المقرر استخدامها فى عملية الاعتداء على حياة الرئيس السادات..

وبطبيعة الحال، وضعت كل ما توفر عندي، من معلومات، تحت تصرف الجهات المعنية المصرية.

وبقى أن أقول، أنني بيني وبين نفسي، وبروح من الاستقلالية الكاملة، قمت بعملية "تقدير موقف" كما يقول العسكريون.. وهو تقدير من شأنه أن يجعلني أقدر، بدقة، وأختار بين حجم المخاطر التى تهدد حياة الرئيس، إذا زار النمسا، وبين رغبة الصديق، صديق مصر، وصديق السادات، وصديقي، كرايسكي، فى ضرورة أن يأتى السادات لزيارة النمسا، على نحو طبيعي.

ووصلت إلى تقييم موضوعي بحت، تحملت مسئوليته، فبعثت برسالة مباشرة إلى الرئيس السادات، فى الولايات المتحدة الأمريكية، أقول له فيها:- " **أتحمل يا سيادة الرئيس، أن أنصح، وبحزم، بإلغاء رحلتكم إلى النمسا، لاستحالة السيطرة على الموقف وتقديراً مني للواقع على الأرض، رغم نجاح الأخ والصديق السرطاوى فى اكتشاف عدة عناصر عربية، والقبض عليها.. وسأبعث يا سيادة الرئيس، إليكم، بالتقرير الكامل فيما بعد".**

وفوجئت بأن الرئيس السادات، قد ألغى رحلته فعلاً، فى أقل من ٢٤ ساعة.. حمانا الله جميعاً، من الأنا ومن الغرور،.. بما يجعلني أقر وأقول، أنه من المحتمل أني لم أكن وحدي على الطريق فى هذا الموضوع.

ولكن الأكيد أني شعرت بارتياح نفسي كبير، حينما تم إلغاء هذه الرحلة.

وقبل أن أغادر النمسا، اكتشفت أن أصحاب إحدى الخطط الثلاث، كانوا قد أقحموا، كجزء من عملية تمويه، مصرياً ساذجاً كان لاجئاً فى إحدى الدول العربية، وقتها، ليتواجد فى فيينا، عند التنفيذ، حتى يمكن إلقاء الشبهات حوله، بما يوحي فى النهاية، بأن مصرياً هو الذى اغتال الرئيس السادات واعتدى على حياته.

وفى طريقي للمطار، توقفت فى مكتب المستشار كرايسكي، فى لقاء قصير معه، قلت له فيه: "لأول مرة فى علاقتي بكم، لم أستطيع أن أتكلم معكم، مسبقاً، فيما طلبته مني بخصوص رحلة السادات، ولتعذرني لأن حساباتي فى هذا الموضوع، وبحكم حجم المخاطر، كانت مصرية مائة فى المائة، إلى الدرجة التى سمحت فيها لنفسي أن أنصح الرئيس السادات بألا يقوم برحلته المقررة".

رد المستشار كرايسكي بشموخ فقال: **"أثق فى حكمة تقديرك للموقف، وأرجوك أن تنصح صديقنا المشترك عصام السرطاوى، أن يكون حذراً جداً، لأنه ذهب بعيداً جداً، فى محاولات اكتشافه للمجموعات الإرهابية"**.



عصام السرطاوي بعد أن سقط شهيداً فى لشبونة بالبرتغال..
وكان قد تصدى لمحاولة اغتيال الرئيس السادات فى فيينا

ولشدة الأسف، لم يمر وقت طويل، حتى طالت يد الإرهاب، عصام السرطاوى، فى العاصمة البرتغالية، لشبونة، عندما كان فى رحلة عمل، للقاء قيادات الاشتراكية الدولية، دفاعاً عن قضيته وسقط فى الفندق وسال مرة أخرى دم وطني فلسطيني بأيدي إرهابية فلسطينية على بعد خطوات من شيمون بيرس أحد قيادات الاشتراكية الدولية التى كان السرطاوي ينوى الاجتماع بها بعد أن بذل الراحل شميث مستشار ألمانيا جهداً كبيرًا لتطويع شيمون بيرس ، ليختار السلام ليس كتكتيك ولكن كاستراتيجية ، وساهم كرايسكي أيضاً فى هذا التحرك.

ولم أحزن لفقد إنسان فى حياتي، كما حزنت لفقد هذا الصديق.. وعندما عاد جثمانه إلى باريس، آليت على نفسي إلا أن أرافقه إلى العاصمة الأردنية عمان، حيث مثواه الأخير، وقد شعرت عند وصولي إلى عمان، أن عائلة السرطاوى، موزعة فى عدة مواقع وأمكنة بين الأردن وفلسطين..

ولن أنسي، فى مساء ذلك اليوم، حضور الملك حسين، ملك الأردن وقتها، ليقدم للعائلة واجب العزاء، ثم يقول لأحد أفراد الأسرة: **"لقد اختلفت معه، بطبيعة الحال، وقت معركة الكرامة بين الفلسطينيين والأردنيين.. ولكني كنت أحترمه، وأقدر جرأته، وفكره، الذى ذهب به إلى خدمة السلام"**.

وظللت على علاقة مودة ومحبة، مع أبنائه، وأرملته الدكتورة وداد المفتي العراقية الأصل، التى كانت قد زاملته فى دراسة الطب، وكانت تنتمي إلى عائلة كبيرة، من عائلات العراق، وكانت شريكة مشوار عمره بكل ما فيه من القلق المستمر والجهد المستمر لتكون زوجة إيجابية وأما تربي أولادها إلى أعلى المستويات.

الفصل السابع والعشرون

عندما تجد نفسك جارا لرئيس المخابرات الأمريكية!

ذات يوم، من عام ١٩٧٨، رافقت الرئيس الفرنسي الأسبق، جيسكار ديستان، ضمن الوفد الصحفي المصاحب له، في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية، وقبل انتهاء الزيارة، علمت من مكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط، الذي كنت مديرا له في باريس، أن المشير محمد عبدالغني الجمسي، وزير الدفاع وقتها، سأل عني من القاهرة، وأنه يريد أن يتكلم معي.

قبلها، كنت أعلم أن المشير الجمسي كان على وشك القيام بزيارة للولايات المتحدة، ليكون أول وزير دفاع مصري، يزور الولايات المتحدة، بعد زيارة الرئيس للقدس، وبدء جولات مباحثات كامب ديفيد.

بادرت بالاتصال به، من مكان تواجدي في أمريكا، فبادرني هو بطريقته العسكرية المختصرة: ماذا ينتظر الأمريكان مني ؟!

وأجبته بسرعة: ينتظرون أن يتكلموا معك، في كل شئ، لأنك من وجهة نظرهم، لست مجرد وزير دفاع مصر، ولكنك أيضا عضو من أعضاء القيادة السياسية فى مصر.

فأجاب هو على الفور: السياسة ليست من عملي، ولا أريد لها أن تكون من عملي !

وقلت: هذا ما تريد أنت، وما تراه أنت شئ، ولكن هناك أيضا ما يريده الطرف الأمريكي.

وكانت بيننا مودة خالصة واحترام كبير، ولذلك قال لي بعشم ظاهر: يحزنني ألا تكون معي بالقاهرة، خلال الأيام القليلة القادمة المتبقية قبل إتمام الزيارة، لنتكلم عن الأجواء الأمريكية الحالية، التي تراها في الولايات المتحدة، والمؤسف أن الوقت المتبقي محدود جداً، وضيق للغاية

وأجبته مداعبا: ولماذا أخترع الفرنسيون طائرة الكونكورد، التي تقطع المسافة من نيويورك إلى باريس في ثلاث ساعات ونصف ؟!

ووجدت نفسي، طواعية، آخذ طائرة الكونكورد، في اليوم التالي مباشرة لأصل إلى باريس، ومنها في نفس اليوم، أخذت طائرة مصر للطيران، لأصل القاهرة في ساعات !

وفي المطار كان في استقبالي اللواء سامي الخطيب رئيس الشئون المعنوية بالقوات المسلحة فطلبت منه أن يتصل بالمشير الجمسي ليخبره بوصولي إلى القاهرة.. وكانت مفاجأة كبرى للمشير، الذي قال ضاحكا: من الذي وضع تحت تصرفك طائرة خاصة، لتصل القاهرة في هذا الوقت القياسي، وفي أقل من ٢٤ ساعة ؟!

قلت: كل ما في الأمر، أنني أعطيت شركة الطيران، البطاقة الأمريكية "أميركان اكسبريس".. والشكر لفرنسا، على كل حال، لأنها اخترعت طائرة الكونكورد !!.

والتقينا مرتين، نتكلم عن رحلته، وعن أهدافها، ومعانيها، لدى المسئولين في الإدارة الأمريكية، خاصة أني كنت قد التقيت، قبلها، وأنا في واشنطن بدافيد روس، المستشار السياسي لوزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" الذي عرفتني به الزميلة الصحفية الأمريكية جوديت كيبر، التي كانت ولا تزال ذات اتصالات على مستوى عالي في واشنطن ولديها قدرة على التحليل الموضوعي والجاد، وهي تشغل الآن موقع مدير مركز دراسات الشرق الأوسط في العاصمة الأمريكية، وأشعر تجاهها بالود والاحترام.

وأذكر أنها قالت لي، ونحن في طريقنا للقاء ديفيد روس: الرجل الذي ستلتقي به اليوم، سوف يكون له مستقبل كبير في بلدنا، وفعلا أصبح الرجل، في عهد الرئيس بيل كلينتون، المحور الذي تدور حوله مفاوضات السلام في الشرق الأوسط، بعد أن شغل موقع مساعد وزير الخارجية الأمريكية.

وفي الجلستين اللتين عقدهما معي الجمسي، قبل سفره، تبادلنا الأفكار والحديث حول الترجمة العملية لزيارته، وعما تريد أن تعرفه الإدارة الأمريكية منه، أثناء رحلته.. وكان تقديري أن مسئولي الإدارة الأمريكية وقتها، كانوا يريدون أن يتعرفوا منه على جواب لسؤال كبير كان يشغلهم، هو: أين يقف الجيش المصري، في الواقع، من مستقبل السلام بين مصر وإسرائيل.

ورغم ضيق الوقت في القاهرة، قبل قيام المشير برحلته، إلا أني رفعت مذكرة إلى الرئيس السادات، عن الأجواء السياسية التي تنتظر رحلة الجمسي في أمريكا.. ونقلت للرئيس السادات بأمانة، كل ما فهمته من لقاءاتي مع بعض القيادات الأمريكية، وأذكر أني قلت للسيد الرئيس، أن أحد أهداف هذه الزيارة، من

جانب الأمريكان، هو رغبتهم القوية في التعرف عن قرب، على القيادات التي تحيط بالسادات في القاهرة، كما أنهم يريدون أن يتعرفوا أيضا، عما إذا كان السادات يقف وحده، وهو يسعى نحو السلام ويفاوض عليه، أم أن مؤسسات الدولة، والقيادات من حوله، تسانده، وتدعمه إلى ما يدعو إليه، عن اقتناع ويقين.

وسمحت لنفسي أن أضع فى نهاية مذكرتي للسيد الرئيس، اقتراحا بأن تكون التغطية الإعلامية في مصر، لزيارة المشير، تغطية بارزة، حتى يمكن الرد على المخاوف التي تساور الإدارة الأمريكية في ذلك الوقت.

وكان تقديري أننا يجب أن نبعث إليهم برسالة، من خلال شكل التغطية الإعلامية لزيارة المشير، نقول لهم من خلالها أن للنظام، نظام السادات، مؤسساته، وقياداته، ذات الوزن والثقل، التى تسانده وتدعمه.

وأعطيت مذكرتي للسفير حسن كامل، رئيس ديوان رئيس الجمهورية في ذلك الوقت، وأحسست أنه قلق بعض الشيء، حينما قرأها، لإحساسه بأن العلاقة بين السادات والجمسي وقتها، لم تعد كما كانت..

وقال لي: يا دكتور علي، هذه موضوعات حساسة جداً..

ولكن أمام إصراري، حملها إلى الرئيس السادات، وأبلغني في اليوم التالي، أنه - كما توقع — لم يكن السادات مرتاحا لاقتراحي بالاهتمام بالتغطية الإعلامية لزيارة الجمسي.

ولكن، للحقيقة وللتاريخ، عاد السفير حسن كامل يطلبني بعد ٢٤ ساعة، ويقول لي: عندي خبر طيب لك.. لقد اتصل بي الرئيس، وأبلغني أنه بعد تفكير، وجد أن مقترحاتك ومبرراتك حول طريقة تغطية الزيارة، عملية، ومقبولة.

وكان هذا درسا لي، في التعامل مع القيادات العليا.. فحينما يتم عرض موضوع، عليها، أنت مقتنع به، يجب ألا تقلق لرد الفعل الأول، لأنه يُحتمل أن يكون عاطفيا وإنسانيا، ولكن حينما يأخذ الرئيس، أي رئيس، فرصة الإطلاع والتفكير، فهناك احتمال كبير أن يكون رد الفعل الثاني مختلفا، وقد يلتقي مع ما عرضته أنت في البداية.

رؤساء الدول، هم في نهاية المطاف، بشر أولاً، ثم رؤساء دول ثانيا، والنجاح أو عدمه في التعامل معهم، هو في المعادلة بين رد الفعل الأول، الذي أسميه رداً مزاجياً ونفسياً احياناً، وبين مصالح الدولة العليا، التي تغلب في النهاية.

بعدها.. دعاني المشير الجمسي لمرافقته على طائرته إلى الولايات المتحدة.. وكان معنا، على نفس الطائرة، "مستر فيتس"، الملحق العسكري الأمريكي بالقاهرة.. الذي جاء قبل وصولنا بقليل، ليسأل المشير، وأنا بجانبه، سؤالا ظاهره برئ، فيقول: هل تريد أن يرافقك الدكتور علي السمان، في كل برنامج زيارتك.

رد المشير قائلا: نعم

وأعتقد، في تفسيري لسؤال الملحق العسكري، ومعانيه، أن ميكانيكية النظام الأمريكي، تجعله يضع علامة استفهام، حول شخص كان في الولايات المتحدة قبل ٤٨ ساعة، ولكنه عاد إلى القاهرة، خصيصا ليلتقي بالمشير، قبل أن يعاود السفر إلى أمريكا مرة أخرى، ويصاحبه المشير على طائرته.. هنا، يصبح من المفيد لديهم، أن يتعرفوا على طبيعة العلاقة التي تربطنا معا.

وفى نفس يوم السفر مع الجمسي نشرت مقالاً تحت عنوان: ماذا ينتظر الجمسي في أمريكا..

راجعته أكثر من مرة، لأن "ديفيد روس" كان هو الذي أعطاني كل الخلفيات التي بنيت عليها المقال.. كما أنه كان قد نبهني قبل أن أغادر إلى أن هناك معلومات كثيرة، مما أتاحها لي، ليست للنشر.. وقال لي: ولكننا نقدمها لك، حتى يمكنك تخيل وتصور، موقف الولايات المتحدة من هذه الزيارة..

راجعت المقال، وتأكدت من أنني لم أشر من قريب أو من بعيد، إلى ما طلب "ديفيد روس" أن يكون بعيداً عن النشر.

كتبت، يوم ٦ يونيو ١٩٧٨، في الأهرام:

من كان يصدق قبل أكتوبر ١٩٧٣ أن مصر يمكن أن تحصل من أمريكا حتى على سيارة مصفحة..

ومن كان يصدق أن فرنسا قبل هذا التاريخ، كان يمكن أن تعطي مصر مدفعاً واحداً..

ما زال في ذاكرتي، وأنا بجانب الرئيس بومبيدو في شيكاغو سنة ١٩٦٩ صورة هذه المظاهرات المجنونة – ضده – لأن فرنسا باعت لليبيا طائرات ميراج قيل أن جزءاً منها يمكن أن ينتقل إلى مصر..

وفي أول لقاء لي مع دافيد روس، بعد وصولنا، قال مداعبا: لقد ترجموا لي مقالك إلى الإنجليزية، وأهنئك على أنك اجتزت بتفوق امتحان الثقة في احترام ما وعدتني به، من احترام المعلومات التي ليس من الممكن نشرها.



المشير الجمسى وزير الدفاع يوقع وقتها مع ايفون بورج وزير الدفاع الفرنسي اتفاقية للتعاون العسكري وتدعيم الهيئة العربية للتصنيع

وكان وصول المشير الجمسي إلى مبنى البنتاجون، مهيبا، حين سمعنا السلام الجمهوري المصري، يدق في استقبالنا، في أرجاء المبنى، قبل أن يتبعه السلام الأمريكي.

وكانت مفاجأة سارة لي، أن أتعرف خلال تلك الزيارة، على ملحقنا العسكري هناك، الذي أصبح فيما بعد المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة وزير الدفاع ولم يكن صعبا على الإنسان، أن يكتشف في عينيه، منذ الوهلة الأولى، ذكاءاً لماحا، وروحا مرحة، فضلا عن قدرة غير عادية على الإطلاع على الكتب التي تهم الشرق الأوسط السياسية منها، والعسكرية، وكذلك كتب التاريخ ويتميز أيضاً بكسب ثقة عدد هائل من الأصدقاء وأقول أيضاً على مسئوليتي أحد النادرين الذين عرفوا باقتدار التعامل مع العقل الأمريكي.

وفي المباحثات واللقاءات، مع القيادات الأمريكية، بدا واضحا أن مستوى الوفد الذي رافق المشير الجمسي، كان عاليا.. وأذكر من أعضاء الوفد، اللواء محمود عبدالله، الذي كان قائدا لسلاح المظلات، وممثلا — في الزيارة — للقوات البرية،

قبل أن يصبح فيما بعد، أمينا عاماً لوزارة الدفاع، ثم رئيسا للمخابرات العسكرية في عام ١٩٨٠، فرئيساً للرقابة الإدارية في مايو ١٩٨٢.

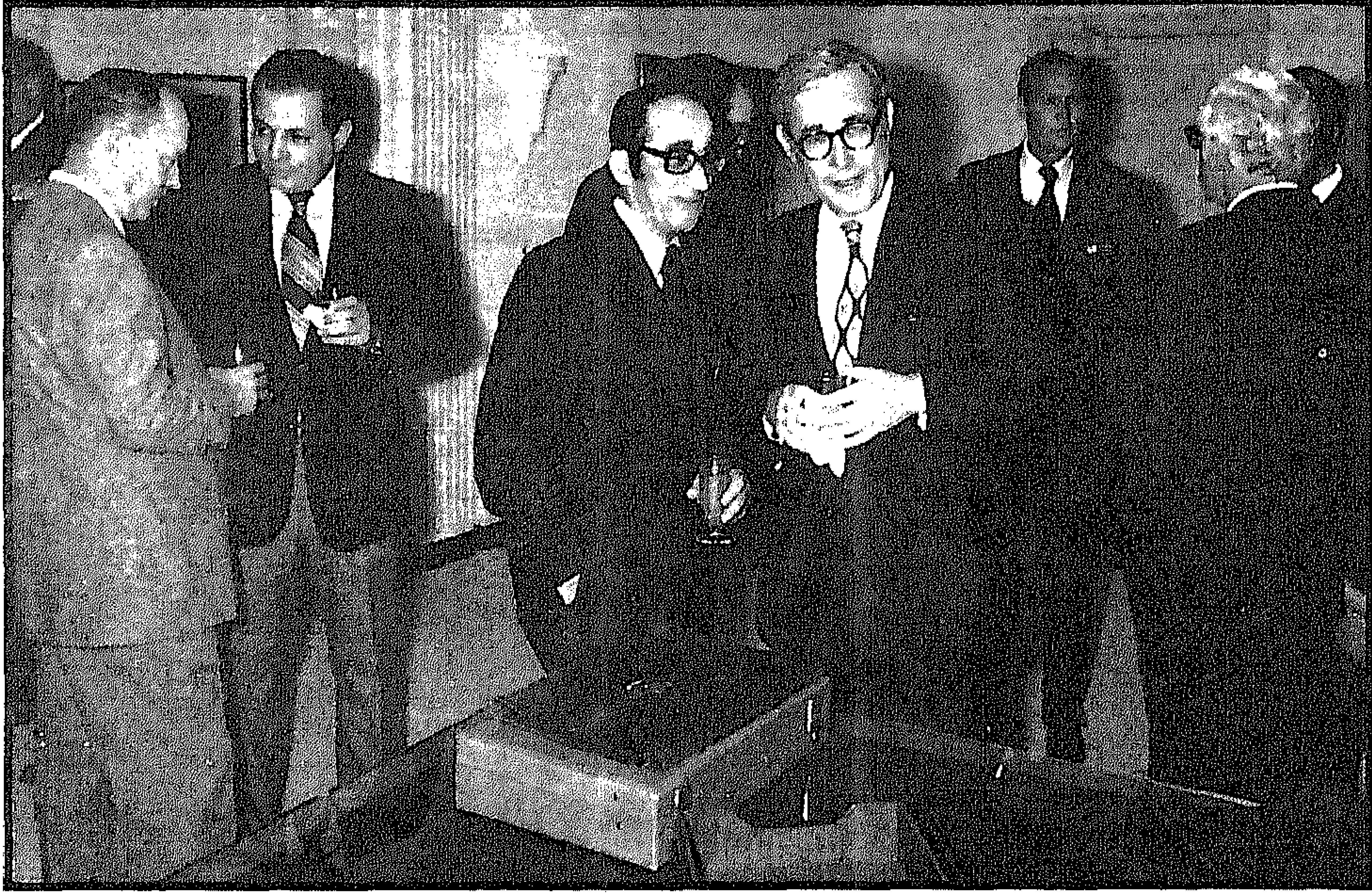
وقد كان لقوات المظلات، التي دربها اللواء عبدالله، منذ تولي قيادتها في يونيو ١٩٧٢، دور فعال ورائد في معركة أكتوبر، وظل إسمه مرتبطاً بها، ويعترف له بالفضل كثيرون من الضباط والجنود، الذين تتلمذوا على يديه، خلال فترة قيادته، التي استمرت استثنائيا، حتى عام ١٩٨٠.

وكان حظى بعد خروجه إلى التقاعد أن يعمل اللواء فايز صبري قائد سلاح الاشارة سابقاً كاستشاري بمكتب الاستشارات الخاص بي، وكذلك اللواء شمس عبدالبارى، وكانت تجربة هذا التعاون دليلاً جديداً على جدية آداء العناصر العسكرية التكوين: فاعلية.. وانضباط.. وأمانة.

وأيضاً، كان هناك مع وفد المشير الجمسى فى أمريكا اللواء محمد حلمي، ممثلا للقوات الجوية، واللواء عبدالعاطي أبوسيف، ممثلا للدفاع الجوي، واللواء بحري محمد الجزار ممثلا للقوات البحرية.

وفي زيارة قام بها الوفد، لغرفة العمليات بالبنتاجون، تم تقديم عرض كامل بالفيديو، للمعارك التي خاضتها القوات الأمريكية، في أماكن ومواقع متفرقة من العالم، خلال السنوات الأخيرة، بحجم، ونوع، ومسيرة كل معركة.. وأتصور أن النقاش الذي دار وقتها، مع المشير الجمسي، تركز حول ما كان يمكن أن يفعله، لو كان في موقع القرار بالنسبة لكل معركة من هذه المعارك.. أتصور أن هذا النقاش، كان امتحاناً لقدراته، باعتباره قائدا عاما للقوات المسلحة المصرية، وقد أعطى الرجل، للأمانة، مستوى مشرفا لقيادة عسكرية مصرية وهو يناقش ويجيب على تساؤلاتهم.. وقد شعرت وقتها، وبعدها، كيف أن ملحقنا العسكري محمد عبدالحليم أبوغزالة، كان قد دعم علاقاته مع المستوى العسكري، والسياسي، بل وعلى مستوى الكونجرس بمجلسيه للنواب والشيوخ لخدمة مصالحنا القومية العليا.

وجاءت ليلة حفل العشاء، الذي أقامه البنتاجون، على شرف المشير الجمسي، فذهبت إلى اللوحة التقليدية التي توضع على باب القاعة، ليتبين كل واحد منها، أين مقعده، ففوجئت بأن جاري الذي يجلس على يميني، على المائدة هو الأدميرال تيرنر، رئيس المخابرات المركزية الأمريكية التي تعرف اختصاراً بـ (C.I.A).



فى عشاء أقامته وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" بمناسبة زيارة المشير الجمسي لأمريكا.. وفى الصورة د. علي السمان مع وزير الدفاع الأمريكي.. والمشير أبو غزالة الملحق العسكري وقتها

وأسرعت إلى المشير الجمسي، أقول له، أن موقعي بين أعضاء الوفد، لا يسمح لي بهذا الجوار الهام، والسعيد!!

وكان رد المشير بسرعة: ربنا يخلي كلامكم خفيفا علينا !!

ومنذ اللحظة الأولى، فاجأني الأدميرال تيرنر، على الطريقة الأمريكية، التي تذيب الثلج، بين الأمريكي، وبين أي طرف آخر، يكون عليه أن يدخل معه في حوار.. فاجأني فقال: أمامنا على الأقل ساعة ونصف الساعة، نتبادل فيها الكلام، ويهمني أن أطمئنك إلى أن الوحيد في جهاز المخابرات الأمريكية، الذي ليس له علاقة باحتراف "التجسس" والمعلومات، هو رئيسها، لأنه يجري اختياره، دائما، من خارج الجهاز.. تماما كما جاءوا بي من البحرية، لأتولى رئاسته.

ودخلنا في حوار، على الفور، وهو حوار لم أنسه إلى اليوم، لأني سجلت وقائعه في أوراقي الخاصة.

فهمت من كلام الأدميرال تيرنر: أنه عندما فقدت أمريكا مكانها في مصر، عام ١٩٥٥، بعد صفقة السلاح مع الكتلة الشيوعية الشهيرة التي عقدها عبدالناصر، كان عليها أن تنتظر عشرين عاما، قبل أن تسترد موقعها، وسوف تبذل أمريكا كل الجهد، حتى لا نفقده مرة ثانية.

قلت له، على سبيل المشاغبة الفكرية: أما وقد أشرت إلى عام ١٩٥٥، فيهمني أن نتوقف سويا، عند هذه المرحلة، لنتكلم عن مسئولية فقدانكم لمكانكم في هذا التوقيت بالذات، فأنت تعرف أن مجموعة مجلس قيادة الثورة التي أتت إلى الحكم عام ١٩٥٢، كانت حسب تخيل معظم وسائل الإعلام الأمريكية، مجموعة من الضباط الشبان المعادين للشيوعية، والذين يمثلون أملاً، في الوقت نفسه، بالنسبة للغرب.. ولكن سوء حظنا المشترك، أن يأتي على رأس الخارجية الأمريكية، في ١٩٥٤ "فوستر دالاس" الذي كان متطرفاً في نظرية الأبيض والأسود، في السياسة.. وحينما طلب من الرئيس عبدالناصر أن يدخل في الحلف التركي، وأجابه عبدالناصر بأن مصر تفضل، في سياستها الخارجية، سياسة الحياد بين الكتلتين.. وقتها غضب فوستر دالاس، وقال أنه يعتبر "الحياد" مذهباً غير أخلاقي، يرفض الخيار بين الخير والشر أي بين الغرب وحلف الأطلنطي، وبين الكتلة الشرقية الشيوعية.. وكان من سوء الحظ أيضا، أن يكون "آلان دالاس" شقيق فوستر دالاس، رئيساً للجهاز الذي تتولونه اليوم، وبالتالي كان صانع القرار في البيت الأبيض يسمع نفس الهجوم، تقريباً، من الخارجية، ومن المخابرات، عن اختيار عبدالناصر لسياسة الحياد.

ومن رد الادميرال تيرنر يفهم، أن موقف الإدارة الأمريكية وقتها كان تعبيراً عن خيبة الأمل، من عدم وجود طرف رئيسي في لعبة الشرق الأوسط، هذا الطرف هو مصر، مع العراق وتركيا، في ذلك الوقت، وكان تقدير الإدارة الأمريكية، في حينها، أن ذلك يمكن أن يخدم مصالح الطرفين.

وشدنا الحديث، بعد ذلك، إلى نكسة ٦٧، فقلت له: ماذا دفعكم إلى التحالف مع إسرائيل، وأن تساعدوها على ضرب مصر؟

وتوقفت، من بين كل ما قاله، عند أول تفسير أسمعه، عن رد الفعل الأمريكي، على ذهاب الرئيس جمال عبدالناصر، إلى اليمن، ومبادرته بتحريرها من ظلمات نظام قبلي، كان أشبه ما يكون بحكم القرون الوسطى، إلى جمهورية تعيش عصرها ووقتها.

ومن كلمات الأدميرال تيرنر استنتجت أن: مبادرة الرئيس عبدالناصر بهذا الصدد، كانت غلطة استراتيجية كبيرة، لأنه نسى تعريف الدولة الكبرى، وهي الدولة التي تستطيع أن تحرك قواتها خارج حدودها الوطنية.. أن أمريكا رفضت هذا الدور، في الماضي، لإنجلترا وفرنسا، في عام ١٩٥٦، ورفضته بالتالي لمصر في

اليمن.. ويحتمل أن صانع القرار فى واشنطن شعر أن عبدالناصر كان في حاجة إلى عنصر ضاغط، يعيد قراءة تعريف الدولة الكبرى.

ووجدت أن الأدميرال تيرنر، على دراية بالتاريخ العسكري في العالم، وكان أيضا على علم بالخطوط العريضة لتاريخ جيش مصر، منذ رمسيس إلى جيش محمد علي، منشئ مصر الحديثة..

وأنهينا حوارنا وأنا أقول له: يحتمل يوماً، أن أضع في كتاب وقائع هذا الحوار النادر بيننا، ولكن أعدك أني سوف أستأذنك قبل نشر ما يمس حديثنا اليوم.

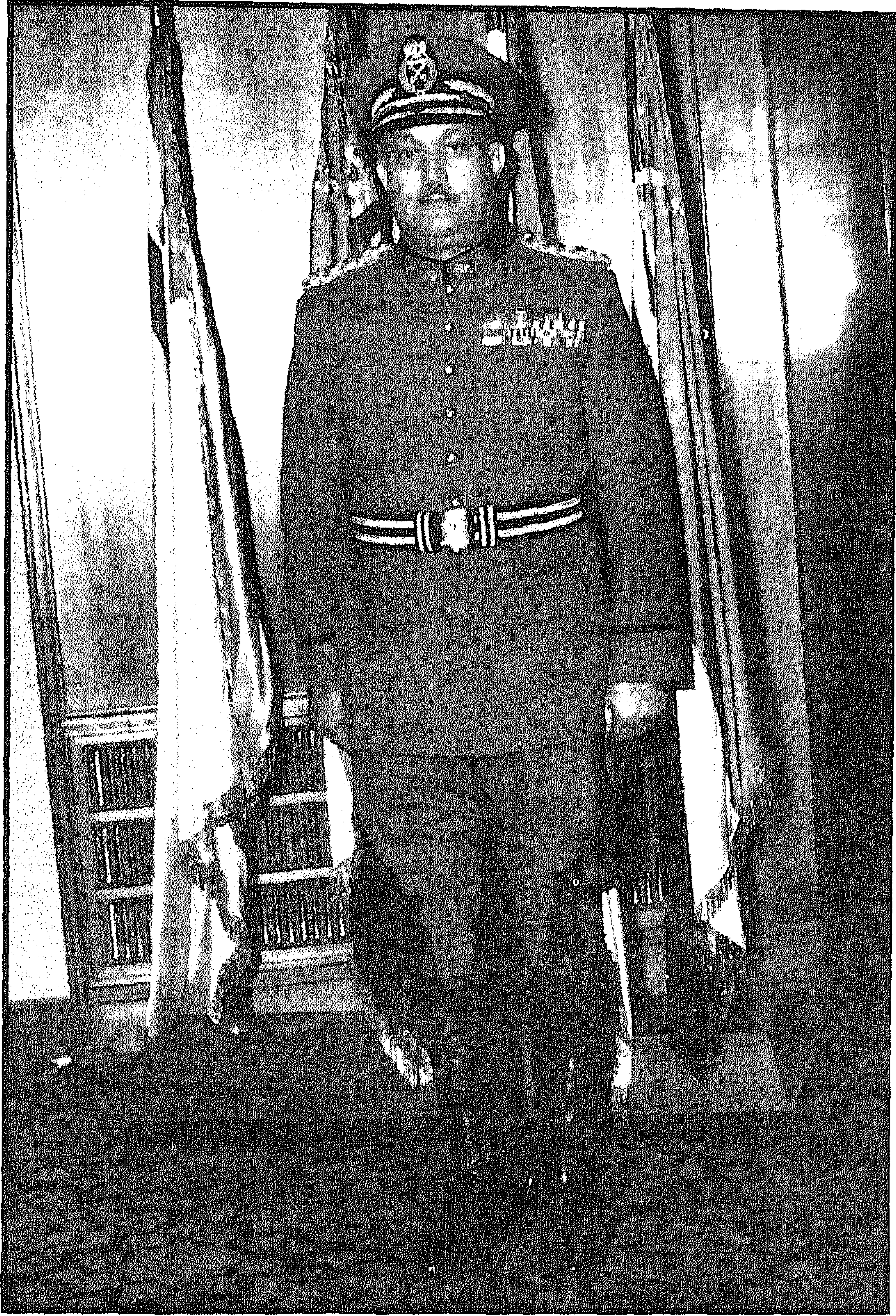
وحققت وعدي عند انتهاء كتابي وأرسلت رسالة إلى الادميرال تيرنر أطلب موافقته على ما كتبته عن لقاءنا منذ ٢٧ عاماً.. ورد عليَ بخطاب رقيق بالموافقة وفاجئني أنه مازال يتذكر هذا اللقاء ولأهمية الخطاب نشرته فى الجزء الخاص بالوثائق.

وأذكر أن الأدميرال تيرنر، كان مهتماً، أثناء النقاش، بموضوع رسالتي للدكتوراه، وكان قد عرف أني كنت قدمتها لجامعة باريس، عن التأثير المتبادل بين الأيديولوجيا والإستراتيجية السياسية.

زي عسكري لرئيس المخابرات..!!

وعاد الوفد من الولايات المتحدة، وأنا معه، ومر وقت قصير، لأذهب يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٨، للقاء اللواء كمال حسن علي، رئيس جهاز الأمن القومي.. وبينما كنت أهم بالدخول إلى مكتبه، لاحظت أن أحد الحرفيين المتخصصين في صناعة أحذية الفرسان الطويلة (البوت)، جالس في جانب من الصالون المؤدي إلى المكتب وكنت أعرفه، إذ كان الصديق والأخ نور فرغل الأمين الأول برئاسة الجمهورية وقتها، قد عرفني عليه من قبل، لحبي ركوب الخيل، ولحاجتي إليه كي يصنع لي بعض الأحذية التي كنت استخدمها في ممارسة هوايتي.

لاحظت وجود ذلك الحرفي في الصالون، وكان وجوده، في نظري، أمراً غير طبيعي، ولما سألته قال لي أنه لا يعرف لماذا استدعوه على وجه السرعة، وأنهم أبلغوه أن يتفرغ يوما كاملا.. وذهب خيالي محاولا اكتشاف سبب تواجده، والسبب الذي جاءوا به من أجله، فلم يكن من المعتاد، ولا من الطبيعي، أن يلبس رئيس المخابرات، حذاء الفرسان الطويل، المصنوع من الجلد.



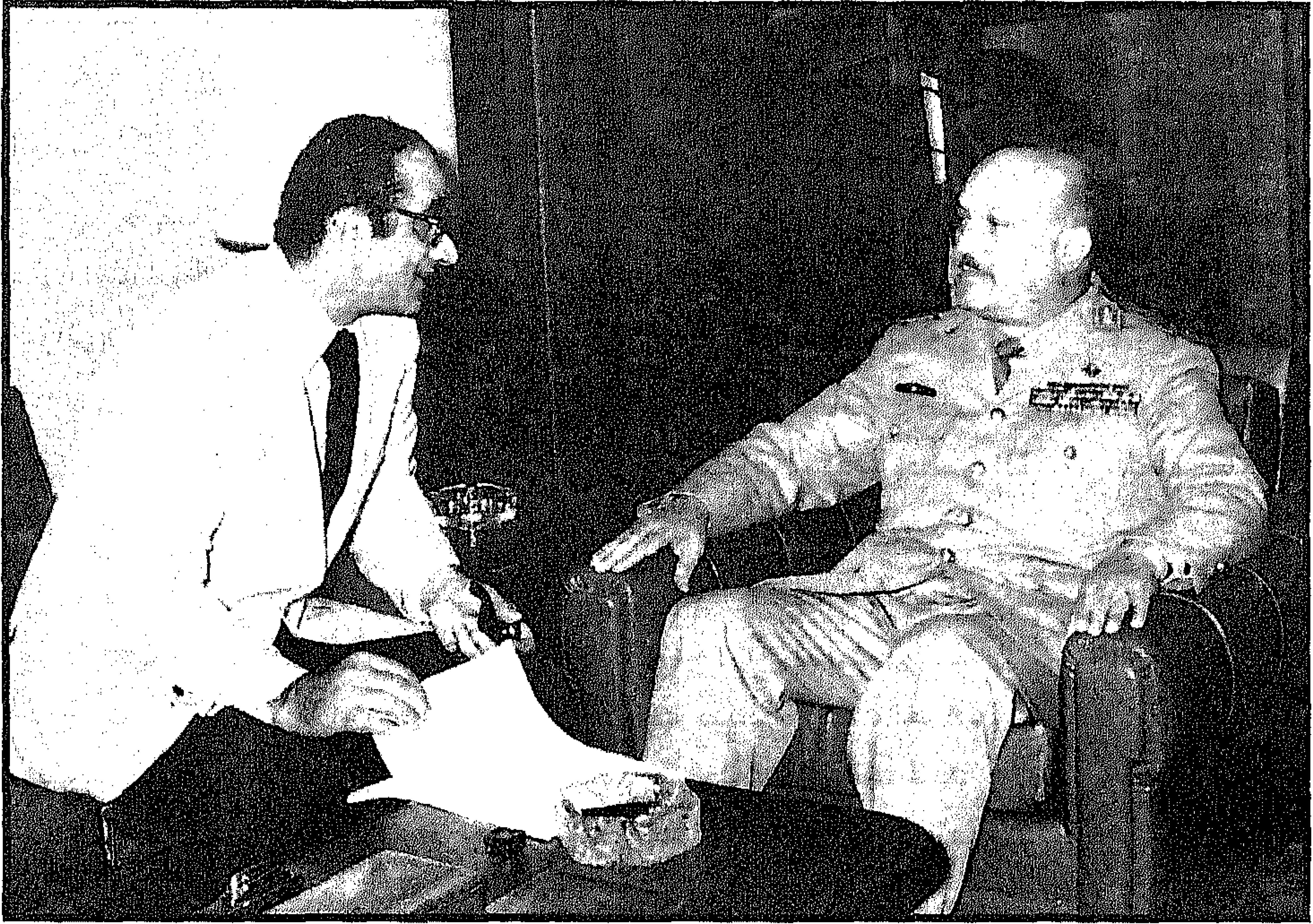
الفريق كمال حسن علي.. ٢٤ ساعة بعد استقالة الجمسي وتوليه وزارة الدفاع والانتهاء من إعداد الزي العسكري الذى أمر به الرئيس السادات، بعد نصر أكتوبر

كنت أعلم أن الرئيس السادات، قد أمر، بعد كامب ديفيد، بتغيير زي كبار ضباط الحرس الجمهوري، وكنت أعلم أيضاً، أن ارتداء الحذاء الطويل، كان جزءاً من التغيير الذي طرأ على زي الضباط، بتعليمات من السادات الذي كان هو

نفسه يرتديه يوم عرض أكتوبر من كل عام، وكذلك كان يرتديه مرافقوه من كبار الضباط والحرس الجمهورى.

من هنا، كان تخميني، أنه من الممكن أن يكون قد حدث تغيير في موقع وزير الدفاع، وأن الجمسي قد ترك موقعه، وأن كمال حسن علي هو الذي سيتولى مكانه، وأن عليه أن يستعد بالزي الجديد، ليرافق الرئيس السادات في العرض العسكري الذي كان سيقام بعدها بيومين اثنين فقط.

دخلت على اللواء كمال حسن علي، مكتبه، وعلى سبيل الدعابة قلت: مبروك على الموقع الجديد!



بعد ساعات من استقالة المشير الجمسى، صدر قرار تعيين كمال حسن علي وزيراً للدفاع.. وكان الدكتور علي السمان معه، بعد هذا التعيين المفاجأة بقليل

وكانت مفاجأة كبرى بالنسبة له، جعلته يفتح عينيه على آخرهما، من شدة الدهشة، وهو يقول لي: مستحيل أن تكون عرفت ذلك، فلا يعرف الخبر إلا ثلاثة رجال في الدولة كلها !!

وأمام قلقه البالغ، من أن يكون الخبر قد تسرب من مكتبه، رحت أطمئنه، وأقول له: ليس هناك تسريب للخبر، ولا شئ من ذلك أبدا.. كل ما في الأمر أني لما رأيت الرجل الجالس في الصالون خارج مكتبك، والذي استدعيتموه على وجه السرعة، "خمنت السبب بسرعة" !!

وهنا اطمأن كمال حسن علي، وقال لي: عند إعلان الخبر في وسائل الإعلام، أرجو أن تأتي إلى مكتبي في وزارة الدفاع - وكانت قبل كمال حسن علي تُسمى وزارة الحربية — لنتداول معا فى بعض الأفكار الإعلامية التي يمكن بها توضيح أسباب استقالة المشير الجمسي للعالم الخارجي.

وبالفعل، ذهبت إلى مكتبه في اليوم التالي، ورحنا نناقش بعض الأفكار، التي يمكن طرحها إعلامياً، لتبرير التغيير المفاجئ الذي تم، خاصة أن السادات قبلها كان قد وعد المشير الجمسي بأنه سوف يبقى في الخدمة مدى الحياة..

وبينما كان كمال حسن علي منشغلاً ببعض الأشياء، لاحظ هو أني أطلب رقما معينا على التليفون، وسألني عمن أطلبه في مثل هذا الوقت؟

فقلت: المشير الجمسي !! فلا أملك بحكم ما يربطني به، وتقديراً للظرف النفسي الذي يمر به إلا أن أمر عليه في بيته.

رد كمال حسن علي: "والله أنت ابن حلال، فلابد لي أنا الآخر من أن أمر عليه، للتحية، أولاً، ولمحاولة إقناعه بأن يحضر العرض العسكري الذي سيقام بعد حوالي ٢٤ ساعة، ثانياً".

وسارعت أنا إلى بيت الجمسي، ووجدته في حالة غضب عارم، وراح يكرر أكثر من مرة: ألم يكن من الممكن أن ينتظروا حتى أحضر العرض العسكري، الذي طُبعت دعواته باسمي، ثم يتم التخلص مني بعدها !؟

وحاولت أن أهدئ من غضبه، ومن ثورته، فقلت: "يا سيادة المشير، السياسة لها أحكامها، ومن المحتمل أن رئيس الدولة، أراد أن يبعث برسالة إلى الخارج، في هذا التوقيت، يقول فيها أن هناك مرحلة جديدة تبدأ.. وأنت تعرف، أن الشيء التقليدي والطبيعي في السياسة، أن تجسيد بدء مرحلة جديدة، لابد أن يمر بتغيير القادة وكبار المسئولين.. ولذلك أرجو أن تعلو فوق مشاعرك، وتعلو على جراحك، وأن توافق على حضور العرض".

ولم يقتنع المشير.. ولم يحضر العرض.

وحاولت كذلك، أن أجعله يتقبل، نفسياً، فكرة مجيء كمال حسن علي، الوزير الجديد، بعد دقائق، لتحيته، ولمحاولة إقناعه من جديد، بحضور العرض،.. غير أن غضب المشير كان قوياً، وكان أقوى من كل محاولاتي، لتهدئته، ومحاولة كمال حسن علي، أيضا.

وغادرت بيت المشير الجمسي، برفقة كمال حسن علي، وأنا أفكر بيني وبين نفسي، في لعبة السياسة، ومفاجآتها، وتحولاتها.. تماما مثل قانون الحياة !

الفصل الثامن والعشرون

وقائع آخر لقاء مع السادات

القدر يمنعني من أن أكون بالمنصة عند اغتيال الرئيس

عقب اعتقالات سبتمبر الشهيرة، في عام ١٩٨١، حضرت إلى القاهرة، من باريس، للقاء السادات، بناءاً على طلبه، لكي يسمع مني خلفيات وتفاصيل محاولات اغتياله، في فيينا، التي رويت وقائعها، في فصل سابق

وعندما جلست إليه، فوجئت بأنه يوجه الكلام لي، ويخاطبني، وكأني لا أزال مديرا للإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية، ونسي أني كنت قد تركت هذا الموقع، منذ أكثر من ست سنوات.

قال لي بكثير من الضيق: "موقف الإعلام في الغرب، من موضوع اعتقالات سبتمبر، مفاجأة بالنسبة لي، وأنا لم أعد أفهم هؤلاء الناس.. هل هم يجهلون اللعبة السياسية الكبرى التي تدور الآن في الشرق الأوسط، وهل يجهلون أني بصدد إنهاء المرحلة الأخيرة من مهمة السلام واسترداد الأرض وأهمية تحييد دور المزايدين إعلامياً وسياسياً".

ثم قال وهو يتكلم عن الذين اعتقلهم في سبتمبر: "يا ابني هؤلاء الذين تم القبض عليهم " فاتحين مكلمة" للتشكيك في كل شئ، وخاصة الأشياء المتصلة بإسرائيل والعلاقة معها، وأسلوب تعاملي مع اليهود.. ومناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل يحاسبنا على آخر كلمة قلناها، وليس على آخر عمل عملناه، عشان يتحجج ويعرقل إعادة الأرض".

ثم أضاف الرئيس بحدة وحزم: "يا ابني المسألة عندي واضحة وضوح الشمس، هؤلاء الناس، أي الإسرائيليون، كأنهم "واخدين حقنة بنج" من يوم زيارتي للقدس، ولو أفاقوا لن يعيدوا ما تبقى من سيناء،.. والالتزام الأكبر لرئيس مصر، هو إعادة آخر شبر من أراضيها إليها".

ثم قال: لتعرف قيمة كل شبر من أرض مصر، عند هذا الشعب، أسألك: هل مازلت تذكر اسم مكان على أرض مصر، أسمه واحة "جغبوب" ؟!

وقبل أن أجيب راح هو يشرح لي: "لعلمك، هي منطقة قرب الحدود مع ليبيا، لم يزرها إنسان في مصر، إلا نادراً جداً، ولا يعرف مكانها أحد على خريطة البلد.. ومع ذلك، فعندما قيل أن إسماعيل صدقي باشا، قبل الثورة، تنازل عن جغبوب ظل متهماً بالخيانة إلى آخر يوم في حياته".

رغم انه لم يكن خائنا.. ولكن كثيرين تصوروا أنه فرط في جزء من الأراضي المصرية !!

ثم زاد صوته حدة، وهو يقول بعنف: "لو إبني نفسه وقف عقبة دون استردادي للأرض، ودون إعادة آخر شبر منها.. سأذبحه !!!"

ساعتها، رأيت في وجهه إصراراً، لا محيد عنه، وأدركت جيداً، بل أيقنت أنه لن يترك شيئاً، ولا شخصاً، يبعده عن الهدف الذي حدده أمامه، وهو إعادة الأرض كاملة في ٢٥ أبريل ١٩٨٢.

وأمام غضبه العارم، تجاه الصحافة الغربية، بسبب موقفها من إعتقالات سبتمبر، قلت له: سيادة الرئيس، يكذب عليك من يقول لك، أن بورصة سيادتك لم تتأثر في الغرب، بسبب هذه الإعتقالات.

ثم أضفت له باسما: ومع ذلك، أرجو أن تثق، أن رصيد سيادتك يسمح باستيعاب هذا التغيير الذي طرأ على البورصة !!

فضحك لأول مرة منذ جلست إليه، وقال مندهشا: "جديدة حكاية إدخال البورصة في لغة السياسة".

وانتهزت فرصة انخراطه في الضحك، وانحسار ملامح الغضب عن وجهه، فقلت: طالما أن هذه الإعتقالات مرتبطة بالمفاوضات مع إسرائيل، في مرحلتها الأخيرة، فمعنى ذلك أن هذه القضية، قضية الإعتقالات يا سيادة الرئيس، محلولة إن شاء الله، يوم ٢٦ أبريل ١٩٨٢؟!

ضحك للمرة الثانية وهو ينظر اليَ ويقول: "أنت عايز تاخد مني معلومات ولا إيه؟!"

قلت: حاشا يا سيادة الرئيس، ولكنه مجرد تخمين، ومجرد تخيل وتصور، لا أكثر.

ثم صمت قليلاً، قبل أن نتحدث عن خلفيات عملية فيينا، وعن المؤامرات التي اكتشفنا أنها كانت تحاك ضده، على المستوى العربي.

وحين تكلمت، أشرت إلى دور عصام السرطاوي، في تعقب الإرهابيين، أكثر من الإشارة إلى دوري.. وقلت له في شبه عتاب: لقد طلبت، منذ أكثر من عام، يا سيادة الرئيس، أن يتمكن السرطاوي من اللقاء بكم، لأني كنت أعلم أنه ارتبط بجرأة وجسارة، بمشروع السلام.

وقال السادات: "بأمانة، وصراحة، لم أكن أتخيل أنه يمكن أن يذهب في النمسا، إلى هذا الحد البعيد، في تعقب الإرهابيين الذين خططوا للاعتداء على حياتي، وسوف تتاح فرصة قريبة للقائه، وأبلغه أني لن أنسى ما قام به".

وعندما تطرقت إلى موضوع شقة سالزبورج، التي اكتشفنا أنها كانت ممتلئة بالسلاح، لاستخدامها في الاعتداء على حياته.. حينئذ، وأنا أروي له تفاصيل الموضوع، لاحظت أنه يبتعد بنظراته، ويتأمل في الأفق أمامه، ثم يقول: "لقد ذهبتم بعيداً، في تعقب هؤلاء المجرمين، وأتمنى أن نعمل نحن اللازم، خلال المرحلة القادمة، لحماية حياتك".

وأعترف أنه قال ذلك، بصوت ودود، وحنون، ثم أمسك بيدي، وكأن فكرة طارئة قد طافت بذهنه، وقال: ومع ذلك، "ما عملناش لك شخصيا، حاجة تُذكر"!!

واستنتجت أنه راح يفكر، احتمالاً، في أنه لم يعطني مسئوليات ومناصب معينة.

فقلت: "سيادة الرئيس، لقد حصلت على أهم شئ، وهو أن الظروف أتاحت لي أن أخدم مصر، ورئيسها، ثم أمنها القومي فى فيينا وغيرها أثناء معركة أكتوبر باختيارك لي، وهذا أعتبره نيشانا حقيقيا، أضعه على صدري".

أما بقية التفاصيل، التي وضعتها تحت تصرفه، فيما يتصل بعملية فيينا، فإنني أفضل الصمت، وأن أترك ذلك لسجلات التاريخ، احتراماً لخصوصيات الأمن القومي.

إن أمن مصر، أهم من العنترية، ومن استعراض العضلات في الكتابة.

وقبل أن أقوم من أمامه، طلب مني أن أعاود الاتصال بالقيادات اليهودية التي كان قد التقى بها من قبل في قصر المارينيه الفرنسي، وقال انه من المحتمل أن نحتاج إليهم للضغط على المفاوض الإسرائيلي فى المرحلة الأخيرة.

وخرجت من عنده، وفي نفسي شئ من القلق، غير محدد المعالم، ومن المحتمل أن سبب ذلك، يعود إلى تلك الشدة العصبية التي أحسست أنها تحتل كيانه وتسيطر عليه.. ولكني في الوقت نفسه، كنت متفائلاً، لأن مصر كانت على وشك استرداد ما تبقى من أرضها، لتعود إليها سيناء بالكامل.

وقبل أن أعود إلى باريس، ذهبت للقاء اللواء عليوه زاهر، رئيس مباحث أمن الدولة وقتها، والذي كانت تربطني به مودة كبيرة،.. وصلت إليه في منتصف الليل، وظللنا نتبادل الكلام، والتحليل، حول الموقف السياسي في ذلك الوقت، وعن مصادر القلق فيه، وأشياء أخرى،.. قبل أن يأتي موعد صلاة الفجر، فصلينا

معا، وأمر مدير مكتبه، محسن الحمزاوي، - الذي أصبح لواء فيما بعد ويربطني به موده لشهامته وكرمه والتزامه، بإعداد إفطار مبكر، تناولناه قبل أن ننصرف.

وفهمت من لقاء عليوه زاهر أنه قلق على أمن الرئيس وإصراره رغم المخاطر أن يزور مدن الإقليم ، وأنه غير واثق فى وصول المعلومات كاملة أليه.

ولم أكن أدري، وأنا أودعه، وضوء النهار يحيط بنا، أني لن ألقاه مرة أخرى، إلا بعد مقتل رمز الدولة ورئيسها.

وفي يوم ٤ أكتوبر ١٩٨١، كنت قد عدت إلى باريس، فتلقيت اتصالاً من مكتب الرئيس، يبلغني أن الرئيس يريد أن يراني، بعد العرض العسكري الذي سيقام يوم ٦ أكتوبر، وأنه من الأفضل أن أحضر العرض، وعندها سوف يتم إبلاغي بكيفية لقاء الرئيس، بعد انتهاء مراسم العرض، والمواعيد التي كان الرئيس قد ارتبط بها مقدما.

وحجزت مقعدي على أول طائرة إلى القاهرة، يوم ٥ أكتوبر.

وكنت قد فهمت من اتصال تليفوني، مساء ٤ أكتوبر، مع اللواء سامي الخطيب، الرجل الثاني في الشئون المعنوية بالقوات المسلحة وقتها، أنه تم حجز مكان لي، في منصة العرض العسكري، بجوار اللواء عبدالمنعم واصل، الذي أصابته رصاصات المعتدين، يوم العرض، وظل خاضعاً للعلاج فترة طويلة، وهو أحد أبطال حرب أكتوبر، الذين أحتفظ لهم باحترام وتقدير كبيرين..

وفهمت من اللواء الخطيب، أنه كعادته، في مودته وكرمه، سوف يأتي لاستقبالي في المطار.. واقترح عليَ، أن أبيت عند وصولي، في منزله بمصر الجديدة، حتى أكون على مقربة من أرض العرض العسكري، في الصباح.

وبدأت أتهيأ للحاق بالطائرة، وكان أهم شئ عندي، هو ترتيب الأوراق التي تحتوي على نتائج اتصالاتي مع القيادات اليهودية، كما كان الرئيس قد طلب مني، حتى أتمكن من عرضها عليه، عند لقائه بي.

ولسخرية القدر، ظللت أفتش عن الأوراق، فلم أعثر عليها، ورحت أفتش من جديد، دون جدوى.. وكنت أفعل ذلك، بسرعة وعلى عجل، بأمل أن ألحق بالطائرة، التي كان موعدها قد اقترب..

وكان أملي، كذلك، أن تتأخر طائرة مصر للطيران، "كعادتها"، وقتها حتى أستطيع أن ألحق بها.

ولشدة دهشتي، غادرت الطائرة المطار، في موعدها بالضبط، وكان ذلك من المرات النادرة، التي يحدث فيها ذلك.. وتخلفت أنا عن الطائرة !!

وباءت كل محاولاتي للبحث عن طائرة أخرى.. بالفشل.

ومن المطار، عدت بسيارتي إلى بيتي، وسمعت السائق وهو يتحدث إلى سكرتيرتي ويقول لها، أن الدكتور سوف يكون مزاجه صعبا، اليوم، بعد أن فاتته الطائرة..

والغريب، أن ما كان السائق يتوقعه، لم يكن صحيحاً.. على العكس، كنت أحس بهدوء سريرة، لم أحس به من قبل !!

وفي اليوم التالي، كنت في مكتبي، وقت الظهيرة، فإذا بصديقي "جان بييرالكباش" الذي كان يعمل في التلفزيون الفرنسي، يتصل بي، وهو يصيح: لقد قتلوا رئيسك، منذ دقائق، وأطلب منك الحضور، فوراً، إلى مبنى التلفزيون، للاشتراك في مداخلة ترد فيها على الفريق سعد الدين الشاذلي، الذي كان وقتها لاجئاً سياسياً في إحدى الدول العربية.

وبعد دقيقة عاد ليقول لي: لن تتمكن من الحضور، لأن الوقت يمضي بسرعة جنونية، وسوف نتلقى منك تعليقاً بالتليفون يذاع على الشاشة مباشرة.. وأذكر أنني رددت على هؤلاء الذين أرادوا أن يروجوا لفكرة محددة، وهى أن هناك انقلاباً في مصر.. فقلت لهم: كيف تتكلمون عن محاولة انقلاب، وأنتم ترون الإرهابيين، وهم يمسكون بأسلحتهم على بعد أمتار قليلة، من كل رموز الطبقة السياسية، والنخبة في مصر.. وما كان عليهم، لو كان الأمر انقلاباً كما تقولون، إلا أن يطلقوا رصاصاتهم، ويتم الانقلاب.. إنني أحب أن أعيد تذكيركم، بأنه حادث خطير، ودرامي، لأنه أغتال زعيماً، وقائداً، وصاحب قرار ولكنه ليس إنقلاباً.

وأضفت في مواجهة الأصوات التي علت من عدة عواصم عربية، عقب عملية الاغتيال.. وقلت: ليتذكر هؤلاء جميعا، أن شعب مصر لم يقبل يوماً، أن يتجرأ أحد، على مهاجمة بلده، أو نظامه الحاكم، من خارج أراضيه الوطنية.

ولم تذرف عيناي الدموع، إلا بعد أن أديت واجبي المهني، والإعلامي، كرئيس لمكتب الإذاعة والتلفزيون، في أوروبا، فكنت أبعث بردود الفعل هناك، أولا بأول، إلى القاهرة.

وعدت إلى بيتي، لأشاهد على شاشة التلفزيون حديثاً سبق للتلفزيون الإسرائيلي أن سجله مع السادات، واستوقفني سؤال وجهته إليه مذيعة البرنامج: أمام مبادراتك الجريئة، ألا تخشى من أن تتعرض يوما للاغتيال، أو للاعتداء على حياتك ؟

وأجاب السادات: "أنتم في الغرب تخلطون بين الاعتداء، ومحاولات الاغتيال، وبين قدر نهاية الحياة.. فالاعتداء قد يصيب أو لا يصيب، أما نهاية الحياة، فهي قدر مكتوب للإنسان منذ ولادته،.. ولا تغيير في هذا القدر، مهما كثرت وتعددت محاولات تقصير العمر، بالاعتداء أو بمحاولات الاغتيال".

ولم يهدئ من روعي، ولا من حزني، وألمي، في ذلك اليوم، إلا قراءاتي لبعض آيات القرآن الكريم، إلى جانب دموعي التي كنت أذرفها دون أن أدري..

وانشغل ذهني، طوال الليل، بعلاقتي بهذا الرجل العظيم، منذ أول لقاء في ميت أبوالكوم، وحتى رحيله الدرامي.. ووصلت إلى قناعة هي أقرب إلى اليقين، بأن السادات كان عملاقاً، بكل المعايير، وكان إنساناً أيضاً، بحجم شخصيته، الضخمة والهائلة، وبحجم قدرته على صنع واتخاذ القرار، وكان – كما قلت – إنساناً يخطئ ويصيب، وهذا هو شأن العمالقة دائماً...

الفصل التاسع والعشرون

مستقبل السلام بعد السادات! ومستقبلي أيضاً..

- مصر بسبعة آلاف عام حضارة لم تخن عهداً.. ولا عَقداً..
- زيارة إلى بلد أعداء الأمس.. إسرائيل ولقاء رابين وبيريز..

بعد وفاة الرئيس السادات، قامت إسرائيل بحملة إعلامية ضارية، تعبر من خلالها، كالعادة، عن قلقها وتشاؤمها للمستقبل، بعد أن رحل الرجل الذي وقع معها على اتفاقية كامب ديفيد.. وكانت أصوات الحملة تقول، أن تل أبيب لا تعرف إلى أين يذهب المستقبل، ولا إلى أين يكون المصير

وتمادت الحملة إلى أكثر من ذلك، فجعلت من ٢٥ أبريل ١٩٨٢، تاريخ عودة بقية الأراضي المصرية إلينا، خرافة إعلامية، تحت عنوان: وماذا بعد ٢٥ أبريل ؟!

ولن أنسى دعوة تلقيتها، لحضور مؤتمر نظمته الجمعيات اليهودية الأوروبية، في قصر المؤتمرات بباريس، على بعد خطوات من الشانزليزيه.. وكان انطلاق أعمال المؤتمر، في نفس التوقيت الذي خرجت فيه الحملة الإسرائيلية الكبرى " ماذا عن مستقبل السلام بعد مقتل السادات".. وبعد تردد كبير، قررت كعادتي في معالجتي لموضوع إسرائيل، وكما اتضح في أكثر من موقف، في هذا الكتاب.. أن أقبل التحدي، وأن أكون حاضراً.

وقد حضر المؤتمر بضعة آلاف من الفرنسيين والأوروبيين، وكان انعقاده تحت نفس الشعار: ماذا عن السلام بعد السادات ؟!

وعندما جاء دوري لألقي كلمتي، فاجأت الحاضرين بأن قلت: من حقكم جميعاً، أن تسألوني، وأنا بالذات، باعتباري المصري الوحيد في هذه القاعة، اليوم، عما بعد ٢٥ أبريل ١٩٨٢.

وبأسلوب هو أقرب إلى لغة المسرح والدراما، قلت لهم: هل تريدون فعلاً أن تسمعوا رداً مني ؟! ودوت القاعة بكلمة: نعم !

قلت: بعد ٢٥ أبريل ٨٢، لا شيء جديد إلا ٢٦ أبريل ٨٢.. يوم مثل سائر الأيام الأخرى..

ثم صحت في غضب: ما الذي تريدون أن ترسلوه للعالم كرسالة، من خلال قلقكم هذا، غير العادي، عن المستقبل بعد ٢٥ أبريل ؟! ماذا تظنون ؟! وفيما تشكون.. هل تظنون أن مصر يمكن أن تحنث في عهدها، وأن تمزق اتفاقها، وتوقيعها على كامب ديفيد ؟!

ثم قلت: "أظن أنكم تجهلون التاريخ.. فمصر صاحبة السبعة آلاف عام من الحضارة، لم يسجل لها التاريخ يوماً، أنها خانت العهد، أو رفضت احترام العقد.. على العكس، كل تاريخكم أنتم ملئ بحالات من تمزيق الاتفاقيات، وترك الأمر الواقع، يخالف العقد، والكلمة، والوعد، والعهد.. إن مبارك فضلاً عن إنه رئيس مصر، فهو قائد عسكري يعرف أن الكلمة لا يمكن إلا أن تكون كلمة وعد، أن احترام الكلمة جزء من الشرف العسكري".

ضجت القاعة بالتصفيق، وقوفاً، وفوجئت بكلود لانسمان، الكاتب اليهودي الشهير، يصعد إلى المنصة ليقبلني أمام الجميع، ويقول للجمهور بتأثر شديد: "لن أستطيع أن أخاطبكم، ولن أستطيع أن ألقي كلمة كنت قد اعتزمت أن ألقيها عليكم.. إن صوتي الذي يتحشرج تأثراً بما قاله الدكتور علي السمان، لن يسعفني على أن أقول شيئاً.. فشكراً للدكتور السمان، على هذا الدرس الذي لقنه لنا، عن مصر، وعن تاريخها، وعن مواثيقها".

وهنا، أذكر بكل الفخر والشرف، المفاوضات الخاصة بطابا، وكيف ساهم العقل المصري فيها بكوكبة من أذكى، وأنبه، وأعلم أبنائه من رجال القانون الدولي، بدءاً من الدكتور وحيد رأفت، ومروراً بالدكتور أحمد القشيري، ثم السفير والدكتور نبيل العربي والدكتور مفيد شهاب.. وغيرهم.

السيف والعلم، أوصلا مصر إلى بر الأمان، لتسترد، بعد معركة قانونية ومناورات سياسية شرسة – أمام محكمة العدل الدولية – ، آخر ذرة تراب من سيناء، وللأمانة أقول، **"وأنا أعترف بأني "بخيل" في الكلام عن رئيس الدولة، خشية من شبهة النفاق.. أقول أن هذا الرجل، حسني مبارك، قاوم خلال فترة المفاوضات، بل ومنذ توليه الحكم، إلى استرداد الشبر الأخير من سيناء.. قاوم المحاولات المستميتة من الجانب الإسرائيلي، لإثارته، ودفعه إلى أية غلطة تكتيكية.. بل أنني أتصور، أنه قد مارس بكثير من العزيمة والإرادة، "يوجا ضبط النفس" ليروض نفسه على استيعاب مناورات الطرف الآخر، وليبقى محتفظاً بكل قواه، من أجل تحقيق الهدف الذي لم يحد عنه، بأي درجة".**

ولا أنسى يوم استلام مصر لطابا، فقد انتابتني موجة حزن مفاجئة، وعارمة، وكان سببها صاحب قراري الحرب والسلام، لم يكن مشاركاً في عيد استرداد آخر شبر من أرض مصر، الذي من أجله قال لي، إنه لن يتردد بالتضحية بابنه، إذا ما وقف في سبيله إلى تحقيق هذا الهدف !

زيارة إلى بلد أعداء الأمس.. ومنافسي الغد..

مصر تكاد تكون الدولة العربية الوحيدة من دول الجوار التي يفصلها عن إسرائيل حدود شاسعة من الصحراء ، فلا لقاء خلال التاريخ إلا من خلال معارك عسكرية وبالتالي ظلت إسرائيل، منذ مولدها في ١٩٤٨ وحتى كامب ديفيد ، تعتبر قانونًا العدو، وأمنيا العدو، وكذلك جغرافيا عدواً ، وبعد اتفاقية كامب ديفيد ذهب وفد على مستوى عالٍ من رجال أعمال مصر في ١٩٩٤ لزيارة إسرائيل، والتقى مع رئيس الجمهورية وقتها، عزرا فايتسمان، وكذلك مع شيمون بيريز،.. ورجال الأعمال أينما وجدوا في أي بقعة من الأرض، فإنهم يمكن أن يجدوا أرضية للتبادل والبيع والشراء ، ولم تكن إسرائيل استثناءاً من هذه القاعدة. واكتفي في هذه الرحلة بأن أسجل بعض الملاحظات العابرة:

إنه حينما التقى الوفد بشيمون بيريز وزير الخارجية، أثاروا معه مطلباً قديماً وأساسياً للكنيسة المصرية والقبطية وهو استرداد الطريق الذي يمر أمام كنيستها في القدس، ويسمى "دار السلطان" الذى استولت عليه الكنيسة الحبشية ظلما. ورفضت إسرائيل أن تنفذ أكثر من حكم قضائي يعطي للكنيسة المصرية حق استعادة هذا الطريق.

وبدأ أكثر من عضو في الوفد المصري يوضح أهمية حق الكنيسة في استرداد هذا الطريق ، واستمع شيمون بيريز إليهم ثم فاجأني بقوله بحكم معرفتي به "لم نسمع د/ علي السمان" ، فقلت له: "سأكون آخر المتكلمين" ، وفعلا حينما أخذت الكلمة، قلت له: "يهمني أن أقول أن كل من تكلموا حتى الآن مسلمون ، إذن حق الكنيسة المصرية هو موضوع قومي بالنسبة لكل مصر، ورد عليَّ: "لقد وصلتني الرسالة "ثم شرح لي عندما انفردنا، أن هناك اتجاهات في الحكومة الإسرائيلية تود مجاملة حكومة أثيوبيا بترك هذا الطريق لها ولكنيستها ، حتى تسهل هجرة يهود الفلاشا من أثيوبيا إلى إسرائيل.

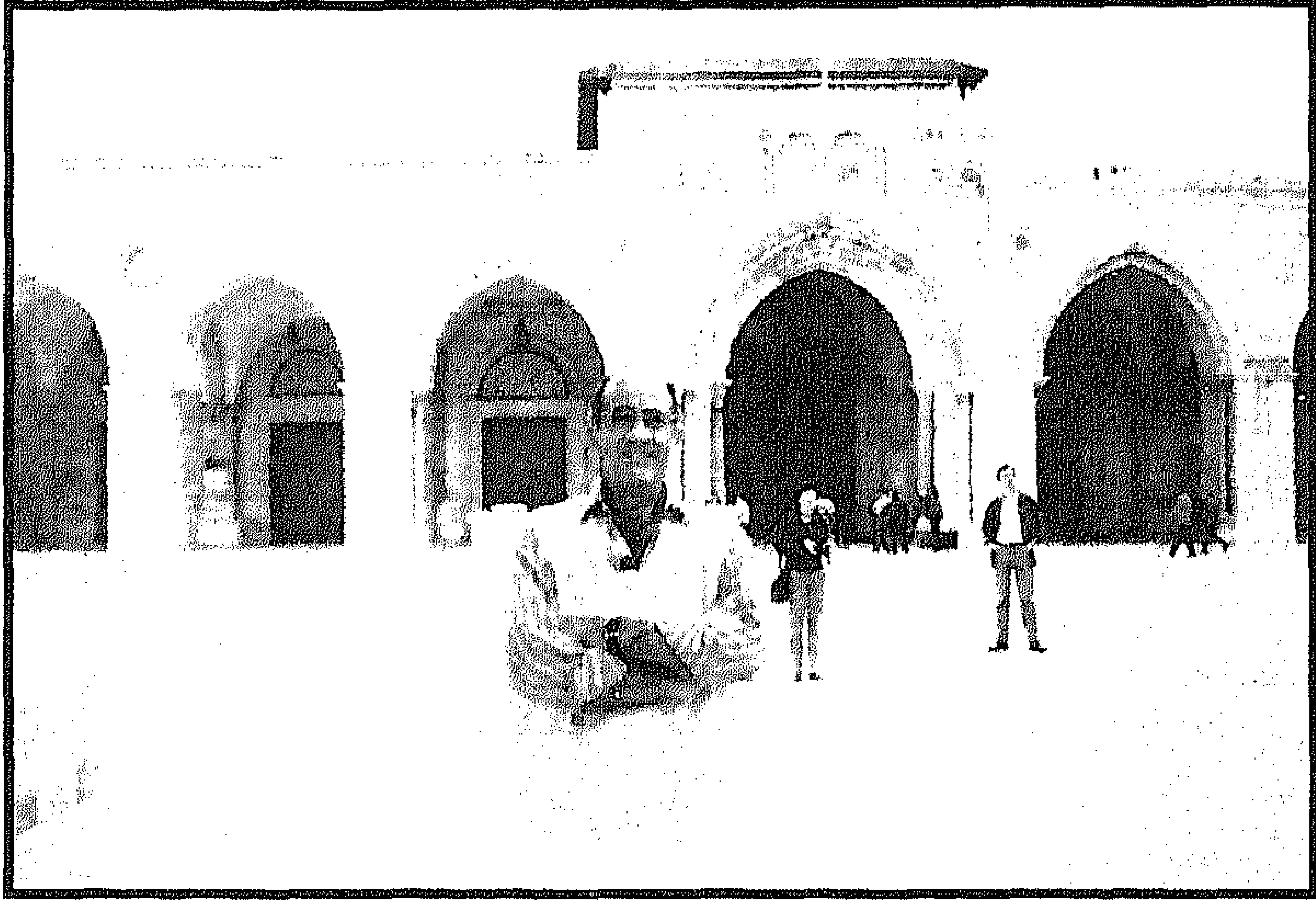
ومازال للأسف دار السلطان بيد كنيسة الحبشة ومازالت إسرائيل على موقفها..

رابين والسفير محمد بسيوني

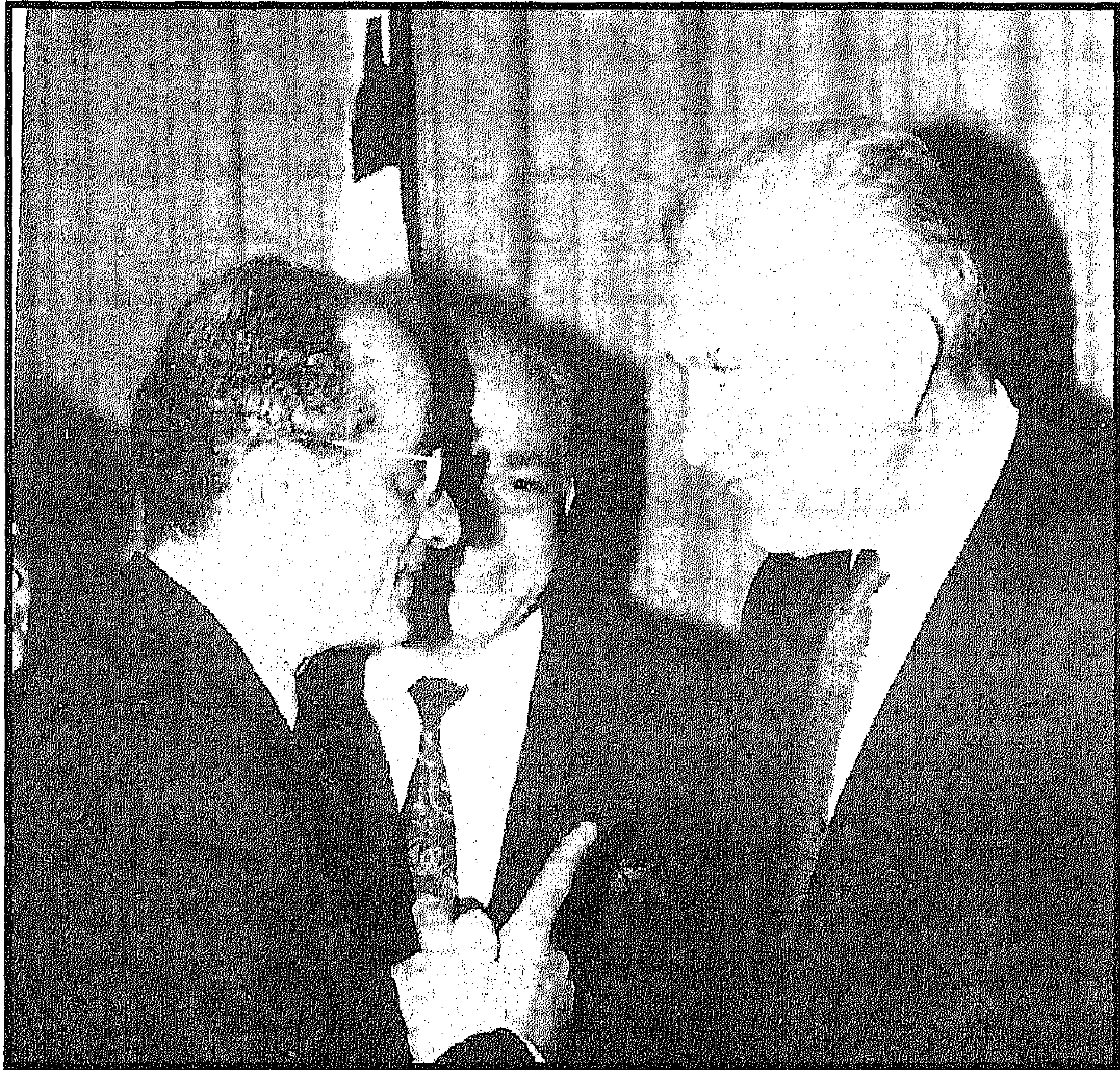
ودعاني الصديق السفير محمد بسيوني سفير مصر في إسرائيل وقتها لنحضر حفل إعطاء جائزة تقدير من جامعة بئر سبع في إسرائيل لرابين وكان في مدرج الجامعة أكثر من ألف شخص، وفوجئت بشعبية غير عادية يتمتع بها سفيرنا، فلقد كان أناس ينتقلون من أقصى جوانب المدرج ليأتوا لتحيته بحرارة، ثم ذهبنا للسلام على رابين، فوجدته يعانق محمد بسيوني بحرارة، وأسرّ في أذني أحد الصحفيين الإسرائيليين وقال لي: " لقد انتقد كثير من الصحفيين الزيارات المستمرة لرابين لبيت السفير محمد بسيوني" وقالوا له: " هل ستكرر هذه الزيارات لبيوت باقي السفراء؟" ورد عليهم باعتدال: "لم أذهب إلى السفير محمد بسيوني، ولكن إلى الصديق محمد بسيوني ومن حق رئيس الوزارة أن يكون له صديق" وحينما اقتربت من رابين للسلام، قال لي:" عرفت أن هذه أول زيارة لك لإسرائيل ، وأريد أن أسألك عن شعورك تجاه هذه الزيارة" فقلت له: "لاحظت إنه عندما كنت أطلب زيارة إحدى المدن أو المواقع في إسرائيل التي تعني تاريخيا بالنسبة لنا شيئا، كانت الإجابة دائما: هذه الرحلة يمكن إنجازها بالسيارة فى ساعة أو ساعتين ولم اسمع عن رحلة تأخذ خمس ساعات" ، وقال لي رابين: "أنت هنا أمام بيت القصيد في إحساس الشعب الإسرائيلي بمحدودية المكان ، ولكنه نظر إليّ وهو يضيف: "ولكن ذلك ليس سببا لأن نغامر بالتوسع" .

- وحين دخلت إلى المسجد الأقصى بقلب وروح وعقل مسلم، أحسست وكأن فيلما لقرون من الصراع والمعارك حول هذا المكان الذي يحمل إسم السلام، يمر أمام عيني وعندما انتهيت من صلاة تحية المسجد ، وجدت نفسي أجلس هادئا وأنا أفكر وأتأمل كيف أن كل قرون الصراع والمعارك لم تنته بعد، وعندما خرجت إلى الساحة وطفت في شوارع القدس الغربية والقدس الشرقية، أحسست أنه لو شاء الله خيرا لشعب إسرائيل وشعب فلسطين والشعب العربي، لاتفق الجميع على أن القدس الشرقية هي عاصمة فلسطين ولتكن القدس الغربية هي عاصمة إسرائيل، لأن السلام يمكن أن يفجر معجزات فيقبل كل منهما الآخر.

ولكني أصارح القارئ بأنني شعرت بداخلي بنوع من المهانة وأنا أرى الجنود الإسرائيليين يطوفون في ساحة القدس، بحجة الأمن، وهو ما يصعب تبريره فى هذه البقعة المقدسة، في عقيدة المسلمين جميعا.. أي مليار مسلم.



د. علي السمان أمام المسجد الأقصى بالقدس



د. علي السمان مع الرئيس الإسرائيلي فايتسمان فى بيته..
وبينهما سفيرنا محمد بسيوني فى عام ١٩٩٤

لقاء حي على البحر الميت

وبعد انتهاء مؤتمر رجال الأعمال ، دعاني شيمون بيريز لحضور مائدة مستديرة لحوالي ثلاثين شخصية في البحر الميت، ودعا من مصر أيضاً الأخ حسين سالم رجل الأعمال الكبير.، ولما سالت شيمون بيريز عن الحكمة لدعوتنا نحن بالذات، قال لي: إن الشركة الأمريكية التي نظمت المؤتمر، اشترطت في المدعوين شرطين: الأول: ارتباطهم بالسلام بصفة عامة وهذا ينطبق عليكما، والثاني: أن يكونا قد ساهما في إقامة مشروع عملاق ناجح وبالنسبة لسالم فإنه نجح في إقامة مشروع معامل تكرير البترول غرب الإسكندرية، أما بالنسبة لك فلقد فهمت من الأمريكيين أنك من الذين ساهموا في إقامة مشروع شبكة التليفونات مع الكونسيرسيوم الأوربي ونقل مصر من عهد إلى عهد آخر على مستوى الاتصالات.

وعرفت مرة أخرى أنه لا شيء يخفى على أصدقائنا الأمريكان...!

وكان هذا الاجتماع نقيض اجتماع الدار البيضاء فى المغرب الذي كان بمثابة "سوق عكاظ" لأكثر من ألفين من رجال الأعمال العرب والشرق أوسطيين والإسرائيليين،.. أما اجتماع البحر الميت كنا أقل من خمسين شخص لا نفكر في المصالح التجارية العالية ولكن كنا نفكر فى النظرة المستقبلية للشرق الأوسط وسمح مستوى الحاضرين بتخيل واقعي يربط بين الواقع السياسي والمشروع الاقتصادي للمنطقة، وكذلك تمكنت المجموعة من إعطاء تصور يفرق بين المشروعات قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل، وحينما ركبت الطائرة عائدا إلى القاهرة، وجدت نفسي على غير موعد مع مقولة تشر شل التاريخية:

"لا يوجد أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمين ولكن هناك مصالح دائمة"

وإنه بالنسبة للمصالح في المستقبل يهيأ الي دون أن أكون منجماً أن هناك مناطق يمكن أن نتعاون فيها وتكون مفيدة للطرفين ، وهناك موضوعات أخرى تكون المنافسة فيها شديدة لأن هذه سنة الحياة الاقتصادية ، فالسلام لا يمنع المنافسة والمنافسة لا تمنع السلام.

.. ولأول مرة بعدها، أي بعد انتهاء هذه المرحلة، شعرت برغبة محارب في أن يستريح، بعد أن استغرقت المعارك من عمره ما يقرب من ٥٠ عاماً.. وجدت نفسي راغباً في أن أخطو خطوات إلى الوراء، وأن أستقيل من العمل العام.. وكان أصدقائي يسألونني: لماذا تستقيل الآن، وأنت في ذروة نجاحك المهني، على مستوى الإعلام.. وكنت أقول لهم، ما كنت أعتقده فعلاً، وهو أنني أريد أن أكرس ما

بقي من العمر لقراءة ما لا يُغفر لي، أنني لم أقرأه، وأن أشاهد كل ما لم أستطع أن أراه من أماكن في العالم.

علي السمان ... المحامي...

وعدت إلى البيت الكبير، إلى نقابة المحامين، لأستظل بها، حتى ولو كانت ممارستي بها، أي في هذا البيت، نادرة.. إذ كنت أكتفي فيها، بقراءة ملفات القضايا الكبرى، دولياً، و إقليمياً، ومحلياً وكنت أهتم من بعيد بمتابعة قضايا الاستثمار.

وكأني بهذه الرغبة في القراءة، أريد أن أصل ما بين هذه الفترة من عمري، وبين شبابي، حين كنت أهوى جمع أوراق القضايا السياسية الكبرى، وقراءتها بهدوء وعمق، .. مثل: قضية اغتيال أمين عثمان، وتفجير سينما مترو، وقتل المستشار الخازندار.. وكنت أحرص على الإطلاع على كل شئ، يتصل بها، بدءاً من التحقيقات، ومروراً بالأحكام، وانتهاءاً بالحيثيات..

وكان اكتشاف البوليس السياسي، لهذه الملفات، في بيتي، حين داهمه في شبابي، بمثابة الدليل المادي – في فهمهم – على أن هذا الطالب المشاغب، متهم باهتمامه "بالجريمة السياسية".

وكان القدر دائماً رفيق طريقي فى كل نقطة تحول فى حياتي، فقد تصادف أن تعرفت بالدكتور محمد حموده وهو يعد رسالة دكتوراه لجامعة السربون وقدمه لي قريبه وأخي وصديقي الراحل الدكتور فتحى نجيب وكان فخوراً به، وحصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى وحضرت المناقشة كعضو بجانب الأستاذة الكبيرة جاكلين ديفيلير التى أكن لها احتراماً كبيراً لعلمها الوافر وذكائها الوقاد ودماثة خلقها، وكان لها تقدير كبير للدكتور حموده وقالت لي بعد المناقشة : "الدكتور محمد حموده خلق ليكون محامياً وسينجح" ، ويشاء القدر أن يكون "الشاب" د. محمد حموده هو الوحيد الذى ينجح فى إقناعي بتنشيط دوري فى المحاماة وان أكون شريكاً معه فى مؤسسة قانونية عربية ودولية.. ووضعنا لأنفسنا مبدأ الأمانة والخلق قبل الأرقام والمال.

وكان الدكتور محمد حموده قد أبهرني وهو يقرأ أمامي قبل مناقشة الدكتوراه دوسيه قضية خاصة بي من ٥٠٠ صفحة فى ليلة واحدة دون توقف وأن تقع عينيه على النقاط الواجب التوقف أمامها.

وبدأت مرحلة جديدة فى حياتي بعد السبعين تبدأ بعبارة "الدكتور علي السمان المحامي.." ، لست أدري ماذا يخفيه القدر عني من مفاجآت جديدة وتحولات فى مجرى حياتي ، "فإن علم ذلك عند ربي..".

ولم أستطع أن أبعد عن الإعلام..

ولكن.. بقيت علاقتي بالإعلام قائمة، وممتدة، ففكرت في مشروع للمستقبل، يخدم مصر من خلال الإعلام الاقتصادي، الذي كنت، ولازلت أعتبره إعلام الغد..

فأنشأت في عام ١٩٨٤ الجمعية المصرية الأوروبية للإعلام الاقتصادي، وهي جمعية لا تهدف إلى الربح بطبيعة الحال، وكان إنشاؤها وتسجيلها بمدينة "فريبورج" في سويسرا.. وقد ضمت، منذ نشأتها، صحفيين متخصصين في كبريات صحف العالم، من الفايناناشيال تايمز الإنجليزية، إلى "لوموند" الفرنسية، و "موندو ايكونو ميكو" الإيطالية، وغيرها من الصحف العالمية، ودعوت من مصر إسمين كبيرين لهما خبرة كبيرة، وطويلة في الإعلام والصحافة الاقتصادية، هما: الأستاذ إبراهيم نافع، والأستاذ سعيد سنبل.. وفي احتفال بفندق الكريون بباريس أُنتخبت سكرتيراً عاماً لها.. وقدرت ومازلت أقدر، أن أول منحة مالية جاءت للجمعية، كانت من شركة "سيمنس" الألمانية، التي قلت عنها من قبل، أنها كانت طرفاً في عملية التنمية في مصر وليست مجرد تاجر يبيع ويشتري.

وحددت للجمعية أهم مبادئها، وهي أنها لا تنشغل بالدعاية الاقتصادية، لأي من الطرفين، مصر أو أوروبا، ولكن تكتفي بالإعلام الاقتصادي.. وفعلاً بعد إنشائها بعامين، أتممنا دراسات وافية عن مشروعات البنية الأساسية، في مجالات الكهرباء، والطاقة، والاتصالات، والسكك الحديدية، وكانت هذه الدراسات محاولة للرد غير المباشر، على سؤال يثار من وقت لآخر، خاصة في أوروبا، وهو: أين أنفقت مصر ديونها ؟!

وحينما يطالع المختص، أو الباحث، أو المتابع لشئون الشرق الأوسط، هذه الدراسات، فإنه يصل للإجابة الصحيحة على هذا السؤال..

وكانت آخر هدايا مستشار النمسا السابق، كرايسكي، لي، هو قبوله الرئاسة الشرفية للجمعية.. وكتب في تقديمه لأولى الدراسات التي صدرت عنها، يقول: **"لو حدث أن كل ديون العالم أُنفقت بهذا الشكل الإيجابي، على مشروعات بنية أساسية، فسوف تكون هذه الديون، بلا شك، أكثر الديون مشروعية كما حدث فى مصر".**

وفي هذه الجمعية، اكتشفت حجم الدور الإيجابي الذي قامت به خبيرة الإعلام الاقتصادي الأمريكية، فكتوريا هاربر، التي عرف جديتها، ودقتها، عدد كبير من وزراء مصر.. فلم تكن، وهي تدرس أي مشروع، تقتنع بأي رقم يعطونه لها، من جهة المسئولية المباشرة.. بل كانت تفضل دائماً، أن تقارن هذه الأرقام، مع أرقام أخرى، من جهاز المحاسبات، وأحياناً من البنك الدولي.

وبعد سنوات، من عمل الجمعية، كان من حظها، أن تتجه إلى المشروعات العملاقة في مصر، مثل توشكي، وترعة السلام.. وأصدرنا كتيباً أنيقاً، وشيّقاً، عن توشكي، بأسلوب عصري وحضاري باللغة الإنجليزية، يتعامل مع المشروع بالطريقة التي تجعل القارئ ، يتعرف على الحدود الحقيقية للأمل في توشكي..

ولعل هذا الكتيب، كان فرصة نادرة لي، ولفكتوريا هاربر، كي نتعرف على محمود أبوزيد وزير الرى، صاحب الشخصية الجادة جداً، والمتواضعة والعالمة.

ولقد زارت فكتوريا، المشروع، أكثر من مرة، ولا أنسى يوم قالت لي: أن أهم ما في هذا المشروع، هو الإنسان المصري الجديد، الذي يعمل فيه هناك.. فحين عرف هذا الإنسان مهمته، وتدرب عليها، ووجد الإطار الاجتماعي، من مسكن، وراتب، وغيرها.. أصبح الجميع مرتبطين بالمشروع، ولا يريدون ترك الموقع، لأنه بالنسبة لهم، أصبح وطناً ثانياً.

وبالنسبة لي، بقى توشكي، كمشروع، ملاذاً خاصاً جداً، أذهب إليه، عملاً أو فكراً، حين أريد أن أهرب من مناورات وإحباطات القاهرة.. هناك أشعر أنني أرى مستقبلاً واضح الملامح، والمعالم، والأرقام، والنتائج، والخير أيضاً.. هذا الخير الذي سيعود، بالقطع، يوماً، على أفراد هذا الشعب.

أنا أعلم التحفظ والنقد لهذا المشروع وبالنسبة لي أقول مثل ما قيل بالأمس عن السد العالي .. هناك مشروعات أهدافها طويلة الأجل تاتى ثمارها لجيل قادم يجد دلتا جديدة فى الجنوب تستوعب جزءاً من مليون طفل قادم كل عام ..!!

وكنت أحرص أيضاً على أن تكون الدراسات كلها، التي تقوم بها الجمعية، حول توشكي، أو غيره من المشروعات، بلغة إنجليزية عالية، تستهدف — في الأساس — المستثمر الأجنبي.

ولا أستطيع أن أتكلم عن توشكى دون أن أتكلم عن بحيرة ناصر، ومستقبل الثروة السمكية بها، وبالتالي عن اسوان والوجه الجديد المشرف لها فى شوارعها الرئيسية وكذلك احيائها الشعبية، ويجرنا الكلام عن أسوان للكلام عن هذه

القيادة المتفردة.. محافظ اسوان اللواء سمير يوسف، الابن البار لمدرسة معركة أكتوبر، التى علمتنا أسلوب، وجرأة التصدى للمشاكل، والتخطيط الجيد لحلها.

وما دمنا نتكلم عن نجاح تجارب تنمية المحافظات، فمن الصعب أن ننسى الحظ الاستثنائى لمدينة الإسكندرية، لكى تنال حظها من التنمية، والتنظيم، والتجميل، بفضل خيال وقدرات، اللواء محمد عبدالسلام المحجوب، بجانب أدب وذوق فى المعاملة جعل تعبير "المحبوب" فى إسمه بدل المحجوب تعبيرًا عن تقدير الشعب السكندري لإنجازاته.

أسوان والإسكندرية يمثلان قيادتان أهداهما جيش مصر ومدرسته إلى الحكم المحلي فى مصر.

ثم جاء دور الاتصالات، والتليفونات، لتحظى بنصيب هام .. فى اهتماماتنا بالجمعية الأوروبية المصرية للإعلام الاقتصادي وكان التعاون مع الوزير أحمد نظيف وزير الاتصالات – وقتها – سيمفونية من العمل الجاد، والإيقاع المنتظم، وشارك فيها مجموعة العمل من حوله وعلى رأسها د. طارق كامل.. هذا العقل المنظم كالكمبيوتر مع تعبير سلس وأسلوب مهذب وكان من الطبيعي عند تشكيل وزارة د. أحمد نظيف أن يتولى مسئولية وزارة الاتصالات.

ومع رئيس وزراء مصر د. أحمد نظيف بدأت مرحلة جديدة من التعاون لتقديم أهداف الحكومة للرأى العام الدولي بدراسة جادة قامت بها جمعيتنا والتى اكتشفت من خلالها أن تمسك د. نظيف بأسلوب فريق العمل ليس شعاراً ولكن واقع فى تعامله مع جيل جديد من الوزراء الشباب يمثل وسيمثل نقلة جديدة فى حياتنا السياسية والاقتصادية ..

هذه، باختصار، قصتي مع الإعلام الاقتصادي، وهذه هي خطواتي، فيما بعد رحيل الرئيس السادات، على مدى بضع سنوات.

ولقد شاء القدر، أن تكون لي خطوات أخرى،فيما بعد ، ولكن في طريق آخر.

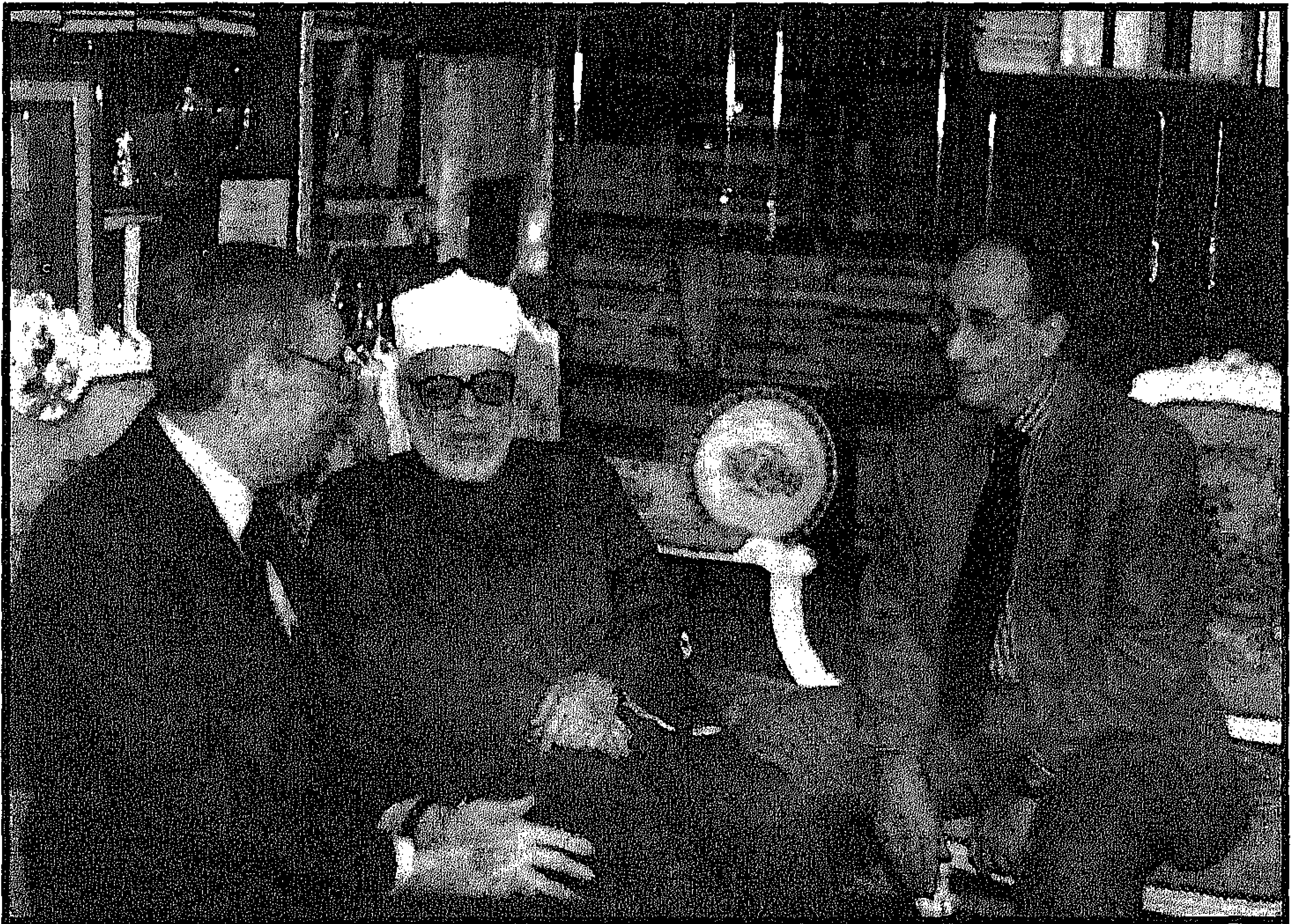
الفصل الثلاثون

رحلة البحث عن سكن لائق.. لشيخ الأزهر !

حج بيت الله بين الروح والقلب ..والعقل

فى العامين الأخيرين، من حياة فقيد الإسلام، الإمام الأكبر الراحل، فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، توثقت علاقتي به، وكنت أذهب إليه فى بيته، فى حي المنيل.. ولاحظت أنه يسكن الطابق الرابع، فى عمارة بلا مصعد، فى الوقت الذى كان يعاني فيه، خلال سنواته الأخيرة، من آلام فى الركبة، لم تكن تفارقه، مما دفعه إلى الذهاب إلى "برن" بسويسرا، للعلاج.

وما أذكره جيداً، أن صالون بيته، كان ضيقاً للغاية، بحيث إذا جلس فيه ضيفان متواجهان، فهناك احتمال كبير، أن تتلامس أقدامهما مع بعضها.



الإمام الأكبر الراحل، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، يستقبل في منزله الدكتور بطرس بطرس غالي ومعه الدكتور علي السمان

وذات يوم، كان الدكتور بطرس غالي، أمين عام الأمم المتحدة وقتها، يمر بالقاهرة، فأبدى رغبة فى زيارة مجاملة لشيخ الأزهر.. وتصادف أن شيخ الأزهر،

كان مريضاً وقتها.. فأصر الدكتور بطرس غالي على زيارته وقال: أنا على استعداد لزيارته فى بيته.. وقد كان بطرس غالي، حريصاً عند كل زيارة لمصر، أن يزور شيخ الأزهر، وقداسة البابا شنودة الثالث فى صحبتي.

وقلت للدكتور غالي: لو طلبت منه أن يستقبلك فى بيته، فسوف يرحب، ولكني أنبهك إلى أنه يسكن فى الطابق الرابع، وأن العمارة ليس بها مصعد

فقال بطرس غالي: لا يهم.

وذهبنا سوياً، وصعدنا ببطء شديد، نتحسس خطواتنا، حتى وصلنا إلى حيث يسكن الإمام الأكبر.

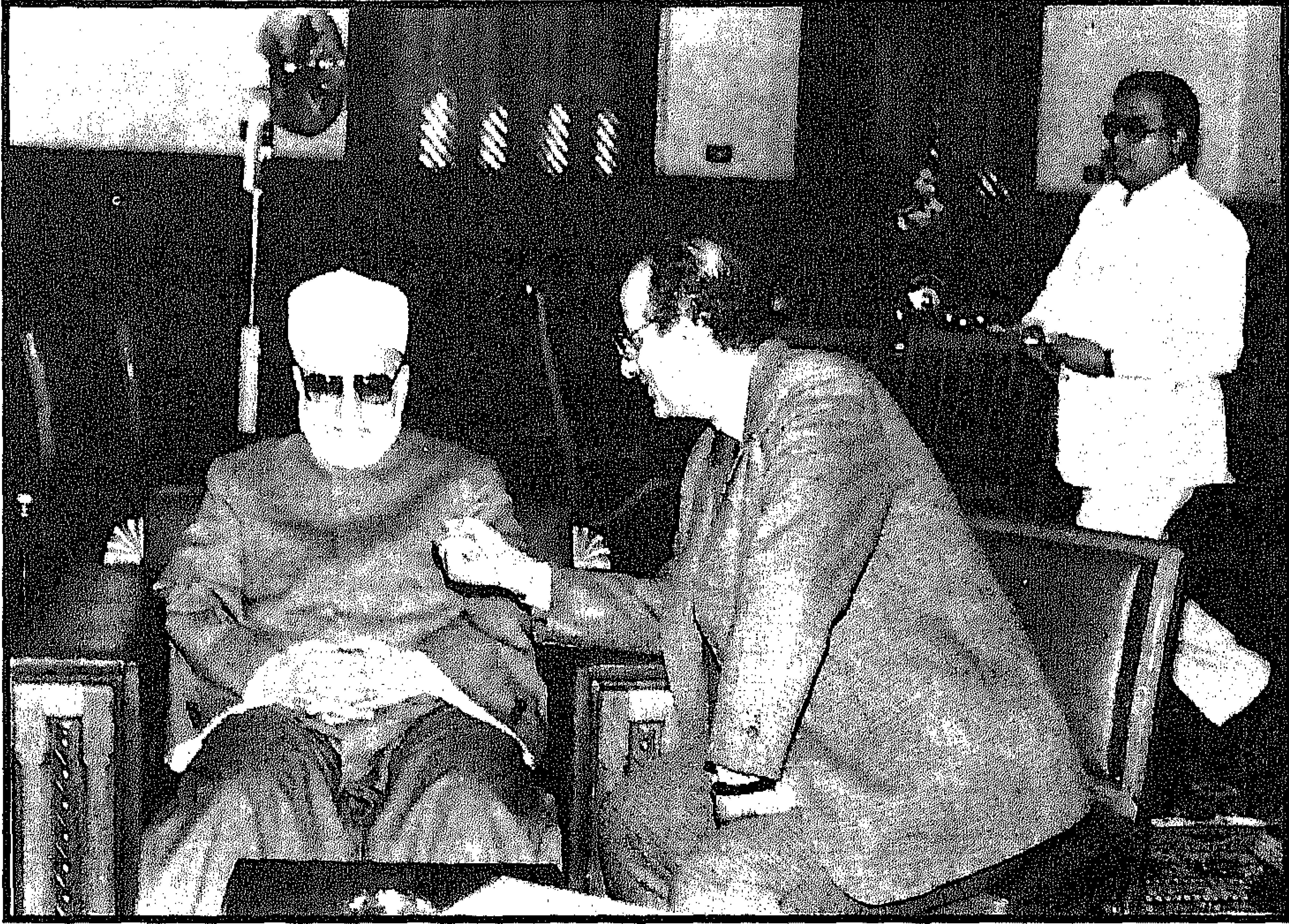
وحين انتهت الزيارة، وفى طريق عودتنا، قال لي الدكتور بطرس: أنا لا أفهم، مع كل ما تملكه الدولة، من شقق تابعة للأوقاف، أو لشركات التأمين.. كيف يجوز لها، أن تترك الرجل، فى هذا الوضع، الذى يثقل كاهله.

وفى زيارة لأخي وصديقي، الدكتور محمود جامع، فى بيته بطنطا، قصصت عليه ما حدث، من زيارتي مع بطرس غالي، لبيت الإمام الأكبر، فقال لي: أن الشيخ الشعراوي، حصل على شقة، تابعة لإحدى شركات التأمين، بعد عودته من السعودية، ودخوله الوزارة، وأضاف الدكتور جامع: "فى حدود علمي، لم يسكن الشيخ الشعراوي، هذه الشقة يوماً، ويمكنك بالتالي أن تطلب منه، أن يتنازل عنها لشيخ الأزهر، وأنا أعلم أن الشيخ الشعراوي يكن لك تقديراً كبيراً، منذ أن التقيت به، فى مكتبي بمستشفي المبرة، هنا فى طنطا.

وبالمناسبة، أقول أن مستشفي المبرة هذه، كانت نموذجاً صالحاً ومتفرداً، لأعلى إدارة لمؤسسة علاجية ترعى الإنسان، ويجد الفقير فيها مكاناً يرعاه

وللأسف، فإن الدكتور جامع، دفع بعدها، ثمناً غالياً، لأمانته ونظافته فى إدارتها، بتوجيه اتهامات ظالمة له فى المحاكم، قبل أن ينقذه القضاء المصري بتبرئته، بحكم هزت حيثياته دوائر كثيرة، بين رجال القانون فى مصر.

وسارعت بالذهاب إلى الشيخ الشعراوي، فى بيته بالهرم، فور انتهاء حديثي مع الدكتور جامع، وقلت له: لقد لاحظت، منذ مدة، مدى تواضع وضيق المكان الذى يقيم فيه شيخ الأزهر، ومعاناته فى الصعود يومياً، أربعة أدوار، رغم حالته الصحية، وعندي رجاء، أن تسمح لي، بأن أطرح معك موضوع الشقة الخاصة بك فى جاردن سيتي، وأن أسأل عما إذا كان من الممكن أن تتنازل عنها لشيخ الأزهر، فى حالة عدم احتياجكم لها.



د. علي السمان يتبادل الأفكار حول مستقبل الحوار مع فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

وكانت استجابة الداعية الكبير، فورية، وبحماس هائل، فقال لي: "هات ورقة وقلم"، وسأكتب أمامك خطاباً إلى رئيس الوزراء، أفيده فيه بأني على استعداد للتنازل عن هذه الشقة، للإمام الأكبر.

وأضاف الشيخ الشعراوي ببساطة: للأمانة يا إبني، أنا لا أذكر أني أقمت فى هذه الشقة يوماً.

وسلمت الخطاب إلى مكتب الدكتور عاطف صدقي، رئيس الوزراء، وقتها، وبدأت الإجراءات.. غير أن حزب قناصي الفرص، أقام العراقيل العملية والقانونية أمام الإسراع فى تسليم الشقة إلى الإمام الأكبر.

وظل الحال على ما هو عليه، حتى جاء الدكتور كمال الجنزوري، رئيساً للوزراء، فسلمت إليه خطاباً جديداً، من الشيخ الشعراوي، بنفس المعنى

وللأمانة، وللتاريخ، كانت استجابة الدكتور الجنزوري إيجابية، وفورية، واتصل بالدكتور محي الدين الغريب، وزير المالية وقتها لإعطاء التوجيهات بتسليم الشقة للإمام الأكبر. وللدكتور الغريب شهادة فى عنقي.. فلقد بذل أقصى الجهد، وفى أقصر وقت، من أجل سرعة تحقيق رغبة الشيخ الشعراوي.. قبل أن

تخرج علينا الإدارة القانونية التابعة لشركة التأمين، التى تتبعها الشقة، باختراع آخر، وهو أن الشيخ الشعراوي كان قد دفع الإيجار حتى آخر العام، مما يستحيل معه التسليم الفوري للشقة.. ولم أجد أمامي، إلا أن أتجه إلى الشيخ الشعراوي من جديد، الذى حرر خطاباً للمرة الثالثة، إلى رئيس الوزراء، أفاده فيه، بأنه متنازل عن حقه فى الإيجار المدفوع مقدماً،.. وأن الأهم هو الإسراع فى تسليم الشقة للإمام الأكبر، فى أقرب وقت.. وأضاف فى خطابه: فالشيخ الكبير يستحق منا كل الخير.

وعدت بالخطاب إلى الدكتور الجنزوري، ثم ذهبت بنفسي، إلى الدكتور الغريب، الذى وعدني بتسليم الشقة صباح السبت.. أى بعدها بيومين.. وكنا، وقتها، صباح الخميس.. وفوجئت بعدها بساعات، مساء نفس اليوم، بتليفون من الإمام الأكبر، يقول لي فيه: إذا لم تخني ذاكرتي، فأنا أعتقد أننا كنا على موعد، لتمر عليَ فى البيت اليوم ؟

وقلت له مداعباً: لقد تمردت على البرنامج اليوم، وأقسمت ألا أدخل بيتك، إلا السبت القادم، بعد الغد، ومعي بإذن الله، مفاتيح الشقة فى يدي.

كان ذلك فى الثامنة مساء الخميس.. رد الإمام الأكبر قائلاً:

يا إبني، أنت تعطى لهذا الموضوع، حجماً أكبر من حجمه الحقيقي، وقد أكرمنا الله، وعشنا فى هذا البيت الصغير، أعواماً طويلة، أنا وزوجتي وأولادي، فلا مشكلة أن نستمر فيه حتى نهاية العمر.

وبعدها بساعتين، جاءتني مكالمة تليفونية من إبنه العزيز.. يخبرني فيها.. بوفاة الإمام الأكبر، على نحو مفاجئ !!

أنهيت المكالمة، مع نجل الإمام الأكبر، وقلت فى نفسي: بين ما يريده العباد، ويخططون له، وبين إرادة الله الواحد الأحد، لن ينتصر إلا حُكمه وكلمته.

واعترف، أن عدد المرات التى بكيت فيها، فى حياتي، كان قليلاً جداً، وكانت وفاة الشيخ الجليل، من هذه المرات النادرة، التى سالت فيها دموعي.. لقد أردت له أن يرتاح، واختار الله له الراحة الكبرى.

وفى اليوم التالي، ذهبت إلى الجامع الأزهر، لأشارك فى الصلاة على جثمانه، بعد صلاة الجمعة.. ولا أنسي أننا حين غادرنا المسجد، وجدت الاستعدادات الكبيرة، من أجل جنازة رسمية، للإمام الأكبر، يشارك فيها قيادات مصر، ورؤساء مؤسساتها السياسية الكبرى.



الدكتور السمان شاهد على مولد الحوار بين الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق
وبين الكاردينال كينيج فى برن عام ١٩٩٤



د. علي السمان مع الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق،
والدكتور علي المفتى.. جمعتنا الإيمانية والروحانية

وتهيأ لي فجأة، وكأن شارع الأزهر قد انشق وانفجرت منه جماهير غفيرة وهم يهتفون: الله أكبر.. ثم يقتربون، ويحملون جثمان الشيخ، بين أيديهم، وكأنهم يريدون أن يقولوا: الرجل لنا.. ومعنا.

وحينما تقدم الموكب، عدة أمتار، فى شارع صلاح سالم، حتى يقترب من السيارة التى ستحمل الجثمان، إلى موطن الشيخ فى الدقهلية، فوجئت بالضفة الأخرى، من شارع الأزهر، وقد احتشدت عن آخرها أيضاً، بآلاف من البشر، وهم يهتفون عالياً: الله أكبر.

ولمحت فى آخر هذا الجزء من الشارع، وقبل أن يلتقي بصلاح سالم، الأمن المركزي، الذى كان قد ركز قواته، خوفاً من أن تتطور الأحداث وتخرج عن مسارها الطبيعي.

تركت الجنازة، وأسرعت الخطى إلى آخر الشارع، واقتربت من رئيس قوة الأمن، وطلبت منه إن أمكن أن تتراجع قواته، بضعة أمتار، للخلف، وأفهمته أني واثق، من أن الناس، بعد لحظات، سوف تهدأ مشاعرهم، وسوف يحسون أنه لا محالة من أن يتركوا الجثمان، يدخل إلى سيارته، فى أمان وسلام، لتحمله إلى مثواه الأخير.

وبوعى كبير، تفهم الضابط المسئول، كلامي، واستجاب بسرعة،.. ومن المحتمل أننا بذلك، قد تفادينا صداماً بين قوات الأمن، وبين المواطنين المؤمنين، الذين كانوا متأكدين، بوعيهم وضميرهم، من أن هذا الرجل عاش ومات، وهو يحمل الإسلام فى عقله، وقلبه، وروحه.



الشعراوي يدفعني إلى الحج.. فوراً

ذهبت يوماً، لزيارة طنطا، والتقيت بطبيعة الحال، مع أخى وصديقى، الدكتور محمود جامع، فى مكتبه بمبرة طنطا الشهيرة، التى كانت، أيام السادات، محطة رئيسية للأحباء والأصدقاء، ومحطة أيضاً للقاء كل مَنْ كانوا يراهنون على ما يمكن أن يحققه لهم الدكتور جامع، من السادات، من مكاسب ومواقع ومناصب، بحكم قربه، من الرئيس الراحل.

فى تلك الليلة، التقيت بالشيخ الشعراوي، لأول مرة فى حياتي، وأثناء الحديث سألني الشيخ، عما إذا كنت قد حججت أم لا ؟

وقلت: لم يسعني الحظ بعد.. يا مولانا.

وعاد الشيخ يقول: يجب أن تفكر جدياً فى الحج.

ولا أدرى لماذا أجبته وقلت: نشوف بعدين !

وما أن سمع الشيخ مني، هذه الكلمة، حتى قضى الليلة بكاملها، يحلل ويعلق ويفسر، على طريقته التى نعرفها، معنى وأبعاد هذه الكلمة التى قلتها: بعدين نشوف !

وظل ينتقدني بشدة، لاستعمال هذه الكلمة، وهو يقول لي: وكأنك تملك قدر الغد، الذى لا يملكه الا الله.

وفهمت الرسالة، وقلت: على الدكتور جامع أن ينفذ رغبتك، وأن يرتب لذلك، وأنا على استعداد للذهاب فوراً، إلى بيت الله في الموعد الذي يحدد لي.

وبالفعل، كانت رحلة حج لن أنساها أبداً فى ٢٧ نوفمبر ١٩٧٦.

وكانت الحجة الوحيدة، التى قمت بها، فى صحبة أخوة أعزاء، من بينهم الدكتور جامع، وعميد كلية التجارة بطنطا الدكتور عبدالمنعم جنيد.. وكانت رحلة سلسة، ومليئة بتسهيل من الله.

وبينما كنا نطوف هناك، لاحظت أن كل مجموعة من الحجاج، تحرص على أن تتشابك أياديها، حتى لا يتوه واحد منهم، فى زحام الناس.. ولكني تمردت على ذلك، بعد أن رأيت بعيني، كيف أن الحرص على هذا التشابك بالأيدي، يمكن أن يؤدى إلى تضاعف أمواج الحجاج المتشابكين، ويأتي فى النهاية، على حساب بعض الحجاج، من كبار السن، الذين يمضى كل



فى رحلة الحج مع صديقي الدكتور محمود جامع
وعميد تجارة طنطا السابق الدكتور عبد المنعم جنيد

واحد منهم، بمفرده.. فلا يقدر على الوقوف، فى مواجهة المجموعات المتشابكة، فيقع تحت الأقدام.

تمردت على تشابك الأيدي، وبدأت أطوف وحدي، وأخذت شيخاً كهلاً فى يدي لأحمى خطواته، وقمت بالطواف، وبعدها بلحظات وجدت نفسي، بلا جهد، أمام الحجر الأسود مباشرة،.. والذي كانت الأكتاف والأيدي تتزاحم بقوة، لتصل إليه..

سؤال قد يفهمه أهل الصوفية: هل أراد الله جزاءاً فورياً، بأن سهل لي الوصول إلى الحجر الأسود، لقاء ما قدمته من عون، لشيخ كبير، كان على وشك أن تدوسه الأقدام المتدفقة المتزاحمة ؟!

أم أن ذلك كله، كان صدفة عفوية ؟!

وكانت ذروة المشاعر، حين كنت على جبل عرفات، فى تلك اللحظات الصامتة، وكأن القلب يدق دقة.. بدقة.. فى انتظار اللحظة التى تعلو فيها أصوات ملايين الحجاج من كل أجناس الأرض: لبيك اللهم لبيك.

وقتها أحسست بعقلي أيضاً، وكأن إحدى الحكم، من وراء الحج، أن يشعر الحجاج، بما شعرت به لحظتها، وهو الانتماء لأمة إسلامية تأتى أفواجاً، من مشارق الأرض ومغاربها، ليلتقوا جميعاً، فى لحظة واحدة، وفي زي واحد، ثم توجه نداءها بصوت واحد، إلى الله،.. صوت يصل مداه إلى السماوات، وقلت لنفسي، ليت أمة الإسلام تعي هذا المعنى الكبير.. لأمة وحدها الله بنعمة الإيمان بكتابه.

وفى لحظة، شعرت، وأنا فى المزدلفة، أن مجيئي إلى بيت الله، كان بتوفيق من الله، وباستجابة لرغبة ملحة من الإمام الشيخ الشعراوي.

وكانت المفاجأة الكبرى، قبل ذهابي إلى رمي الجمرات، أن ألتقي بالشيخ عبده يماني، وزير الإعلام السعودي وقتها، فيخبرني بأن الشيخ الشعراوي، على بعد خطوات مني، وأنه يبحث عني، وعن رفاقي.

سارعنا إلى الشيخ الشعراوي، وما أن رأيته حتى بادرته قائلاً: يا مولانا، أريد رأيك فى مسألة تخصني.. فأنا مرهق جداً.. ولا أستطيع أن أذهب لرمى الجمرات، فهل يبقى رميها إجبارياً، أم أنني أستطيع أن أستريح قليلاً.

وقال الشيخ الشعراوي: ليست هناك مشكلة،.. معنا صديق من الأطباء، سوف يعطيك الدواء، تستريح بعدها قليلاً.. وبعدها سوف نرى.

وبالفعل، استرحت حوالي الساعة، وقمت بعدها لأذهب برفقة الشعراوي وسائر الأصدقاء، إلى رمى الجمرات.

وبمناسبة الحج، فإنني أصارح القارئ أن لي وجهة نظر، أقولها بكل تواضع، فلست عالماً من علماء الدين، ولست مفتياً كذلك.. ولكنها وجهة نظر، أحاول أن ألزم بها نفسي، وهى أن الحج ينبغي أن يكون مرة واحدة فى حياة كل مسلم، فإذا شاء من حج، أن يحج مرة أخرى، فليقدمها لإنسان يستحق ولا يستطيع..

ومن الصدف الغريبة، أنني حين ذهبت أقدم واجب العزاء، فى وفاة أخي وصديقي الراحل موسى صبري، والذى كان يربطني به الكثير.. وبعد أن فرغت من أداء الواجب، صعدت إلى بيته، مع أفراد أسرته، فرأيت هناك سيدة مسنة، من النوبة، تولت رعاية موسى صبري، فى أيام المرض بتفان وإخلاص.. وراودتني فكرة، سارعت بإبلاغها إياها، قائلاً: إذا كنت لم تؤد فريضة الحج بعد، فأنا أقدم لك فرصة أداء الفريضة هذا العام، وأرجو أن تتصلي بأخي وصديقي اللواء سامي الخطيب - يرحمه الله - لكي يسهل لك هذه المهمة.

وأكرمني الله، بأن مكنني من تحقيق رغبتها، بفضل منه، ثم بفضل من أخي المرحوم، اللواء سامي الخطيب، الذى كان قد نظم، من قبل، عدداً من رحلات الحج، لضباط الجيش، بحكم عمله فى الشئون المعنوية للقوات المسلحة، لسنوات طويلة قام بها بتفرد واقتدار كعادته دائماً.. فضلاً عن أنه كان دائماً يحب الخير للآخرين..

ولم أر هذه السيدة، بعدها.

وكان حظى سنوات بعدها في ١٩٨١ أن أرافق الرئيس ميتران في أول زيارة له للمملكة العربية السعودية وأن أنتهز فرصة وجودى بالطائف لأتصل بالأخ أحمد فراج وعمل بكرم منه كل التسهيلات لعمل عمرة لمكة وزيارة للمدينة في ٢٤ ساعة. وكانت هذه الزيارة ذات أثر عميق في نفسي ووجدانى.

الفصل الواحد والثلاثون

لقاء رموز القمم الدينية.. وصفحات جديدة للتاريخ

بابا الفاتيكان.. فى بيت الإسلام

ما لا يعرفه الكثيرون، أن البرتوكول فى دولة الفاتيكان، بالغ الأهمية،.. فمثلاً، حين يسافر بابا الفاتيكان، إلى بلد ما، فإن معاونيه يجب أن يسبقوه، إلى البلد الذاهب إليها، ليعرفوا التفاصيل التى تتصل بزيارته.

وأذكر أنه عند زيارة وفد الفاتيكان، المكلف بترتيب رحلته إلى الأزهر، أن أعضاء الوفد، كانوا حريصين على أن يعرفوا كل المستويات التى ستحضر اللقاء، ومَنْ الذى سيكون فى استقباله، ومَنْ الذى سيرافقه فى مراحل منها.. ونوع الكلمات التى ستلقى.. إلى آخره.

وبالنسبة لي، فإن هذه الزيارة، التى جاءت يوم ٢٤ فبراير ٢٠٠٠، كانت تمثل محطة كبيرة على طريق الحوار الإسلامي المسيحي، الذى بدأته عام ١٩٩٤ بالسوربون فى فرنسا، وأنا أضع نصب عيني، أن الهدف النهائي يجب أن يكون هو التوصل إلى لقاء وتعارف وتعاون، بين أكبر بيت للمسيحية، متمثلاً فى الفاتيكان، وبين أكبر بيت للإسلام، متمثلاً فى الأزهر.

وقد كنت أعلم أن زيارة البابا، زيارة رسمية، وأنها زيارة رمزية أيضاً.. بمعنى أنها ليست من أجل بيان مشترك، وقرارات مشتركة، ولكنها مناسبة كبرى لخطاب يلقيه بابا الفاتيكان فى الأزهر الشريف، وأن يري الناس قوة الرمز الذى يجمع الإمام الأكبر شيخ الزهر وقداسة بابا الفاتيكان فى بيت الإسلام.

وبالتالي، ودون أن أخوض فى فلسفة ذلك اللقاء، أقول أن أهم شئ فيه، كان من وجهة نظري، أن يشعرالرجل بحرارة اللقاء.

العلماء لا يصفقون !

وفى لقاء مع بعض علماء الأزهر، قبل وصول البابا، نقلت إليهم فكرتي عن حرارة اللقاء،.. فقال لي أحدهم: ولكن العلماء لا يصفقون، إذا كنت تقصد بذلك، حرارة اللقاء.. وبقيت الجملة فى مخيلتي، حتى يوم وصوله، وحينما تحرك الإمام الأكبر، نحو الباب الخارجي للأزهر الشريف، ليكون فى انتظار الضيف

الكبير، كان بعض العلماء، الذين سيكونون فى استقباله، قرب الباب الرئيسي، من الداخل، فذهبت إليهم، أبادلهم كعادتي بعض الكلمات، وأحدثهم عن شخصية البابا، وهو من أصل بولوني، وعن حالته الصحية.. وشعرت برغبة فى أن أوضح لهم، ما الذى كنت أقصده، حين كنت أوصيهم بحرارة اللقاء معه.. ووجدت نفسي أقول لهم: حقيقة الأمر، فإن ما أتمناه، هو أن تتركوا قلوبكم تعبر ببساطة، وتلقائية، عما يختلج بداخلها.. وأضفت لهم: أنتم تعرفون، أن ما سوف نراه، بعد لحظات، هو حدث تاريخي، بكل المعايير، فهذه هى المرة الأولى، التى يطأ فيها بابا روما، أرض الأزهر الشريف، بقدميه.



الدكتور السمان مع بابا الفاتيكان، وهو يضع قدميه في بيت الإسلام.. الأزهر الشريف..
وفي استقباله الأمام الأكبر الدكتور سيد طنطاوي شيخ الأزهر

وعندما وصلت عربة البابا، حتى باب الدخول، لاحظت أنه استغرق نحو دقيقتين، قبل أن يتمكن من التحرك والنزول بسبب ظروفه الصحية.

ووجدت الإمام الأكبر، وهو يتصرف بتلقائية، فيأخذ بذراع البابا الأيمن، وأخذت بذراعه الأيسر، حتى أتمكن من تقديم مستقبليه له.

وبعد تحية حارة، قدمها إليه، شيخ الأزهر، فى كلمات بسيطة، اتجهنا نحو المصعد، ورغم أن الطريق إلى المصعد، لم يكن يزيد على عشرين متراً، إلا إنه

استغرق منا دقائق كثيرة.. لكي يتمكن الرجل، بحالته الصحية، من الوصول إلى باب المصعد.

وفى الطريق، تذكرت وأنا آخذ بذراعه، أني أخذت مكان أحد الكرادلة المكلف بصحبته، فاستدرت إلى الخلف، لأدعو الكاردينال، كي يأخذ مكاني، .. وبعد ثوان، كان الكاردينال يهمس فى أذني ويقول: أن البابا يريد منك أن تكمل معه الطريق.

وحين اقترينا من العلماء، فوجئت بقلوبهم الطيبة، العربية، والمصرية، والمسلمة، تتحرك، .. ويصفقون للرجل، وهم يرونه يتحمل مشقة هذه الرحلة، التى قد تبدو رحلة قصيرة، بعدد ساعات السفر بين روما والقاهرة، ولكنها فى عمر التاريخ، كانت تفصل ما بين الحروب الصليبية أو حروب الفرنجة كما أفضل أن أسميها مقتديا برأى قداسة البابا شنوده، فى القرن الثاني عشر، وبين نهايات القرن العشرين.



الدكتور السمان مع قداسة بابا الفاتيكان وهو يضع قدميه فى بيت الإسلام.. الأزهر الشريف. وفى استقباله الإمام الأكبر، ومفتى الديار السابق د. نصر فريد واصل.. ومفاجأة "تصفيق العلماء"!

وأثناء الخطوات التى كنا نقطعها معاً، كان من الضروري أن املأ الوقت، بعبارات رقيقة، فقلت له: لقد أسعدني بعد لقائك، يوم التوقيع على اتفاقية الفاتيكان، عام ١٩٩٨، أن أذهب لزيارة واكتشاف مدينة "أسيزى" مقر مولد

القديس "سان فرانسو دى أسيز" الذى اعترض بقوة، على الحروب الصليبية.وحين وصلنا، اجتمع البابا وحده، مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، الدكتور سيد طنطاوى، ثم مع كبار الشخصيات والعلماء، قبل أن يدخل إلى القاعة المجاورة لمكتب الإمام، ليلقى خطابه الذى قال فيه: شكراً لكلمتكم الرقيقة واسمحوا لي أن أواصل حديثي امتداداً لما ذكرتموه ! فالله (سبحانه وتعالي) خلق البشر، كما أنه توجد هناك رابطة قوية بين جميع الأديان، فالإسلام ديانة، والمسيحية ديانة، وقد أصبح الإسلام أيضاً ثقافة، لذلك أصبح من المهم جداً الالتقاء بشخصيات تمثل الثقافة الإسلامية فى مصر.

فى الوقت نفسه انه ليسعدني أن أعبر عن امتناني بهذه المناسبة، كما أنتهز هذه الفرصة لتقديم التحية والشكر للعلماء الأجلاء المجتمعين هنا، وأنني على يقين من أن مستقبل العالم يعتمد على الحوار بين الأديان والثقافات، وذلك طبقاً لما ذكره (القديس سانت توماس): "أن حياة البشر تكمن فى الثقافة، كما أن مستقبل البشر يكمن أيضاً فى الثقافة".

أنني أعبر عن امتناني لجامعتكم الموقرة – وهى أكبر مركز إسلامي فى المنطقة – كما أنني أعبر أيضاً عن شكري لأولئك الذين يقومون بتنمية الثقافة المسيحية حيث أنني أعلن أن ذلك ليس فقط من أجل خير وسعادة ومستقبل مجتمعاتنا، لكنه أيضاً من أجل مصلحة ومستقبل البشرية جمعاء ممثلة فى الإسلام والمسيحية.

مرة أخرى شكرا لكم جميعاً.

وألقى الإمام الأكبر خطاباً، هو الآخر، قال فيه:

قداسة البابا يوحنا بولس الثاني رئيس دولة الفاتيكان الصديقة

السيد رئيس وزراء دولة الفاتيكان الصديقة

السادة الموقرون أعضاء الوفد المرافق لقداسة البابا الموقر

أحييكم جميعا فردا فردا وأتمنى لكم جميعا موفور الصحة والعافية، وإن الأزهر الشريف الذى عمره أكثر من ألف عام لسعيد بهذه الزيارة الكريمة من قداسة البابا الموقر ومن الوفد الكريم المرافق لقداسته وإنى باسم الأزهر الشريف ليسعدني فى هذا المجلس الديني الموقر، أن أقرر الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن الله – تعالى – قد أوجد الناس جميعا من أب واحد ومن أم واحدة، كما قال سبحانه فى كتابه الكريم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً).

الحقيقة الثانية: أن جميع الأديان السماوية التى أنزلها الله تعالى على رسله الكرام تتفق فى أمرين أساسيين:

أولهما: إخلاص العبادة لله الواحد الأحد، كما قال سبحانه (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ).

وثانيهما: أن الأديان السماوية أنزلها الله تعالى لسعادة البشر، وأنها جميعها تدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق، كالصدق، والعدل، والسلام، والرخاء، وتبادل المنافع التى أحلها الله، والتعاون بين الناس جميعا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

الحقيقة الثالثة: أن الله تعالى أوجدنا فى هذه الحياة لنتعارف، كما قال سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) ومن أجل تحقيق ذلك أقام الأزهر الشريف لجنة للحوار يرأسها فضيلة وكيل الأزهر الشيخ فوزي الزفزاف ونائبه د. علي السمان، وتلتقى فى السنة أكثر من مرة مع اللجنة المعتمدة من دولة الفاتيكان الصديقة برئاسة الكاردينال (فرنسيس إيرنزه) رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان ونائبه المطران فيتز جيرالد.

الحقيقة الرابعة: أن الأديان السماوية جميعها تدعو إلى أن يقف الناس جميعا إلى جانب الحق والعدل، وإلى إعطاء كل ذي حق حقه، والأزهر الشريف بهذه المناسبة يسعده أن يقدم خالص الشكر لدولة الفاتيكان الصديقة، لمواقفها المشرفة بالنسبة للشعب الفلسطيني الشقيق.

الحقيقة الخامسة: أن مصر- بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك – مصر ذات الحضارات العريقة يعيش فيها المسلمون والمسيحيون منذ أربعة عشر قرنا إخوة متحابين، تظلهم سماء واحدة، وتقلهم أرض واحدة ويستنشقون هواءاً واحداً، وتجمعهم مصالح مشتركة، ويتساوون فى الحقوق والواجبات، أما فيما يتعلق بالعقائد فلكل إنسان عقيدته.. والقرآن الكريم يقول (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) والذى يحاسب الناس على عقائدهم وعلى غيرها هو الله عز و جل.

مرة أخرى، الأزهر الشريف: شيخه وعلماؤه، يرحبون بهذه الزيارة التى سعدنا فيها باللقاء مع قداسة البابا يوحنا بولس الثاني والوفد الكريم المصاحب لقداسته.

وندعو الله تعالى أن يجعل هذه اللقاءات فى خدمة الإنسانية وسعادتها.

إلى هنا تنتهي كلمة الإمام الأكبر.

وكانت كل قنوات التليفزيون، والإذاعة، والصحافة العالمية، حاضرة، لتسجل تلك اللحظات التاريخية.

وحين انتهى اللقاء، تقدمنا بنفس الخطوات البطيئة، نحو باب الخروج.. وحين اقتربنا من عربة البابا، وكنت لا أزال أمسك بذراعه، فوجئت به يلتفت نحوي، وهو يقول لي بهدوء: "اعترف لك بالجميل".

وأعترف أن هذه العبارة، من رجل رفيع القدر والمكانة، مثله، قد أثارت فى نفسي مشاعر كثيرة، فوجدت نفسي بتلقائية أقبل يده التى كانت قريبة من وجهي.. والذين تابعوا رحلته إلى مصر، لن ينسوا كلمة الرئيس مبارك، فى استقباله بالمطار، وهو يقول له: إن جذور مصر الروحانية، هى إسلامية ومسيحية.

العبارة كبيرة جداً في معناها، وتجسد حقيقة كبيرة من حقائق تاريخنا، وعندما ينطق بها رئيس الدولة، فإنها تأخذ معنى أدعو الله أن نعيه كلنا.

ولم أستطع، أمام جلال المناسبة، إلا أن أكتب مقالاً عنوانه "لقاء الرموز".. فيه عبرت عما أحسستُ به[1].

وفى يوم ٢٤ يناير ٢٠٠٢، كنت ضيفاً على بابا الفاتيكان، لألقى كلمة الإمام الاكبر، فى "قداس الصلوات من أجل السلام".

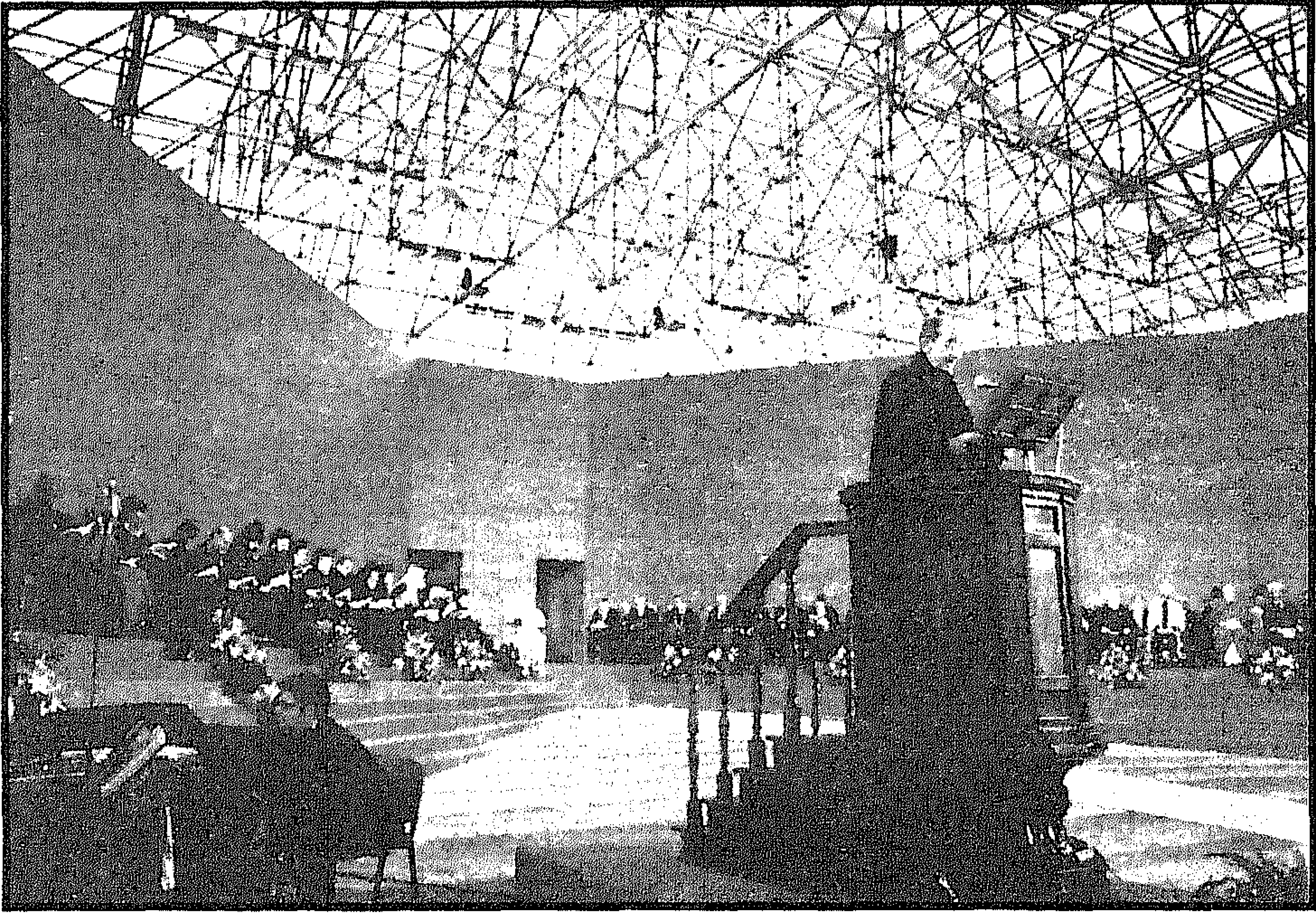
وألقيت الكلمة، باللغة العربية، حسب مقتضيات البروتوكول فى الفاتيكان.

وقبل أن أصعد إلى المنصة، لألقى الكلمة، جاء مسئول فى وزارة الخارجية بالفاتيكان، ليهمس فى أذني، بأن خطابي، سوف يكون هو الخطاب الإسلامي الأوحد فى المناسبة.. وتخيلت بيني وبين نفسي، كيف أني سأكون، بعد دقائق، ممثلاً وأنا ألقي كلمتي، لأكثر من مليار مسلم فى العالم.. الأمر الذى جعلني أفكر جدياً، فى الزي الذى سأظهر به على المنصة.. وتساءلت بيني وبين نفسي، مرة أخرى، عما إذا كان من الجائز، شكلاً، أن يرتدي بدلة وكرافتة، مَنْ يمثل جموع المسلمين، وهو يلقى كلمة نيابة عنهم.

التفت إلى جاري السوداني، وكان يرتدي عباءة سوداء، فقلت له مداعباً: هل تمانع، فى أن تعيرني عباءتك هذه لدقائق، أثناء خطابي، فأدخلها التاريخ، ثم أعيدها إليك ؟!

---

(1) راجع الوثائق



د. علي السمان وهو يلقي خطاب الإمام الأكبر في المؤتمر الكبير في عيد الصلوات والسلام، في حضور بابا الفاتيكان وممثلي ٣٠ من الديانات والروحانيات، وفي حضور ٢٠٠٠ شخص في مدينة أسيزي بإيطاليا

قد يكون ذلك، رغبة مني، وقتها، فى أن يقترب الشكل من المضمون.

وقبل أن أصعد، إلى المنصة، جاءني عدد من ممثلي الوفود العربية، وهم يقولون لي: نريدك أن تنتقم لنا، من رئيس وزراء إيطاليا، بيرولسكوني، الذي كان جالساً فى الصف الأول، وكان قبلها قد ردد عبارة أغضبت المسلمين جميعاً، حين قال ما معناه أن الإسلام دين غير حضاري.. وقلت لهم: لا أستطيع أن أغير فى نص الكلمة، فالبروتوكول لا يسمح لي بأن أغير فيها حرفاً، لأنها مترجمة وموزعة على جميع الحاضرين.

غير أني، وأنا أتكلم، وجدت وسيلة مناسبة للرد، لعلها ترضيهم.. ففى جزء من الخطاب، كنت أتكلم عن القيم، وهدف السلام، وعن مكانة الأديان الأخرى فى الإسلام.. وعند هذه العبارة، قلت بالفرنسية: هذه هى المدنية.. قلتها وأنا أمد يدي إلى الأمام اتجاه بيرولسكوني، كما لو كانت الرسالة موجهة إليه.. وكان مفاجأتي أن بيرولسكوني، كان من أول المصفقين، حين فعلت ذلك، وكأنه أراد أن يقول: لست أنا المعني بهذه الرسالة !!

هذه هى السياسة.. وهؤلاء هم السياسيون !

وقد أسفت، لأن قواعد البروتوكول لم تسمح لي، وأنا أتكلم، أن أضيف عبارة شعرت بها فى قلبي، وأنا أتبادل المشاعر مع الجمهور الذى كان أكثر من ألفين، ومع ممثلي أكثر من عشرين ديانة من الحاضرين.. كنت أريد أن أقول للبابا: ها أنت، فى نهاية المطاف، فى دور مجمع الأديان، فى مودة ومحبة من أجل السلام.

ثم كان من حسن حظي، أن أكون من بين ٥٠ شخصية، دعاهم البابا لتناول الغداء معه.. وبعد تناول الغداء، قيل لنا، أن لكل منا الحق فى دقيقتين يتبادل خلالهما الكلام مع البابا.. وأحسست وقتها أني أريد أن أقول له، ما لم أستطيع أن أقوله فى خطابي.. ولكي انتزع ابتسامة وسروراً لديه، قلت له: هناك عبارة، خفت أن أضعها فى خطابي، مراعاة لقواعد البروتوكول، وهذه فرصة لكي أقولها لك.. وهى: نشكر الله، أن أطال فى عمرك، وأن نراك تجمع ممثلي الأديان حولك، من أجل العدل، والسلام، والغفران.

فقال لي: أنا سعيد أن أسمع هذه العبارة منك.. لأني أشعر أنها تخرج من القلب.. وأرجو أن تحمل سلامي إلى الإمام الأكبر، شيخ الأزهر، وأن تحمل إليه تقديري لكلمته التى ألقيتها أنت، نيابة عنه.

الشعراوي والبابا.. لقاء الرموز

ليس سراً على أحد، أن برنامجاً من برامج الشيخ الشعراوي، قد فسره البعض، وخصوصاً عبارات قليلة فيه، على أنها اتهام للأقباط بالشرك..

وليس سراً أيضاً، أن ذلك قد ترك نوعاً من الحزن والألم، فى نفوس بعض إخوتي الأقباط.

وذات يوم، كنت مع قداسة البابا شنودة، وبينما نحن نتكلم، فى مواضيع شتى، أشرت له، إلى أن الشيخ الشعراوي موجود فى لندن للعلاج.

وفوجئت بعدها بأيام، وأنا أعاود الاتصال بالشيخ الشعراوي، لأطمئن عليه، أن باقة من الورود، قد جاءته من الكنيسة القبطية فى لندن، وأن وفداً من رجالها ذهب ليزوره، وأبلغوه بأنهم صلوا من أجله.

وحين عاد الشيخ إلى مصر، التقيت به، فعبر أمامي عن سعادته وامتنانه، لما قام به البابا شنودة تجاهه، فى لندن.. ثم سألني: لا أدري ماذا أفعل لأشكره، هل أكتب إليه، أم أتصل به تليفونياً.



الدكتور علي السمان يشهد لقاء وحواراً بعد سوء فهم دام طويلاً، بين قداسة البابا شنودة، وفضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي.. وبينهما الدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف السابق

قلت له وأنا أبتسم: لن يكفى كل ذلك، فالموضوع يستحق أن تزوره.

وسألني فى براءة: أين يسكن ؟

فقلت: فى الكاتدرائية طبعا

فقال وهو ينظر نحوي نظرة ذات معنى: إذن مطلوب مني أن أعدي العتبة!

والذين يعيشون فى ريف مصر، يعرفون معنى أن يعدي الإنسان العتبة.. فمعناها أن كل ما كان في الماضى تطوى صفحته، وتبدأ صفحة جديدة تماماً.

وقلت للشيخ الشعراوي: هذا ما أفكر فيه تماماً.

وللأمانة أقول، أن وزير الأوقاف السابق محمد علي محجوب، قام بالدور اللازم لإعداد اللقاء بين الرجلين.

وحينما اتفقنا على اللقاء، وعلى موعده، طلبني الشيخ الشعراوي، وقال لي: يا شيخ علي، تم اللازم، وسأكون صباح غداً بإذن الله، عند البابا شنودة، وأرجو أن تأتى إلى بيتي لنذهب سوياً، ونخطى العتبة معاً !!.. وكان ذلك فى حضور الدكتور محجوب.

وعند وصولنا إلى الساحة التى تطل عليها الكاتدرائية بالعباسية، لم أر عدداً من أقباط مصر، يوماً، وعلى وجوههم علامات ارتياح نفسية بالغة، بمثل ما رأيتهم فى ذلك اليوم، الذى جاء فيه الشيخ الشعراوي، حتى دارهم، ليلتقي بالرجل الذى يرأس الكنيسة التي تمثلهم.

وعند دخولنا، لاحظ الشيخ الشعراوي، أن البابا، بعد السلام وتبادل كلمات الود والتحية، قد عانقني.. وكان الشيخ يريد، أن يكسر الثلج، وأن يذيب الجليد، الذى قد يكون قائماً بينه وبين البابا، فقال، وهو يضحك كعادته: قد يكون من المفيد أن نعرف، "الدكتور علي السمان ضحك على مين منا احنا الاثنين".. لأنني عانقته نفس العناق، عندما جاء إلى بيتي بالهرم.

وضحك البابا، وقال بأسلوبه الذى يمزج بين الذكاء والدعابة: "فى حدود علمي، الدكتور علي، عقله وروحه معكم.. وجزء من قلبه معنا"!!

وكان الإعلام المصري، والعربي، والدولي، حاضراً بأكمله يسجل ذلك اللقاء التاريخي.

وما لا يعلمه كثيرون، أن مودة ومحبة، قد تولدت بين الرجلين، منذ ذلك اليوم.



حديث تلقائي وضاحك بين قداسة البابا شنوده والدكتور علي السمان

واكتشف الرجلان، أن الشعر نقطة من نقاط الجذب والالتقاء بينهما، وظلا يتجاذبان الأشعار، كلما التقيا، طوال ما تبقى من عمر الشيخ الشعراوي.. وكانا إذا تواجدا فى مكان واحد، سعى كل منهما إلى الآخر، فى مودة وتقدير ظاهر. وأذكر لفضيلة الشيخ الشعراوي رده على سؤال عن نقاط الخلاف بينه وبين قداسة البابا شنودة بقوله: "إذا تكلمنا عن نقاط الإتفاق بيننا فلن يبقى من الوقت لنتكلم عن نقط الخلاف" كان يريد أن يبين أن حجم نقاط الاتفاق كبير جداً، وحجم نقاط الخلاف محدود جداً.

أكرر أن المودة هى المفتاح السحري لكل أزمة تباعد وعدم فهم وأعترف كما قلت فى موقع آخر أن هذه الكلمة البسيطة "المودة" جعل منها قداسة البابا شنودة مفتاحاً للعلاقات الإنسانية البناءة والذي سميته فى إحدى اللقاءات "عبقري المودة".

الفصل الثاني والثلاثون

قصتي مع الحوار.. وقصة الحوار معي!

فى الغرب .. لا ينفصل الشكل عن المضمون

أخذ ملف حوار الأديان، من اهتماماتي، ووقتي، وذهني، عشر سنوات كاملة، من عام ١٩٩٤، حتى كتابة هذه السطور، في عام ٢٠٠٤، وعندما أتأمل انشغالي بمسألة الحوار بين الأديان، إلى هذا الحد، فإنني أتصور أن لهذا الانشغال جذوراً في أعماقي، تبرر هذا الاختيار، وهذا الاتجاه، في مرحلة من مراحل العمر.

وأنا أرجعه، بدون شك، إلى مدرسة الحوار الأولى، مدرسة الأقباط الابتدائية، حيث كان أول من عرفتهم، هم أطفال أقباط وطني الصغير طنطا.

ولابد أن يكون ثاني الأسباب، هو وصولي إلى الإسكندرية، في بداية الخمسينات، لدراسة القانون، لأجد في انتظاري مدينة حاشدة بكل الأجناس والملل والأديان، كما أشرت في الفصول الأولى من هذا الكتاب.. ولأنني أحب دائماً أن أكون عنصراً نشطاً في مجتمعي الصغير، فقد ارتبطت مع كثيرين هناك، بعلاقات قوية من الصداقة وتبادل الفكر.

وقد يكون ثالث الأسباب، لاهتمامي بمسألة الحوار، يعود إلى الفترة التي وصلت فيها إلى جنوب فرنسا، وتحديداً إلى مدينة جرونوبل، حيث كنت أدرس أيضاً.. وهناك انقلب الوضع، ووجدت نفسي جزءاً من أقلية مسلمة محدودة جداً، تعيش في مجتمع مسيحي.. ومرة أخرى، اخترت أيضاً الحركة، والاتصال، والعلاقات النشطة، فكان أن أنشأت نادياً للطلبة الأجانب يتبادل الخدمات الاجتماعية مع سكان المدينة.

ثم كان السبب الرابع، حين جاء يوم لا أنساه كما كتبت فى فصل سابق، أيقظ جذوري الإسلامية حتى النخاع.. وكان ذلك عندما قرأت مقالاً، للكاتب الفرنسي "سيجفريد" في صحيفة "لوفيجارو"، أكبر صحف فرنسا، في اليوم التالي لإصدار قرار تأميم قناة السويس ١٩٥٦.

كان الكاتب، في مقالته، يريد أن يستفز مشاعر المجتمع الفرنسي بوجه خاص، والأوروبي المسيحي بوجه عام، وأن يبعث فيها روح الحروب الصليبية، مطالباً بإحياء ذكرى "شارل مارتل" قائد معركة "بواتييه" الشهيرة، التي دارت في الجنوب الفرنسي، بين المسلمين القادمين من الأندلس، وقتها، وبين الأوروبيين الذين كانوا يحاولون صد الزحف العربي المسلم على أوروبا.

وحين ناقشت سيجفريد – عضو الأكاديمية الفرنسية وقتها – وسألته: لماذا تريد أن تستفز هذه المشاعر، وأن تحييها ؟

أجابني فقال: هذا ما قرأته في الكتاب المدرسي !

وقد شعرتُ، لحظتها، أنني كفرد نشط في المجتمع الغربي، يقع على عاتقي واجب ثقيل، هو المساهمة في تصحيح صورة الإسلام التي جرى تشويهها في كتب التاريخ، هناك، قبل أن تشوهها الصحف والأقلام.

كان ذلك، بالطبع، قبل نصف قرن تقريباً، من أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وهذا ما دفعني إلى الاعتقاد الراسخ بأن ذاكرة الشعوب لا تنسى فترات معينة، ويكفي جداً أن تطرأ بعض الأحداث، حتى تستيقظ الفتنة النائمة.

ولكي أكون صادقاً مع نفسي، لابد أن أقول، أن دخولي مجال حوار الأديان، كان معبراً في هذه المرحلة، عن رغبتي الدائمة طوال عمري في أن أكون في خدمة قضية عامة.

وحين وصلت إلى باريس، وتعرفت على الدكتور عادل عامر، المستشار الإعلامي المصري وقتها، وكان ذلك في منتصف الستينات، سمعت أنه مهتم بالحوار مع الفاتيكان، وأنه من خلال اهتمام ليبيا بنفس الموضوع، أنشأ مؤسسة للحوار، في باريس، ثم انتكست التجربة ليجري إحياؤها من جديد، فى باريس.

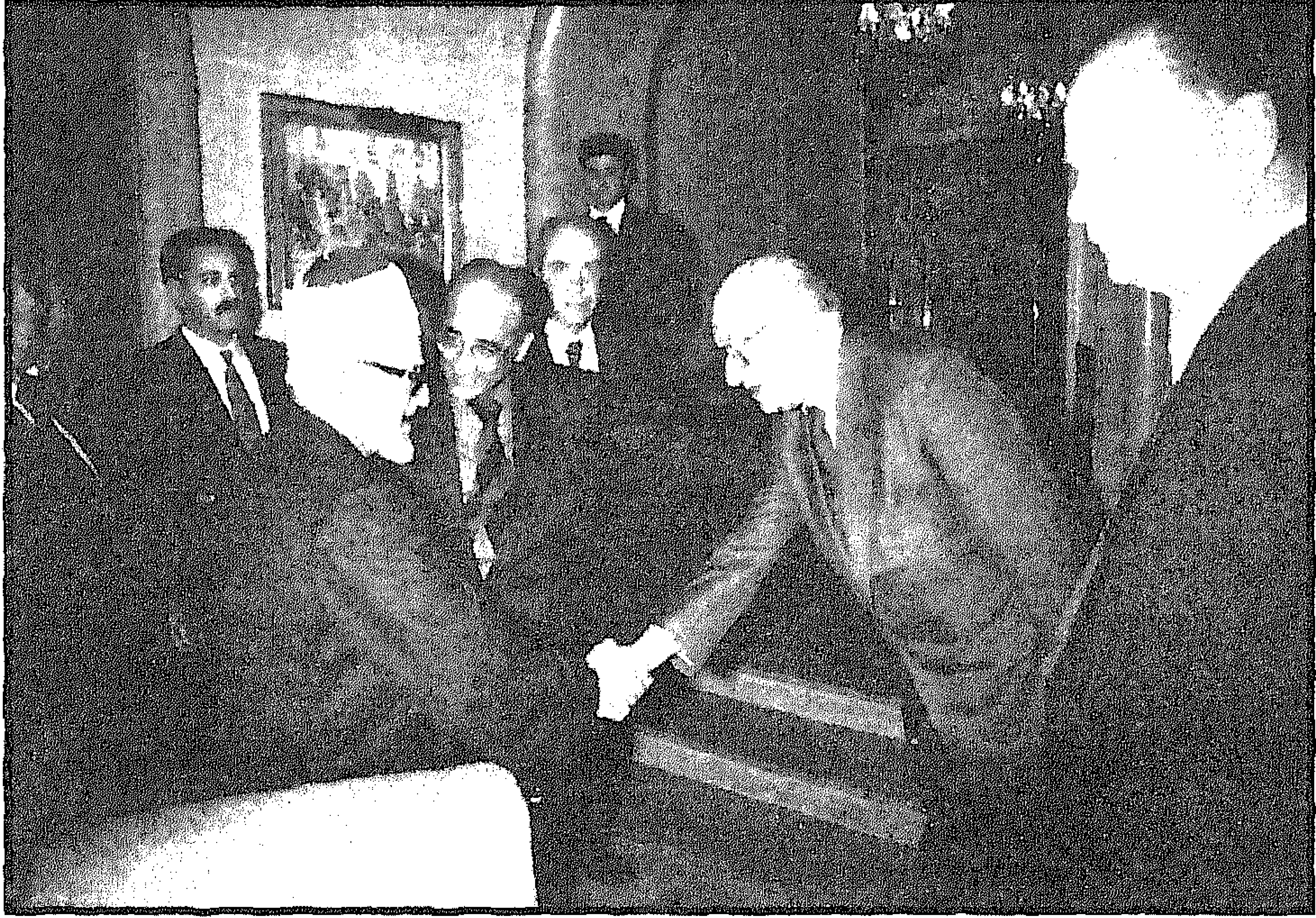
وكنت أتابع أخبار وخطوات هذه المؤسسة، من بعيد !

أما الدكتور عادل عامر، فلم يثنه فشل التجربة الأولى، من المضي في الطريق الذى آمن به، فبدأ تجربة ثانية، بإنشاء مؤسسة للحوار في باريس، هي مؤسسة "الأديك" (ADIC) وكان إنشاؤها بالتعاون مع أحد آبناء الكنيسة الكاثوليكية، هو الأب "ميشيل ليلون"

وتابعت، من جانبي، مع الدكتور عامر، خطوات المؤسسة الجديدة، تضامناً معه، ومع أفكاره التي كانت دائماً، أفكاراً متفردة، وقادرة على خدمة قضايانا العربية والإسلامية.

وفي عام ١٩٩٤، انتقل الدكتور عادل عامر، إلى جوار ربه، بعد تجربة قاسية من المعاناة، وكانت تجربته تجسيداً للعبارة المأثورة، بأنه "لا كرامة لنبي في وطنه".. لقد تخلى عنه الإعلام المصري، الذي كان هو، أي الدكتور عامر، أحد أركانه، وأعلامه، عام ١٩٥٦.. وتخلت عنه الدوائر العربية والإسلامية، التي كان

أول من أنشأ لها، وفي خدمتها، مكتب الجامعة العربية في باريس، وكان أيضاً، أول من ساهم، وشارك، وأنشأ مجموعات الصداقة الأوروبية العربية في باريس.



فضيلة الأمام الأكبر الراحل جاد الحق على جاد الحق مع أعضاء مؤسسة حوار الأديان السماوية الفرنسية التي أرأسها (ADIC) في باريس.

وكان هو من بين الأوائل الذين ساهموا في إنشاء الصرح البنكي المسمى "الأوباف" وهي أولى المؤسسات الاقتصادية البنكية الفرنسية العربية، في فرنسا.

كان الدكتور عادل عامر، متمكناً من اللغة الفرنسية، وقد عمل في بداية حياته مترجماً إلى جوار الرئيس جمال عبدالناصر، وترقى في مواقع إعلامية ودبلوماسية كثيرة، حتى حاز على درجة سفير، .. وحين وافته منيته، كان يقيم في حجرة واحدة، وبإمكانيات مادية محدودة جدا، وكان نموذجاً نادراً لمن يمضون حياتهم، وعمرهم، في خدمة القضايا العامة، دون أن يلتفتوا إلى أنه سوف يأتي وقت يحالون فيه على المعاش، يكونون فيه أحوج ما يكونون، إلى ما يساعدهم على استكمال مشوار الحياة.

ذلك أنه حين أحيل عادل عامر، على المعاش، كان معاشه المقرر لا يتجاوز ٤٠٠ جنيهاً مصرياً، وهذا مبلغ لو تم تحويله يومها إلى الفرنكات الفرنسية، فإنه لا يكاد يكفي للوفاء بأجرة مسكن متواضع.

ولولا أن صديقة فرنسية، كانت بجانبه، يوم سقط في شارع الأوبرا بباريس، عقب أزمة قلبية فاجأته، ما كان أحد قد التفت إليه، أو تكفل بحمله إلى المستشفى قبل أن أحمله جثماناً إلى أرض الوطن.

لذلك، استحق هذا الرجل مني، اليوم، هذه الإشارة إلى جانب من حياته، بل أستطيع أن أقول بكل تواضع، أنه إذا كان "أندريه أولمان" هو أول أستاذ لي في الصحافة، فإن عادل عامر، هو أول أستاذ لي، في الإعلام بوجه عام.

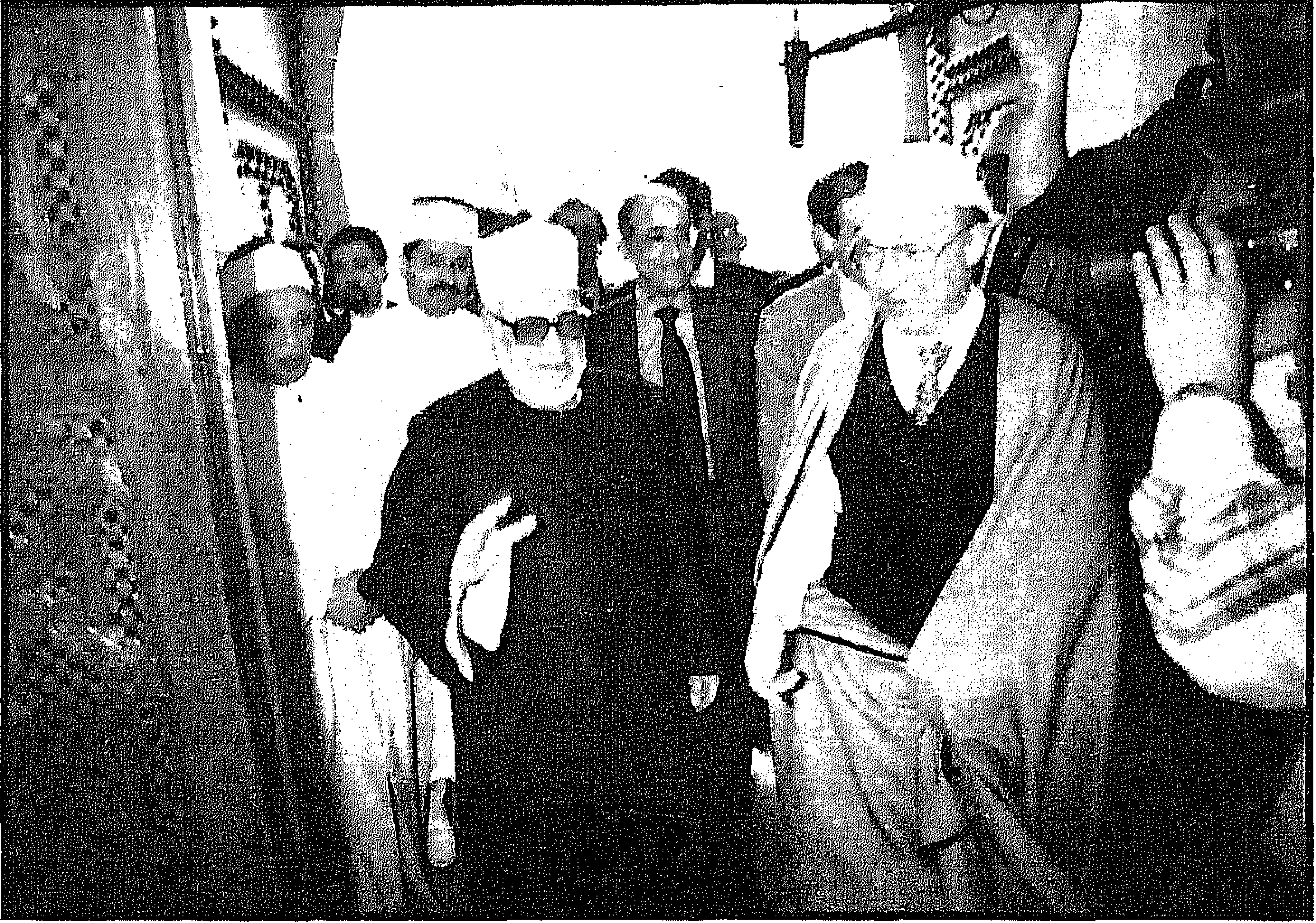
وفي الوقت الذي كان فيه الدكتور عبدالقادر حاتم، وزيراً للإعلام والثقافة والسياحة، كان الدكتور عامر مستشاراً سياحياً وإعلامياً في باريس، وقام – بالتالي- بجهد خارق، ليكون أول من أعاد ثقة السياحة الفرنسية والأوروبية، في مصر، بعد النكسة.

وقد أنجب الدكتور عامر إبنة سماها ليلى، كانت مثله في القدرة على العطاء، وقد تزوجت من الفنان الكبير عمر النجدي، الذي عرفته في فرنسا في الستينات، حين جاء مع عدد من الفنانين يعرضون أعمالهم، ولوحاتهم، في إحدى قاعات الفن بالعاصمة الفرنسية، وكانت الحفاوة بهم كبيرة، خصوصاً من جانب وزير ثقافة ديجول، الكاتب الكبير أندريه مالرو.

أعود إلى مسألة الحوار، لأقول أني كنت عضواً في مؤسسة الحوار، مع الدكتور عادل عامر، ولكني كنت عضواً عادياً، فلم أساهم بدور يذكر، لأني كنت مختلفاً، فكرياً وعملياً، مع الأب ميشيل ليلون، من حيث رغبته واتجاهه، في إدارة المؤسسة.

وعندما رحل الدكتور عادل عامر، تم انتخاب الدكتور تيجاني هدام، رئيس مسجد باريس، رئيساً للمؤسسة، وكان ذلك في عام ١٩٩٤.. وكانت سعادتي كبيرة، بالتعاون مع الدكتور تيجاني هدام، الذي أغناني فكرياً، لأنه رغم تخصصه في أمراض القلب، إلا أنه كان مفكراً إسلامياً جزائرياً معروفاً، وكان مناضلاً في حركة تحرير الجزائر وقت الاحتلال، كما أنه كان يتحدث ثلاث لغات بطلاقة، وكان على علم كبير بالأديان السماوية كلها.

ولم يمض وقت طويل، على انتخابه رئيساً لمؤسسة الحوار، حتى رأت الحكومة الجزائرية أن يعود إلى بلاده، عضواً بمجلس الرئاسة، فانتخبتُ أنا رئيساً لمؤسسة الحوار، وأصبحت في الوقت نفسه، في مواجهة مباشرة، وصريحة، مع الأب ميشيل ليلون، ومع طريقته وأسلوب عمله في المؤسسة، وهو أسلوب كان ينتقده الكثيرون، دون أن يخاطروا بالذهاب إلى مواجهته.



مع الدكتور دليل أبو بكر رئيس مسجد باريس وهو يستقبل الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق.. كانت الزيارة فرحاً لمسلمي فرنسا

وجاء يوم، لن أنساه، اكتشفت فيه أن القيادات المسلمة بالمؤسسة، على خلاف كبير، فيما بينهم، ولم تكن هذه هي المفاجأة لي.. وإنما المفاجأة الحقيقية كانت، حين عرفت أن الأب ميشيل ليلون، هو الذي أثار الوقيعة بينهم، .. وليس هذا فقط، .. إنما بينهم وبيني أيضاً.

وقررت أن أواجهه، وأن أذهب في طريق المواجهة إلى غايته، فدعوت الجمعية العمومية إلى الانعقاد، في فندق "لانكستر".. وهناك واجهته بكل أفعاله وأقواله، الذي استطاع بها أن يزرع الفرقة والانقسام بين قيادات المؤسسة جميعاً.

وحتى هذه اللحظة، لا أنسى ساعة أن طلب مني الأب ميشيل ليلون، أثناء المواجهة، أن نجلس معاً، نحن الاثنين فقط، على انفراد.

واستجبت لمطلبه، وذهبت معه فعلاً، إلى مكان لم يكن فيه سوانا.

وهناك فاجأني فقال لي: لماذا تريد بهذا العنف، وهذه القوة، والقسوة، أن تنهي دوري.

أجبته فقلت: لأنك فرقت بين أخوتي بأسلوب لا يتفق مع المعنى الديني لهذا الزي الذي تلبسه — وأمسكت بجلبابه الأسود - .. ولو أنك قمت، بما قمت به، دون أن تكون واحداً من رجال الدين، لاعتبرنا ذلك عملاً تكتيكياً، مثل أعمال كثيرة يقوم بها أناس عاديون كثيرون، وهي أعمال توضع، في العادة، تحت عنوان كبير، هو: فرق تسد!!.. وربما تكون مثل هذه الأعمال، لو جاءت من غير رجال الدين، نوعاً من الرغبة في السيطرة.

أما وأنك من رجال الدين، والخلق، وبما أنك أيضاً "خادم لله" فإن ما صدر عنك، غير مسموح به أبداً.

وكانت النتيجة الطبيعية، هي استقالة الأب ميشيل ليلون، .. وتسبب خروجه في خروج مجموعة هامة من أعضاء " الأديك"

ولم أكن أتخيل، وقتها، أن طابع التحدي عندي، بهذا الحجم الذي اكتشفته فحين رأيت أن المؤسسة مهددة، قلت بيني وبين نفسي، أنه إذا كان التحدي الذي يواجه المؤسسة، بهذه الدرجة، فلابد من أن أعمل على أن أوفر لها مستوى من التمثيل، غير مسبوق.

ولم أضيع وقتي، فسارعت بالسفر فوراً إلى فينسيا، بمساعدة صديقي "كارل كاهان" رجل البنوك الشهير في أوروبا، وفي قصره بفينسيا، التقيت بكاردينال فيينا، "كينيج" الذي كان أحد أمراء الفاتيكان، وهو أول من أنشأ المجلس الأعلى للحوار بداخله، وكان عالماً، ومتسامحاً، ومعتدلاً، ومحترماً للأديان الأخرى.

أمضيت يومين، في ضيافة "كاهان" أتحاور مع "كينيج" الذي أدخله الله، مكرمة منه، في حياتي، ليكون نقطة تحول، في مستقبل قضية الحوار، بالنسبة لي، ذلك أنه كان صاحب دور كبير، في إنشاء أول لجنة مشتركة للحوار، بين الأزهر، وبين الفاتيكان، كما سيأتي ذكر ذلك، في موضعه الطبيعي، من هذه الفصول.

وهنا أدركت قيمة التحدي الذي قررت أن أقابله، وأن أواجهه، إذ ارتفع مستوى التمثيل في المؤسسة، من الأب ميشيل ليلون، إلى مستوى كاردينال رفيع الدرجة، بل إن الكاردينال كينيج رحب بأن يكون رئيس شرف للمؤسسة.

وأكملت دائرة التحدي، حين التقيت بالدوق أوتودي هابسبورج، حفيد ملك النمسا والمجر، وعضو البرلمان الأوروبي، .. واستطعت أن أقنعه، بدوري، بما نود أن

ننجزه على مستوى الحوار، فقبل الرجل، برحابة صدر، أن ينضم إلى قافلة المؤسسة.

ولم أتوقف عند هذا الحد، وإنما ذهبت إلى ما هو أبعد، فأقنعت الجنرال "لاكاز" رئيس أركان الجيش الفرنسي السابق، بالانضمام إلينا، وكان وجوده في المؤسسة، بمثابة وجود شخصية نادرة فيها، وأصبح نائباً لرئيسها.

وكان من حظي أن التقى أيضاً بأستاذ بجامعة السربون ستيليو فارا نجيس والسكرتير العام للمجلس الأعلى للدول الناطقة بالفرنسية وهو صديق للعرب وذو ثقافة عالمية نادرة وخلق عالي المستوى، وأنتخب بجانبي رئيساً مناوباً لمؤسسة الـADIC.

وكنت على موعد مع نوع آخر، من التحدي، وهو مضمون نشاط الحوار، فعقدت مؤتمراً في السوربون، لا يزال إلى اليوم، أحد مرجعيات الحوار، بالنسبة للمهتمين به، والمتابعين لخطواته، وهو مؤتمر حضره مئات من المدعوين، وكان أهم ما خرجنا به، من هذا المؤتمر، هو ذلك الشعار الذي كان له دوي في وسائل الإعلام، في فرنسا، وأوروبا.. كان الشعار "لن نفرق بين أبناء إبراهيم.. بعد اليوم!!"

وفيه تطرق النقاش، إلى المخاطر، التي تهدد طريق الحوار، وكنا – وقتها – بعيدين كل البعد، عن أحداث سبتمبر ٢٠٠١، ومع ذلك، فإن من بين ما أكدنا عليه، بشكل خاص، وجعلناه أحد مقرراتنا، أن الحوار يعني، أيضاً التصدي للعنف، والتطرف، والإرهاب.

الطريق إلى الأزهر الشريف

إذا صح أن الاهتمام بمؤسسة الحوار، من جانبي، في فرنسا، كان شيئاً أساسياً جداً، فإني أعترف، بأن طموحي، وأملي، بل وحلمي، في ذلك الوقت، كان هو رهاني، بيني وبين نفسي، على قدرتي على أن أخلق، من خلال منصة الحوار هذه، نوعاً من التقارب التنظيمي، بين بيت الإسلام، ممثلاً في الأزهر الشريف، وبين المسيحية الكاثوليكية، ممثلة في الفاتيكان.

وفي أوائل عام ١٩٩٤، التقيت بفضيلة الإمام الأكبر الراحل، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الجامع الأزهر، في ذلك الوقت.. ورغم سمعة التشدد، التي كانت تحيط بالرجل، إلا أنني اكتشفت أنه لم يكن متشدداً إلا في الحق، ولم يكن حازماً، إلا في وضع المفاهيم والحدود، فى مواضعها الطبيعية.

وكنت أكتفي، وقتها، بأن أحيطه علماً، بنشاطنا في مجال الحوار بين الأديان، على الساحة الفرنسة بوجه خاص، والأوروبية بوجه عام.

وتوثقت العلاقة الشخصية بيننا.



Conférence de La Sorbonne le 13 juin 1994

NE PLUS JAMAIS SEPARER LES ENFANTS D'ABRAHAM

لن نفصل بين أبناء ابراهيم بعد اليوم

NEVER AGAIN TO SEPARATE THE CHILDREN OF ABRAHAM

לא להפריד לעולם את בני אברהם

L'appel du président de l'ADIC,M°ELSAMMAN à la conférence de la Sorbonne le 13 juin 1994

en présence,à sa gauche,du Rabbin SIRAT Grand Rabbin du Consistoire de France et,respectivement à sa droite,du Cardinal Dr.KOENIG membre du Sacré Collège au Vatican,du Cheikh Dr.ZAGZOUG doyen de la faculté de théologie d'Al Azhar et du Dr. BOUBAKEUR Recteur de l'Institut Musulman de la Mosquée de Paris.

ثم لحقت به، يوماً ما، في "برن" بسويسرا، حيث كان يتلقى علاجاً هناك..

وفي "برن" شعرت أن هناك لحظات، وتوقيتاً، يختاره الله، ليكون نقطة تحول هامة، فى مسار الأشخاص، والأشياء.

أصارح القارئ، وأقول بأمانة، إن الحوار بين الأزهر والفاتيكان، ولُد في أبريل ١٩٩٤، عندما خططت – وأعترف بأن ذلك تم من جانبي عن قصد – ليأتي صديقي الكاردينال "كينيج" من فيينا، لزيارة شيخ الأزهر، في برن، ليطمئن على صحته.

ثم سمح الوقت، ليجتمع الرجلان، جلستين كاملتين، على مدى خمس ساعات، شعرت بعدها، أن حبلاً من المودة والثقة، قد نشأ وامتد بينهما.

وعندما انتهى اللقاء، بينهما، قال لي شيخنا الراحل: يا دكتور علي.. هذا طرح جديد، لقضايا الحوار، أفهمه، وبالتالي فإن فكرة التعاون بين الأزهر والفاتيكان، قابلة للبحث.

وكان الشيخ جاد الحق، دقيقاً في كلامه، دقة رجال القانون، فهو لم يقل: قبلت الحوار.. وإنما قال: نبحث الحوار،.. أي أنه يمكن أن يوضع على المائدة.

ولم أشأ أن أضيع وقتاً طويلاً، قبل أن أعقد مؤتمر السوربون، الذي حضره ممثلون للأديان السماوية الثلاثة، في يونيو من نفس العام.



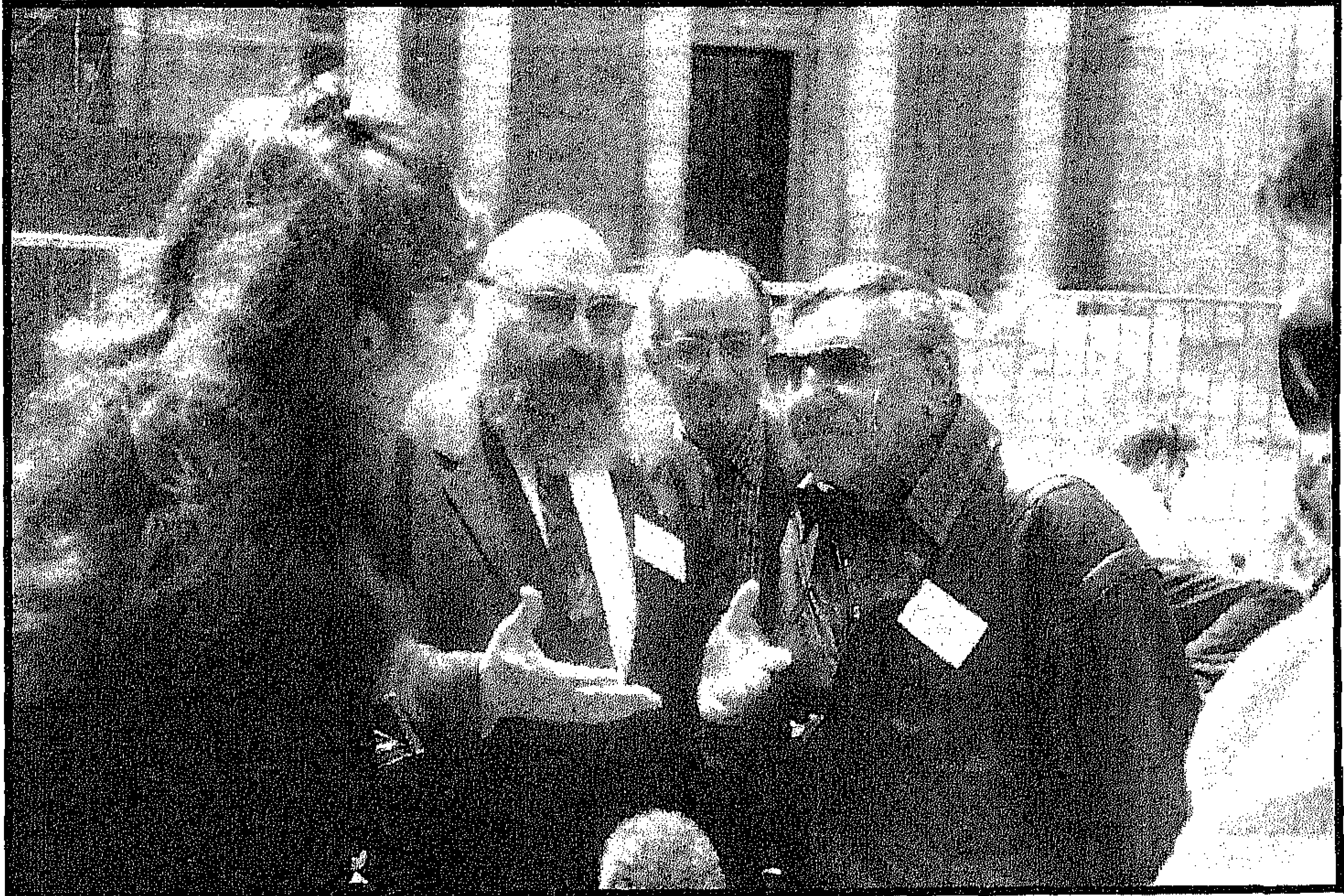
د. علي السمان مع فضيلة الإمام الأكبر، وفضيلة الشيخ فوزي الزفزاف، والحاخام سيرات.. (يوجد أحياناً حاخامات عقلاء ومعتدلون)

وللأمانة التاريخية، أقول أني حينما تكلمت مع الإمام جاد الحق، يرحمه الله، عن حدود الحوار، قال لي: "عندما نخرج عن مستوى المفرد، أى الإسلام في قضية مثل قضية الحوار، فإن الحوار ينعقد بين الأديان السماوية الثلاثة.. وأضاف الشيخ الراحل: أما أن تجد اليهود القادرين على الحوار، فهذه قصة أخرى".

وهذا ما شجعني على أن أدعو، إلى المؤتمر، الكاردينال كينيج، ورئيس وعميد مسجد باريس د. دليل أبو بكر، ثم – وبعد موافقة شيخ الأزهر – الدكتور محمود حمدي زقزوق، عميد كلية أصول الدين، وقتها، ووزير الأوقاف فيما بعد، وكذلك دعوت الحاخام "سيرات" وهو رجل معتدل، ودعوت قصداً، الأخ والصديق مفيد فوزي للحضور إلى باريس، رغبة في طرح مؤتمر السوربون، على خريطة برنامج "حديث المدينة".. ليكون متاحاً أمام أكبر عدد من الناس.

وقام مفيد فوزي، بجهد متفرد، ومؤثر، في مسيرة الحوار، بعد ذلك.. فعندما سأل مفيد فوزي الحاخام "سيرات" عن موقفه قال: أنني أستاذ أديان، وقد قرأت كل كلمة في القرآن والحديث، وأشهد أنني لم أصادف كلمة واحدة تدعو إلى العنف، أو التطرف، أو إلى رفض الآخر.

ووقف الكاردينال كينيج ليقول: من الأديان نتعلم، ومن الإسلام تعلمت.



بعد مؤتمر فى السوربون، وقف الكاتب الكبير مفيد فوزي يتحدث مع الحاخام سيرات الذى قال له: لم أجد كلمة واحدة فى القرآن أو السنة تدفع إلى التطرف أو العنف، أو الإرهاب

ثم كان للدكتور زقزوق حديث مؤثر، عن مكانة الحوار في الإسلام، وعن أهميته.

وكان اهتمام الإعلام الفرنسي بالمؤتمر، وأعماله، كبيراً، وواسعاً.. ذلك أني اعتمدت، في ذلك، على علاقاتي بقياداته، أقصد قيادات الإعلام الفرنسي، على مدى أكثر من ثلاثين عاماً، ودعوتهم إلى مائدة مستديرة داخل أعمال المؤتمر، تحت عنوان كان لافتاً للنظر، ومثيراً بالنسبة لهم، وهو: لماذا لا تعطون مكاناً في الإعلام لما هو إيجابي، مثل الحوار؟!

ودفعتني تجربتي الإعلامية، إلى أن أعمل على أن يستفيد الحوار، مما أخرجه وقدمه مفيد فوزي باقتدار، فرجوت الإمام الأكبر أن يرى فقرات الحوار في البرنامج..

واستجاب الرجل، بكرم ظاهر، وإذا به يبادر بالاتصال بي، في اليوم التالي، ويقول: بصراحة، لقد وصلتني رسالتك، وفهمتها.. إنني أفوضك يا دكتور علي، وأقول لك، أذهب إلى المجلس البابوي للحوار بالفاتيكان، ولا تتردد في تلبية طلبهم، من أجل فتح باب الحوار قبل أن نتكلم فى تنظيمه.

وخلال أيام، كنت هناك، مجتمعاً مع الكاردينال "إرينزه".. رئيس المجلس البابوي، وهو نيجيري الأصل، وكان معنا أيضاً مساعده المطران "فيتس جيرالد".

وقلت للكاردينال إرينزه: جاء اليوم الذي نفتح فيه آفاق التعاون، بين مؤسستين دينيتين، عمر كل منهما أكثر من ألف عام.

وفي لقاء مع "فيتس جيرالد" أشار بدبلوماسية مهذبة، إلى مغامراتي مع الأب "ميشيل ليلون" الذى كان على علاقة وثيقة به، فوضعت أمامه الصورة كاملة، حول قصة الخلاف بيننا، وكذلك قصة تعاوني، وصداقتي، بل وتحالفي، مع الكاردينال كينيج.

وقلت له: الأديان تعني بالنسبة لي، الكثير.. والسماحة تعني بالنسبة لي، الكثير أيضاً.. ولكن عليك أن تعلم، أن الحوار بالنسبة لي أيضاً، هو مواقف واضحة وصريحة، ولا تنازل عن المواجهة الفكرية، إذا أستلزم الأمر ذلك ولكن من المفيد أن أقول أن اتصالاتي التليفونية بالأب ميشيل ليلون استمرت للاطمئنان عليه وعلى صحته لأن أخطاءه فى التعامل لم تجعلني أنسى إيجابياته وأن الخلاف لا يمكن أن يوصلني إلى كراهية أو بغضاء.

وعدت إلى القاهرة، لألتقي بالشيخ جاد الحق، الذي لقيني مرحباً، ثم قال: لقد وافقت، كما تعلم، على أن يبدأ التفاوض، وعلى أن تبدأ المباحثات بيننا و بين

الفاتيكان، ولكن أرجو أن تعلم أيضاً، أن قبولي بمبدأ التفاوض والحوار، مع الفاتيكان، لا يعني أنني أستطيع أن أعطي أمراً لمن حولي، فيطيعون.. الحوار إرادة، وقبول فردي.. والطريق أمامك مفتوح، لتلتقي بالأخوة قيادات الأزهر، لتقنعهم، لأنني لا أريد أن تأتي ساعة التوقيع على اتفاق رسمي بيننا، فيخرج صوت واحد يقول: لا.. أو يقول: لماذا ؟

ولكي أضع هذا التوجه أو التوجيه، من جانب الإمام الأكبر، موضع التنفيذ، بدأت رحلة مع الأخوة والأصدقاء، من رجال الأزهر، وقياداته، وكان مشواري معهم، يعتمد على الكلمة الهادئة، غير الملحة، وغير المتعجلة، ولا أبالغ إذا قلت أن ذلك قد استغرق مني نحو أربع سنوات، أي إلى عام ١٩٩٨، على وجه التقريب.

ومن وقتها وأنا أرددها كثيراً، لمن حولي، وأقول: "من يريد أن ينشغل بأمر من أمور الدين، دون أن يكون لديه الصبر الكافي والوقت أيضاً.. فليبحث عن موضوع آخر..!"

وأشهد الله، أن الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق رحمه الله، بسماحة نادرة، ورحابة عقل وصدر، يندر أن يكون لها مثيل، طلب أن تترجم كل كلمة قيلت في مؤتمر السوربون إلى العربية، - وكانت أعمال المؤتمر تقع في أكثر من ٢٠٠ صفحة – على أن يجري توزيع نسخة الأعمال كاملة، على أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، وأن يبدي كل واحد منهم، رأيه في موضوع الحوار.

التنازل عن الشكل يأتي على حساب المضمون

حينما تتفاوض مع الفاتيكان، تفاجأ عند الممارسة، وبعد وقت معين، أن مؤسسة الفاتيكان لها في نهاية المطاف، شكل الدولة، مثل بقية الدول، بوزراء، وسفراء، وسياسة خارجية، كما أن لها كنيسة تدير شئون المؤمنين بها..

وحين يتفاوض الأزهر، مع الفاتيكان، فمن الطبيعي أن يتفاوض مع الكنيسة، وبالتالي فإن المعايير، من المفترض، أن تكون دينية فقط.. غير أن الواقع، يقول إنك أثناء التفاوض مع الفاتيكان، تشعر بظل الدولة يخيم على مسيرة المؤسسة الدينية، وقد تجسد ذلك، لي، فى واقعتين محددتين:

الأولى عندما ثار سؤال، عمن سيكون رئيس الجانب الإسلامي، فى اللجنة المشتركة بين الفاتيكان، وبين الأزهر.. وقد رأيت أن الفاتيكان يفضل أن يكون شيخ الأزهر، هو رئيس هذه اللجنة، من جانبنا.. عندئذ، انتقل ذهني فوراً، إلى فكر الدولة، وأحسست أنه سيكون هناك خلل، فى مستوى التمثيل، من ناحيتنا،

إذا ما قبلنا أن يكون شيخ الأزهر، هو ممثلنا، فى الوقت الذى سيكون ممثلهم مجرد كاردينال، وأصررت، أثناء التفاوض، وبعد التشاور مع الشيخ جاد الحق، أن يكون ممثلنا هو وكيل الأزهر، وقلت لهم فى الفاتيكان: أتمني أن تكونوا سعداء، لأن الإمام الأكبر أختار لكم الرجل الثاني فى مؤسسة الأزهر، فى حين أن الجانب المسيحي، لن يمثله الرجل الثاني فى الفاتيكان، وانتهى الأمر بأن قبلوا وجهة نظري، وتم احترام مستوى التمثيل، وإعطاء شيخ الأزهر، المستوى الذى لا يجب أن نحيد عنه.

وكانت تجربة لي، لأتحقق مما هو ثابت فى ذهني، على مدى ٤٠ عاماً من التعامل مع الغرب، وهو أنه لا يجب التنازل معهم عن الشكل – أى مستوى التمثيل مثلاً – لأن ذلك يلحق أبلغ الضرر، بعد ذلك، بالمضمون.. والغريب أن لدينا ما نردده، على سبيل الفخر، أحياناً، وهو أننا لا نهتم بالشكليات.

وهنا أقول: لا.. فالشكل، فى فكر الغرب، يكمل المضمون.

أما الواقعة الثانية، التى أكدت لي، أن فكر الدولة، فى الفاتيكان، حاضر ومؤثر، فهى أنني أصررت، على أن يُشار، فى قلب الاتفاق بين الأزهر والفاتيكان، إلى دور الذين كانت لهم المبادرة بالتمهيد لهذا الاتفاق، مبكراً.. وكنت أعني، تحديداً، الكاردينال كينيج، صاحب الفضل فى تمهيد الأجواء عند لقائه مع الشيخ عام ١٩٩٤.. ثم مؤسسة "الأديك".

ولكن الفاتيكان، كمؤسسة دينية عالمية عالية المستوى، كانت ترى أنه من الصعب عليها، أن تعترف فى اتفاق كهذا، بدور مؤسسة متواضعة، مثل "الأديك" حتى ولو كان حجم هذه المؤسسة ضخماً فى فرنسا.

ولكني أصررت على هذه النقطة، بقوة، ودعمني فيها، فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف، رئيس اللجنة الدائمة لحوار الأديان بالأزهر، معتبراً أنها تنتمي للمبادئ الأخلاقية العامة، أى فضيلة الاعتراف بالجميل.

وكانت سعادتي كبيرة، وكذلك زملائي فى "الأديك" عندما ورد اسم مؤسستنا، كأحد بذور الطريق إلى التعاون، بين الأزهر والفاتيكان، خاصة وأن ذلك قد وجد طريقه، إلى النشر، فى الإعلام الأوروبي، على نطاق واسع.

وحين إنتقل الشيخ جاد الحق، إلى جوار ربه، كنا قد قطعنا شوطاً كبيراً، فى الاتفاق على بنود ونصوص الاتفاقية، بدعم كامل منه، وكنا فى خطواتها الأخيرة.. حتى إذا جاء فضيلة الإمام الأكبر، الدكتور محمد سيد طنطاوى، كان علينا أن نسارع إلى الخطوات الأخيرة، من الاتفاقية، وإعداد الأرض للقاء أخير، بين

وفد الفاتيكان، برئاسة المطران فيتزجيرالد، مع الإمام الأكبر الدكتور سيد طنطاوى، الذى أذكر له، أنه وضع قاعدة صلبة، صارت مرجعاً بعد ذلك، يستظل بها الجميع فى تأكيد إرادتهم للحوار، مع انتمائهم الديني والإيماني، عندما أعلن فضيلته أمام الجميع، وبكل صراحة: لا حوار فى العقيدة، لأنها ستكون سبباً فى التفرقة، ولنعمل سوياً فى البحث عن القيم المشتركة للأديان، لنلتقى على أرضية التعاون بينهما، وفوق كل ذلك، فإنه وافق، على أن يعطى لجنة الحوار بالأزهر، أقرب مكان إليه، فى مبنى المشيخة مما دعم مكانتها.

وبعد هذا اللقاء، بين شيخ الجامع الأزهر، ووفد الفاتيكان، أذكر أني عدت إلى بيتي، ليلاً، وأنا أتأمل وأفكر فى مشوار الحوار، على مدى أربع سنوات، ثم تأملته، وهو على وشك أن يكلل بالنجاح، وقمت أصلي لله شكراً، فهو الملهم،.. وهو خير المستعان.

ثم أصارح القارئ، وأصارح نفسي، وأقول أنه فى هذه اللحظة من التأمل، جاءتني فكره ملخصها: لماذا لا نؤسس لجنة دائمة لحوار الأديان، فى الأزهر الشريف، قبل أن ننشئ اللجنة المشتركة للحوار، بين الأزهر وبين الفاتيكان ؟.

وساءلت نفسي: لماذا لا نؤسس لجنة كهذه، فعلاً، تقوم هى بتوقيع الاتفاق، وتفتح الباب لاتفاقيات أخرى مع الكنائس الكبرى المختلفة، على مستوى العالم.

وكان المعنى الكامن وراء هذه الفكرة، هو أن نقول، إننا ذهبنا إلى طريق الحوار، بمبادئنا، وبفكرنا، وأن الأزهر أصبح لديه مؤسسة للحوار.. وكان هناك معنى آخر أيضاً، وهو أننا لم نذهب للحوار، استجابة للآخرين.. وإنما لأن ذلك نابع من ديننا، الذى حاور الله تعالي، فيه رسوله،.. وحاور الرسول مَنْ كانوا حوله.. وحاور أتباعه أيضاً.

وليس سراً على أحد، أن دخول الأزهر، كمؤسسة حوار عالمية، لم يكن سهلاً بالمرة، ولا كان هيناً، ويكفى أن نعلم، أن فضيلة الإمام الأكبر، الشيخ عبدالحليم محمود، شيخ الجامع الأزهر الأسبق، رفض عرضاً من هذا النوع، عام ١٩٧٥، من جانب الفاتيكان، وكانت خشيته من أن يمتد الحوار، ليمس العقائد، أو ينال منها.

واستغرق إعداد النصوص الأخيرة، من الاتفاقية، نحو ستة أشهر، بعد مجيء الشيخ طنطاوى، إلى المشيخة، وبدعم من الشيخ فوزي الزفزاف، الذى كان قبلها أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية، ثم أصبح وكيلاً للأزهر، وفى مرحلة

متقدمة، وعند التحرير النهائي للاتفاقية، تم الاتفاق على أن يكون رئيس اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان، هو وكيل الأزهر.

وجاء يوم لا أنساه ففى ٢٨ مايو، عام ١٩٩٨، تم التوقيع على هذه الوثيقة التاريخية، وكان الذى وقع عليها، من جانب الأزهر، الشيخ فوزي الزفزاف، وكيل الأزهر، ورئيس اللجنة الدائمة لحوار الأديان، ومن الفاتيكان وقع الكاردينال "إرينزه" والمطران "فيتس جيرالد".

إنني أدعو الله، أن يقينا شر ومخاطر الغرور، وأنا أعترف، بأني شعرت بفخر كبير، لأن إسمي قد اقترن بهذه الوثيقة التاريخية، التى ستذكرها الأجيال، فيما بعد، مهما كانت مشاكل الحوار، وعقباته، وأحياناً إحباطاته التى تحيط به.. ففى نهاية المطاف، سوف نقول: من هذا اليوم، ومن هذه الوثيقة، بدأت مرحلة تاريخية جديدة، فى الحوار، وفى دور هاتين المؤسستين الكبيرتين على الساحة العالمية: الأزهر والفاتيكان.

وأذكر، الآن، أني حين أردت — فى اليوم اللاحق لتوقيع الوثيقة — أن أبعث إلى ابني سامي، فى نيويورك، بهدية، فإنني اكتفيت بأن أرسل إليه صورة طبق الأصل، من الوثيقة، موقعاً عليها بأسمائنا[1].

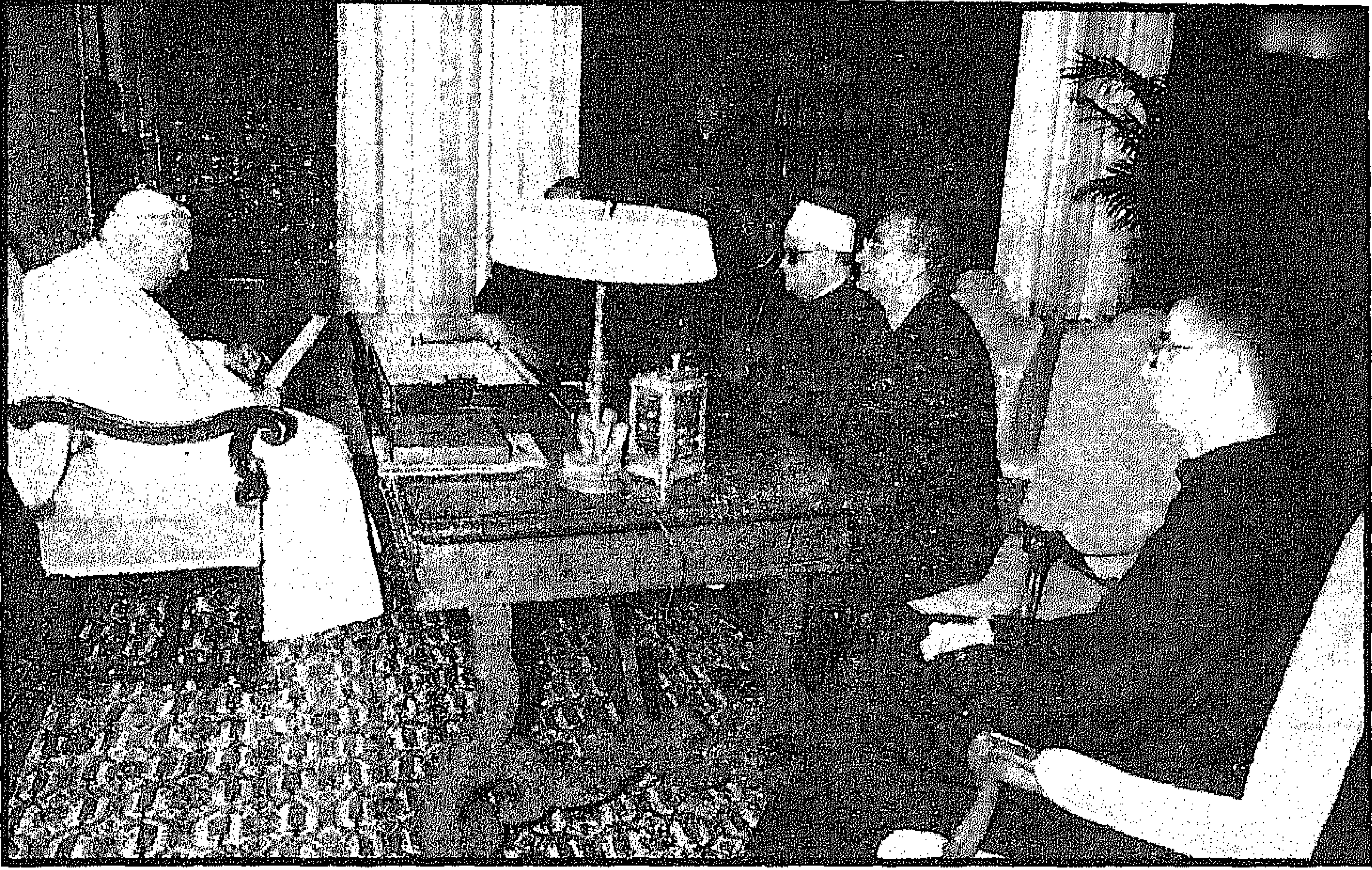
أما اللقاء مع البابا يوحنا بولس الثاني، بابا الفاتيكان، فى اليوم التالي للتوقيع، فكان لقاء مهيباً، ومؤثراً للغاية.. وكان ذا مراسم رفيعة، وعالية.. إذ استقبلنا عند الباب الخارجي لمبنى الفاتيكان أفراد من حرس البابا الذى يسمى بالحرس السويسري، ورافقنا إلى حيث تلقانا الكاردينال "إرينزه" الذى اصطحبنا إلى قاعة فسيحة ومهيبة، وفيها استقبلنا البابا، وألقى علينا خطاباً رسمياً، أشار فيه إلى الأهمية التاريخية لهذا اليوم، وإلى أهمية الوثيقة التى وقعنا عليها.

وألقى فضيلة الشيخ الزفزاف، كلمة الإمام الأكبر، شيخ الأزهر.

وحين جاء دوري، أصررت مع إدارة البروتوكول بالفاتيكان، أن كلمتي لن تكون، كما تقضى قواعد البروتوكول عندهم، مكتوبة.. وإنما ستأتى من وحي الساعة، ومن وحي اللحظة.

---

(1) راجع الوثيقة



قداسة بابا الفاتيكان عند استقباله للشيخ فوزي الزفزاف والدكتور علي السمان فور التوقيع على اتفاقية التعاون بين الأزهر والفاتيكان عام ١٩٩٨

وخرجت مع فضيلة الشيخ الزفزاف، إلى ساحة الفاتيكان، ليلتف حولنا رجال الإعلام العالمي، ويحيطون بنا، من كل جانب، ولنعلن على الملأ، وفى يدنا نص الوثيقة، ونقول للعالم، أن باب الأزهر، وقلبه، وعقله، مفتوح للحوار، وأننا سنعمل مع مؤسسة الفاتيكان، لنبني للأجيال المقبلة، فرصة الأمل، فى غد أفضل، يقوم على الحوار، الذى يتقبل الآخر، فى سماحة، ورحابة صدر، وعقل، وقلب...

الفصل الثالث والثلاثون

طريق الأزهر إلى العالمية

- الإمام الأكبر ونائب الرئيس الأمريكي، وتوني بلير، ووزراء داخلية فرنسا
- فيينا عاصمة الحوار
- الأزهر بين العالمية والعولمة
- دور أمارسه بين مسلمي وأقباط مصر .. "على مسئوليتي"

الإمام الأكبر ونائب الرئيس الأمريكي و تونى بلير و وزراء داخلية فرنسا

أعترف بأنني تعمدت القيام بأكبر حملة إعلامية، ساهم فيها الفاتيكان، حول اتفاقية ١٩٩٨، بينه وبين الأزهر.. لقد كانت هذه الاتفاقية تعنى، بالذات بالنسبة للغرب، أن الأزهر يعترف، رسمياً، بالآخر، وأنه يتعاون مع هذا الآخر، ويوقع أيضاً وثيقة اتفاق مع الآخر.. وكان ذلك معناه، أننا نطوى صفحة أعوام طويلة، من الشكوك المتبادلة، وكانت الاتفاقية، بداية مختلفة، استطاع الأزهر، من خلالها، أن يجلس فى المقعد العالمي للحوار الذى يستحقه لاسيما وأن الأزهر مارس على أرض الواقع إسلام السماحة والوسط على مدى ألف عام من عمره.

ولقد لاحظت، بعدها، أن عدد رؤساء الدول، ورؤساء الوزارة، والوزراء، والقادة، الذين يأتون إلى بيت الإسلام، فى ازدياد، بل إنهم كانوا يصرون، ويضعون فى برنامجهم، اللقاء مع شيخ الأزهر، يحاورونه، ويناقشونه حول مكانة الأديان الأخرى فى الإسلام، وحول الإسلام والسلام، وحول الإسلام وقضايا العصر.



فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهـر، مع آل جور نائب الرئيس الأمريكي السـابق.. الوزير د. يوسف بطرس غالي ود. علي السمان، وهو لقاء أثار عاصفة إعلامية بعدها

وحين نتكلم على سبيل المثال، عن لقاء شيخ الأزهر، وآل جور، نائب الرئيس الأمريكي السابق، الذى التقى بالإمام الأكبر، فى مشيخة الأزهر القديمة، فإن الملاحظة الأولى، أن آل جور كان قد قرأ جيداً، تاريخ الأزهر، قبل مجيئه، وكان أيضاً قد اطلع على الخطوط العريضة لعقيدة الإسلام.

وحين وجد نفسه أمام شيخ الأزهر، قال له: أصارحك أني قد تعلمت كثيراً، من قراءاتي عن الإسلام.. وكان حواراً غنياً، وموضوعياً، بينهما..

وأكثر ما فاجأني، وأدهشني، أن تنطلق حملة إعلامية كبيرة، فى اليوم التالي، للقاء الرجلين، عن التعليمات التى أعطاها آل جور، لتغيير برامج التدريس فى الأزهر الشريف.

وما أذهلني فى هذه الحملة، أني كنت طرفاً حاضراً ونشطاً، فى جلسة اللقاء بين الإمام الأكبر، وبين آل جور، الذى لم ينطق بكلمة واحدة، ولم يتدخل بأى قدر، من ناحيته، أو ناحية حكومته فى برامج التعليم بالأزهر.

وأذكر أني كتبت يومها بجانب مقال كبير للإمام الأكبر، كلمة نشرتها الأهرام قلت فيها هذا المعنى، ورددت فيها على تلك الحملة، وكانت بعنوان: شهادة حق..

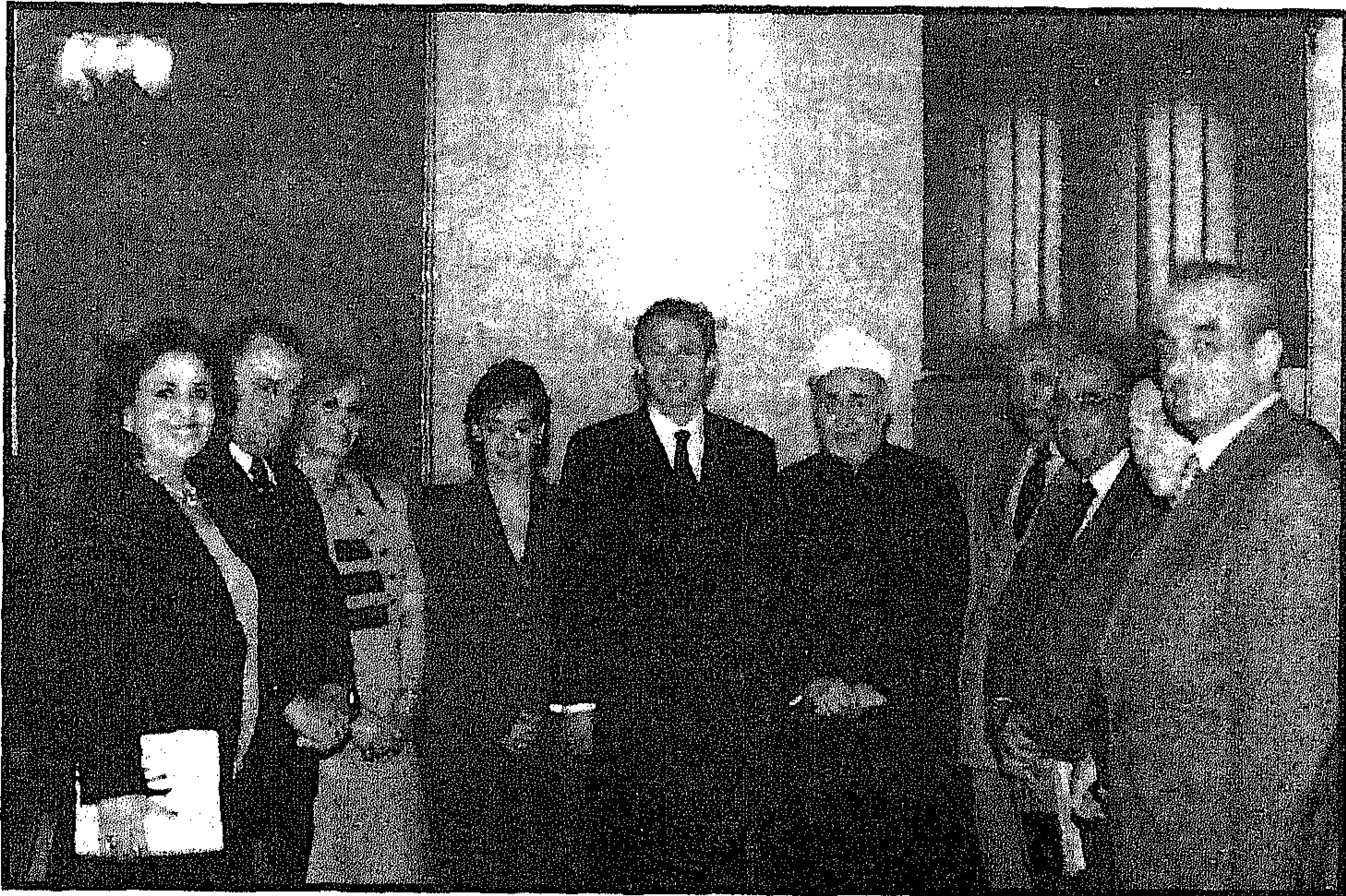


وعندما جاء تونى بلير، رئيس وزراء بريطانيا، لزيارة الأزهر، كان الحوار بينه وبين الإمام الأكبر، حواراً خاصاً، ومهماً، لأن تونى بلير يمارس دينه، ويؤمن بأهمية حوار الأديان، ويدافع عنها.. ولذلك، كان مهتماً بأن يوضح لشيخ الأزهر، أهمية أن يقوم حوار، وتعاون بين الأزهر، وبين كنيسة إنجلترا، التى تسمى كنيسة كانتربرى، أو الكنيسة الأنجيلكانية، التى ترأسها ملكة إنجلترا، من خلال رئيس الأساقفة اللورد جورج كارى وقتها، .. وأبدى شيخ الأزهر ترحيبه، بالتعاون مع كنيسة كانتربرى، خاصة وأن مصر كانت قد وقعت اتفاقية مع الكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان.

وكان تونى بلير مهتماً بأن يشرح، علاقة الدولة بالمجتمع الإسلامي فى إنجلترا، وكيف أنها علاقة تفاهم وتبادل للرأى، وأنه يعتبر أن قضية العصر ستدور حول الإجابة على هذا السؤال: كيف يمكن أن تتطور المجتمعات الأوروبية، كدول متعددة الأديان، والثقافات، مثل إنجلترا، وفرنسا، بل وحتى ألمانيا.

وأذكر جيداً، كيف أنصت تونى بلير، إلى شيخ الأزهر، وهو يشرح له مكانة الأديان الأخرى فى الإسلام، ثم وهو يذكره بكلمات الأمير تشارلز، ولى عهد بلاده، والرئيس الشرفي للمركز الإسلامي فى جامعة أكسفورد، الذى قال إنه تعلم من الإسلام كثيراً، مثل الكاردينال كينيج، أحد أفراد كنيسة الفاتيكان.

وبدأ رؤساء وزراء من الدول الاسكندنافية، ووزراء من معظم الدول الأوروبية، يتوافدون على الأزهر، وكانوا إذا انتهوا من لقائهم مع الإمام الأكبر، مروا أحياناً بمكتب اللجنة الدائمة لحوار الأديان بالأزهر الشريف، وهى على بعد خطوات من مكتب الإمام الأكبر، والتقوا مع الشيخ الزفزاف، رئيس اللجنة، ومعي، باعتباري نائب رئيس اللجنة، وكانوا يتعرفون، من خلال هذه الزيارات، على أعمال وبرامج لجنة الحوار على المستوى الدولي، ويغادرون المكان وهم على قناعة كاملة بأهمية الدور الذى يلعبه الأزهر، على المستوى العالمي، فى مجال حوار الأديان، لتحقيق أهداف محددة، من بينها السلام والتصدى للظلم.



فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى مع تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا وحرمه ود. عاطف عبيد رئيس الوزراء الأسبق وحرمه، ود. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر السابق بمناسبة زيارته الرسمية للأزهر وتقديره لدعوة فضيلة الإمام له لزيارة الأزهر الشريف

وكان وزراء داخلية فرنسا، من أكثر الوزراء الأوروبيين تردداً، على الأزهر الشريف، لأن وزير الداخلية فى فرنسا، هو من الناحية القانونية، وزير الشئون

الدينية أيضاً.. وكان "بيير جوكس" أحد أركان نظام ميتران، وقت أن كان وزيراً لداخليته، ومن خلال نقاش له مع الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، علمت أن هناك فكرة إنشاء مجلس تمثيلي لمسلمي فرنسا ناقشاها سويا وأعطى الإمام الأكبر رأيه وشجع المبادرة، وهى فكرة صاغها "شيفانمان" وزير الداخلية الفرنسي اللاحق، والذى كان مرشحاً لرئاسة الجمهورية فى فرنسا، فى وقت من الأوقات.. ثم جاء وزير الداخلية "سيركوزى" لمقابلة شيخ الأزهر، والتعرف على رأيه فى القانون بمنع وضع العلامات الدينية المميزة لطلبة المدارس ومن بينها بطبيعة الحال الحجاب، ولقد كان الإمام الأكبر حريصاً جداً أن يعلن موقفه بصراحة قبل بدأ المباحثات الرسمية بينه وبين وزير الداخلية، حتى لا يقال أن موقف شيخ الأزهر كان متأثراً بما طرحه الوزير الفرنسي أثناء المباحثات وذلك تأكيداً على استقلال رأى الأزهر وإمامه.

وكان رأى الإمام فى هذا الموضوع:

إذا كانت المرأة المسلمة تعيش فى غير دولة الإسلام كدولة فرنسا مثلاً، فى هذه الحالة عندما تستجيب المرأة المسلمة لقوانين الدولة غير المسلمة تكون من الناحية الشرعية الإسلامية فى حكم المضطرة.

مشاكسات مع الداخلية الفرنسية .ومعاوني الرئيس يقفون بجانبي

وأصارح القارئ، بأن وزارة الداخلية فى فرنسا بالذات، كانت على مدى عقود طويلة، من التاريخ، مناهضة لفكرة التقارب مع الأزهر، وكأنها لم تنس معركته ونضاله ضد غزو نابليون لمصر..!

وأذكر، بهذه المناسبة، أني تعرضت شخصياً، لضغوط من أحد وزراء داخلية فرنسا السابقين، بسبب وقفتي بجانب العالم الدكتور تيجاني هدام رئيس مسجد باريس السابق، الذى أرادت الداخلية الفرنسية، فى ذلك الوقت، أن أقف إلى جوارها، كنائب لجمعية "حوار الأديان، وتعليم السلام فى باريس"، من أجل التخلص من "هدام" الذى كان رئيساً للجمعية.. كان ذلك، بعد أن تم تعيينه عضوا فى مجلس الرئاسة الجزائري، غير أني تحديت هذا الاتجاه، وطلبت عرض طرح الثقة فى الدكتور هدام، على مجلس إدارة الجمعية، فتراجع مَنْ كانوا يريدون شراً بالدكتور هدام، فى مجلس الإدارة، وتوقفت روحهم العدوانية، تجاهه، بعد ذلك.

وكان مستشار أحد وزراء الداخلية الفرنسي، يمارس على مدى أكثر من ١٥ عاماً، مبدأ "فرق تسد" داخل قيادات الجالية الإسلامية فى باريس، وكنت أنا

أعمل فى الاتجاه المعاكس له، ففوجئت به، يوماً، يطلب من صديق فرنسي مشترك، وهو طبيب، أن نلتقي على عشاء، فى نادى الحلفاء، الذى يقع علىّ بعد خطوات من مبنى وزارة الداخلية الفرنسية.. وبعد انتهاء العشاء، رافقني المستشار، حتى باب النادى، وفوجئت به يقول لي: يؤسفني أن أبلغك رسالة من وزير الداخلية، وهى أنك بمواقفك، قد تخطيت الضوء الأحمر.

فقلت: هل أنت مفوض بأن تنقل له ردي ؟

قال: نعم

قلت: أبلغ السيد الوزير، أنه ليست هناك أية مشكلة، والمشكلة الوحيدة هى المسافة التى تفصلنيَ عن مطار باريس،.. وعند وصولي إلى القاهرة، سآخذ كامل حريتي فى التصدى لسياساتكم.

وأعترف أني، قبلها، كنت قد طلبت من أصحاب الأقلام المشهورة، أن يقفوا إلى جوار مسجد باريس، ورئيسه، والدفاع عن مسلمي فرنسا، وكان الأستاذ إبراهيم نافع، أول من لبى النداء، وكتب مقالاً مهماً فى الأهرام.. كما كتب المرحوم ثروت أباظة مقالاً شهيراً بعنوان: "الوزير الذى أطفأ النور فى عاصمة النور".

وتم لصق صور من الترجمات لهذه المقالات، على حوائط مسجد باريس، وعلى جدران المساجد الأخرى، وهذا ما يفسر إنذار وزير الداخلية لي، بأني تجاوزت الضوء الأحمر.

وفى اليوم التالي للإنذار، ذهبت إلى "دى جرو سوفر" وهو صديق فرنسي كان يعمل مستشاراً للرئيس الفرنسي، وكان من اليمينيين النادرين، داخل رئاسة ميتران الاشتراكية، بل وكان من النبلاء.. وكانت تربطني به مودة كبيرة.. وحين قصصت عليه حكاية وزير الداخلية معي، اتصل مباشرة بالرئيس، على الفور داخل القصر، وقدم إليه الموضوع، على أن وزير الداخلية يخطئ — مرة أخرى — فى الهدف، وفى الأسلوب، بتعامله معي.. ثم ختم كلامه، وهو يقول للرئيس الفرنسي ميتران، أن وزير الداخلية يقود حرباً دينية مع مسجد باريس، مع أن كل الذين رأسوه، كانوا ولا يزالون على علاقة احترام متبادل مع فرنسا.

ولا أدرى ماذا قال له الرئيس ميتران.. ولكن الذى رأيته، أن صديقي هذا، أكمل مهمته، وأنا جالس أمامه، واتصل بوزير الداخلية، وأبلغه أن الرئيس ميتران لا يريد تفجير أى مشاكل مع مسجد باريس، ولا مع رئيسه، ولا أيضاً مع الدكتور علي السمان.

ومما لفت نظري، خروجاً عن قواعد العمل فى الرئاسة الفرنسية، أن يستجيب الرجل، فوراً، لما عرضته عليه، وأن يطلب الرئيس أمامي، ثم يطلب وزير الداخلية، وكان ذلك يعنى، بالنسبة لي، ثقة كبيرة فى شخصي.

وقد كان صديقي هذا، يتولى موقع مستشار الرئيس للملفات الحساسة، أو ذات الحساسية الخاصة.. فمثلاً.. ملف العلاقات الفرنسية المغربية، كان من اختصاص الخارجية الفرنسية.. ولكن العلاقة مع ملك المغرب، كانت من ضمن اختصاصاته.

وأذكر أيضاً، فى هذه المناسبة، أن علاقة قوية كانت تربطني بالعميد "بروتو" رئيس أمن رئيس الجمهورية الذى كان قد أنشأ فرقة محاربة الإرهاب، وهى الفرقة التى يعرف كثيرون أنها هى التى ذهبت إلى مكة، أثناء عدوان بعض الإرهابيين على المسجد الحرام في نهاية السبعينات فاستطاع أفراد هذه الفرقة، إنقاذ الموقف، وإنقاذ الرهائن.

وقد اتفقت السلطات، فى البلدين، وقتها، على التزام السرية الكاملة، حول دور فرنسا، وهذه الفرقة، فى تلك العملية بالذات.

وكانت فرقة مقاومة الإرهاب هذه، قريبة مما نسميه عندنا، فرق الصاعقة، أو الفرق الخاصة، وهى فرقة تنتمي إلى الجيش، ويخضع أفرادها لتدريب جسدي، ونفسي، وعلمي، يومياً، مما يجعلهم قادرين على التعامل مع تطور عقلية الإرهاب..

وعندما جاء الرئيس الفرنسي ميتران، إلى الحكم، فاجأ الجميع عندما لم يعين مدير أمن رئاسته، من وزارة الداخلية، كما جرت العادة من قبل.. وقال للجميع: أن نوع الأمن الذى أريده، يجب أن يكون مرتبطاً بالإرهاب وأسلوبه، وبالتالي سأختار "بروتو" ليكون مدير أمن الرئاسة.. وكما هى العادة، فى أغلب دول العالم، ظل الصراع بين "بروتو" وبين الداخلية الفرنسية تحتياً.. تماماً كالصراع بين الـ F.B.I وجهاز الـ CIA فى أمريكا، على سبيل المثال.. وقد ظلت الداخلية الفرنسية تعتبر "بروتو" بالنسبة لها، من الخوارج !!

وكان الخلاف الذى نشب بيني، وبين وزير داخلية فرنسا، الخلاف الوحيد، والصدام الوحيد لي، مع مسئول فرنسي، طوال ٤٠ عاماً أقمتها فى باريس.. وكان تجاوب "بروتو" معي، فى هذا الخلاف، جيداً وكبيراً.. وهو خلاف كشف، لأصدقائي، أن أسلوبي الهادئ والودود، فى التعامل مع الأمور، لا يمنع الحزم والمواجهة، عند الضرورة.

وقد توثقت علاقتي مع "بروتو" ودعوته لزيارة مصر، وأحبها جداً، وبعد أحداث الأقصر، عام ١٩٩٧، استعان به المسئولون، كخبير دولي فى مكافحة الإرهاب، لوضع خطة لحماية المواقع السياحية العالمية.

وقد كان يتندر دائماً، بعداء الداخلية ورجال البوليس له، وما يدبرونه من مؤامرات ضده، وكان يقول أنه لا يستطيع أن يكون رجل بوليس.. فالله قد خلقه فارع الطول (١٩٠ سم) ومن الصعب إخفاؤه !.

ولا شك أن مودتي مع بروتو، كانت امتداداً للانجذاب المتبادل، بيني وبين العقلية المنظمة، والانضباط العسكري.

وعودة إلى الفاتيكان والأزهر، لأقول إننا فى كل مرة، كنا نذهب فيها، لاجتماع اللجنة المشتركة، كنا نبحث موضوعات ذات اهتمام مشترك.

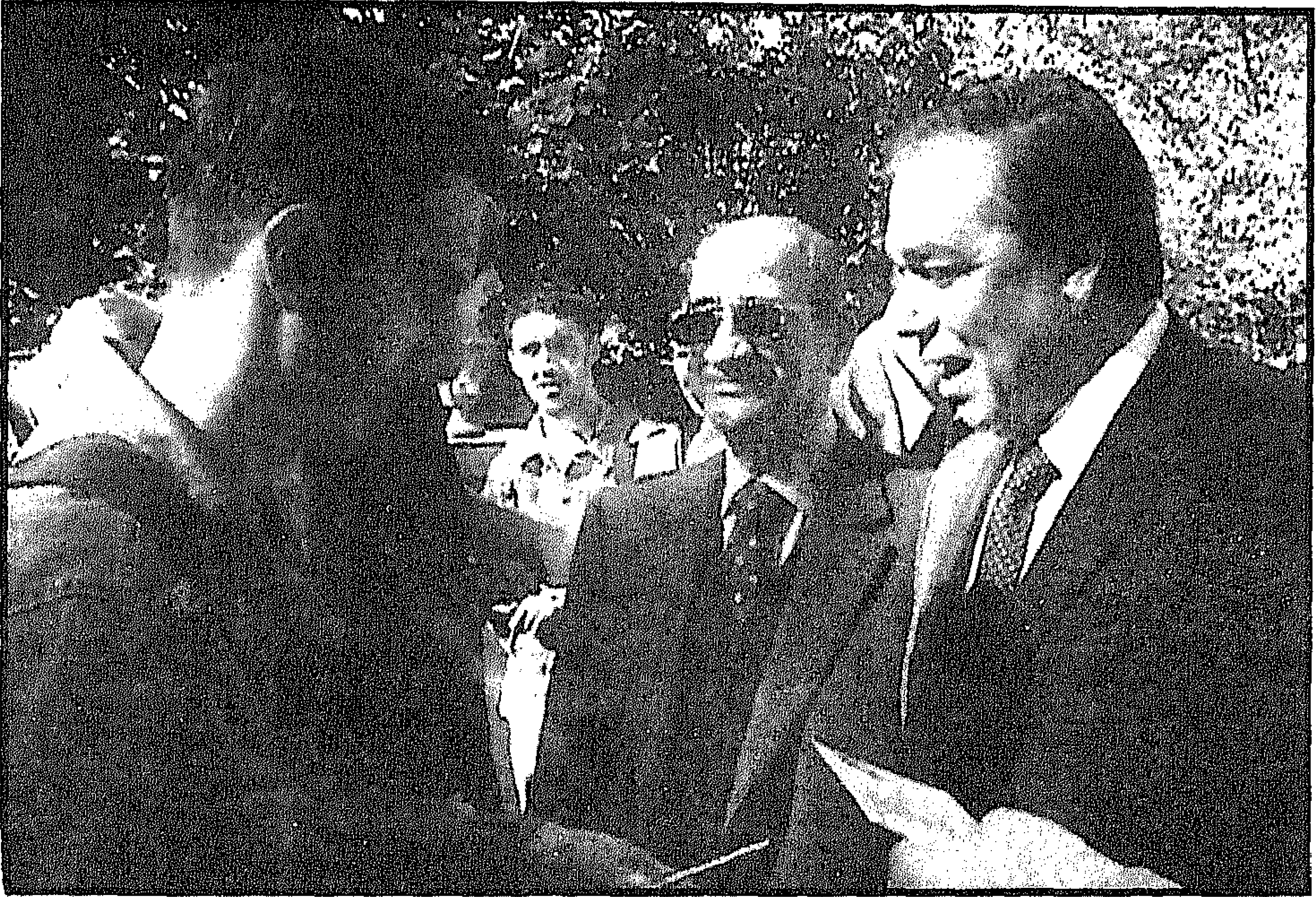
وعند ذهابي إلى أحد هذه الاجتماعات يوماً، مع فضيلة الشيخ الزفزاف، رفيق طريق الحوار، فكرت فى موضوع كان يشغل بالي طويلاً، وهو: لماذا يقوم الفاتيكان فى حركة قوية وجريئة، بالإعلان عن العفو والغفران، عما اقترفوه من جرائم، فى حق الشعب اليهودي،.. ولماذا لا يقوم بحركة مماثلة، يفحص فيها الحرب الصليبية، أو حروب الفرنجة بموضوعية، ليحسم مسألة أن الغزاة الذين اعتدوا على أرض الإسلام، جاءوا باعتبارهم جزءاً من اتجاه عدواني داخل هذه الكنيسة، ليعتدوا على أصحاب حق.

وكتبنا مذكرة بهذا المعنى، ووضعناها أمام المجلس البابوي لحوار الأديان، برئاسة الصديق "إرينزه" وبذل جهداً كبيراً لمشروع هذه المذكرة التى وزنت فيها كل كلمة وكل عبارة نظراً للحساسية.

وحين قرأ المذكرة، قال لنا: إن ما قمتم به، إنما هو سابقة تاريخية، لأن الفاتيكان لم يسبق له أن تلقى طلباً مشابهاً، من أى مؤسسة إسلامية.. وأعدكم برفع المذكرة إلى المستويات العليا، ولكن لا أعدكم بموعد محدد للرد عليها.

ومن ناحيتي، أضع هذه الوثيقة، تحت تصرف القارئ: وإن اللجنة الدائمة للأزهر للحوار بين الأديان السماوية بعد لقاء القمة التاريخي الذى عقد فى مقر مشيخة الأزهر الشريف فى القاهرة يوم ٢٤ فبراير لسنة ٢٠٠٢ وجمع بين فضيلة الإمام الأكبر وشيوخ الأزهر وقداسة بابا الفاتيكان ورجاله لتعبر عن رغبتها وآمالها فى أن تقوم الكنيسة الكاثوليكية برئاسة قداسة البابا بتقويم أمين وموضوعي لتاريخ الحروب الصليبية وعن مدى الأذى الذى لحق بالشعوب الإسلامية وقتها.

وأصارح القارئ، بأن جلسات الحوار مع الفاتيكان، ليست كلها هادئة، بل إن بعضها يكون ساخناً جداً.. تماماً كما حدث، عندما كنا نكتب بياناً نهائياً، فى إحدى الجلسات، وأردنا فيه أن نعبر عن خطورة، وظلم، وبشاعة الاعتداء على مسلمي البوسنة.. وطلبنا من أعضاء كل وفد، أن يحرروا مشروعاً لبيان يصدر بهذا المعنى، وفوجئت بمشروع بيان الفاتيكان، وهو يخلو تماماً من أية إشارة عن المسلمين، أو الصرب، أو حتى البوسنة، وانما يتكلم عن "أحداث فى منطقة البلقان".



مع شباب البوسنة، عند تسلمهم هدية تذاكر السفر للتعليم بجامعة الأزهر،
من يد النشط محمد نور الدين نصرت سفير مصر فى البوسنة

وقلت باقتضاب وحسم: أن هذه اللغة مرفوضة.. أما أخي الشيخ الزفزاف فقد ذهب لأبعد مني، وأغلق الملف أمامه، وقال: ليس من الممكن أن يستمر الحوار، بهذا الأسلوب، الذى يتجاهل بكلماته ظلماً فادحاً يقع على مسلمي البوسنة،.. بل إن الشيخ الزفزاف همّ بمغادرة القاعة.. وطلبت من ناحيتي، رفع الجلسة، بحثاً عن حل.. وبعد فترة قصيرة، عاد الطرفان إلى المائدة، بصياغة جديدة، تحدد مَنْ المعتدى.. ومن المعتدى عليه.

والغريب أن موقفهم فى البداية وقبل أن نتفق على الصياغة الجديدة للبيان، كان يتنافى مع كلمات كان قد قالها بابا الفاتيكان، تكلم فيها عن قسوة

المذابح، وقال إن المسيح لو كان قد رأى أحداث البوسنة، لتحولت حبات العرق على جبينه، إلى نقاط من الدم، من هول ما حدث هناك !

فيينا عاصمة الحوار وبنيتا "أميرة" الدبلوماسية الأوربية

كانت النمسا دائما على مدى قرون منذ العهد العثماني ملتقى حضارات وثقافات متعددة بين الغرب والشرق، وبالتالي فمن الطبيعي أن يكون لفيينا ولجامعتها ولقادتها الطموح أن تكون عاصمة من أهم عواصم حوار الحضارات والأديان.. وحينما التقيت بوزيرة خارجية النمسا منذ اكثر من عامين، في فيينا، أحسست أنني أمام قيادة واعية مع منهج عملي جدا في طرح الموضوعات. وبالمناسبة فإن وزيرة خارجية النمسا "بنيتا فير يرو فالدنر" كانت في الماضي مديرة البروتوكول للأمم المتحدة في عهد بطرس غالي، وتوقفت طويلا أمام السؤال الأول الذي سألتني إياه: "لن أسألكم ماذا عملتم في الحوار ولكن ماذا ينقصكم، ليتقدم الحوار، من أدوات واليات".. واتفقنا على تعاون بين الخارجية النمساوية وبين اللجنة الدائمة لحوار الأديان. وسمحت لنفسي أن أنصحها لتأخذ الموضوعات المتخصصة وليس الخطاب العام للحوار. ولم يمر وقت حتى عقدت مؤتمرا كبيرا حول الإعلام والحوار، ولماذا لا يوجد مكان فى الإعلام لما هو إيجابي.

وأذكر إنني طرحت في هذا المؤتمر فكرة صياغة ميثاق عالمي للحوار لأن الجميع يتكلمون عن الحوار دون أن يستطيعوا تحديد معالمه ومضمونه. وأسرعت بان أضع بعض الأفكار التي يمكن أن يتضمنها هذا الميثاق، وكانت هي المرة الأولى التي أضع فيها أمام مؤتمر دولي، باسم اللجنة الدائمة لحوار الأديان، فكرة:

لا للتعميم في الأحكام، فليس من حق طرف من الأطراف أن يحكم على "بن لادن" ومن حوله ويعتبر أن ذلك حال المسلمين جميعاً، وكذلك على الصعيد الآخر عندما يهاجم قس فى نيويورك الرسول(ص) فليس معنى ذلك أن نعمم هجومنا، فنقول المسيحيون جميعاً.

بل حتى اليهود لو صح أن بينهم مائة فقط يقولون كلمة الحق والعدل فإن ذلك يمنعنا أن نعمم الحكم ونقول اليهود كلهم.

أما عن المبدأ الثاني الذي أقترحه أيضا للنقاش وليتضمنه الميثاق فكان:

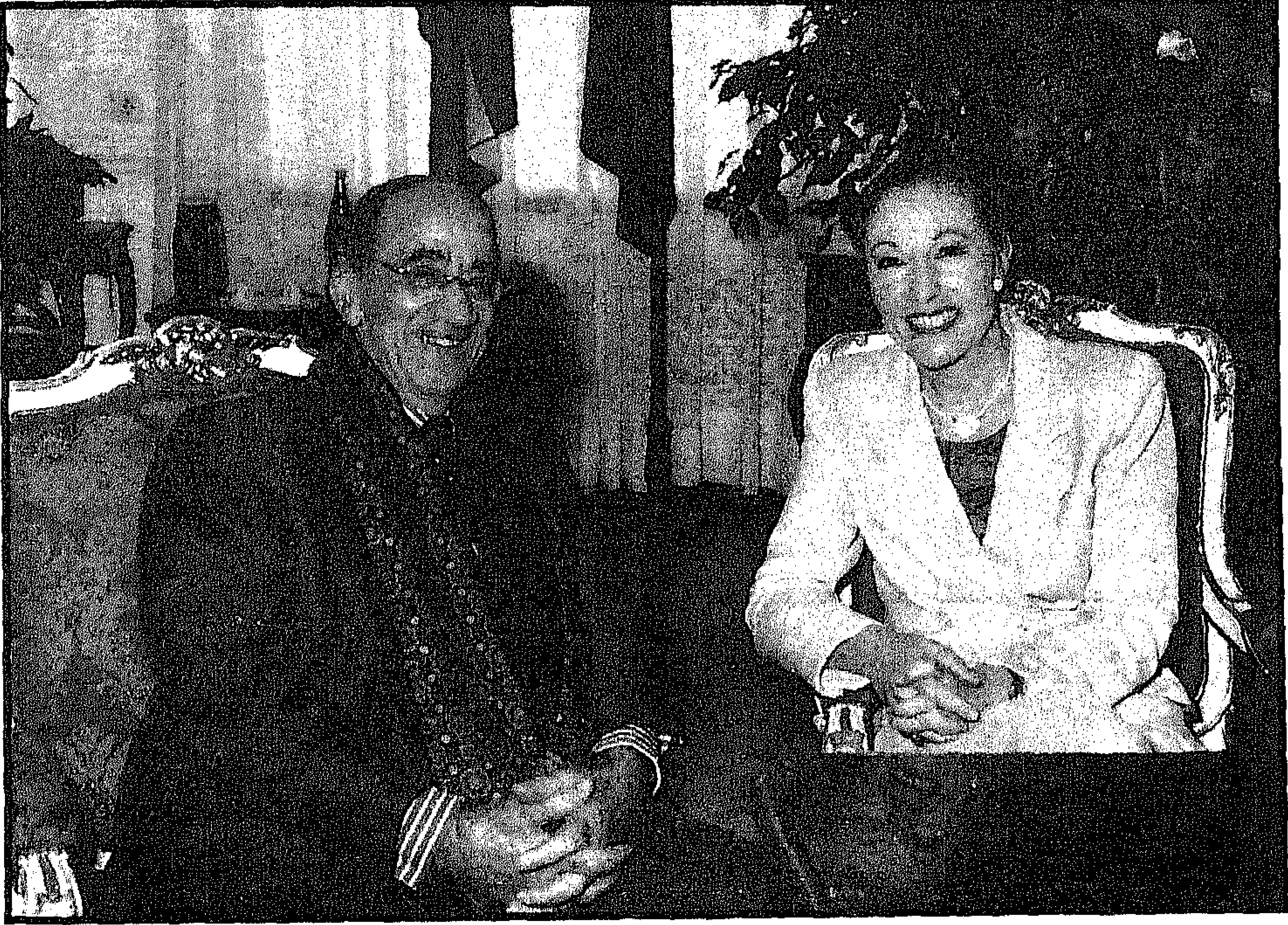
نعم للنقد الذاتي بمعنى مراجعة النفس.

فإذا أمكن الأمريكيين أن يراجعوا أنفسهم ويقولوا: لقد أخطأنا حينما سلحنا بأنفسنا "بن لادن" والقاعدة لمحاربة الاتحاد السوفياتي.

فمن ناحيتنا أيضا يجب أن نعترف أننا حينما تركنا الفكر المتشدد يترعرع كان علينا أن نتبين في وقتها أنه لابد أن يؤدي يوما ما إلى العنف والإرهاب

وفي نهاية المؤتمر فاجأتني وزيرة خارجية النمسا وهي تقول للحضور: "لقد طلبت منكم منذ البداية أفكاراً محددة صالحة للتطبيق ، وأنني لا أتردد أن أقول أن هذا الكلام انطبق على الاقتراحات التي أتت من خلال د/علي السمان" وعلق د/بطرس غالي بدعابة: "لو علمت أننا أتينا من باريس إلى فيينا فقط لسماع اقتراحات د/علي السمان لكان أسهل علي أن أطلبها منه في باريس".

وجاءت بعدها وزيرة خارجية النمسا لزيارة مصر مع زوجها البروفيسور فرارو الإسباني عالي المستوى، وأمضت بعض الأيام في زيارة وادي الملوك.. وأحبت مصر واحبها أهل مصر في بساطتها وذكائها اللماح وخفة دمها..



د. علي السمان مع بينيتا فريرو، وزيرة خارجية النمسا السابقة، وعضو اللجنة العليا للمجموعة الأوروبية الآن (٢٠٠٤)، وواحدة من الذين أسسوا حوار الحضارات

وبعد عام واحد عقدت لنا مؤتمرا في جراتز دعت إليه مديرى المراكز الإسلامية وكذلك الأئمة في أوروبا حول الخطاب الديني وألقيت أمام المؤتمر رسالة من الإمام

الأكبر، ثم استمعنا إلى كلمة مندوب المجموعة الأوربية، وهو يلقي علينا دروساً في التعلم وكيفية التعامل مع الآخر.

ولم تعجبني هذه اللغة، فرددت عليه بقولي:

" لقد تعودنا أن نعتبر الأوربيين أساتذة للتاريخ ولكن يبدو أن هناك ثلاث صفحات قد غابت عن ذاكرتكم، الصفحة الأولي من التاريخ عن ملك عالي المقام وهو محمد الخامس ملك المغرب أثناء الحرب العالمية الثانية وبلده تحت الحكم الفرنسي، وفرنسا بدورها تحت الحكم النازي، واختار هذا الملك النبيل والجريء أن يتحدى قرار حاكم فرنسا وقتها المارشال بيتان، ويرفض تطبيق قانون التفرقة العنصرية ضد اليهودية معتبرا أن اليهود المغاربة لهم نفس الحقوق مثل المسلمين، وأن الجميع تحت مظلته ورعايته، هذا درس أعطاه هذا الملك المسلم لأسلوب التعامل مع الآخر.وصفحة التاريخ الثانية:عن الملك الحسن الثاني ملك المغرب، الذي فتح أبواب بلده ليستقبل ممثلين لإسرائيل وممثلين للرئيس السادات للإعداد لسلام المستقبل، درس ثاني للاعتراف والتعاون مع الآخر. أما عن الصفحة الثالثة، فهي خاصة بملك المغرب الحالي محمد السادس الذي أكد اختيار أبيه في تعيين مستشار له للشؤون الاقتصادية "اندري ازولاي" اليهودي المغربي والتلميذ الكلاسيكي في مدرسة السلام للراحل كرايسكى مستشار النمسا.. هذه صفحات ثلاث اهديها لمكتبة التاريخ لديك"

وتحمست القاعة وصفقت وقوفا وتقدمت وزيرة خارجية النمسا بنيتا إلى المنصة لتهنئني وتضع على جبيني قبلتين......!

ولم أكن أدري أن هاتين القبلتين البريئتين ستثير رد فعل لدى رئيس الجالية الإسلامية في فينلاندا الذي قال: أوافق على كل كلمة قلتها وأعجب بها، ولكني فوجئت بقبولك لقبلات من امرأة ليست مشروعة لك.......!

وكان من الضرورة أن أفض الاشتباك، لأن هذا النوع من المؤتمرات لا أحبذ فيه المواجهات والمجابهات لجانبية فقلت له:" أما وقد أردت أن تعلمني فأقول لك اللهم زدك علما" أما عما قمت به فأقول اللهم اغفر لنا إذا كنا قد أخطأنا"....وتم فض الاشتباك ومازال هذا الموضوع البسيط هو في الواقع نقطة تساؤل عن أسلوب التعامل بين الشرق والغرب..........

وقبل نهاية ٢٠٠٤ كان من أسعد الأخبار التي تلقيتها هو تعيين وزيرة خارجية النمسا "بنيتا فير يرو" كعضو للمجلس القيادي الأوربي وبعثت لي برسالة كريمة

استجابت فيها لرجائي أن يكون نشاطها في المجموعة الأوربية قريبا من حوض البحر الأبيض التي لها فيها تجربة ثرية وأصدقاء يمكنها أن تعتمد عليهم.

ماري أيزنهاور

لاشك أن انتشار دور الأزهر على مستوى الحوار الدولي والعالمي، قد جذب أيضا إليه مؤسسات شعبية لها وزنها في العالم، أتت إلى الأزهر والتقت مع الإمام، ومن أهمها:

هذه المجموعة التي تسمى People to People التي تجمع مئات الشباب كل عام من مختلف الأجناس والأديان ليتعلم رفض البغضاء والكراهية والعيش المشترك، والتي ترأسها ماري أيزنهاور حفيدة الجنرال أيزنهاور، الرئيس الأمريكي الراحل، الذي تصدى بقوة للعدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦، وقد حضرت إلى الأزهر مرتين على مدى عامين، ومعها مجموعة كبيرة من الأعضاء، حوالي ١٢٠ عضوا، لتبادل الرأي لتوجيه أسئلتهم إلى الإمام الأكبر عن الإعلام ودوره ومكانة الأديان الأخرى في الإسلام، وعما أمكن الأزهر أن ينجزه في مجال حوار الأديان على الساحة الدولية.



فضيلة الإمام محمد سيد طنطاوي مع مارى أيزنهاور رئيسة جمعية (People To People) ومائة من أعضاء الجمعية للرد على أسئلتهم حول الإسلام وهى من أقوى جمعيات تقارب الشعوب فى أمريكا واستقبلتهم السيدة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية

وفي دعابة لا أنساها عندما جاءت ماري أيزنهاور للقاء الإمام الأكبر في المرة الأولى، أنها طلبتني على التليفون المحمول أثناء جلستي مع الإمام الأكبر قبل وصول الوفد المرافق لها، لتسألني عما إذا كان من الممكن أن تلبس الحجاب، وأجبتها بحذر: "إذا وضعت هذا الحجاب فسيكون طيبا" وأنتم تعرفون أن هذا التقليد هو نفسه المتبع عند لقاء البابا في الفاتيكان. وعندما دخلت ماري أيزنهاور مع وفد من خمسة أفراد يمثلون المجموعة القيادية لجماعة People to People للتعرف على شيخ الأزهر، قدمت باسم المؤسسة كل تقديرها بأن يعطي الإمام الأكبر جزءا من وقته للقائهم واستمرار تأكيد رسالة الحوار على المستوى الدولي، ثم رجوت الإمام الأكبر أن ينتظر بضع دقائق للاطمئنان على أن كل المدعوين قد استقروا في القاعة القريبة من مكتبه، ثم غادرت مع ماري أيزنهاور لنسبقه للقاعة، وفاجأتني بأنها أرادت أن تشكرني للجهد الذي أبذله معهم على الطريقة الأمريكية، فأعطتني قبلتين، وحينما وصلت إلى القاعة وجدت إمام الأزهر قد تحرك في نفس الوقت وراءنا وبجانبه أحد معاونيه، ونظر إلي وهو يقول: "لقد تفاوض الدكتور علي طويلا مع السيدة ماري أيزنهاور على أهمية الحجاب وأنت كما ترى فإنه من الواضح أن الحجاب لنا والقبلات للدكتور علي"، من الأكيد أن البسمة والدعابة ستظل دائما أهم خصائص الإنسان المصري وتميزه عن الكثيرين من البشر.



ماري أيزنهاور في عشاء قدمته في بيتي على شرفها، والذي قدمت لها أثناءه الماكيت الخاص بالكتاب عن المحاور العشرة عن حكومة د. نظيف، الذي قامت به الجمعية الأوربية المصرية الإعلام الإقتصادي التي تشرفت بأن أكون سكرتيرها العام، وقامت بعمل الدراسة خبيرة الإعلام الاقتصادي الأمريكية فيكتوريا هاربر

دور أمارسه بين مسلمي وأقباط مصر "على مسئوليتي"

استنفد النشاط الرئيسي، للجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان، طاقته وجهده، فى الاتفاق والتعاون مع الفاتيكان، ثم الاتفاق والتعاون أيضاً، مع كنيسة كانتربرى فى إنجلترا.. وكنت دائماً، أواجه هذا السؤال: لماذا لا يشجع هذا، على الحوار بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ؟!

وكان عندي تحفظ دائم، على استخدام كلمة "الحوار" فى العلاقة بين مسلمي وأقباط مصر، لأننا عندما نتكلم عن المسلمين والأقباط فى مصر، فإنما نتكلم عن نسيج واحد.. وكان رأيي دائماً، أن المشاكل التى قد تثور بيننا، أحياناً، إنما هى مشاكل عملية فى غالب الأمر، بمعنى أنه قد يخطئ البعض منا، أو البعض منهم، فى التعامل مع الآخر.

لذلك، وهذه أول مرة أفصح فيها عن هذا الموضوع، وهو أنه قد تولدت يوماً فكرة بيني وبين أخي وصديقي الأب "بيسنتي"، أسقف حلوان والمعصرة، وهى فكرة كانت تقتضي بأن نلتقي من وقت لآخر، كجماعة من الحكماء والعقلاء، وكان بينهم الأخ والصديق منير فخري عبدالنور، والأستاذ فهمي ناشد، المحامي وعضو مجلس الشورى، والدكتور مصطفى الحفناوى، الأستاذ بكلية الطب وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وغيرهم من مستشاري مجلس الدولة، وكنا نتناقش فى بعض المشاكل الحياتية، بين المسلمين والأقباط، ونضعها على مائدة من الصراحة، فيما بيننا.

واتفقنا على عدة مبادئ، من بينها أننا نمارس مسئولية التفكير المشترك كمواطنين، ونرفع أفكاراً حول الحلول المقترحة، إلى صانعي القرار، دون إعلام ولا إعلان، فلم يكن هدفنا أن ننافس الجهات المختصة الرسمية، ولكن كان الهدف أن نشجع الفرد على التفكير والاقتراح، بدلاً من البكاء أو الاحتجاج.. أو الكلام أو الصمت.

وأذكر أنه كانت لنا نظرة متأنية، حول "الخط الهمايوني"، وهو نظام إداري منذ العهد العثماني الذى كان يشكل عقبة كبيرة أمام بناء الكنائس، على اعتبار أن الاختصاص فى هذه المسألة، كان محصوراً فى شخص رئيس الجمهورية.. ورفعنا وجهة النظر إلى المسئولين.

وكم كانت سعادتنا، حين صدر قرار يجعل الاختصاص، فى يد محافظ الإقليم، ولا أدعى أننا كنا وحدنا فى هذا الطريق، فمن الأكيد أننا كنا أحد الروافد التى تصب فى النهر العظيم.. مصرنا..

وأذكر أيضاً، أننا اهتممنا بفكرة الدراسات الخاصة بالتاريخ، وخاصة فى الجامعات، إذ كانت لا تهتم بالحقبة التى تسبق مجيء الإسلام وبعد مولد السيد المسيح كانت مصر كلها قبطية وتحت سيطرة الرومان، ورفعنا محصلة تفكيرنا، فى هذا الموضوع، إلى وزير التعليم العالي، وكانت استجابته سريعة، وهى إستجابة بدأت فى ترجمة ذلك عملياً، داخل الجامعات.

وأذكر أن الصديق والأب بيسنتي جاءني يوماً، ليبلغني أن هناك مذكرات دراسية، توزع فى مرحلة الدراسات العليا بإحدى الجامعات حول مقارنة الأديان، وأن صاحبة هذه المذكرات، وهى أستاذة جامعية، قد تحاملت، بشكل غير عادى، على المسيحية، وعلى بعض المسائل الخاصة بالعقيدة.. وقرأت الأوراق التى قدمها لي الأب بيسنتي، باهتمام، وهدوء، واتصلت بالوزير الدكتور مفيد شهاب، الذى كان مسئولاً عن التعليم العالي وقتها، وأطلعته على ما تركه لي الأب بيسنتي من أوراق، وكانت وجهة نظر الوزير شهاب، أن هذه الدراسة، التى كانت تلك الأستاذة، توزعها على طلابها، لا تحترم الوحدة الوطنية.



قداسة البابا شنودة والأنبا بسنتي ود. علي السمان

وقبل أن يتخذ الوزير شهاب قراراً، وزعت صوراً من الدراسة، على أعضاء لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية، بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ليعطوني رأيهم، باعتبارهم جهة مهتمة بالشأن الإسلامي، وكان رأيهم النهائي، أن هذه المذكرات هى فى غير مكانها، وأنها لا تخدم الصالح العام، والصورة الصحيحة للأديان

وكان ذلك أيضاً بفضل الوعى العالي والمستنير للوزير الدكتور محمود حمدي زقزوق رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وأفدت الوزير شهاب، برأى أعضاء اللجنة، وكانت سعادتي كبيرة، وأنا أرى الوزير إيجابياً إلى حد كبير، إذ مارس مسئوليته، واتفق مع عميد الكلية، التى كانت المذكرات توزع بها، على ضرورة تفادى هذا الخطر الصغير، الذى يمكن أن يكبر ويكبر، حتى يتحول إلى قضية عامة، كما يحدث فى مصر كل يوم.. لا أقول ذلك دفاعاً عن دورنا على مستوى الداخل، ولكن أقول أن الأسلوب والطرح يختلف عن الحوار، على المستوى الدولي..

إنها مسئولية مباشرة، أمارسها فى حياتي اليومية.

الأزهر.. بين العالمية والعولمة !

حين تلقى الأزهر الشريف، دعوة من مؤسسة دافوس (المنتدى الاقتصادي العالمي) للحضور، لأول مرة، إلى مؤتمرهم الاقتصادي.. كان هناك تساؤل ودهشة.. وكان السؤال المطروح هو: لماذا يتواجد رجال الدين، فوق منصة اقتصادية سياسية.. خالصة ؟!

كنا فى يناير عام ٢٠٠١، أنا والشيخ فوزي الزفزاف، حين وصلنا، إلى "دافوس" عاصمة الثلوج السويسرية.. وهناك، فهمت أن المنتدى بادر بدعوة رجال الدين، استجابة لرأى أبداه رئيس جمهورية ألمانيا، الذى قال فى ندوة سابقة: لا تنسوا الدين ورجاله، لأن البرنامج السياسي والاقتصادي، قد يتهدد، إذا جرى استعمال الدين فى غير مكانه، فيجب أن ندعوهم ليكونوا طرفاً معنا، .. لنستمع إلى حكمتهم.

وقد وجد وفد الأزهر، بسرعة، اللغة التى يربط بها، أهل الاقتصاد، بأهل الدين، وكانت وجهة نظرنا أنه حينما يقوم رأس المال بوظيفته الاجتماعية، فى تنمية المجتمع، فإن ذلك من التوجهات التى تطالب بها الأديان، رحمة بالناس، وتكاملاً بينهم.

وأذكر أني قلت لهم، هناك، أن مؤتمر دافوس، أصبح رمزاً للعولمة، وهناك مَنْ هم مع العولمة فى العالم.. ولكنهم قلة.. ولكن الكثرة ضدها.. وهى كثرة تنظم كل عام مظاهرات حاشدة، احتجاجاً على عقد هذا المؤتمر.. وقلت أيضاً، أن الكلمة أحياناً تتحول إلى شعار، ويصبح الناس ضدها أو معها، وفيما يختص بنا، وبالأزهر، فإنني أفضل أن نكون طرفاً فى العالمية، لا العولمة.. فخوف الناس من

التجمعات، والاحتكارات، والسيطرة، هو الذى جعلهم يهاجمون بعنف، شعار العولمة.

وكان أكثر من نصف الجيش السويسري، وهو جيش رمزي فى عدده كما نعرف، يأتي إلى دافوس، أيام انعقاد المؤتمر، لحمايتنا من المتظاهرين ضد العولمة !

وفى اليوم الثاني لانعقاد المؤتمر، تم اختيار مائة شخصية، من بين أعضاء فى المنتدى.. ليكونوا نواه.. لما يسمي بلجنة المائة.. وبعد شئ من المناورات، تم اختيار الشيخ الزفزاف، وأنا، عضويين فى لجنة المائة، رغم أن القاعدة تقول، أن كل هيئة لا يكون لها غير ممثل واحد.. وأقدر، بهذه المناسبة، دور الإخوة فى كنيسة كانتربرى، الأعضاء فى المنتدى،.. فلقد كانوا هم وراء، اختيار اثنين ليمثلاً الأزهر الشريف.

وقد أتاح منتدى دافوس، أن تكون لنا علاقات قوية، مع معظم مراكز القوة فى المنتدى.. سواء على المستوى الاقتصادي، حيث ربطتني علاقة قوية من المودة، مع رئيس مجلس إدارة شركة بوينج، ورئيس مجلس إدارة "سيمنس" تلك الإمبراطورية الصناعية.. وأقولها بصراحة، أن المنتدى ربطنا أيضاً، ببعض الحاخامات العقلاء، الذين كانوا دائماً يقولون كلمة الحق، وعلى رأسهم "دافيد روزين" عضو لجنة المائة.

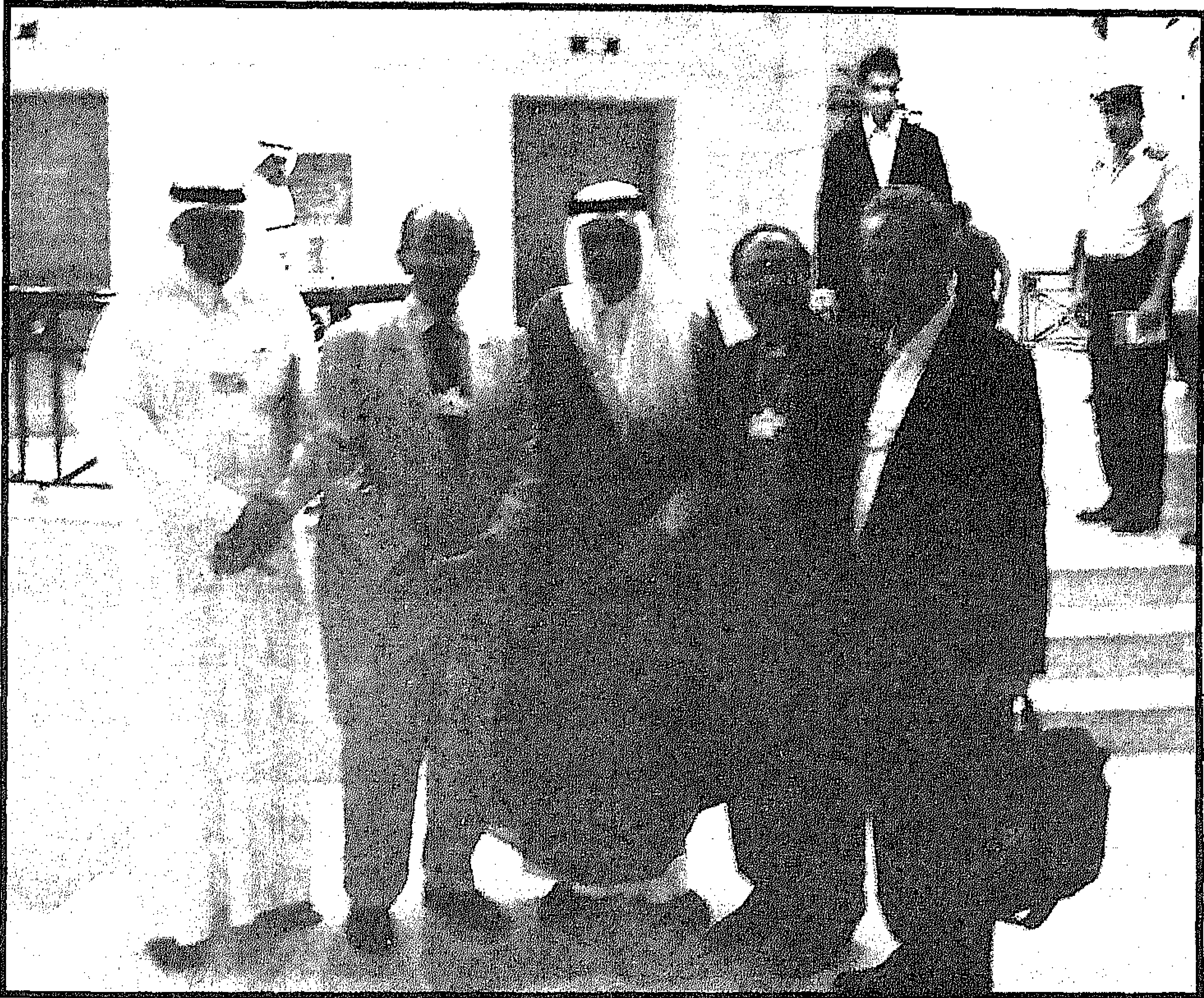
وفى عام ٢٠٠٢، انعقد أحد مؤتمرات دافوس، فى نيويورك، حيث ألقى الشيخ الزفزاف خطاباً رفيعاً فى مستواه، تكلم فيه عن الدور الحقيقي للأديان فى مواجهة الصراعات، وكيف أن الحوار هو لغة الإسلام.. فالحوار فى ديننا، وسيلة للتعامل بين الناس، وبين المسلمين وغير المسلمين.

وهنا، أذكر قصة طريفة، وقعت لي، عندما كنت فى نيويورك، أحضر أعمال ذلك المؤتمر.. فقد أصابتني إنفلونزا حادة، اضطررت لأن أطلب طبيباً فى حجرتي، وجاء محملاً بحقائب كثيرة، وبعد أن أجرى التحليل اللازم، وقام بالكشف الإلكتروني على القلب، وأعطاني الدواء المطلوب، حتى أتمكن من السفر، فى اليوم التالي، إلى باريس،.. بعد كل ذلك، قدم لي فاتورة لن أنساها.. لقد كانت قيمتها ثلاثة آلاف دولار !!

واحتفظ معي، إلى اليوم، بهذه الفاتورة، لأنصح أي صديق، يكون فى طريقه إلى نيويورك، بألا يفعل مثلي، ويستدعي الطبيب إلى حجرته، إذا أصابه مرض.. فاستدعاء الطبيب، إلى حجرتك، نوع من الترف الكبير فى أمريكا..، والمعادلة تختلف بالكامل، إذا ذهبت أنت للمستشفي.. كفانا الله شر المرض، وبالذات فى نيويورك !!

وفى المؤتمرات الأخيرة، لدافوس، قدمنا ورقة عمل حول الأفكار التى سبق لنا أن طرحناها، فى المؤتمرات السابقة، وبالذات حول رفض التعميم فى الأحكام، وتشجيع مراجعة النفس، والنقد الذاتي.. وهى أفكار تبنتها ورقة العمل النهائية للجنة المائة.

وفى مؤتمر دافوس الأخير، الذى انعقد فى عمان، أتيحت لي، من خلال صديقي ولفنسون، رئيس البنك الدولي، أن أتعرف على كولن باول، وزير الخارجية الأمريكي وقتها، وأن أتبادل معه، بعض الكلمات، على قرب من مائدة الملك عبدالله، .. وشعرت وقتها أن هناك قراراً "علوياً" بأن ينال الأردن فرصة ممارسة دور دولي متفرد، من خلال منصة المنتدى الاقتصادي العالمي.



أثناء اجتماعات المنتدى الاقتصادي العالمي "دافوس"، رئيس لجنة المائة الأمير تركي الفيصل سفير المملكة السعودية في إنجلترا ورئيس المخابرات السعودية سابقا، والذي يشاركه في رئاسة اللجنة اللورد جون كاري الرئيس السابق للكنيسة الأسقفية "الكانتربري"، وعلى يمينه الدكتور علي السمان، وعلى يساره المطران الدكتور منير حنا أحد أعضاء لجنة المائة الذي قام بدور نشط وخلاق في التعاون بين الأديان، وحولهم بعض الأعضاء المشاركين

وبالفعل، جاءت كلمة الختام، ليعلن رئيس المنتدى الاقتصادي العالمي أمامنا جميعاً، أنه بعد عقد المؤتمر عام ٢٠٠٤ فى عمّان، وبعد أن انعقد مؤتمر اليوم فى عمان أيضاً، فإنه يسرني أن نعلن أن المؤتمر القادم سيكون فى عمان كذلك، لتعقد بذلك، ثلاثة مؤتمرات عالمية، فى بلد واحد، هو الأردن.

ثم فوجئنا برئيس الجلسة الختامية، وهو يعلن، أن الشباب فى العالم مهتم بمنطقة الشرق الأوسط، وأنه يريد ملكاً أو رئيساً عربياً شاباً، يخاطب هؤلاء الشباب، ويرد على تساؤلاتهم، ويتفهم عقلية الشباب فى الغرب.

وأضاف رئيس المؤتمر: لقد أقمنا مشروعاً طموحاً، لأسئلة توجه باللغة الإنجليزية عن طريق الإنترنت، بين شباب العالم، وبين الرئيس العربي المختار، وقد تلقى المؤتمر تبرعاً، بمليون دولار، لدعم هذا المشروع..

وراهنت بيني وبين نفسي، على أن الاختيار سيقع على الملك عبدالله، لأن القيادات الشابة الأخرى، هى الرئيس بشار الأسد، فى سوريا، واختياره مستُبعد لأسباب سياسية معروفة،.. ثم ملك المغرب، واختياره مستبعد أيضاً، لأنه يتكلم الفرنسية، والمطلوب، كما أعلن رئيس المؤتمر، رئيس شاب يجيد الإنجليزية.. وفوجئنا فعلاً بالشاشة التى تعرض الأعمال أمامنا، تعرض الأسئلة الموجهة، عن طريق الإنترنت، إلى الملك عبدالله، الذى صفق الجميع لاختياره.. وكان المشروع فى إجماله نموذجاً للمزج بين السياسة، والاقتصاد، والإعلام.. ولم لا.. والمسرح أيضاً ولكن أعترف أن مستوى إجابات ملك الأردن كانت عالية جداً وتعبر عن المستوى المطلوب.

وأيقنت إننا فى كل مؤتمر.. مشاهدون !!

فصول.. مستقلة..

١. عرفات.. واحد من رموز القرن

٢. وأبومازن.. "أقدمية" ربع قرن مع السلام..

٣. فتحي نجيب الإنسان والمثقف.. وأمثلة متفردة للقدوة والنموذج فى وطننا

٤. رأى شخصي فى الإعلام المصري

دون أن ألتقي بالرئيس الراحل ياسر عرفات، كان حاضراً معي دائماً، من خلال علاقتي مع المستشار النمساوي كرايسكي، الذى كان أول مَنْ فتح له أبواب أوربا رسمياً باستقباله للرئيس الراحل فى فينا فى صيف ١٩٧٩، بقناعة وإيمان بمبدأ حرية الشعوب فى تقرير مصيرها.

وقد تابعت وشاركت بالفكر، مع الشهيد عصام السرطاوي، الذى كان مستشاراً وممثلاً شخصيا لعرفات فى أوروبا.. شاركت معه على جبهة أخرى، وهى أهمية أن يلتقي الرئيس عرفات وينسق علاقته مع بعض الأصوات والشخصيات الإسرائيلية المنتمية إلى جمعية "السلام الآن" وبصفة عامة كل الإسرائيليين الذين يريدون السلام مع شعبه واحترام حقه فى إقامة دولة فلسطينية.. وكان أهم هذه اللقاءات، لقاء لم يعلن عن تاريخه بالضبط، ولا عن مكانه بالضبط،.. وهو لقاء حضره الجنرال "بيلد" أحد جنرالات إسرائيل البارزين الذين اختاروا السلام اختياراً استراتيجياً ومؤسس حزب "شلي"..، ومعه مجموعة تؤمن بنفس المبادئ.. وقد اقتنع عرفات بما اقترحه عليه السرطاوي، بخصوص هذا اللقاء.. وحين عاد السرطاوي إلى باريس، ورأيت الصورة التى تضم عرفات مع الذين التقى بهم.. سألته عن اسم شخصية فلسطينية كانت تبدو حاضرة فى الصورة التى نشرت بتاريخ ١٩٨٣/١/٢١ فقال لي أنه أبومازن، العقل الاستراتيجي الفلسطيني، وأحد مخططي استراتيجية السلام، وفهمت من كلام السرطاوي عن أبومازن، أنه سوف يكون له مستقبل كبير.. وكان ممن حضروا ذلك اللقاء أيضاً، "إيري افنيرى" الذى ظل على علاقة بعرفات حتى أيامه الأخيرة، وكان دائم الاتصال به، وكان يزوره دائماً فى رام الله.. وأيضاً "يعقوب أرنون" المدير العام بوزارة المالية الإسرائيلية.

من يومها، تكونت فكرة لدي، عن ياسر عرفات، وهى أن هدفه النهائي إقامة الدولة الفلسطينية، وأن استراتيجيته الكبرى هى السلام، والنضال، والكفاح من أجل التعجيل بالتوصل لهدف إنشاء الدولة، وتحويل السلام إلى حقيقة.

ولكن، لأن معادلة ياسر عرفات، كرئيس دولة، كانت تقف أمام دولة عاتية، وقوية، ومدعومة بالسلاح، والمال، من أكبر دولة فى العالم، ونظراً لطبيعة المجتمع الفلسطيني حيث تتعدد الآراء المستقلة، والاتجاهات، والأفكار التى يتطرف

بعضها، فإن كل ذلك، جعل مسئوليته، أشد المسئوليات تعقيداً وتشابكاً.. ومن هنا، ذهب الرجل إلى حلقات متعددة من الحركة، التى غلب عليها اختياره للتكتيك، أكثر من اختياره للهدف الاستراتيجي.. لكنه كان يتعامل ديمقراطيا مع كل القادة الذين ينتمون إلى اتجاهات متصارعة.



الدكتور علي السمان، يطلع الرئيس عرفات فى تونس، على مقررات مؤتمر السوربون للحوار، فيما يتصل بحقوق الشعب الفلسطيني

وجاء يوم أخذني صديق إلى تونس للقاء عرفات، بعد نجاح مؤتمر السوربون للحوار عام ١٩٩٥، وكانت سعادة عرفات كبيرة وأنا أطلعه على أن أهم المقررات السياسية النادرة التى تبناها المؤتمر، كان بخصوص حق الشعب الفلسطيني فى الدولة والسيادة.. ولفت نظري وأنا أتكلم معه، أن ذاكرته حديدية، فقد ذكرني بأول لقاء لي معه، وهو لقاء كان فى شارع الشريفين بوسط القاهرة، حيث مبنى الإذاعة القديم الذى كان يضم مقر وكالة أنباء الشرق الأوسط.. ومكتب حركة "العاصفة" الفلسطينية.. وذكرني أيضاً، بأنه لفت نظره تبرع متواضع، وضعته تحت تصرف الإخوة بالحركة، وكان عبارة عن شيك ببعض مكافآتي فى الإذاعة، تبرعت بها "للعاصفة".. من يومها سمع عرفات عن إسمي من الإذاعة، كما قال لي، وأراد أن يلتقي بي.



صورة نادرة تجمع الرئيس الراحل ياسر عرفات، وممثلي حركة "السلام الآن" الإسرائيلية ومعهم السرطاوي.. ومفاجأة الصورة: وجود محمود عباس (أبو مازن) فى هذه الجلسة الحميمة عام ١٩٨٣

وقد أحسست بميزة أخرى لديه، وهى قدرته على كسب الأصدقاء.. فحرارة المودة فى صوته، كانت عالية.. وقد شعرت أن حياة عرفات، وروحه، وقلبه، من أجل قضيته.. ولكن مثله مثل كل القيادات السياسية، لا يمكن أن تخلو حساباتهم من الخطأ.. فمما لا شك فيه، أن تأييده لغزو العراق للكويت، خطأ يُحسب عليه، خاصة وأن هذه الخطوة من جانبه، أدت إلى قطيعة بينه وبين دول الخليج والسعودية، دامت أعواماً طويلة، مع ما نعرفه من أن هذه المنطقة كانت لأعوام طويلة، أحد منابع الدعم للمنظمة الفلسطينية.. ومن حسن الطالع أن يأتي بعده أبومازن، فيطوى هذه الصفحة، فى علاقة الفلسطينيين بالخليج، وبالذات الكويت والسعودية، وتكون لديه جرأة رجل الدولة، ويقدم اعتذاراً عما أخطأت فيه القيادة الفلسطينية من قبل.

وبمناسبة الكلام عن الشعب الفلسطيني فإنه من الأهمية أن يعلم جيل الشباب إن هذا الشعب لديه تعلق شديد بتعليم أبنائه إلى أعلى الدرجات العلمية، فمنهم أساتذة وباحثون فى أمريكا وغيرها من الدول.. ومن المهم أيضاً أن نقول أن انتخابات المؤسسات الفلسطينية، على كل المستويات، بمقارنتها بحالات أخرى، من أكثر الانتخابات ديمقراطية فى هذه المنطقة.. كما أنني كنت أشعر دائماً بالغياب الكامل لأى فكر أو شعور بالتفرقة الدينية بين أبناء الشعب الفلسطيني.

فتحي نجيب الإنسان والمثقف وعالم القانون

حزنت حزنا عميقا عندما سمعت خبر وفاة الأخ والصديق وشريك مشوار عمري المستشار فتحي نجيب رئيس المحكمة الدستورية سابقا، وأنا في طريقي للقاء معه بقرية غزالة بالساحل الشمالى غرب الإسكندرية لعشاء مشترك وحينما اتصلت تليفونيا لأؤكد على وصولي لم أجد من يستجيب لاتصالي وشعرت بقلق، فاتصلت بالقاهرة لأعلم إنه دخل غرفة الإنعاش ولم يمر أكثر من ساعة حتى اتصل بي أحد أعضاء مكتبه ليبلغوني بوفاته.



المستشار الراحل فتحى نجيب، والمستشار محمود أبو الليل وزير العدل فى منزل الدكتور السمان.. ثلاثة يجمعهم حب مصر

لقد خطفه الموت من أحبائه وأصدقائه ومريديه، دون مقدمات وكأن الرسالة التي أراد الله أن يبعث بها إلينا هى: "لا راد لقضائه".

منذ السبعينات في باريس وأنا أعيش مع فتحي نجيب حياته كرجل مواقف دفع أحيانا فاتورة لها، ثم جاء الوقت الذي أخذ فيه فتحي نجيب مكانه في الصعود على قمة القضاء برئاسته لمحكمة النقض قبل رئاسته للمحكمة الدستورية العليا.

المستشار الدكتور فتحي نجيب كان دائما يعطي أولوية لشد أزر كل من لا "ظهر له".

لقد كان لقرار رئيس الدولة "الرئيس حسني مبارك" بإعطائه أعلى وسام في الدولة" وشاح النيل" وإقامة جنازة عسكرية له بمثابة تحية لجيله ولكل الشرفاء في هذا البلد.. ولاشك أن هذا التكريم يضع في الاعتبار هذا الجهد الصامت الخلاق الذي قام به للمساهمة في معظم التشريعات التي مثلت نقطة تقدم في مجتمعنا وعلى رأسها قانون الخلع.. وانتهز فرصة هذه الكلمات لأحيي د/خالد محمد القاضي رئيس المحكمة بقطاع التشريع ، على الكتاب الذي نشره عن المستشار فتحي نجيب داخل سلسلة"أعلام القضاء". وأستعير منه عبارة أختم بها كلماتي: **"فتحي نجيب.. الإنسان الذي أضاف إلى البشرية نموذجا جديداً له قلب وألف عقل..، الإنسان الذي عاش مهموما بوطنه ورحل جسداً لا فكراً.**



د. علي السمان مع الأخ والصديق ورفيق مشوار العمر المستشار الراحل فتحى نجيب
رئيس المحكمة الدستورية العليا السابق

ولقد اقترحت يوما على رئيس هيئة الكتاب الصديق الأستاذ د/ سمير سرحان خلق سلسلة داخل الهيئة المصرية العامة للكتاب باسم "القدوة والنموذج" واقترحت مكانا مميزاً فيها للسفير مستشار الأمن القومي السابق حافظ إسماعيل وللمستشار فتحي نجيب وتحمس الدكتور سمير سرحان للفكرة، وأنا على ثقة أن الرئيس الحالي الأخ الصديق ناصر الأنصاري سينظر بعين الرعاية والموضوعية هذا الاقتراح لخدمة جيل من القراء الشباب كان يتساءل دائماً .. ماذا فعل جيلكم؟، ليعلم جيل الشباب أن الجيل الذي قبله كان فيه رجال رعوا الله والوطن وهم كثيرون.



من حسن الطالع أنه يوجد أيضاً قدوة ونموذج للأحياء على أرض مصر نستطيع أن نفخر به وأقدم للقارىء نموذجين لسيدتين لهما تجربة تستحق مني وقفة النموذج الأول هو للسيدة نوال الدجوي التى قامت بعملاً خلاقاً لمدارس وجامعة نستطيع أن نفخر بها أمام المجتمع الخارجي ، وهى جامعة العلوم الحديثة والآداب (M.S.A) وأقف بأعجاب شديد وأنا أنظر إلى هذه الجامعة التى أنشأها الفكر المبدع للسيدة الفاضلة والأستاذة القديرة نوال الدجوي، وأكتفي فى الكلام عن هذه الجامعة بثلاث شهادات تقدير وجهت إليها بمناسبة الاعتراف على المستوى الدولي بمعادلة شهادتها مع كبرى الجامعات فى الخارج، والتى اختارها من بين عشرات شهادات تقدير أخرى:-

١ – شهادة من دونالد روثن بيرج رئيس الرابطة الأمريكية للمعاهد والجامعات يقول لها أن المثال الذى ضربته (نوال الدجوي) فى إدخال مناهج تربوية وأخلاقية جديدة سيتم اتباعه فى جميع إنحاء العالم الحر ، وأن المعلمين فى كل مكان فى العالم يحيونك على هذا التكريم.

٢ – شهادة من جون توبس رئيس لجنة المعادلات الدولية والأقليمية يقول لها فيها: أنني فخور ومسرور أن أصبحت (مؤسستكم الموقرة) عضواً فى مجتمعنا الدولي.

٣ – شهادة من جون المدير الأقليمي للامتحانات الدولية لجامعة كمبريدج ويقول لها فيها: إن أداء الطلاب فى مؤسستكم متميز بكل المقاييس، والدليل على أدائهم المتميز أيضاً هو استمرار هذا الأداء المتميز بعد التخرج من المدرسة.

ليس لدى أى عقدة (خواجة) فى حياتي ، ولكن حينما نأتى لمستوى العلم والعلماء فإن شهادة الحق من ثلاثة مؤسسات عالمية تستحق بلا شك أن نشعر جميعاً

بأن هذه النياشين الثلاثة وضعت على صدر مصر قبل أن توضع على صدر نوال الدجوي.

النموذج الثاني هو للسيدة الفاضلة الدكتورة تيسير مندور الأستاذة بكلية طب الأزهر ورئيس قسم الفسيولوجي خلال سنين طويلة ، والتى عرفتها من خلال عضويتها للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وقبل أن أتكلم عن هذه السيدة أقول كل الشكر والتقدير للوزير الدكتور محمود حمدي زقزوق رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى اختار هذه السيدة عالية القدر والعلم والخلق لتكون معي بلجنة الحوار والعلاقات الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وأكتفي بأن أقول حينما ذهبت نيابة عني إلى ثلاث مؤتمرات فى أمريكا وأوروبا شعرت بالاعتزاز بقدراتها عندما تلقيت ردود فعل المؤسسات التى استقبلتها بالخارج ليعبروا لي عن شكرهم وتقديرهم للوزير الدكتور زقزوق ، ولي بأن أتحنا لهم الفرصة بأن يتعرفوا على عقل متفتح ومستنير لمرأة مسلمة ، عربية ، مصرية.

وأذكر لهذه السيدة أيضاً تصديها لمعركة شرسة أمام مواقع الفساد فى جامعتها وكان مطمئناً لكل إنسان شريف وهو يري القيادة السياسية تنتصر لهذه السيدة فى معركتها وتعيد إليها مكانتها وقدرها بعد أن ارتفعت بالمستوى العلمي والبحثي للكلية التى شرفها أن تنتمى إليها ، وأن يرى الإمام الأكبر يتصدى بنفسه لرفع الظلم ٠

رأى شخصي فى الإعلام المصري

"إبراهيم سعده ، كاتب يقُرأ له حتى السطر الأخير .."

أقول بكل موضوعية ، "ورغم كل شئ" أن الكاتب الكبير إبراهيم سعده ، يمتلك القدرة على الصياغة والكتابة غير التقليدية والجرأة فى اختيار الموضوع والمضمون ، بما يجعل القارئ يصاحبه حتى السطر الأخير..

والسؤال "البريء" بعد قراءة معظم مقالات الأستاذ إبراهيم سعده : هل يعقل أن يكتب ذلك دون الحصول على "ضوء اخضر" ؟ ، ودون أن أعلم أكثر من غيري أعتقد أن إبراهيم سعده عود نفسه ألا يورط نفسه بأن يلتمس الضوء الأخضر قبل الكتابة ويقف على حدود الضوء الأحمر وضاغطاً عليه ، واعتقد أن الألوان فى السياسة "نسبية جداً".

وإنصافاً لصانع القرار فى مصر أقول أنه حينما يختلف مع كاتب تجرأ بأن يتخطى الضوء الأخضر فأنه لا يفتك به ، ويحسب موضوعياً للكاتب جرأة المبادرة ،

وبعيداً عن كل ذلك أقولها بصفة عامة نحن فى امس الحاجة لكُتاب نقرأ لهم ثم نختلف معهم.

"أحمد بهاء الدين، كاتب مصري لقارئ عربي"

ولا يمكن أن نتكلم عن المقال السياسي دون أن نذكر الكاتب الراحل أحمد بهاء الدين الذى تميز أيضاً بالقاعدة العريضة لقرائه العرب.

وكانت سعادة كبيرة حينما سمعت من شريكة حياته "ديزي" عن تأسيس "جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين" التى تهدف حفظ التراث من أفكاره وكتبه وأعماله وتم توثيق ٣٥ ألف صفحة..!!

فعلاً الغنى غنى العقل والروح..

"وكان أحمد بهاء الدين يؤمن بحق الشعوب فى التربية والكتب والفن والموسيقى والفلسفة والمعلومات والتكنولوجيا، وكان أيضاً يهدف لتأمين هذه الحقوق للمجتمعات الريفية والهامشية.

وانطلاقاً من هذه الأسس ، فقد تبنت جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين عدداً من هذه الأنشطة فى قرية الدوير بجنوب محافظة أسيوط، وهى القرية التى ينتمي أليها الكاتب الكبير ، هكذا كتب مؤسسي الجمعية فى الكتيب الذى قدم للرأي العام فكرة "مركز أحمد بهاء الدين الثقافي" فى مسقط رأسه.

فكرة ذكية تمثل أعلى درجات الاحترام والتقدير لكاتب كبير من خلال التوثيق ونشر الثقافة وتدعيم الجذور.

وحين أتكلم عن الإعلام الاقتصادي، وعن السهل الممتنع فى هذا الإعلام، فاعتقادي هو أن الأخ والصديق الراحل سعيد سنبل، كان اكبر فرسانه، فجعل المقال الاقتصادي مقروءاً للعامة، قبل الخاصة، ربما لأن البساطة واليسر، كانا من أخلاقياته وتركيبة شخصيته.

وكيف أتكلم عن الإعلام المصري، دون أن أشير إلى ما يمكن تسميته بمدرسة أنيس منصور.. الكاتب والصحفي الرحالة.. إنه يأخذك دائماً، من خلال عموده اليومي، من ارسطو، إلى سارتر، ومارا ببرنارد شو دون أن ينسى عباس العقاد، فى سلاسة، ودعابة.. وأحياناً شقاوة !!.. اللهم لا حسد، فحين أحصي قائمة مؤلفاته، وأقرأ بعضها، فمن حقي أن اسأله: كم من الساعات يتبقى لنومك ؟!

أما على مستوى الإذاعة التى عشتُ فيها، وعاشت فى داخلي، فلا يمكن أن يغيب عن بالي، الرواد الأوائل، من أمثال الراحل الكبير عبدالحميد الحديدي، الذى كان على درجة من الحرفية الإذاعية، يندر أن يكون لها مثيل.. وكان جريئاً

فى كل كلمة يقولها، وشديداً فى معاملة مَنْ يحبهم.. ولا أنسى أبداً طقوسه الخاصة فى مكتبه، وخصوصاً "السبرتاية والكنكة".. فقد كان حريصاً على أن يصنع القهوة بيده، لمن يحب !

أما الأخ والصديق الراحل بابا شارو الذى كان فنان الأحاسيس والمشاعر، فقد أحببته، وأحبني، واختلطت به طويلاً فى السبعينات، بوجود حرمه الأستاذة صفية المهندس رئيسي فى الإذاعة، أعطاها الله الصحة وطول العمر.. فلا أنسي قفشاتها ودعاباتها شديدة الذكاء، ولا برنامجها الذى مازال المستمعون يتابعونه حتى اليوم.

ومَنْ منا ينسي صوت جلال معوض، فى الحقبة الناصرية.. هذا الصوت الإذاعي الذى عرف، كيف يجمع بين الحرفية النادرة، وبين العقيدة السياسية.. وقد كنا نمضي الساعات الطويلة، نتجاذب فيها أطراف الحديث، حول أحلام وآلام الوطن.

أسماء أخرى ستبقى في ذاكرتنا : سامية صادق مع "الأسرة البيضاء" ومع فنجان شاي بصوتها العذب ومن النادر أن يقال عن صوت "إنه صوت ذكى". ومما أثلج صدري في الكلام عن رجال الكلمة ومدرسة الصحافة بعد رحيلهم ما سمعته عن مؤسسة لتخليد ذكرى أحمد بهاء الدين على المستوى الاجتماعي..؟؟ وتحمل أسم "جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين".

أما زميل دفعتي فى القانون وفى الإسكندرية أحمد رجب .. ونحن تحت الرئاسة الفعلية ..!!

لحسن شاه "أولى دفعة الحقوق" .. التى لا أذكر "سنة التخرج" !!، فأني أود أن أقول : من حق هذا الرجل الذى أضحك الملايين من شعبنا أعواماً طويلة .. أن يفرض "بدل ضحك" على كل مواطن.. ويسجل نفسه فى تاريخ الصحافة كصاحب "أغلى كلمة" ..

بقى أن أقول أن الأسلوب الساخر والمختصر فى تخيلي يحتاج إلى ذهن خلاق .. وعبقرية خاصة.

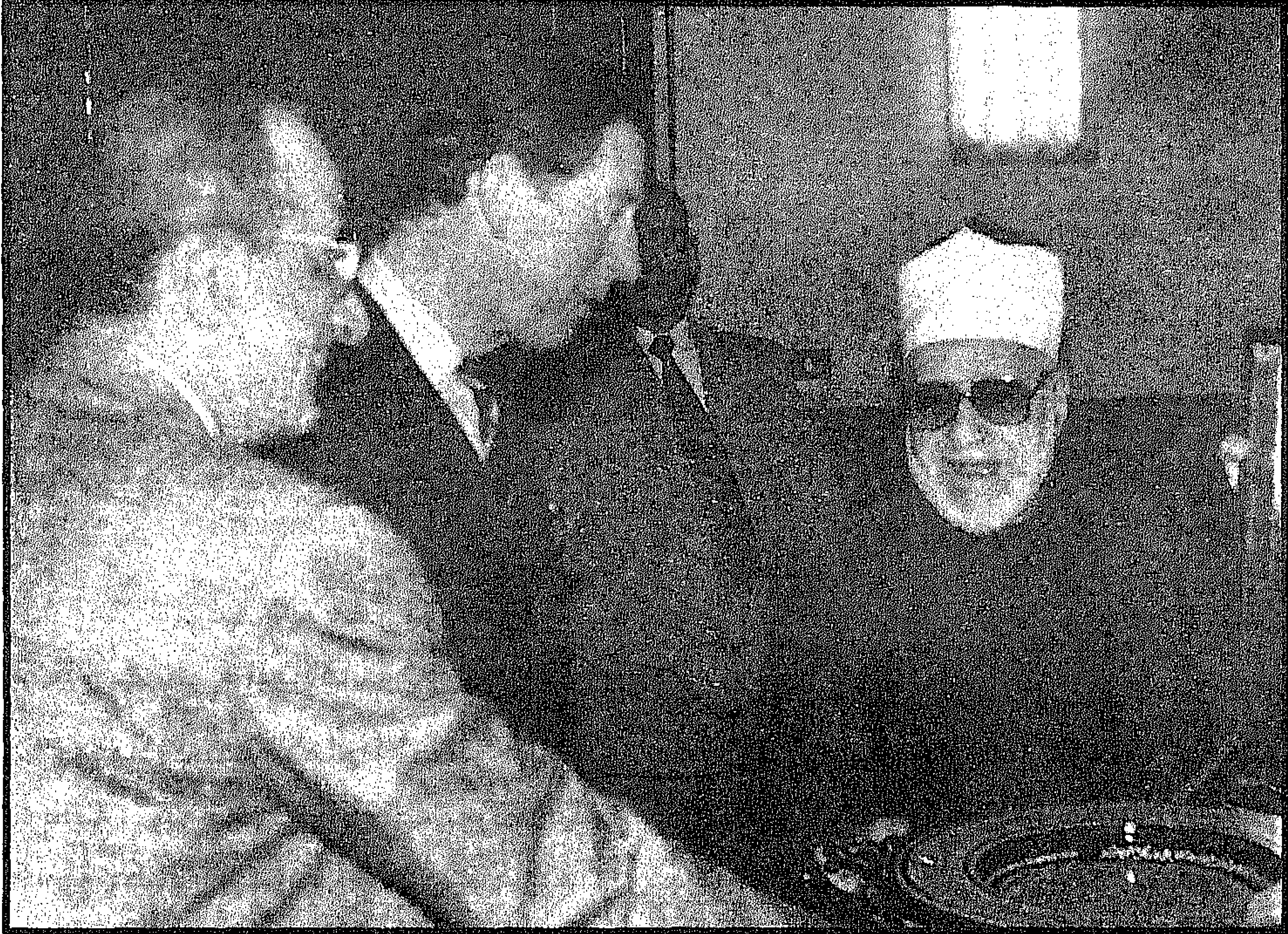
أما عن الأخ والزميل .. سلامة أحمد سلامة أستاذ المقال القصير ذو المعاني الكبيرة الذى نال احترام ومتابعة .. القارئ المصري، ومقاله مثل شخصيته.. "شيك جداً" وليس من حقي أن أنسى "جيل الوسط" من الصحفيين وأخص بالذكر "سليمان جوده" صحفي متميز .. صاحب قراءة فى كل المواقع التى انتقل إليها..

ويهمني أن أوضح للقارئ أنني لم أتكلم عن الكتاب والإعلاميين على سبيل الحصر وألا لن يكفى الكتاب بأكمله ولكنها مجرد نماذج جادت بها ذاكرتي هذه الأيام.

الفصل الرابع والثلاثون

لقاء الإمام والأمير.. ورئيس الأساقفة

عندما جاء الأمير تشارلز، ولى عهد بريطانيا، لزيارة مصر، ولقاء فضيلة الإمام الأكبر، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، قبل توقيع الاتفاق مع الفاتيكان، كنت قد أفدت الإمام الأكبر، بالمواقف الموضوعية للأمير تجاه الإسلام، من خلال مسئوليته كرئيس شرفي لمركز الدراسات الإسلامية بجامعة اكسفورد.



د. علي السمان مع الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق والأمير تشارلز ولي عهد إنجلترا

وأثناء اللقاء، سأل الأمير شيخ الأزهر، فجأة، عما وصل إليه حوار الأديان داخل الأزهر، فأشار الإمام ناحيتي، بما يعنى أن هذا هو رجل الحوار، فليتكلم.

وبدأت أقص على الأمير، رحلة الإعداد لمشروع إنشاء لجنة مشتركة بين الأزهر والفاتيكان، .. وبطبيعة الحال جاء ذكر الفاتيكان، أكثر من مرة، وأنا أتكلم.

وفاجأني الأمير، بروح الدعابة البريطانية، حينما يكون مظهر السؤال أو التعليق بالغ البراءة، فقال: هل سمعتم عن وجود الكنيسة الانجليكانية، أو كنيسة كانتربرى التى ترأسها الملكة ؟!

قلت: فعلاً.. ونحن نعلم، أنه منذ زيارة رئيس الأساقفة، اللورد كاري، للأزهر، وإلقائه محاضرة فيه، أن هناك جهوداً للتقارب، وأرجو أن تطمئن، إلى أنه فى أجندتى، أن أذهب لزيارة الكنيسة الانجليكانية، خلال الشهور القليلة القادمة، للتعرف على قادتها ورجالها، واستطلاع أوجه التعاون الممكنة.

وهنا علق الإمام الأكبر وقال: إن باب الحوار والتعاون مفتوح، طالما خلصت النوايا، وطالما كان الهدف هو خدمة كلمات الله ورسالات الأديان التى تسعى للسلام والعيش المشترك.

وزرت لندن بعدها فعلاً، والتقيت بقيادات الكنيسة هناك، بمعاونة السفير محمد شاكر، سفيرنا هناك فى ذلك الوقت، والذى أقول عنه، باختصار، ودون انحياز مني، أنه كان من أحسن سفرائنا فى إنجلترا، وكانت له علاقات وثيقة ومميزة مع كل قيادات هذا البلد.. ومنه فهمت أن الكنيسة تود أن تدعو الإمام الأكبر لزيارة إنجلترا، وأن الأمير تشارلز يود أيضاً أن يزور الإمام الأكبر جامعة أكسفورد، وأن يلقى بها محاضرة، وأن يدعوه الأمير على غداء فى قصره القريب من أكسفورد..

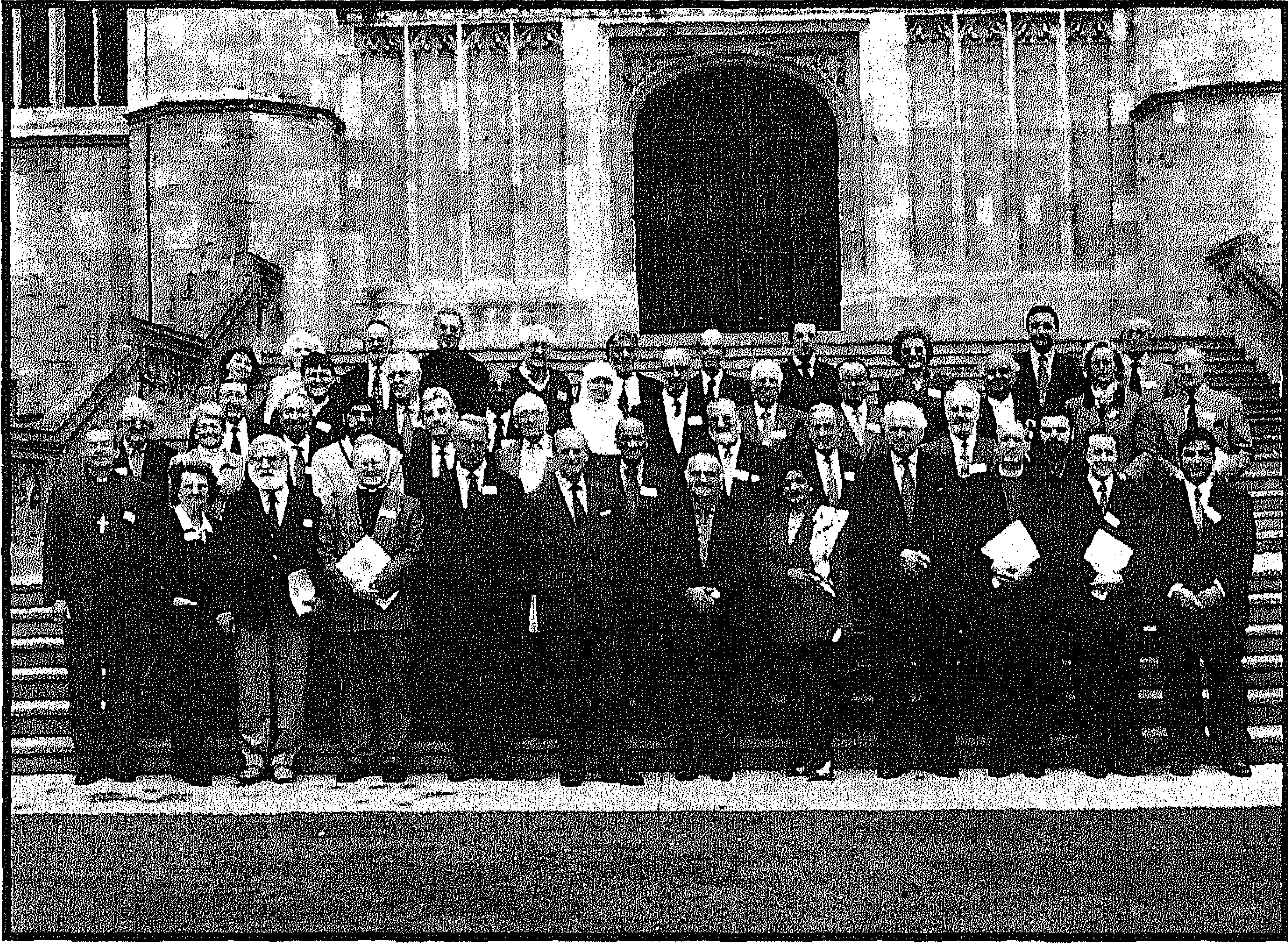
ومازالت لندن تذكر دور حرم السفير شاكر الدكتورة منى التي كان لها دور متميز في تقوية العلاقات مع بريطانيا ومكملاً لدور زوجها.

وفعلاً ذهب الإمام الأكبر الدكتور سيد طنطاوى، إلى تلك الرحلة، وكنت برفقته، وتوجهنا إلى اكسفورد، ليلقى محاضرته، والتقى مع الأمير تشارلز، فى مأدبة غداء محدودة اقتصرت عليهما، وعبر له الأمير عن احترامه وتقديره وفهمه للمبادئ السامية فى الإسلام.

وكان معنا، فى الرحلة كلها، العالم الإسلامى الكبير، الأخ والصديق الدكتور زكى بدوي، الذى يدير الكلية الإسلامية بلندن، وهو أزهري التكوين، ويتكلم اللغة الإنجليزية بطلاقة، وأهم من ذلك هو معرفته الكاملة للعقلية الإنجليزية.

وشعرت أثناء لقاءات الإمام الأكبر، أن الدكتور زكى بدوي، قريب من الأمير تشارلز، وقريب من العائلة المالكة، ولذلك لم أدهش، فيما بعد، حين حصل على جائزة من البرلمان البريطاني، قبل أن يُمنح، عام ٢٠٠٣، لقب "سير".. وقد أوضح

رئيس وزراء بريطانيا، وقتها، أن بلاده تمنح الدكتور بدوي لقب "سير" وكانت تود لو تمنحه لقب "لورد" لولا أنه لا يحمل الجنسية البريطانية، ويتمسك بجنسيته المصرية وحدها.



فى مؤتمر الحوار بقصر وندسور.. الدكتور السمان مع الأمير فيليب والأمير الحسن، والبارون روتشيلد، والدكتور زكى بدوي .. ومنى مكرم عبيد

وقد اكتشفت بعد ذلك، أن الدكتور بدوي، تربطه أيضاً علاقات وثيقة بالأمير فيليب زوج الملكة، ومعه دعاني د. بدوي مرتين إلى اجتماع ينعقد كل عامين أو ثلاثة، بحضور الأمير الحسن، ولي عهد الأردن السابق، ورجل الأعمال الشهير روتشيلد.. وكان آخر هذه اللقاءات عن التعليم فى المجتمعات متعددة الأديان، ولهذه الاجتماعات نظام خاص جداً، فهي أولاً محدودة العدد جداً، وهي لا تهتم بأوراق عمل تصدر عنها، ولا بمقررات، ولكن تهتم بطرح أفكار جديدة، وتقديمها على الساحة، لكي تتولى تنفيذها مؤسسات دولية كبرى، مثل اليونسكو، أو دافوس، أو غيرهما.

ومن الطريف، أنك حين تكون مدعواً لمثل هذه المؤتمرات فى قصر وندسور، فإنك تدفع ثمن الإقامة والوجبات، وقد أدهشني أن نكون ضيوف الأمير فيليب،

زوج الملكة، ثم نفعل ذلك، ويبدو أن الأمير قد أحس من جانبه، يوماً، عدم فهم المسلمين والعرب بالذات أن تكون في بيتهم وتتكفل بإقامتك، فقال لنا، أثناء إحدى هذه الاجتماعات: أنا مثلكم أشعر أن هذا "نظام غريب"، ولكن أحب أن أقول لكم، أني أنا أيضاً أدفع ثمن وجباتي، ما عدا الإفطار الذى أتناوله مع الملكة فى قصرها والمعروف أن الأمير فيليب صريح جداً ولديه روح دعابة عالية.



د. علي السمان مع الدكتور منير حنا ، ممثل الكنيسة الأسقفية فى مصر وشمال أفريقيا ، والجندي المجهول وراء نجاح زيارة رئيس الأساقفة ولقائه مع الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي

ومنذ تم تنصيب الدكتور منير حنا، مطراناً للكنيسة الأسقفية الانجليكانية عن مصر وشمال أفريقيا، تطورت فكرة التعاون بين الأزهر الشريف، وكنيسة كانتربرى بسرعة كبيرة، وخاصة بعد زيارة اللورد كارى رئيس الكنيسة الأسقفية وقتها للأزهر، وذهابنا سوياً، هو والإمام الأكبر وأنا، فى رحلة إلى عمان، للقاء هناك حول الأديان والتنمية، والدكتور منير حنا مزيج من القيم أولها عمق الإيمانية الحقيقية، وثانيها أنه يفهم الحوار على أنه تعاون فعلي على أرض الواقع، فضلاً عن أن للصداقة والمودة مكاناً رئيسياً فى علاقاته.

وبعد عودتنا تكونت مجموعة عمل من الشيخ فوزي الزفزاف، رئيس لجنة الأزهر الدائمة لحوار الأديان، والدكتور منير حنا، وأنا معهما، لإنشاء لجنة

مشتركة بين الأزهر وكنيسة كانتربرى،.. وكان طموحنا هذه المرة، أن يجري التوقيع على الاتفاق فى قصر "لامباث بالاس" بلندن، بحضور الإمام الأكبر ورئيس الأساقفة.. فتكون هذه الوثيقة، بذلك، هى أول وثيقة يوقع عليها الإمام الأكبر بنفسه، ورئيس الأساقفة بنفسه أيضاً.. فمن المعروف أن الاتفاقية بين الأزهر والفاتيكان، كانت على مستوى الكاردينال "إرينزه" رئيس المجلس البابوي لحوار الأديان، والشيخ فوزي الزفزاف، وأنا، كممثلين للجنة الأزهر. أذن مرة أخرى كان الشكل له احترامه لأن اتفاقية لامباث وقع عليها أعلى مستوى فى المؤسستين الدينيتين.

وعاش قصر "لامباث بالاس" يومين متتاليين، بين الحفاوة الكبيرة بنا، وبين النقاش الهادئ للأفكار والكلمات التى طرحها الجانبان.. وكان معظم السفراء العرب والمسلمون، حاضرين، عند التوقيع على الاتفاقية، وكذلك عدد من المسئولين بالحكومة البريطانية.

والتقى بعدها الإمام الأكبر، برئيس الوزراء تونى بلير، الذى أكد له، أن حكومته سوف تبذل كل ما تستطيع، من أجل دعم روح وأسلوب وأخلاق الحوار، على أرض إنجلترا، وأنه يعتبر هذه الاتفاقية، نقطة تحول هامة، فى تاريخ الأزهروالكنيسة، بل وفى تاريخ الإسلام والمسيحية معاً.

ومن الغريب، أن أول لقاء للجنة المشتركة، الذى انعقد بالقاهرة، كان يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الشهير.. ذلك التاريخ الذى أصبح تاريخاً فاصلاً، بالنسبة لنا جميعاً، كأن هذه الصدفة الغريبة، كانت رسالة إلى الجميع، بأن الحوار يعنى التصدى للعنف، والتطرف، والإرهاب.

ومن يومها أصبح موعد انعقاد اللجنة المشتركة، هو ١١ سبتمبر من كل عام.

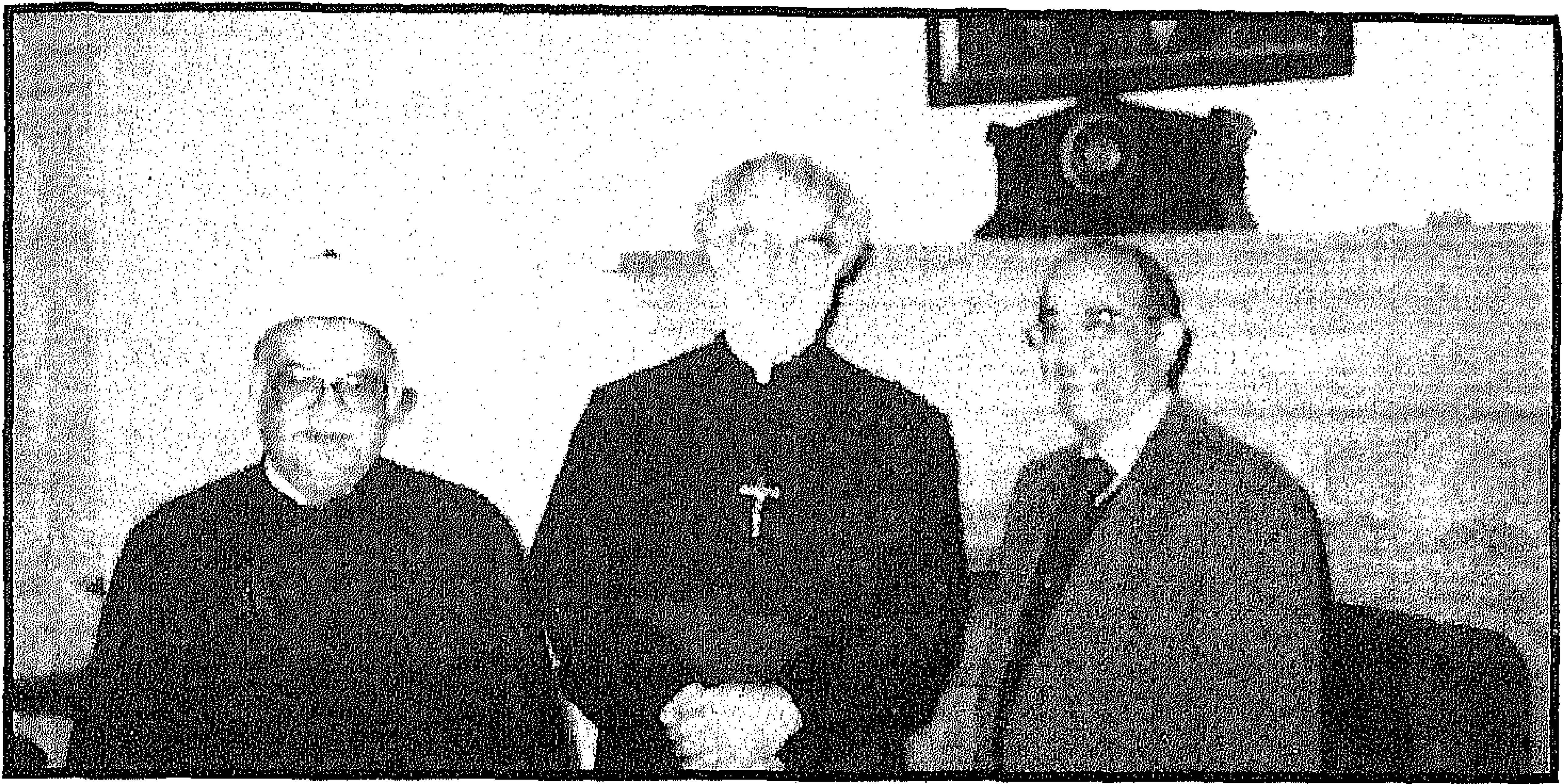
وعندما انتهت مهمة اللورد كارى، كرئيس للأساقفة، تم اختيار "روان ويليامز" خليفة له، ودعينا.. فضيلة الشيخ الزفزاف وأنا، لحضور حفل تتويجه فى كنيسة سان بيتر، وفوجئت يومها باحتشاد الآلاف خارج الكاتدرائية وداخلها، الذين جاءوا لمشاهدة مراسم القداس والتتويج.

واخترقنا ثلاث قاعات مختلفة، وكانت كل قاعة تمثل، حسب البروتوكول الإنجليزي، مستوى مختلفاً من مستويات أهمية الحضور، وحين وصلنا إلى القاعة الأولى، وجدنا رئيس الوزراء والأمراء، يجلسون فيها، وفى أعلى المكان، كانت هناك قاعة صغيرة أخرى، هى التى يتم فيها التتويج، بمراحله المختلفة، وإليها

دعينا، ضمن مائة شخصية فقط، لحضور التتويج لإبراز أهمية الأزهر على الساحة الدولية.

وحين فرغوا من التتويج، سعى رئيس الأساقفة نحوي، للتحية، ثم قال: أعلم مدى الجهد الذى بذلته، وأدعو الله لك بالتوفيق،.. ثم تبادل بعض الكلمات مع الشيخ الزفزاف.

وفى خطابه على العشاء، لفت نظري أنه وجه كلامه إلى إخوانه المسيحيين فقال: "لستم وحدكم، ولا أنصحكم أن تكونوا وحدكم.. فلتتقدموا مع المسلمين، فى مسيرة واحدة، من أجل نصرة المبادئ الأخلاقية".



د. علي السمان مع رئيس أساقفة كانتربري د. روان ويليامز، الذى سلمه ميدالية الاستحقاق وشهادة تقدير كتب فيها "نعلم ونقدر دوركم المؤثر فى تقدم حوار الأديان".. وفى الصورة الشيخ فوزي الزفزاف

وفى صباح اليوم التالي، كان أول لقاء حدده رئيس الأساقفة لإستقبال ضيوفه لنا، الشيخ الزفزاف وأنا، وأبلغنا بأنه سوف يعطى أولوية من الاهتمام، للاتفاقية بين الأزهر وبين كنيسة كانتربرى، وقال أنه يعتبر نفسه، شخصياً، ملتزماً بتدعيم هذا الاتفاق، وبالعمل على تنفيذه.. وكان طبيعياً بعد هذا الإعداد للأجواء والنفوس، أن يأتي اليوم الذى يزور فيه رئيس أساقفة كانتربرى "بيت الإسلام".. أقصد الأزهر الشريف، مثلما زاره من قبل بابا الفاتيكان.

وكانت محاضرته بالأزهر الشريف، وثيقة مهمة للغاية، فقد كانت هذه هى المرة الأولى، التى تأتي فيها قيادة مسيحية عالية القدر إلى الأزهر، ثم يردد في كلمته، سورة الإخلاص، حرفاً حرفاً، فيقول: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد".

بل إنه رفع أمام الجميع شعار "الإله الواحد".

ونص هذا الخطاب لأهميته منشور بالكامل فى الجزء الوثائقى من الكتاب



د. علي السمان مع رئيس أساقفة كانتربري د. روان ويليامز، الذى سلمه ميدالية الاستحقاق وشهادة تقدير كتب فيها "نعلم ونقدر دوركم المؤثر فى تقدم حوار الأديان".. وفى الصورة الشيخ فوزي الزفزاف

وكان مما أسعدني، أثناء الاحتفال، الذى حضره الإمام الأكبر، وكبار رجال الأزهر، والدكتور محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف، ومفتي الجمهورية الدكتور علي جمعه، ورئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد الطيب، أن يقدم رئيس الأساقفة للشيخ الزفزاف، ثم لي، ميدالية وشهادة تقدير، وأن يقول لي، فى شهادة التقدير: أنا اعلم أن التزامك وجهدك، كانا عاملين أساسيين، لإنجاح مسيرة هذا الحوار.

وحين قرأت هذه السطور، الصادرة عن رئيس إحدى أكبر كنائس العالم، تذكرت على الفور، كلمة بابا الفاتيكان التى همس بها فى أذني، في فبراير ٢٠٠١ وهو يهم بالصعود إلى عربته، بعد انتهاء زيارته لبيت الإسلام، حين قال: أعترف لك بالجميل.

عندها، مرت بذاكرتي مسيرة ستة أعوام، فى خدمة قضايا الحوار.

وحين عدتُ إلى بيتي، وتذكرت بيني وبين نفسي، شهادة رئيس أساقفة كانتربرى فى حقي، ومن قبله عبارة بابا الفاتيكان.. اختلطت فى داخلي مشاعر وردود فعل متعددة المنابع.

وكان أول هذه المنابع، هو الحمد والشكر لله، أن هيأ لي السبيل والبصيرة لأتمكن من خدمة رسالة الحوار، وصورة إسلام السماحة والوسطية على المستوى العالمي للأزهر الشريف.

وكان ثاني المنابع، هو الدعوة لنفسي أن يحميها الله، من شر الغرور، وحب الذات.. وتذكرت رفقاء الطريق، الذين كانوا معي، وبفضلهم نجحنا فى أداء عمل مشترك، لا يستطيع أحد أن ينجح فيه بمفرده.

وكان ثالث المنابع، هو الأمل فى عدالة الله، وفى رحمته، بأن يكتب ما قدمته، بقدر ما استطعت، فى حساب حسناتي يوم أن ألقاه.

الفصل الخامس والثلاثون

ومـــاذا بعـــــد...

أولا : عبدالناصر والسادات.. عمالقة لا آلهة !

للأمانة أقول، بعد أن أنتهيت من كتابة مشوار أو قصة حياتي، أن الأولوية التى كنتُ أريد أن أكرس لها جهدي، ووقتي، هى دراسة عن تجربتي مع الرئيس جمال عبدالناصر ونظامه، ثم مع الرئيس السادات ومؤسساته وإطلالة قصيرة جداً على عهد الملك فاروق.. وكان فى ذهني وقتها أن يكون اسم الكتاب "عبدالناصر والسادات.. عمالقة لا آلهة".. وأسمح لنفسي أن أفسر لماذا هذا العنوان.

أقول لقد آلمني وأدهشني فى الوقت ذاته، أن معظم من كتبوا عن الشخصيتين، قد انطلقوا من نقطة ارتكاز تعتبر أنه من أجل تمجيد أحد الزعيمين، فإنه يجب أن يغُتال الثاني سياسيا، أو معنويا.. وكنت أحلم أن أجد جهودا ومعايير موضوعية، للحكم على الرجلين اللذين حكما مصر على مدى حوالي، ثلاثين عاما، فتقيم أعمالهما الصالحة، ونجاحاتهما بتجرد، وتقيم أيضا اخطاؤهما دون مبالغة، ودون تعصب.

إنهما قادتنا، ورؤساؤنا، وزعماؤنا.. هذا فى فهمي المتواضع..

ويحتمل أن رغبتي فى ضبط إيقاع الموضوعية، والنقد، تنطلق من أن بعض الأخطاء مهما كبرت لا تسمح بجموح فكري نحو هدم مرحلة حكم كل منهما.. **كان عبدالناصر عملاقا** حين فجر ثورة ٢٣ يوليو ٥٢، بنية وقصد تحقيق العدالة الاجتماعية، ولم يكن منزهًا، فمسموح لنا أن نتخيل أنه فى مرحلة من الستينات، سمح بتجاوزات ظلمت بعض الفئات، وعوملت بقسوة غير مبررة.. **وكان عبدالناصر عملاقا** حين أمم قناة السويس، وحينما ذهب إلى منبر الأزهر يدفع بالمقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثي.. **وكان عملاقا** حين جسد شعور الوطنية المصرية، ثم القومية العربية، وحين جسد أيضاً معركة تحرير واستقلال شعوب العالم الثالث..

ولكن.. لم يكن منزهًا حين أخطأ وسمح بأن تُقسم السلطة فى مصر، بين السلطة السياسية فى يده، والسلطة العسكرية فى يد المشير عبدالحكيم عامر، وقد يكون ذلك من أحد أسباب هزيمة يونيو ٦٧،.. **ولم يكن عبدالناصر أيضا منزهًا حينما أخطأ** فى تقدير قدرة المجتمع الدولي على قبول قراره بغلق المضايق فى تيران سنه ١٩٦٧، وأن المجتمع الدولي وعلى رأسه أمريكا وإسرائيل، سوف تتخذان من ذلك حجة لضربنا..

ولكن عبدالناصر كان عملاقاً حينما كرس جهداً جباراً يفوق طاقته وامكانياته الصحية ليقود حرب الاستنزاف وإعادة تنظيم وإعداد الجيش المصري، وكان ذلك جزءاً لا يتجزأ من نصر أكتوبر بعد وفاته.

وإذا ذهبنا إلى الرئيس أنور السادات، سنجد أنه كان عملاقاً حين نجح فى الانتقال إلى دولة المؤسسات، والانتقال من فكرة الشرعية الثورية إلى فكرة الشرعية الدستورية، **ولكن لم يكن السادات منزهًا** حينما سمح لأقلام وأصوات أن تقوم بهجمة شرسة على كل ما قام به جمال عبدالناصر فى محاولة لطمس هذه المرحلة من تاريخنا.

ولكنه كان عملاقاً بلا شك حين أخذ قرار معركة أكتوبر، بعد أن تم إعداد هذا الجيش يوماً بعد يوم، وعاماً بعد عام، من ٦٧ إلى ٧٣، وقاد المعركة باقتدار وذكاء، ليحقق أول نصر فى تاريخنا الحديث على الصلف والغرور الإسرائيلي.

وكان عملاقاً وهو يستثمر هذا النصر، فى الذهاب إلى مائدة مفاوضات مريرة، لم تكن أقل صعوبة من الحرب، ليحقق الهدف الاستراتيجي الذى وضعه نصب عينيه: تحرير الأرض.

وكان السادات عملاقاً حين سمح بفتح أبواب تغيير النظام السياسي من الحزب الواحد إلى التعددية السياسية.. **ولكن السادات لم يكن منزهًا** وهو يسمح بصعود بعض القوى الانتهازية بحجة التحرر والتحرير الاقتصادي.

أريد أن أقول للقارىء فى نهاية المطاف، أنني أحترم قيادة عبدالناصر والسادات، واحترم رئاستهما، وأحترم زعامتهما.. وأكررها فى الختام: أنهما كانا عمالقة.. لا آلهة ! بمعنى أنهما غير منزهين.. ولا معصومين من الخطأ..

ثانياً: "الملك المفترى عليه"

أما وقد ذكرنا الملك فى عنوان الكتاب فهل لنا فى عبارة مختصرة أن نطبق معيار الموضوعية فى تقييم عهده، فنكتفي بالتساؤل ماذا كان يمكن أن يكون مشوار حياة الملك فاروق ومكانه فى التاريخ إذا لم يتلق الصدمة الأولى فى تاريخه السياسي فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ بمحاصرة الجيش البريطاني لقصر عابدين موجهين إنذارًا إليه بأن يعين مصطفى النحاس باشا رئيساً للوزراء قبل الساعة السادسة، وأن يجد معظم الطبقة السياسية مستعدة للاستجابة للإنذار وأن يجد نفسه بالتالي فى موقف ضعف.

وسؤال ثاني ماذا كان يمكن أن يكون مشوار حياة فاروق بدون أن يتلقى الصدمة الثانية ليجد والدته نازلي التى كانت وقتها قيمة كبرى يقدسها على علاقة غير مشروعة مع رئيس الديوان أحمد حسنين.. فينحرف إلى حياة اجتماعية غير جادة لا تليق بملك مصر.

مرة أخرى يا سادة يا من تعطون المادة الأولى لكتابة التاريخ.. رحمة بالموضوعية ورحمة بجيل الشباب الذى تاه وهو يبحث عن الحقيقة.. كل الحقيقة.. ولا شئ غير الحقيقة كما يطلب منا القاضي العادل..

الوثائــق



مستشار رئيس الجمهورية
لشئون الأمن القومي

الشئون التنفيذية
٨٨٩

قرار مستشار الرئيس لشئون الأمن القومي
رقم ٢٧ لسنة ١٩٧٣

مستشار رئيس الجمهورية لشئون الأمن القومي

بعد الاطلاع على القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٧١ الخاص بنظام العاملين المدنيين بالدولة ،

وعلى القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٦٧ المعدل بالقانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٧١ بشأن البدلات والرواتب الاضافية ،

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٩٨٣ لسنة ١٩٧١ بتخويلنا الاختصاصات المالية والادارية وغيرها المنصوص عليها في القوانين واللوائح المتعلقة بوزير شئون رئاسة الجمهورية ،

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٤٥ لسنة ١٩٧٢ بتفويضنا منح بدل التمثيل للعاملين برئاسة الجمهورية ،

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٣٨٣ لسنة ١٩٧٣ بشأن تعيين السيد / الدكتور علي وهبي السمان ، مديرا عاما برئاسة الجمهورية ،

وعلى قرار مستشار رئيس الجمهورية لشئون الأمن القومي رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢ بشأن قواعد صرف بدل التمثيل للعاملين برئاسة الجمهورية ،

قـــرر

مادة أولى :-

يعين السيد / الدكتور علي وهبي السمان ، مديرا عاما لشئون الاعلام الخارجي برئاسة الجمهورية ، مع منح سيادته بدل التمثيل المقرر .

مادة ثانية :-

على الجهات المعنية تنفيذ هذا القرار .

(محمد حافظ اسماعيل)

مستشار رئيس الجمهورية
لشئون الأمن القومي

عابدين في ١٩٧٣/٣/٢٩

(م)

مسوغات تعييني في ١٩٧٣ ـ قرار مستشار الرئيس للأمن القومي بتعييني مديراً عاماً لشئون الإعلام الخارجي برئاسة الجمهورية.

قرار رئيس جمهورية مصر العربية
رقم ٦١٤ لسنة ١٩٧٣

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور ،
وعلى نظام العاملين المدنيين بالدولة الصادر بالقانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٧١ ،

قرر
(مادة أولى)

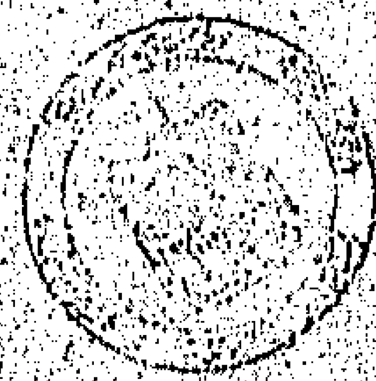
اعارة السيد / الدكتور علي وهبي السمان ، مدير عام برئاسة الجمهورية الى وكالة أنباء الشرق الأوسط للعمل مديرا لمكتبها بفرنسا ، ورئيسا لمنطقة غرب أوروبا لشئون الوكالة بباريس ، على أن تتحمل الجهة المعار اليها بجميع الالتزامات المالية المترتبة على هذه الاعارة ،

(مادة ثانية)

على الجهات المعنية تنفيذ هذا القرار كل فيما يخصه ،

صدر برئاسة الجمهورية في ٢٢ صفر سنة ١٣٩٣ (٢٧ مارس سنة ١٩٧٣)
(انور السادات)

امين عام مجلس الوزراء
(احمد صلاح الدين عفيفي)



أما القرار الذي يعني أن أجمع بين وظيفتي في باريس كعمل صحفي بوكالة أنباء الشرق الأوسط كان يستلزم قرارا من رئيس الجمهورية تحت شكل إعارة لأنه في فكر الرئيس السادات وقتها ما يهمه متحدياً القواعد الإدارية هو أن يكون لي قدم بجانبه في رئاسة الجمهورية وقدم في الخارج في باريس حتى أتمكن من تنفيذ توجيهه الأساسي المرتبط بمعركة أكتوبر وهو أن نتكلم لغة واحدة للداخل والخارج حتى يثق فينا الرأي العام المصري والعربي والدولي .

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

سري للغاية وشخصي

الأخ العزيز علي السمان

1 ديسمبر ...

خطاب وجهه لي السيد سامي شرف سكرتير عبد الناصر للمعلومات في ١٩٦٩/١/١٨

مقدمة:

لعل جيل الشباب الذي لم يعش هذه المرحلة أقول أن السيد سامي شرف كان من أهم "الطرق" لبوابة الرئيس جمال عبد الناصر منذ بداية الخمسينيات بعد الثورة وحتى رحيله. لاسيما بعد أن سجل له موقف في بداية معرفته بجمال عبد الناصر بأنه تحمل مسئولية اعتقال أخيه طارق شرف لموقفه ضد النظام.

وقتها بطبيعة الحال كانت معظم الطبقة السياسية في مصر تخطب ود سامي شرف وتتمنى الاقتراب منه . وتكلمنا في الكتاب بالقدر الكافي عن علاقتي به منذ لقائي بالرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ.......

ولم أكن وقت تسلمي هذا الخطاب من خلال سفارتنا في باريس تحت عبارة (سري للغاية وشخصي) لم أكن وقتها أكثر من مراسل لوكالة أنباء الشرق الأوسط والإذاعة المصرية ولكن أقوم بدور وطني كلفني به الرئيس جمال عبد الناصر وهو التصدي لدعايات العدو بالخارج وأمر بأن تكون قناة الاتصال بيني وبينه من خلال السيد سامي شرف .



رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

[illegible] ١٩٦٩ [illegible]

الأخ العزيز علي

تحياتي وأشواقي الحارة [illegible] وأطيب تمنياتي الشخصية

[illegible] دوام الصحة والسعادة والتوفيق.

[illegible] التي [illegible] استطيع أن

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أذكرك [illegible]

[illegible] أنا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وتقديري الشخصي.

[illegible]

[illegible]



رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

لا من [illegible] من الوقت [illegible] فان أثره [illegible] ذاتيا وأقول

[illegible] الدولة [illegible] قضية [illegible]

[illegible] اختصر هذا [illegible] الجلسة القادمة.

[illegible]

التي [illegible] النشاط [illegible] القضية الوطنية والقومية

[illegible] علينا [illegible]

[illegible] علينا أن [illegible] - علينا أن [illegible]

[illegible] القرار [illegible]

ولا ننتظر توجيهات ولا ننتظر رأي إلا لتوضيح الرأي

اما إذا كانت الرؤيا واضحة أمامك فتقدم ولا تلتفت

للوراء [illegible] العدو [illegible]

[illegible] فعلينا أن [illegible]

[illegible] بكل [illegible] العدو اللئيم

[illegible]

لذا فإن علينا [illegible] مصرنا العزيزة وقيادتنا



رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
مكتب الرئيس [illegible]

التحدي الكبير ألا ننسى أبداً [illegible] [illegible] والأهداف

العليا الإسلامية علينا أن نسعى ونشترك بقوة من أجل

تحقيق هذه الأهداف ونعطيها [illegible] صفة خاصة

لا يتأتى إلا [illegible] المجتمع [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] وإدراك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وإدراك

الذي [illegible] من حركة [illegible] الإسلام [illegible] لتطوير الإنسانيات

وكذلك ما هو طائل.

علينا أن نعمل على أن نشترك [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] قضية عادلة من أجل الحق ... علينا

أن [illegible] [illegible] وعلينا أن [illegible] [illegible] [illegible] الحضارة

أينما وجدت وعلينا أن [illegible] هذه [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] إلا [illegible] الحق [illegible]

تنطق الحق والصواب.



رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

سكرتارية الرئيس للمعلومات

وهذا ما أحب أن أقف. وقفه [illegible] خطورة لأن الأمر

هناك رئيس سابق [illegible] نستطيع أن نحدد له هدفنا وحركتنا

من مقام لشخص بسيط - الجهد والاقتناع والحركة

وإن أعداءنا قلة لكنهم لم يلهم الحول فعلينا

أن نحرسهم بالحجة وبالاقتناع وبالحركة المستمرة

التي لا تهدأ - هذا هو [illegible]

أنه أتقن الهدف - وهذا هو الأسلوب والمسلك الذي

أتبعه بك ولهذا تجدني دائما مشغولا ودائما تجدني

دائم التفكير - دائما أفتح [illegible] - قد أقسم

بالله - شرفني بوطني .. شرفني بأنني عرفت ورافقت

جمال عبد الناصر .. شرفني .. وشرفني بإخلاصه وصداقته

وأنت تعرف هذا الرجل .. وأنت تعرف أنه كان يحبني ويعترف بي

وبرسالتي [illegible] .. ولا تخشى [illegible]

ولك التسليم يا جمال أن أقول أكثر من هذا -



رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتير الرئيس للمعلومات

لقد كتبت هذه الرسالة لسيدة سيدة أدمعتك

ولكن الأشياء شغلتني وأنساني قراءاتي وتنقلاتي المستمرة

تشكرني وأنا أكتب ..

وأجد من أن الأوان قد وقعت في عرض شرح وجهة

نظري وأن تكون هذه الرسالة وافية بالغرض الذي

من أجله تحدثت في رسالتك وأنا أحب النقد واللوم

عندما استحق ذلك ولا أحتمل المديح أبداً بل إني أعلم

أن كل شيء جديد في ساحة العلم استفاد به

ليس إلا نتاج كبير أو قليل من التعليم

تمنياتي لك بالنجاح يا أخي مع تحياتي وأشواقي ودعائي

بمستقبل مليء بالسعادة والتوفيق ..

ودمت للمخلص أخيك

٨/٧/٦٦

باريس في : ١٩٦٨/٢/١

مذكرة بخصوص محاضرة هامة عن استراتيجية الموقف في الشرق الاوسط القاها « الجنرال بوفر » مساء الجمعة ٢٦ يناير في جلسة خاصة باعضاء « » وبعض الاتصالات التي تمت بعد المحاضرة .

اهمية الجنرال بوفر :

- القائد الفرنسي لعملية السويس سنة ١٩٥٦
- الان مدير المعهد الفرنسي للدراسات الاستراتيجية
- مؤلف كتاب حملة السويس
- مختص بالدراسات العسكرية والاستراتيجية وجريدة الفيجارو اليومية .

الموضوع :

- استمرار الازمة المحلية سيكون على الامد الطويل ضد مصلحة اسرائيل وفي مصلحة العرب
- المقاومة في الارض المحتلة هو خطر جدي اكثر مما تقوله اسرائيل .
- لقد حارب الجنود المصريين ولو كان اي جيش في مكانهم لما استطاعوا ان يعمل اكثر من ذلك .
- حرب ٥ يونيو نصر عسكري اسرائيلي لم يحقق اهدافه السياسية .

مذكرة الى سكرتير الرئيس للمعلومات في ١٩٦٨ بخصوص تحليل محاضرة عن استراتيجية لموقف في الشرق الاوسط القاها الجنرال بوفر رئيس اركان حرب الجيش الفرنسي السابق واحد كبار القادة العسكريين الفرنسيين اثناء العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ . وعقب هذه المحاضرة اقترحت على الرئيس جمال عبد الناصر دعوته لمصر حتى يتوازن مع مايسمعه عن مصر مع مايصل اليه من اسرائيل، وبحجة ان مسئولية الحروب تتحملها السلطة السياسية المدنية ولايملك اي قائد عسكري الا ان ينفذ الاوامر، ووافق الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الاقتراح، وتولى الاستاذ حاتم صادق نائب رئيس مركز الدراسات العليا للتخطيطات، التخطيط والتنظيم لرحلته الى القاهرة .

وكان اهم ماعرض الجنرال بوفر في محاضرته ان حرب ٥ يونيو نصر عسكري اسرائيلي لم يحقق اهدافه السياسية .

ملحوظـــة : ما تحويه هذه المذكرة هو تلخيص فقط لأهم عناصر محاضرة الجنرال بوفر امس الجمعة . وسنحاول كتابة نص كامل نظرا لان الصحافة لم تحضر المحاضرة ولم يسمح باى تسجيل لهـــا .

اهم العناصر التي عالجها الجنرال بوفر :

(احتمالات الحل العسكرى) استبعد هذا الحل فى الوقت الحاضر ، وعلى سبيل المثال قابلت الجنرال ديان فى زيارة له بباريس عقب حرب ٥ يونيو فسألته : كم من الوقت تعطى للجيش المصرى ليستعيد قوته ؟ فاجبته : من عام الى عامين .. فرد على ديان : بل قل من خمسة الى عشرة ..

فاذا افترضنا ان كل منا بالغ من ناحيته بعض الشئ فيمكننا ان نقول ان المتوسط هو خمسة سنوات ليصبح الجيش المصرى قوة هجوميـــــة .

هذا لا يمنع افتراض ان يقوم الجانب العربى بمغامرة لدفع اسرائيل لاحتلال دمشق وعمان والقاهرة فتتشتت بذلك قوة وفاعلية الجيش الاسرائيلى . ولكن يمكن لاسرائيل فى حالة هذه المغامـــرة ان تفوت الفرصة بان تكتفى بهجمات انتقامية دون ان تخاطر بمحاولة احتلال اى عاصمة عربيـــة .

(استمرار الازمة المحلية لصالح مـــن ؟)
ان استمرار هذه الازمة سيكون فى الامد الطويل ضد مصالح اسرائيل لانه :
ا ـ سيخلق لدى العرب طاقة لتنسيق العمل العربيـــــى .
ب ـ كما سيؤكد لديهم الشعور بالانتماء الى "مصير موحـــد " .
جـ ـ كما سيؤدى انتهاءا الى تقوية البلاد العربية ذات النظم التقدمية على حساب البلاد " المحافظة والتقليدية " مثل السعودية وغيرها . لان الاولى هى التى لديهـــا " الديناميكية السياسيـــة " .

(اهمية المقاومة فى الارض المحتلـــة)
على عكس ما تؤكده الاوساط الرسمية الاسرائيلية ان المقاومة فى الارض المحتلة يمكن بسهولة التخلـــص منها نستطيع ان نقول من ناحيتنا ان التجربة او التجارب التى مرت علىّ تدفعنا ان نؤكد أن المقاومة

ستستمر وانها ستقوى وانه من المستحيل وضع حد لنشاطها . وان المقاومة هي اخطر النتائج التي ورثتها اسرائيل من حرب ٥ يونيـــو .

لقد شاءت الصدف ان اقابل في حرب سنة ٥٦ احد "الفدائيين" العرب المعتقليـــن وادهشت لعمق وشدة ايمانهم بالمهمة التي يقومون بهـــا .

(حرب ٥ يونيو انتصار دون ثمار سياسيـــة)

مرة اخرى مثل سنة ٥٦ التف العرب حول شخصية عبد الناصر رغم الهزيمة العسكرية بـــل وكبرت مكانتـــه .

ان الموقف الحالي ليس له اى مثل في التاريخ . انتصار عسكري اسرائيلي يمكن اعتباره "قطعة فنية" من ناحية التكتيك والمخابرات العسكرية يمثل نجاح عسكري سريع وكامل ، ولكن رغم ذلك ورثـت اسرائيل من هذا الانتصار مشاكل سياسية اكثر مما قبل ٥ يونيو . وقد اخطأت اسرائيل حينما تجاهلت ان الحرب الحديثة لا فائدة فيها اذا لم يتبع النصر العسكري بالثمار السياسية ، بل تعقدت المشاكل اكثر للاسباب الآتيـــة :ـ

١ ـ ظهر للعالم اكثر من اى وقت مضى الاهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية وتملك العالم العربي لـ ٢/٣ من الاحتياطي البترولـــي .

٢ ـ وضع امام العالم مشكلة القدس التي يرفض الكثير الحل الاسرائيلي لهـــا . ولقد دهشت ان دايان ٢٤ ساعة بعد تأكيده لي في باريس ان اسرائيل لا مانع لديها من تدويل القدس صرح في تل ابيب "نحن في القدس وسنبقى بهـــا" .

٣ ـ مشكلة النظام القائم في الاردن بعد ان استقطع منه الجزء الغني من ارضـــه .

٤ ـ مولد مشكلة المقاومـــة .

(الروح المقاتلة لدى الجنود المصريـــــين)

من الخطأ أن نقول ان الجنود المصريين لم يقاتلوا . استطيع ان اقول انه حينما اتيحت حاربوا كما ينبغي وان اى جيش آخر في العالم لم يكن ليستطيع ان يفعل اكثر مما فعلوا بعد كارثة الطيران في الساعات الاولى من ٥ يونيـــو ..

(ازمة الشرق الاوسط والموقف في جنوب شرق آسيـــا)

طالما ظل الموقف على ما هو بين امريكا وروسيا في فيتنام فلن يجدوا بينهم اي اتفاق بخصوص عودة السلام الى الشرق الاوسـط .

الخلاصة : لقد خلق الانتصار العسكري الاسرائيلي في ٥ يونيو من المشاكل اكثر مما استطاع ان يحل منهـــا .

صورة رقم ....



وزارة الحربية

ادارة المخابرات الحربية والاستطلاع

مكتب المتحدث العسكرى

تقريـــــر نجـــــــاح

عن اعمال مكتب المتحــدث العسكرى الرسمـــى



تقرير للمخابرات العسكرية عن حرب أكتوبر عن الإعلام العسكري تحت قيادة اللواء عز الدين مختار، ويتكلم التقريرعن أن البيانات المصرية كانت مقنعة ومصدراً لصورة حسنة لمصر،

وهذا ما اعترفت به الصحف البريطانية.

اولا : فى مجـــال الاعـــلام العسكرى :

نظرا لاعتبار هذا المجال الواجب الرئيسى للمكتب فلقد التزم فى بياناته مبدأ الصـــــدق وذكر الحقائق مع عدم اللجوء الى التهويل او التهوين لأى عمل تقوم به قواتنا او يقوم به العـــدو وفقا لتعليمات السيد وزير الحربيه قبل المعركه ، وذلك فى اطار الخطه العامه للأعلام بالدولـه ولعل ماذكرته صحيفة الديلى ميرور اللندنيه خير شاهد على ذلك ، عندما نشرت يوم ١١ اكتوبر " ان البيانات المصريه كانت مقنعه ومصدرا للدعايه الحسنه لمصر " .

وفيما يلى ابرز اعمال المكتب فى هذا المجال :

بسم الله الرحمن الرحيم



وزير الإعلام

السيد / الدكتور على السمان
مدير مكتب وكالة أنباء الشرق الاوسط
فى باريس

تحية طيبة وبعد :

فقد تابعت النشاط الذى بذلتموه فى مجال التغطية الاعلامية لزيارة السيد الرئيس محمد أنور السادات للجمهورية الفرنسية ، ويسرنى بهذه المناسبة ان ابعث اليكم بشكرى وتقديرى وتمنياتى لكم بالتوفيق ،،

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

وزير الاعلام

"د . احمد كمال ابو المجد"

١٩٧٥/٢/٢٣

خطاب من وزير الإعلام الدكتور كمال أبو المجد في عام ١٩٧٥ لتهنئتي بالنشاط والجهد الذي بذل للتغطية الإعلامية لزيارة الرئيس المصري لفرنسا. أهمية الخطاب هو أنه من نوع راقي ونادر من فلسفة الإدارة العالية وهو التنويه بالتقدير حينما تكون له مناسبة.

سيادة نائب رئيس الجمهوريـــة

بعد التحيـــة —

متابعة لموضوع الاتصال مع شيمون بيريز زعيم المعارضة الاسرائيلية ورئيس حزب العمل اضيف المعلومات الاتية لتكون تحت تصرفكم وتحت تصرف السيد الرئيس :—

١ــ اوضح لسيادتكم انني في البرقية التي ارسلتها لسيادتكم عن طريق وزير الدفاع في ٧٩/٣/٦ والتي افدت فيها بطلب شيمون بيريز الاعتدال في وعده — بعد اللقاء الذي تم بيننا فـــي مدينة انفيرس بلجيكا في ٧٩/٣/٢ — انه مساهمة في خلق جو ايجابي يسهـــل مهمة التفاوض بالذات مرحلة ما بعد الاتفاق سيعلن في اسرائيل " انه يوافق على التفاوض مع كل الفلسطينيين بصرف النظر عن ماضيهم وانتماءاتهم بشرط قبول السلام وحق اسرائيـــــل في الحياة " — وطلب مني ابلاغ ذلك للسيد الرئيس وانه من المصلحة ان يهتم الاعلام المصري بهذا التصريح عندما يعلنه . وكنا في انتظار تحديد الوقت المناسب ليعلن فيه بيريز هذا التصـــريـــح .

١ــ في مكالمة تليفونية بين شيمون بيريز من اسرائيل مع الصديق المشترك جان فريدمان ٧٩/٣/٩ (قيادة يهودية فرنسية متعاونة) طلب بيريز من فريدمان افادتي بانه سيلقي بتصريحه الـذي وعد في خطابه امام الرئيس كارتر بالكنيسيت الاحد ٧٩/٣/١١ حسب البرنامج وطلب افادة السيد الرئيس بذلك وتركيز الاعلام المصري لهذه الفقرة من خطابه .

٣ــ اتصالات اسرائيلية سعودية :—

علمت ان شيمون بيريز اثناء وجوده باوروبا لتقى في بلجيكا الخميس أو الجمعة ١ أو ٢ مارس بممثلين من الامير فهد وان هذا اللقاء يدخل في اطار " تبادل افكار " حول الموقف الحالي وان بيريز اكد لهم انه ليس لدى اسرائيل نية ان تحكم العرب في الضفة الغربية وغزة وانه ليس لديهم اي نية للتوسع ووضح السعوديون انهم ليسوا ضد مبادرة الرئيس السادات ولكنهـــم يشكون من اهمالهم في افادتهم بانتظام بتحركات مصر كما كان يقوم بها الرئيس السادات قبل ذلـك . — ووضح بيريز لهم مخاطر تردد السعودية في تأييد السادات بصراحة بالنسبة للاستقرار في المنطقة .

كما علمت انه خلال الشهور الماضية كانت اتصالات هدنان خاشقجي بالبارون ادمون روتشيلـــد مستمرة .

وساحاول في المرحلة القادمة الحصول على مزيد من المعلومات عن الاتصالات السعودية الاسرائيلية

تقرير لسايدة نائب رئيس الجمهورية في ١٩٧٩/٣/١٠ عن بعض اتصالات مع شيمون بريس وشخصية مؤثرة في المجتمع الاسرائيلي جون فريدمن، وعن اتصالات اسرائيلية سعودية غير رسمية في مارس ١٩٧٩ حسب ماقاله شيمون بيريس وعلى مسؤوليته .

٤ـ مع جان فريد مان ـ وهو قياده يهوديه فرنسيه متعاونه ورئيس مجلس اداره اهم موءسسه فى فرنسا للاذاعه والتلفزيون والاعلان " ميديا بابليزيون " والذى كان احد العمد الرئيسيه التى تعتمد عليها اسرائيل فى اوربا ـ اتفقنا على اعداد خطه للتأثير فى التوجيه الاعلامى فى حاله التوقيع على الاتفاقيه بحيث يبرز الاعلام الصادر من اسرائيل ان هذه خطوه نحو الحل الشامل ومن اهتمام اسرائيل بمستقبل الفلسطينيين ٠

وسيتعاون فريدمان فى ذلك مع اهم شخصيه اعلاميه فى اسرائيل وهو وهو مستشار علاقات عامه مع عازرا وايزمان وفى الوقت نفسه رئيس مجلس اداره شركه علاقات عامه وانتاج اعلامى داهاف وهو الرجل الذى اعد وحول الحمله الانتخابيه لبيجين كما انه مسئول عن العلاقات العامه لاسرائيل فى الخارج ٠

واوضح ان الهدف من التعاون مع فريدمان ومع زيرابين هو توجيه الاعلام الاسرائيلى بالشكل الذى يفيد موقف مصر امام الدول العربيه فى المرحله القادمه ٠

واقترح لسيادتكم فى حاله التوقيع على الاتفاقيه فى جبل سيناء ان تدعى هاتين الشخصيتين من جانب رئاسه الجمهوريه لتشجيع تعاونهم ٠

٥ـ للعلم تأجل سفرى لايران عن الموعد المقرر لبعض العقبات من كاللب الوكاله وسافاه ر باريس اليوم مساء ا السبت ٧٩/٣/١٠ وساكون بطهران فى فندق الانتركونتنتال وساحضر لمصر حسب اتفاقى مع سيادتكم فور انتهاء مهمتى هناك ـ اسبوع تقريبا ـ فى حوالى يوم ١٧ مارس

مع تحياتى لكم والى لقاء قريب بالقاهره ٠٠

أرجو ان تتقبلوا فائق احترامى ؛؛

باريس فى ١٩٧٩/٣/١٠

EMBASSY OF THE
ARAB REPUBLIC OF
EGYPT
2310 DECATUR PLACE, N.W.
WASHINGTON, D.C. 20008

السيد الدكتور كمال أبو المجد

وزير الاعلام ٠

تحياتي الطيبة وبعد ،

أتشرف بالافادة بأن السيد الزميل الدكتور على السمان بحث معي أثناء زيارته للولايات المتحدة - موضوع الاعلام المصرى فى أمريكا ، وقد أتفق رأينا على أهمية تدعيم الاعلام هنا بحيث:

١ - تقوم السفارة بفتح مكتب صحفى يتولاه من هو على مستوى وزير مفوض و خبره كافية فى هذا الميدان ٠ وأرشح لهذا المنصب السيد محمد حقى المحرر بجريدة الاهرام والمعار حاليا للبنك الدولى ٠ وهو على دراية كبيرة بالولايات المتحدة وله اتصالات واسعة تساعده فى مهمته هذه ، كما أن لغته الانجليزيه ء اليه وهو ما يعتبر ضروريا لمهمته هذه ، كما سبق له الخدمة فى واشنجون ٠

٢ - فتح مكتب لوكالة أنباء الشرق الاوسط فى واشنجتون على أن يبدأ بصحفى محلى له خبرته ودرايته واتصالاته ٠

وباستعراض هذا الوضع وجدنا أن السيد اسماعيل عبد الرازق - وهو كما تعرفونه - موظف سابق بخارجيتنا كما عمل مدة طويلة فى صوت أمريكا الذى أستقال منه أخيرا ٠

ويعتبر ذلك نواه لتوسيع المكتب تباعا حتى يفى بالغرض الاكبر الذى نهدف اليه ٠

٣ - كما تم لى التقابل مع السيد رجاء مرسى الذى رشح للعمل بمكتبنا للوكالة بنيويورك كصحفى محلى لخبرته باعمال الامم المتحدة لاكثر من عشر سنوات ٠ وهو ما تم التفاهم عليه مع السيد الدكتور عصمت عبد المجيد مثلنا الدائم بالامم المتحدة ٠

هذا وسيعرض الاخ الدكتور على السمان على سيادتكم ماسبق ضمن بقية الاعتبارات التى تحيط العمل الاعلامى بالولايات المتحدة ، وما يهمنى أن اسجله هنا هو أن الظروف الجديده مع أمريكا تستدعى أن يكون لنا اعلاما له وزنه وثقله فى التأثير على المجتمع الامريكى وينقل الصوره الايجابية المتطورة اعلاميا للقاهرة ٠

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ،،،

السفير

د ٠ أشرف غربال

خطاب من السفير أشرف غربال الى الدكتور كمال أبو المجد وزير الإعلام، السفير الذي لم تعرف حركته في واشنطن هدوءاً يوماً وكان يعمل على كل الجبهات السياسية والإقتصادية وكان يعطي للإعلام مساحة كبيرة.

وتبرز الوثيقة كيف أنه منذ تعيين الرئيس السادات لي مديراً للإعلام الخارجي ككل برئاسة الجمهورية كان وضع بعض الأسس لتدعيم الإعلام المصري في أمريكا هو جزء من إختصاصي واهتماماتي وللحق كان الوزير كمال أبو المجد من أقدر وزراء الإعلام إهتماماً.

بوضع اللبنات الأولى لتواجد مؤسسات الإعلام المصري في أمريكا بحكم تجربته السابقة في الولايات المتحدة.

Aly Elsamman
22, Avenue de l'Opéra
Paris

خطة عمل وتحـــرك في غـــرب أوروبـــا

يقـــوم بها الدكتور على السمان بالتعاون مع الدكتور أشرف غـربـــال

المستشار الصحفي للرئيس في المدة من مارس الى نوفمبر ١٩٧٣

الباب الأول

أوجه النشاط التي تتطلبها الخطه

أولا : اقامة شبكات اتصال :-

أ- المستوى الاول : اقامة شبكة اتصالات مع الشخصيات الفعاله في الراديو والتلفزيون والصحافه في غرب اوروبا التي تملك قرار النشر منفرده.

٢- المستوى الثاني : اقامة شبكة اتصالات بالمختصين بالشرق الاوسط في الراديو والتلفزيون والصحافه في غرب اوروبا وتدعيمها فور الاحداث بالمعلومات أكثر فور الاحداث

٣- المستوى الثالث : اقامة شبكة اتصالات صديقه وتدعيمها فور الاحداث بالمعلومات أكثر فور الاحداث ومعاملتهم كأصدقاء وتمييزهم واشعارهم برابطه خاصه مع السيد الرئيس للاعتماد عليهم وقت الضغط على المستوى الثاني أو عدم تعاون المستوى الاول وقت الازمات.

٤- المستوى الرابع : شبكة من الاتصالات مع المستشارين الصحفيين للرؤساء في البلاد التي يمارس فيها الرؤساء دورا حاسما في السياسه الخارجيه مثل فرنسا المانيا الغربيه).

ثانيا : لقاءات وتربيط مع بعض الكتاب والمفكرين في غرب اوروبا :-

١- هناك نوع معين من الكتاب والمفكرين رغم ابتعادهم عن اجهزة الاعلام ليست يوميه ولكن بحكم حجم هذه الشخصيات وتأثيرها النوعي فان تدخلها حتى نادرا بابداء الرأي يعطي آثارا بعيده وعميقه "تجب" أحيانا مايقوله الاخرون خلال شهور.

٢- العمل في هدوء على خلق علاقه مع الجزء الذي لم نتعرف عليه بعد لا سيما خارج فرنسا ثم خلق "كباري" بينهم وبين القاهره "علاقة تعارف وتفاهم" بين السيد الرئيس أثناء زيارات تنظم لهم - كما اقترح أن يكون السيد الدكتور محمود فوزي نائب رئيس الجمهوريه هو الشخصية التي تلتقي معهم سواء قبل أو بعد لقاء الرئيس في حوار هادئ - كما اقترح أن يرافقه أثناء رحلته أقرب كاتب مصري يتلاءم مع شخصية الكاتب الاوروبي ليتم "التربيط" معه في علاقه يمكن أن يكون لها فرصة الاستمرار .. أقصد كاتب مصري من حجم "دكتور حسين فوزي".

ولنظرا لان عدد من أقصد هم هنا من الكتاب والمفكرين في غرب اوروبا لا يزيد عن عشره فانه يتعين اعطاء كل عمليه حقها من الترتيب والتخطيط.

وفى تجربة فى ذلك مع المفكر جان بول سارتر سنة ١٩٦٦ ثم مع المفكر الاستراتيجى جنرال بوفسر سنة ٧١ مع الاهرام وسنة ٧٢ مع اكاديمية ناصر للعلوم العسكريــــــــة .

ثالثـا : تدعيم دور جمعيات الصحافة الاوروبيه العربيه :ـ

انهيار جمعية الصحافة الفرنسيه العربيه التى أنشأتها فى باريس عام ٧٢ والتى اتخذت سكرتيرا عاما لها كنقطة انطلاق تفيدنا فى الاتصالى (   ) والمطلوب لها :ـ

أ ـ الاتصال بالامين العام للجامعه العربيه لكى يستفاد من البند المخصص فى ميزانيه الجامعه للصرف على جمعيات الصداقه فى الخارج .

ب ـ أن يطلب من السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافه والاعلام اعطائها أيضا بعض الدعم المالى حوالى ١٠٠٠ فرنك فرنسى شهريا من ميزانيه المكتب الصحفى بباريس .

رابعا: انشاء مجموعات "رد والتصدى" للمستمعين والقراء فى اوروبا :ـ

محاولة الاتصال بأصدقاء فى كل عاصمه أوروبيه لكى يتولوا من وقت لآخر الاتصال بأجهزة الاعلام الاوروبيه حينها تتعرض للهجوم منها دون أن يشعر هؤلاء الافراد فى كل بلد اوروبى أنه يربطهم أى تنظيم ما .

خامسا: التقارير وتقييم الموقــف :ـ

أ ـ ارسال تقرير شهرى للسيد المستشار عن الموقف الاعلامى تجاهنا فى غرب أوروبا .

ب ـ القيام كل ٣ شهور سويا بتقييم ما تم عمله من الاتصالات واستخلاص بعض الدروس اللازمـــة العمل عليـــــه .

جـ ـ القيام بترشيح الشخصيات الصحفيه والاعلاميه الاوروبيه للسيد المستشار الصحفى لرئيس الجمهوريه من اجل عمل احاديث مع السيد الرئيس على اساس اختيار موضــوع والاتفاق سويا على توجيه معينه من الموضوعات التى يكون من المصلحه اثارتها فى وقت ما وفى بلد ما فى غرب أوروبـــــــــا .

سادسا: ملاحظات حول اسلوب العمل والاتصال :ـ

ا ـ دورى فى غرب أوروبا يجب أن يكون مثل "   " حرية وسرعة التدخل فى وقته "   " وعلى ذلك رأسمالى هو "سرعة وسهولة الاتصال" والتفاهم مع "المستشار الصحفى للرئيس" الذى يصلنه المباشره "بالقائد" يمكن تخيــل انيمر "التيار" منى فى غرب أوروبا للقاهره .. ويعود لى فى اوروبا .. ليصب فـــى القنوات خلال ساعه زمنيه خلال الازمات ليكون عملنا على مستوى سرعة الزمن .

ب ـ دوري أيضا هو اللغة بما يلقى من معلومات وشرح من القاهرة (من المستشار الصحفي للرئيس) حسب ظروف الاعلام في كل بلد أوروبي وحسب شخصية ومستوى من نتصل بهم لجعلها قابلة للهضم بالطريقة التي يشعرون بها انها تأتي بحكم الزمالة المهنية في مسائله .

الباب الثالث
الوسائل المادية والاجراءات المطلوبة لتنفيذ
خطة العمل

أولا : المطلوب ماليا ووظيفيا في مواجهة تنفيذ خطة العمل :-

١ ـ من الرئاسة :-

أ ـ ميزانية للضيافة والتحرك في غرب أوروبا في حدود ٢٠٠٠ فرنك فرنسي شهريا .

ب ـ هدايا من القاهرة : الحصول على هدايا شرقية صنع القاهرة لاهدائها لمن نتصل بهم من خلال هذه الشبكات في حدود ٢٠٠ جنيه كل ٣ شهور .

٢ ـ من جانب رئيس الوزراء ووزير الثقافة والاعلام :

أ ـ الفئة الوظيفية : قرار من السيد وزير الاعلام بمنحي الفئة الاولى للاسباب الآتية :-
١ ـ استحقها قانونيا بحكم الاقدمية (من تاريخ التخرج)
٢ ـ انه توجد ٩ فئات شاغرة من الفئة الاولى بتحرير وكالة أنباء الشرق الاوسط
٣ ـ ان اعطائي الفئة الاولى خاضع فقط لقاعدة الاختيار والسلطة التقديرية لوزير الاعلام علما بأن مرتبي في باريس كان محددا منذ ١٩٦٧ بمبلغ ٣٥٠٠ فرنك لم يتغير من وقتها بل وتناقص في عام ٧٢ ليصبح ٣٣٠٠ فرنك رغم زيادة اعبائي ونشاطي والارتفاع الغير عادي لمستوى المعيشة في باريس .

ب ـ الاختصاصات :- لتسهيل اتصالي بأجهزة الاعلام في غرب أوروبا ومع الاخذ في الاعتبار أنني أشرف على المكتب في غرب أوروبا فالمطلوب لتدعيم موقفي أن يصدر قرارا باعتباري رئيس منطقة غرب أوروبا لوكالة أنباء الشرق الاوسط .

ج ـ ميزانية المكتب :- زيادة ميزانية المكتب الحالية الى ٥٠٪ لمواجهة الزيادة المنتظرة لاستعمال التليكس والتليفونات والتلغرافات على مستوى غرب أوروبا لتنفيذ خطة العمل وكذلك للاستعانة بمحليين مؤقتين خلال مدة تنفيذ هذه الخدمة .
(هذه الزيادة ستمثل حوالي ٥٠٠٠ فرنك شهريا)

موضوعات للعرض على السيد نائب رئيس الجمهورية
٢/٩/١٩٧٨ ــ من الدكتور على السمان

١ ــ التقيت مع سير سيجمون ناربورج فى سويسرا الأسبوع الماضى (وهو أحد الشخصيات الخمسة الذين التقوا مع السيد الرئيس فى باريس وأحد كبار أصحاب البنوك بانجلترا وسويسرا وألمانيا وامريكا والذى سبق أن كتب رسالة للرئيس فضلا عن أنه يساعد سرا ماليا حركة السلام الآن حسب ماكتبته فى مذكرة سابقة) •

تم الاتفاق خلال المقابلة أنه سيكون فى أمريكا من ٧ سبتمبر وسيقوم بالاتصال ببعض الشيوخ وأعضاء الكونجرس المرتبطين به شخصيا أو مصلحيا فضلا عن أصدقاءه من القيادات اليهودية الامريكية •

وكل ذلك من أجل المساهمة فى حثهم لاتخاذ موقف ايجابى تجاه مهمة السيد الرئيس فى كامب دافيد •

وطلب سير سيجمون ناربورج أن أكون على اتصال معه فى امريكا أثناء مهمته ولافادة الجانب المصرى بنتائج اتصالاته •• وافادته بموقفنا المصرى بعد انتهاء كامب دافيد ليحدد على ضوءه تحركه •

٢ ــ ناحوم جولدمان : التقيت معه الاسبوع الماضى أيضا وعلمت انه كتب دراسة بناء على طلب اهم مجلة "للسياسة الخارجية الامريكية" ستكون بمثابة "قنبلة" اعلامية لأنه يتكلم عن "نهاية الحلم الصهيونى اذا لم تحقق اسرائيل السلام" على أن يتم نشر الدراسة فى عدد شهر أكتوبر •

وبعد مناقشة اتفقنا على أن تسرع المجلة بنشر الدراسة فى أوائل سبتمبر أثناء مؤتمر كامب دافيد •

اتفق جولدمان معى فى حالة ظهور الدراسة على استثمارها اعلاميا بالتنسيق معه أثناء رحلة السيد الرئيس •

اتصالات مع شخصيات يهودية عالمية وإقتراحات لتدعيم المفاوضات المصرية الإسرائيلية للعرض على السيد نائب رئيس الجمهورية ٧٨/٩/٢

٣ - شيمون بيريز : من واقع معلومات من باريس والمانيا فان شيمون بيريز يقوم منذ لقاءه مع الرئيس فى فيينا باتصالات مكثفة مع جميع الأحزاب الاشتراكية لاقناعهم بأن بيان برانت/ كرايسكى فى فيينا هو أيضا نتيجة تفكير متبادل بينه وبين الرئيس السادات قبل نشر البيان (مع العلم بوجود أكثر من نقطة سلبية فى البيان تجاه وجهة النظر المصرية) •

ويحاول بيريز أن يهيأ الجو لكى يتبنى مؤتمر الاشتراكية الدولية القادم بيان برانت/ كرايسكى كوثيقة للاشتراكية الدولية •

وقد تمكن الاستاذ عصام السرطاوى الفلسطينى من الحصول على صورة لخطاب لشيمون بيريز فى منتهى الأهمية والخطورة لأنه يعطى فكره عن موقفه الحقيقى من لقاءه مع الرئيس فى فيينا •

وأفادنى عصام السرطاوى أنه لايستطيع أن يطلع أحدا غير الرئيس السادات شخصيا على خطاب بيريز بحكم التزامه المعنوى تجاه من حصل منهم على الخطاب •

ولم أرى شخصيا من الخطاب الا فقرة واحدة تشير الى اتفاقه مع الرئيس السادات على مشروع البيان " برانت/ كرايسكى " •

وسيكون عصام السرطاوى الأحد والاثنين والثلاثاء فى باريس على استعداد لاطلاع السيد الرئيس شخصيا على خطاب بيريز الذى هو من صفحتين •• والمعروف أن عصام السرطاوى هو القيادة الفلسطينية الوحيدة التى أبدت علنا فى مؤتمر عام فى فيينا آخر العام الماضى - مبادرة الرئيس السادات وساهم فى تجهيز لقاء القيادات اليهودية الخمسة مع السيد الرئيس فى باريس •

٤ - طلبت من صحفية أمريكية يهودية - أعرفها جيدا - أثناء زيارتها لاسرائيل وبالتنسيق مع السيد / كمال حسن على رئيس المخابرات التعرف على نوعية اعضاء حركة السلام الآن واشخاص قياداتها •

تعرفت الصحفية الامريكية على تزالى راشف Tzali Rashef احدى القيادات الرئيسية " لحركة السلام الآن " وأثناء اللقاء قال لها " طالما أنك ذاهبة الى باريس

فأرجو الاتصال بعلى السمان الذى حدثنى عنه صديقى جافنى الذى عمل الحديث فى سالزبرج لجريدة أحرانوت مع الرئيس وبلغيه أنه يهمنا أن يصل الى سمع الرئيس السادات .

أن " حركة السلام الآن " تقاوم مناورات كل الأحزاب والشخصيات الاسرائيلية لاستغلال حركتهم أو ابتلاعها وأنه يهمهم أن يعرف الرئيس السادات أن الحركة تحافظ على استقلالها بأى ثمن من كل الاغراءات والضغوط . وأن فلسفتهم بسيطة " لانريد أن نموت .. السلام ممكن .. السلام الآن .. نحمى استقلال حركتنا .. "

وأفادتنى الصحفية الامريكية أنه خلال اجتماع عاصف بين ممثلى الحركة وشيمون بيريز رفض شباب السلام الآن قيام تعاون تنظيمى " مع حزب بيريز " بل أنهم أيضا اكدوا لها أنهم برغم اهتمامهم بموقف وايزمان الا انهم لايربطون أنفسهم بتحركه السياسى ...

وأن موقفهم " نؤيد أى زعيم سياسى بلا استثناء يقول نعم للسلام الآن .. "

٥ – طلبت جماعة فرنسية اسمها Perspective أو آفاق السلام من السفير حافظ اسماعيل ان تلتقى بالسيد الرئيس أثناء مروره بباريس لمجرد تقديم مجموعة لوحات هدية رمز لأمل وآفاق السلام ويصور التليفزيون الفرنسى لحظة اللقاء .

ويتم تحرك هذه المجموعة بالتنسيق مع حركة السلام الآن ...

٦ – __المطلوب الآن :__

أ – التكرم باحاطة السيد الرئيس علما بهذه الموضوعات .

ب – معرفة التوجيه الخاص باحتمالات سفرى لأمريكا للتنسيق مع سير سيجمون فاربورج هناك حسب الموضوع رقم " ١ " وبخصوص موضوع جولدمان حسب الموضوع رقم " ٢ " .

جـ – معرفة امكانية لقاء السيد الرئيس لمدة دقائق للحصول على توجيهات سيادته خاصا بـ : تحرك بيريز داخل احزاب الاشتراكية الدولية بالشكل المبين فى الموضوع رقم " ٢ " ... وكذلك عن امكانية اطلاع السيد الرئيس شخصيا على صورة خطاب شيمون بيريز .. فضلا عن التوجيهات الخاصة بمهمة سير فاربورج فى أمريكا .

عزيزي الدكتور لويس عوض

بعد التحية ،

لقد تألمت جدا ان الحظ لم يسعدني ان نلتقي سويا بباريس حينما قابلتكم بالصدفة مع الدكتور يحيى طلعت في سفارتنا بباريس. فارجو ان تقبل عذري وسنعوض هذه الفرصة حين قدومي للقاهرة مع سارتر في شهر فبراير القادم .

لقد سمعت طبعا عن العدد الخاص الذي ينوي سارتر عمله عن الصراع العربي الاسرائيلي

اقترح عليك ان تكتب مقالا عن " المثقف العربي امام الصراع العربي الاسرائيلي "

اعتقد انك خير من يرشح لهذا البحث .

ارجو في حالة اتفاقكم على المبدأ ان تتكرموا بتسليم المقال للاستاذ لطفي قبل آخر شهر سبتمبر حسب الاتفاق الذي تم اثناء اجتماعه مع المفكر سارتر في باريس.

وفي انتظار لقياكم في القاهرة ابعث اليك اطيب تمنياتي باستمرار " طول النفس"

والســــلام .

علي الســـمان

مجموعة رسائل موجهة إلى كتاب مصر للمساهمة بمقالات في مجلة الأزمنة الحديثة لجان بول سارتر في عدد خاص عن "الصراع العربي الإسرائيلي" الذي يعتبر أهم وثيقة لفكر الطرفين العربي والإسرائيلي عن هذا الموضوع، ويبدو واضحا منه الدور التنظيمي الكبير الذي قام به المفكر والكاتب المصري الراحل لطفي الخولي قبل لقاء سارتر مع الرئيس عبد الناصر في مارس ٦٧ .

أ. خطاب إلى الدكتور لويس عوض .

عزيزي الاستاذ احمد بهاء الدين

بعد التحية ،

سبق ان ارسلت لكم خطابا من عدة شهور بخصوص المقال الذي رجوت ان تحرروه لحساب مجلة الازمنة الحديثة عن الصراع العربي الاسرائيلي

كما ابلغني السفير عبد المنعم النجار انه كتب اليك بنفس المعنى

وفي خلال مقابلة الزميل لطفي الخولي لسارتر ، الشهر الماضي ، تم الاتفاق على ان يتولى الاستاذ لطفي المساهمة في تجهيز العدد الخاص الذي يجب صدوره في شهر نوفمبر ، وطلب سارتر منه ان يعمل على استعجال هذه المقالات قبل اخر شهر سبتمبر .

اكرر لكم بخطابي هذا رجائي بان تعملوا على انهاء المقال رغم مشاغلكم الكثيرة وتسليمه للاستاذ لطفي .

وفي انتظار ردكم تقبلوا فائق احترامي

علي السمان

ب. خطاب إلى الأستاذ أحمد بهاء الدين، ويتضح منه الدور النشط الذي كان يقوم به السفير عبد المنعم النجار الذي كان كعادته نشيطاً في كل الاتجاهات.

السيد / خالد محي الدين

بعد التحية ،

لقد سمعتم عن موضوع العدد الخاص الذي ينوي سارتر اخراجه عن الصراع العربي الاسرائيلي في شهر نوفمبر القادم في مجلة الازمنة الحديثة .

وخلال الاجتماع الذي تم بين المفكر الفرنسي الكبير والزميل لطفي الخولي ، رشح اسمكم لكتابة مقال عن :

" السلام والصراع العربي الاسرائيلي "

اؤكد لك بخطابي هذا رجاء مجلة الازمنة الحديثة التي كلفتني بتجهيز الجزء العربي من العدد الخاص بكتابة هذا المقال واخبركم انه من الناحية العملية يهمنا — لو امكنكم — ان يتم تسليم مقالكم للاستاذ لطفي الخولي في اخر شهر سبتمبر على الاكثر ، ولكم مزيد الشكر .

علي السمان

ج. خطاب الى الأستاذ خالد محي الدين.



رياسة الجمهورية

مكتب الأمن

تصريح دخول مؤقت

بمناسبة انعقاد مؤتمر الفلاحين بمدينة المنصورة
يوم الخميس ١٨/ ٤/ ١٩٦٨

للذاكرة دعوة لمؤتمر المنصورة بعد بيان ٣٠ مارس الذي التقيت بعدها في اليوم الثاني بالرئيس جمال عبد الناصر.

محمد أنور السادات و المهندس سيد مرعي

يسعدهما دعوة السيد الدكتور علي السمان

احتفالاً بعقد قران وزفاف

نهى محمد أنور السادات وحسن سيد مرعي

وذلك في الساعة الثامنة من مساء يوم الأحد

١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٤ هجرية الموافق ٧ يوليه سنة ١٩٧٤

باستراحة رئيس جمهورية مصر العربية بالمعمورة - الاسكندرية

للذاكرة يوم الإحتفال بزواج نهى - كريمة أنور السادات والسيدة جيهان السادات، هذ اليوم أتيحت الفرصة ان يستجيب في نهاية الفرح الرئيس السادات لرجاء بعض المقربين منه بالافراج عن الكاتب مصطفى امين.

The PFLP calls for the expulsion of Sartawi from the PNC

In response to the declarations made recently by Sartawi, in Paris, and commenting on the telegram he recently sent to the Zionist General Peled as well as his questionable secret relations with elements known for their loyalty to the Zionist enemy, an authorised spokesman of the PFLP issued the following declaration:

Isam Sartawi has addressed a letter to the Zionist Reserve General which clearly recognised the Zionist entity, as it stated: 'peace shall reign between a Palestinian state and the state of Israel sooner than our enemies think'.

The letter, in principle and content, is a clear flagrant violation of the political program passed by the 14th session of the PNC, as well as a violation of the Palestinian National Charter. On top of that, the letter represents a deviation from the patriotic Palestinian line and a betrayal of the struggle and sacrificies made by our people during tens of years. The letter is particularly dangerous because it was written at a time of escalated conspiracies against the revolution when the enemies are overexerting themselves to bring about a deviation of the national Palestinian struggle....

The raising of the Palestinian flag in the streets of Palestine through demonstrations and other forms of popular struggle, is the very important event and not as Mahmoud Labadi says while defending the raising of the flag in the Hall of the Israeli Zionist General Peled. PTO.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
تطالب بفصل السرطاوي من عضوية
المجلس الوطني الفلسطيني

رداً على التصريحات التي أدلى بها عصام السرطاوي مؤخراً في باريس وتعقيباً على البرقية التي وجهها للجنرال الصهيوني « بيلد » واستناداً للعلاقات المشبوهة التي يحيكها في الخفاء مع مجموعات معروفة بولائها للعدو الصهيوني .. أدلى مصدر مسؤول في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالبيان الصحفي التالي :

صور للتاريخ لما تنشره الصحافة والهيئات التي احترفت الشجب والإدانة والتشكيك في وطنية من يتجرأ في اختيار السلام .

أ. مجلة الهدف تنشر بيان الجبهة الشعبية تطالب بفصل السرطاوي من عضوية المجلس الوطني الفلسطيني.

Al-Safir, January 15, 1981.

السفير الخميس ١٩٨١/١/١٥

The PFLP and the Nidal Front call for the investigation of Sartawi and his punishment.

الشعبية والنضال تطالبان بالتحقيق مع السرطاوي ومعاقبته

دعت منظمتان فلسطينيتان جديدتان امس الى التحقيق مع عضو المجلس الوطني الفلسطيني عصام السرطاوي ومعاقبته واسقاط عضوية المجلس عنه.

فقد وزع الاعلام المركزي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بيانا لمصدر مسؤول جاء فيه "ان مبدأ الرسالة التي وجهها السرطاوي الى بيليد وما جاء فيها يشكل خروجا صارخا ومفضوحا من البرنامج الذي اقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الرابعة عشرة ومن الميثاق الوطني".

وقال الناطق الرسمي باسم جبهة النضال الشعبي الفلسطيني ابو أرياض "ان تصرفات السرطاوي تشكل خرقا فاضحا لارادة شعبنا وانحرافا عن الخط السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية.. وقد سبق للسرطاوي ان قام بمثل هذه التصرفات".

ب. بيان نشرته مجلة السفير من جانب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي تعتبر مجرد توجيه رسالة من السرطاوي إلى بيليد أحد زعماء مجلس السلام الإسرائيلي جريمة تستحق العقاب وأيضا جبهة النضال الشعبي الفلسطيني تطالب بنفس المصير لعصام السرطاوي في يناير ٨١ .

السفير الاربعاء ١٤/١/١٩٨١

Al-Safir, January 14, 1981.

Aletter from Sartawi to Peled is read in a public meeting in Jerusalem. Abu Saleh, and the Democratic Front call for his punishment.

رسالة من السرطاوي الى بيليد تتلى في مؤتمر اسرائيلي بالقدس

أبوصالح والديموقراطية يدعوان لمعاقبته

القدس المحتلة ـ ١٢ ـ اف ب ـ افتتح عضو الكنيست الاسرائيلي متتياهو بيليد امس في احدى قاعات القدس العامة مؤتمر "مجلس السلام الاسرائيلي ـ الفلسطيني" برفع علمي فلسطين واسرائيل، وقال ان العلمين سيبقيان من الان فصاعداً متجاورين الى الابد وذكر انه تلقى رسالة تاييد من عضو المجلس الوطني الفلسطيني عصام السرطاوي.

وتحدث في هذا المؤتمر عضو الكنيست الاسرائيلي يوري افنيري الذي شارك بيليد في تاسيس "حركة السلام الآن" فقال: اننا سنطلق يوم يسود السلام على الميادين العامة أسماء الشخصيات الفلسطينية التي دفعت حياتها ثمنا للتقارب الاسرائيلي ـ الفلسطيني مثل مدير مكتب منظمة التحرير السابق في لندن سعيد حمامي".

وأشارت بعض المصادر الى انه تلي في المؤتمر تصريح كان قد ادلى به رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات الى مجلة لبنانية وقال فيه: "اننا سنواصل الحوار مع كل القوى التقدمية الاسرائيلية".

وذكرت ان بيليد قرأ في هذا المؤتمر رسالة من السرطاوي توجه بها الى المؤتمرين بقوله: "ان نضالكم الشجاع من اجل احلال السلام العادل في الشرق الاوسط والذي يتمثل في الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية قد اوجب لكم احترام كل انصار السلام في العالم".

وتطرق السرطاوي الى لقاءات جرت خلال السنوات الاخيرة بين شخصيات فلسطينية واسرائيلية في بعض العواصم الغربية فقال: "لقد كان الهدف ايجاد معطيات جديدة في الشرق الاوسط ليسود السلام بين دولة فلسطينية ودولة اسرائيل في وقت اقرب مما يظنه كل اعدائنا".

ويذكر في هذا الصدد ان السرطاوي قد التقى من قبل مرات عدة مع بيليد واسرائيليين آخرين من مؤيدي حركة "السلام الان" في بعض العواصم الاوروبية الغربية.

● في بيروت ادلى مسؤول الاعلام الخارجي في منظمة التحرير الفلسطينية محمود اللبدي بتصريح قال فيه: "ان رفع العلم الفلسطيني في قاعة عامة في القدس يشكل حدثا بالغ الاهمية وجديرا بالاهتمام".

وحول هذا الموضوع قال عضو اللجنة المركزية لحركة "فتح" عضو القيادة العامة لقوات العاصفة "ابو صالح" لقد فوجئنا بالرسالة الموجهة الى الجنرال بيليد على لسان السرطاوي.. وذلك الشخص المدان حول كل الاتصالات التي اجراها في السنوات الاخيرة مع القوى الصهيونية والنظام المصري والتي كانت موضع نقاش داخل مؤسسات "فتح"، والثورة الفلسطينية.. وقد ادين وشكلت لجنة للتحقيق معه".

وأضاف ابو صالح قائلا: "ان هذه الاساليب قد سقطت وبسقوطها لا بد من طرح قضية المواجهة بالجدية المطلوبة.. والملفت للنظر ان رسالة السرطاوي قد جاءت في هذا التاريخ.. ومع انها لا تمثل سواه فانه لا بد من مناقشتها والوصول الى قرار حازم تجاهه في الساحة الفلسطينية".

وقال ناطق رسمي باسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين "ان القوى الصهيونية التي يتعامل معها السرطاوي وأمثاله تتخذ سياسة ذات وجهين ولم تعبر يوما عن تأييد واضح وقاطع لحقوق الشعب الفلسطيني او ادانة حازمة للممارسات الصهيونية ضد شعبنا".

وأضاف: "اننا سنطالب بطرد السرطاوي بسبب هذا التصرف من عضوية المجلس الوطني الفلسطيني".

ج. رسالة السرطاوي إلى "بيليد" التي تم إعلانها في مؤتمر إسرائيلي بالقدس (جريدة السفير يناير ١٩٨١) والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين تطالب بمعاقبته ونعرف نتيجة كل هذه النداءات التي أدت إلى اغتيال السرطاوي في ليشبونة في البرتغال.

بيان حول الاستقالة من المجلس الوطني الفلسطيني
عصام السرطاوي

منذ أن أخذ المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة عشرة سنة ١٩٧٧ قراره القاضي بإجراء حوار مع القوى الديمقراطية والتقدمية الإسرائيلية، تحملت مسؤوليتي وضع هذا القرار موضع التنفيذ. وقد اجتهدت في تعريفي للقوى التي ينطبق عليها هذا القرار بأنها تلك التي تعترف بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة وبضمنها حقه في إقامة دولته المستقلة وتعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني. وعلى هذا الأساس جرت الاتصالات مع مجلس السلام الإسرائيلي الفلسطيني وحزب شيلي والحزب الشيوعي الإسرائيلي - راكاح - ، بالدرجة الأولى.

انقسمت الآراء في الساحة الفلسطينية حول هذه الاتصالات، حتى أصبحت محور النقاش في كافة التجمعات الفلسطينية كما انقسمت الآراء حول تحديد القوى التي ينطبق عليها قرار المجلس حيث أصرت بعض المنظمات على انطباقه على الحزب الشيوعي الإسرائيلي فقط، أما بالنسبة لي ولعدد من الشخصيات الفلسطينية الموثوقة فقد كان القرار ينطبق أساساً وبالدرجة الأولى على مجلس السلام الإسرائيلي الفلسطيني، كما هو واضح من المواقف المعلنة.

أمام هذا التناقض في تفسير القرار، وأمام التساؤلات العديدة التي أثيرت حول شرعية هذه الاتصالات وخاصة قبيل انعقاد المجلس، كان لا بد من طرح المشكل على المجلس ليقرر ما إذا كان يريد الاستمرار في هذه الاتصالات من جهة وليحدد القوى المعنية من جهة أخرى.

وعلى الصعيد الشخصي فقد كانت هناك ضرورة لتقديم كشف حساب للمجلس عن النشاطات التي قمت بها تنفيذاً لقراره هذا.

حضرت إلى دورة المجلس الحالية لتقديم كشف الحساب ولأطرح مسألة تفويض الاستمرار في الاتصالات وتعريف القوى التي يعنيها المجلس في الاتصال بها على جدول البحث.

وقد كانت دهشتي بالغة عندما رفض الأخ رئيس المجلس إعطائي حق الكلام وحتى حق الرد [illegible] النظام الداخلي وحرم المجلس من حقه في الاستماع إلى تقريري حول الاتصالات وممارسته واجبه في أخذ القرارات الضرورية، فألغى بذلك دور المجلس باعتباره الهيئة التشريعية والقيادية العليا للشعب الفلسطيني، فلم يكن أمامي والحالة هذه مخرجاً سوى تقديم استقالتي من عضوية المجلس وهو ما تم في جلسة ١٥/٤/١٩٨١ قبل لحظات من إغلاق باب النقاش العام.

ولا بد لي هنا من إعلان ما يلي:

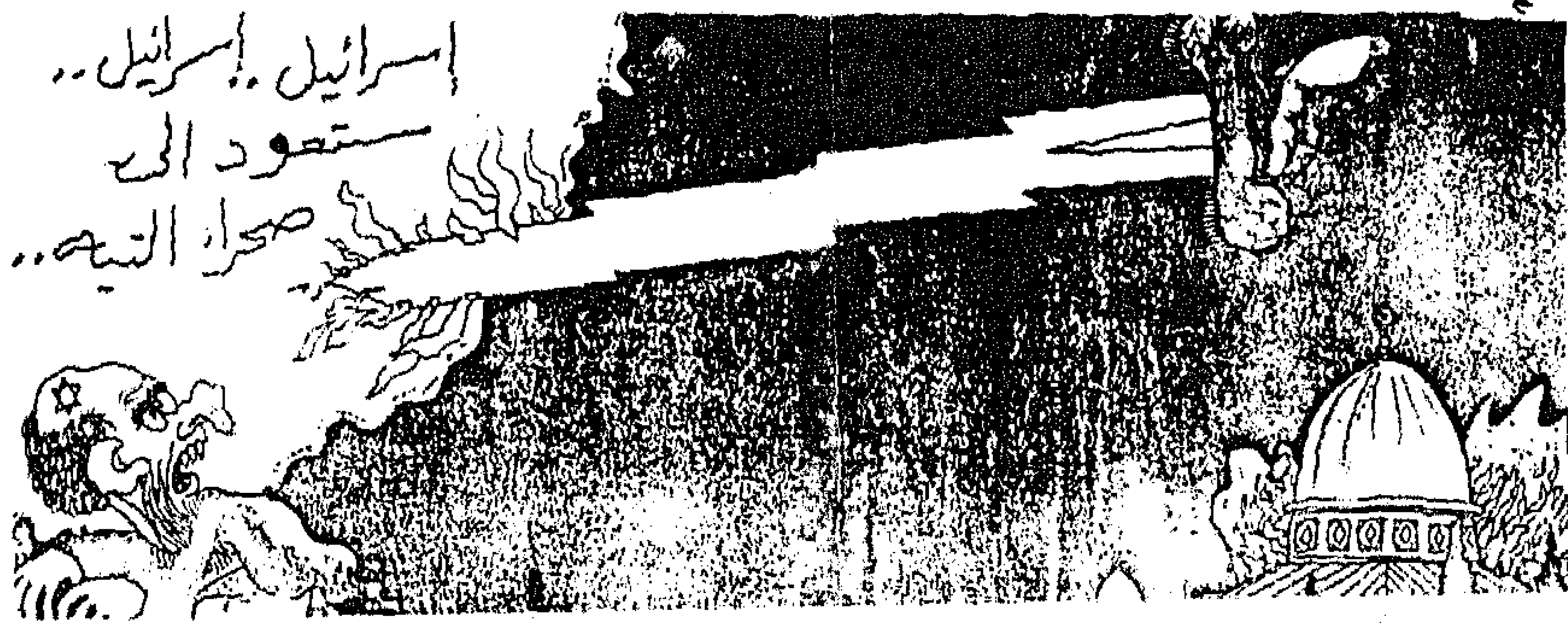
١- لم أعد أملك أية صفة تمثيلية بالنسبة لمنظمة التحرير بعد استقالتي هذه. وحيث أن الاتصالات التي جرت في الماضي كانت تجري على أرضية عضويتي في المجلس الوطني وقراراته الرسمية فإن هذه الاتصالات تعتبر ببعدها الرسمي متوقفة منذ الآن وتقتصر ما يتعلق بها الأمر شخصياً.
٢- أن هذه الاستقالة لا تمس من قريب أو بعيد شرعية الاتصالات التي جرت من قبلي في الماضي أو التي جرت من قبل أفراد آخرين والتي قد تجري في المستقبل من قبل من تفوضهم منظمة التحرير بذلك.
٣- أن هذه التجربة بما شابها من مرارة لن تزيدني إلا إيماناً والتزاماً بمنظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ومثابرة معها حتى النصر وتحقيق أهدافنا المشروعة.

دمشق في ١٦/٤/١٩٨١

وثيقة خاصة بالمناضل الشهيد عصام السرطاوي للإستقالة من المجلس الوطني الفلسطيني ويظهر من هذه الوثيقة روح التحدي والتصدي لديه لكل مناورات القوى الفلسطينية التي أرادت منعه من الإقتراب من قوى السلام وعلى رأسها أنور السادات ثم القوى الديمقراطية الإسرائيلية حول مجلس السلام الإسرائيلي الفلسطيني، هذه الوثيقة تشرح لنا مسبقاً الثمن الذي دفعه الدكتور عصام السرطاوي لجرأته ووطنيته الفلسطينية حينما أغتيل في ليشبونة بالبرتغال في 19

AU NØM DE TØUT LES SØLDATS ISRAELIENS
ASSASSINE PAR LES ARMEES ARABES
ALY ELSAMMAN EST RECONU CØMPLICE ET DØNC
CØUPABLE
MASSADA 73

ACTIØN SIONISTE



صورة التهديد الإسرائيلي لي في ١٩٧٣ : تهديد لمجموعات يهودية متطرف اعتبروني مذنب في حق الشعب الإسرائيلي التي تحمل اسم التحرك الصهيوني والتي لم آخذها مأخذ الجد وأخذتها أجهزة أمننا بكل جدية وترتب عليها عمل الحماية المطلوبة .

بسم الله

تل أبيب: ١٩٧٩/٤/٦

لفخامة رئيس دولة مصر العربية
السيد محمد أنور السادات المحترم

حضرة السيد الرئيس

تحية السلام من أبناء الشعوب والأديان نرسلها لسيادتكم على مبادرتكم المباركة وجهودكم الجبارة من أجل تحقيق السلام بين مصر وإسرائيل وكون هذا السلام حجر الأساس لسلام شامل وعادل لكافة شعوب المنطقة.

لا شك أن ما قمتم به لهو حدث القرن الذي ستذكره الأجيال على مر الزمان وشعوب منطقتنا خاصة وذلك بإنقاذ الأرواح البريئة وإبعاد المنطقة من ويلات الحروب وسفك الدماء والخراب.

بعملكم هذا فتحتم عهداً جديداً للتعايش السلمي والإخاء والبناء والتعاون بين شعوبنا.

نحن أعضاء حلف أبناء سام عرباً ويهوداً قد اتفقنا أن نعمل منذ عشر سنين وأكثر وذلك من أجل غايتنا السامية. وقد قطعنا شوطاً طويلاً في هذا المجال وبرهنا للجميع أننا نستطيع العيش معاً بسلام ونتابع نشاطنا الدائم والمباشر بزيارات ولقاءات متبادلة.

مبادرتكم العملية الموفقة التي حققت السلام والأمن ستكون لنا خير عون لنشاطنا وعوناً في تنشيط عملنا في مسيرتنا الإنسانية وازدياد عدد المؤمنين بفكرتنا التي وضعناها نصب أعيننا في برنامجنا ودستورنا الذي نسير بموجبه.

وفقنا الله وإياكم على درب الخير والسلام والمحبة. وأمد الله بعمركم لتحصدوا ثمرة جهودكم المباركة من أجل مصر وشعبها الكريم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

من أعضاء اللجنة التنفيذية والهيئة الإدارية

موشه ميخائيلي رئيس اللجنة التنفيذية	فليكس بشسيد سكرتير عام	جوزيت أركمان عضوة الهيئة الإدارية
محمد شلبي عضو الهيئة الإدارية	لطفي جبارة عضو الهيئة الإدارية	هلويا بشماي عضو الهيئة الإدارية

وثيقة من مجموعة مشتركة من الإسرائيليين والفلسطينيين موجهة إلى السيدة جيهان السادات في ٧٩/٤/٦ توضح مدى الأثر العميق لمبادرة السادات على جزء من الرأي العام الإسرائيلي الذي أنطلق في إنشاء جمعيات مشتركة من العرب واليهود تقدم واجهة لعمل وتعاون مشترك تجاوباً مع مطالبة الرئيس السادات بخرق الجدار النفسي الذي يفصل بين إسرائيل والعرب.

والسؤال الذى يفرض الآن هو : من غير سيدة مصر الاولى بل ام المصريين جميعا ، تستطيع ان تسهم بقسط وافر وتمد يد العون لنا وتساعدنا في هذا المجال ، من اجل تعميم فكرتنا وتوثيق روابط الصداقة والتعاون بين شعبينا ، وذلك بما عرفناه عن حضرتك .. انت الام .. ام المبادئ ، المحبة ، الاخاء ، والسلام .. من مثلك يستطيع ان يتفهم ويعمل على انجاح مشروع انساني كهذا ويستطيع ان يقرب بين ابناء العمومة .

وفي حال قبول فكرتنا هذه سنقوم بارسال بعثة من قبل جمعيتنا عربا ويهودا ، ويشرفنا ان تترأسي الجمعية في مصر . وكلنا امل ورجاء في ان يستجاب طلبنا ، وبهـــذا نفتح عهدا جديدا من العلاقات الاخوية بين افراد شعبينا .

والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه .

كلنا امـــــل وشوق في استلام ردكم الايجابي .

وتفضلـــي بقبول فائق الاحـــــــترام .

موشيه ميخائيلي	فليكس بنسعيد	جورجيت اركيمـــان
رئيس اللجنة التنفيذية	سكرتير عـــام	عضوة الهيئة الادارية
محمد خطيب	لطفي جباره	عقيبا ايشاي
عضو الهيئة الادارية	عضو الهيئة الادارية	عضو الهيئة الادارية

ملاحظة :
نرفق طيه نسخة من برنامج وقانون حلفنا
وحكاية تاسيس الحلف .

طريقنا : التضامن العربي اليهودي

مكسيم جيلان

الاتحاد اليهودي العالمي للسلام / النشرة الشهرية "اسرائيل وفلسطين"
٦٤، شارع تيتبو ، ٧٥٠٠٩ باريس ، فرنسا

السيد الرئيس ، ايها السيدات والسادة :

يستطيع المرء ان يقود الغير في طريق سبق ان سلكها بنفسه . وهكذا عندما نفكر بصوت عال في السبل الممكنة للتوصل الى سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الاوسط ، استطيع ان اتحدث فقط حسب تجربتي وان اتقدم بنصائح متواضعة من وجهة نظري الخاصة .

انا قومي يهودي واسرائيلي ، اي اني انتمي الى الشعب اليهودي (وليس الى المعتقد اليهودي) وكذلك الى الامة التي نشأت وتطورت في الاجيال الثلاثة الماضية في فلسطين التاريخية ، نمت وتطورت بالضبط في نفس الوقت (ولنفس الاسباب) الذي نمت وتطورت فيه الامة الفلسطينية في كل خصوصياتها .

لقد تركز عملي في السنوات الـ ٢٦ الماضية في البحث عن السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين ولخلق دولة فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل في حدود ما قبل ١٩٦٧ . علاوة على ذلك ، فانني لم اناضل من اجل السلام بين شعبينا وحسب بل من اجل سلام عادل . اننا في الاتحاد اليهودي العالمي للسلام وفي النشرة الشهرية "اسرائيل وفلسطين" لم نحاول اخفاء معاناة واضطهاد الفلسطينيين ، حتى نجعل النشيطين في معسكر السلام اليهود والاسرائيليين يظهرون اكثر استساغة او قبولا لدى الطرف الآخر . وللانصاف نقول ان الذين يقيمون معنا حوارا من معتدلي منظمة التحرير لم يعتبروا ابدا القوى التقدمية والديموقراطية اليهودية كشريكة في المسؤولية عن اعمال الاضطهاد التي نفذتها السلطة الحاكمة في اسرائيل ضد شعبهم بموافقة العالم الغربي الصامتة .

لقد قدمنا لهم محبتنا واخاءنا وصداقتنا كفارة عن خطايا ابائنا واخوتنا او خطايا شبابنا ولقد كان ردهم عائليا واخويا ومتضامنا . وهكذا وفي فترة عشرة سنين تم وضع الحجر الاول في بناء صرح التعايش الاسرائيلي الفلسطيني ، هذه الحجارة التي عززت بدماء الشهداء يهودا وعربا ، اولهم القائد الفلسطيني الدكتور عصام سرطاوي الذي اغتيل في البرتغال والقائد اليهودي المصري هنري كورييل الذي اغتيل في باريس سنة ١٩٧٨ .

لاننا ، بالطبع ، لم نكن سوى مجموعة واحدة من بين كثيرين مشوا على هذا الطريق الموحش في الجانب اليهودي . ولقد سار ايضا في وادي الظلال هذا قادة واعضاء المجلس الاسرائيلي للسلام الذي توجت اعماله بانتخاب عضوين من القائمة العربية اليهودية القائمة التقدمية ، التي مكنت المحامي محمد ميعاري احد المطالبين بالحقوق القومية للاقلية الفلسطينية في اسرائيل ، وزميله الجنرال الدكتور متتياهو بيليد عضو سابق في هيئة الاركان العامة في الجيش الاسرائيلي واحد كبار الداعين للديموقراطية الحقة في اسرائيل ، من الوصول الى البرلمان الاسرائيلي .

ولقد سار قبلهم وقبلنا مجموعات من اليسار المتطرف الاسرائيلي :
متسبين ومأفاك ، اسراكا ومجموعة متسبين القدس الذين كانوا في طليعة الذين اجروا الاتصالات مع الطرف الآخر . واجروا مناقشات ، في البداية مع الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين وبعدئذ مع عضو فتح وممثل منظمة التحرير في ذلك الوقت في لندن سعيد حمامي ، الذي استشهد في مكتب منظمة التحرير في لندن .

وفي وادي الظلال هذا سار ولا يزال يسير في ممر منفرد ، اصدقاؤنا من الحزب الشيوعي الاسرائيلي راكاح وجبهتهم الديموقراطية للسلام والمساواة في اسرائيل والذين اقاموا بشكل منفرد اتصالات مع التيار الرئيسي في منظمة التحرير ومع الجناح اليساري لهذه المنظمة منذ زمن بعيد .

الى هنا نتوصل في حديثنا عن الطريق الطويل الذي يجب ان نسيره في المستقبل .

وثيقة "مكسيم جيلان" الكاتب الإسرائيلي وعضو الاتحاد اليهودي للسلام ورئيس تحرير النشرة الشهرية، إسرائيل وفلسطين التي كان يدعمها الدكتور عصام السرطاوي وفيه يتكلم الكاتب عن أنه كرس ٢٦ عاماً للبحث عن السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين ولخلق دولة فلسطين إلى جانب دولة إسرائيل في حدود ٦٧.

ان بارامترات بحثنا قد اعدت في الماضي السحيق ،لقد كانت حتمية منذ البداية ،قبل آلاف السنين من يوم بدأ اول يهودي يكتشف ارض كنعان ومنذ ان تجول فيها اول عربي. لقد اتى كلاهما، في اوقات مختلفة من نفس الصحراء :

اننا في سبيل البحث عن طريق يتعايش فيه الشعبان ،حيث يستطيعان العيش معا في الارض بحرية ومساواة، باستقلال وازدهار.

اذا اردنا حقا الحرية للجميع والمساواة للجميع والاستقلال لكل من الشعبين وازدهارا لكل من يعيش على الارض ،توجد طريقة واحدة لتحقيق ذلك ، خلق دولتين منفصلتين ولكن متعاونتان جنبا الى جنب حيث ستكونان عندئذ حرتين في التطور نحو مصيرهما المنفصل او المشترك .

وعليه، يجب ان يتمحور النضال الآن لخلق دولة قومية فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة. وانه يتوقف علينا ،نحن الاسرائيليين واليهود الديموقراطيين والتقدميين ان نوجه جهودنا في هذا الاتجاه.

وذلك ان من يتحكم بمصير شعب آخر لا يستطيع ان يبقى حرا. انه سيدفع الثمن،كما تدفع الامة اليهودية الآن ثمن احتلالها سنة ١٩٦٧ وثمن حرب لبنان سنة ١٩٨٢ بتفكك الاخلاقية الاسرائيلية الداخلية. والاسوأ من ذلك ،ان الشعب اليهودي باسره يدفع مقابل خطايا الاسرائيليين ، حيث حاولت اقلية مهمة من المتطرفين اليهود المتدينين ابدال الاخلاقية اليهودية ذات النزعة الانسانية بتعصب يهودي كريه ،مسيئة بذلك الى احترام العزة الالهية وذلك بان تضيف لها عبادة الآلهة الكاذبة " الدم والارض " " Blut und Erde "في الالمانية – هذين العنصرين الرئيسيين للمعتقدات البدائية والبدائية الجديدة والدكتاتورية.

وعليه ،فانني لا اسير في هذا السبيل كجزء من هذا الشعب ،بل اقوم بهذا اساسا من اجله. اني اناضل بالتضامن مع الشعب الفلسطيني الذي يقاتل من اجل حريته وتقرير مصيره الى جانب اسرائيل ،ولكنني لا ادعي ان اكون اكثر فلسطينية من الفلسطينيين وان اقاتل باسمهم. في احسن الحالات ،اناضل ايضا في سبيل قضيتهم وكذلك في سبيل مصالحنا.

لنرى الآن ما هي حاجاتنا الاستراتيجية للتوصل الى هدف دولتين متعايشتين بسلام :

اولا، من الواضح انه ينبغي وجود وعي قومي وشعبي لاحتياجات وحقوق الشعب الآخر. وبما ان اسرائيل تربض فوق قلوب الفلسطينيين ، هذا يجب ان يبدأ – وبالفعل قد بدأ – بين الاسرائيليين. ولكن على الفلسطينيين ان يقبلوا ايضا ،الآن أو لاحقا،ليس فقط بوجود الاسرائيليين القومي والمادي ولكن بحقهم في العيش بحرية واستقلال – ولكن ليس على حساب الفلسطينيين. وعليه، ان كفاحنا الرئيسي في هذه المرحلة هو اقناع الاسرائيليين واليهود في الحاجة الى دولة فلسطينية قومية مستقلة، وراء حدود اسرائيل السابقة لسنة ١٩٦٧.

لقد قاد هذا النضال حتى الآن من الجانب اليهودي عدد قليل. اننا واثقون ان الجماهير الواسعة ستقود هذا النضال في المدى البعيد وخصوصا معسكرين : عناصر اكثر تسيسا من بين اليهود الشرقيين داخل اسرائيل وفي المهجر اليهودي اولئك اليهود الغربيون الذين لم يبيعوا مثلهم الليبرالية والديموقراطية مقابل " ارتقاء اجتماعي"في بلدهم ولم يدفعوا غاليا للحصول على " سمعة حسنة" صهيونية في اسرائيل.

ثانيا، يجب ان نفهم اننا لا نعيش في فراغ ولن نعيش كذلك في فراغ اذا ما انجز السلام بين التوأمين الساميين فلسطين/ ارض اسرائيل: يوجد في المنطقة امم وشعوب اخرى اغلبيتها من العرب، ان نضالنا سيمر من خلال تثقيف الاسرائيليين الى حقيقة ان عليهم ان يصبحوا جزءا من المشرق وتثقيف العرب انه يجب عدم رفض اسرائيل عندما تبعث فلسطين من جديد، بل تكون مندمجة في المنطقة حتى لا تستعمل بعدئذ كعميل لمصالح غريبة في المنطقة.

ثالثا، كذلك يجب ان نعترف ان شيئا لا يمكن ان يتغير في هذه المنطقة بدون موافقة كلا القوتين العظميين ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. لقد باءت بالفشل كافة الجهود التي بذلت في الماضي للتوصل الى تسوية للنزاع في ظل احدى هذه القوى الاعظم ، اذ قد نقض الطرف المقابل هذه الجهود بطريقة او باخرى. ان هدفنا المشترك ،هدف جميع اولئك الذين يرغبون في فلسطين قومية مستقلة تعيش جنبا الى جنب مع دولة اسرائيل المستقلة والتي يمكن الدفاع عنها هو في اقناع كلا القوتين العظميين انه في صالح كليهما التوصل الى سلام في الشرق الاوسط ، وليس استعمال المنطقة كارض ثانوية للمعركة.

كيف يمكن تحقيق ذلك ؟ من خلال تضامن اسرائيلي فلسطيني ولاحقا من خلال تضامن يهودي عربي ،الامر الذي سيقضي على قدرة القوة الغربية في استعمال الشعوب العربية والاسرائيليين كمخالب في اللعبة العالمية السلبية والخطيرة.

واذا توصلنا يوما لحل النزاع الاسرائيلي الفلسطيني ،نكون قد فتحنا الباب لتضامن مشرقي.وعند التوصل الى ذلك نكون في وضع يسمح لنا نهائيا ان نقنع القوى الاعظم من خلال قوانا المشتركة ، بان شرقا اوسط حياديا، ان مشرقا يقبله الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة كمنطقة عازلة غير متحاربة بين مناطق نفوذ كل منهما هو افضل لكليهما من منطقة تسودها حروب دائمة تهدد حدود الاتحاد السوفياتي واوروبا الغربية.

وهكذا، ايها الاصدقاء، يمكن ان ينمو من سلام اسرائيلي فلسطيني هزيل سنديانة يانعة من الحياد الشرق اوسطي الذي سيشكل جزءا هاما من نظام عالمي مستقبلي ـ سلمي حيث لا يكون فيه لا غالب ولا مغلوب.

يجب ان يفهم ذلك كافة اولئك الذين يعملون من اجل سلام عادل في الشرق الاوسط. عندها يمكنهم توجيه جهودهم بحكمة في اتجاه مساعدتنا على تغيير المجتمع الاسرائيلي الى الافضل ومساعدتنا في خلق الدولة الفلسطينية القومية واخيرا ضم كليهما الى قلب المشرق العربي من اجل مستقبل المشرق باسره.

جنيف ، ٢٢ اغسطس ، ١٩٨٤.

MAGELAN
64, rue Taitbout
75009 PARIS - FRANCE
Tél. : 526-27-39 - 526-30-93

MERCREDI 28 MAI à 20 h. 45

HÔTEL DE VILLE SOCHAUX

INVITATION - INFORMATION

UNE CONFÉRENCE-DÉBAT DE

Mr. A. PRIMOR

ATTACHÉ DE PRESSE

A L'AMBASSADE D'ISRAËL

A PARIS

THÈSE ISRAELIENNE

THÈSE ARABE

UNE CONFÉRENCE-DÉBAT DE

Mr. A. ELSAMMAN

DOCTEUR ES-SCIENCES POLITIQUES

DE L'UNIVERSITÉ DE PARIS

INVITATION - INFORMATION

HÔTEL DE VILLE SOCHAUX

MERCREDI 21 MAI à 20 h. 45

إعلان عن مواجهة في مناظرة بدار العمودية بمدينة سوشو (داخل مصانع شركة بيجو) في عام ١٩٦٩ بيني وبين أحد أعضاء السفارة الإسرائيلية، سنوات طويلة قبل مبادرة السلام وكامب ديفيد، للدفاع عن الحقوق العربية.

الأربعاء ٢٨ ماي على الساعة الثامنة و٤٥ دقيقة
بفندق مدينة صوشو

دعوة – خبر

مناقشة – ندوة

السيد بريمور

ملحق صحفي
بسفارة إسرائيل
بباريس

رسالة إسرائيلية

بتنظيم "المدينة"
الجمعية الثقافية لموظفي سيارات بوجو
لجنة الإنشاء بالتعاون مع بيوت الشباب و الثقافة لدولة مونتبوليارد

رسالة عربية

ندوة – مناقشة

السيد علي السمان

دكتوراه في العلوم السياسية
من جامعة باريس

دعوة – خبر

الأربعاء ٢٨ ماي على الساعة الثامنة و٤٥ دقيقة
بفندق مدينة صوشو

Aly Elsamman
Adresse personnelle :
II, rue de Berri
75008 PARIS

Madame Claire MENDES FRANCE
53, Avenue Montaigne
75008 PARIS

Paris, le 25 Octobre 1985

Chère Madame,

Vous êtes la première à savoir ce que représente MENDES FRANCE pour l'ensemble du monde arabe et surtout pour l'Egypte:
Etre le premier, et à contre courant, à ouvrir le chemin pour la Tunisie vers l'autonomie puis l'indépendance,
être également le premier et à contre courant, à condamner l'opération de Suez contre l'Egypte,
être également le premier et à contre courant, avec Nahoum Goldman et Kloutsnik, à condamner courageusement avant sa mort, l'entrée de l'armée israélienne au Liban.
Je suis heureux d'avoir eu la chance et l'honneur, de connaître, apprécier et respecter Pierre MENDES FRANCE, et je n'oublie pas ses démarches dont j'ai été le témoin en 73, pour accélérer le processus de paix au Moyent Orient.
C'est à titre personnel et en même temps symbolique que j'ai voulu exprimer l'intérêt qu'un égyptien peut porter à l'oeuvre MENDES FRANCE, avec cette contribution modeste que je vous prie de remettre à l'Institut MENDES FRANCE.
Madame, sachant les efforts que vous avez déployés hier auprès de SADATE, MENDES FRANCE, et aujourd'hui parmi les hommes qui ont toujours cru aux mêmes idéaux, je vous exprime mes meilleurs souhaits et mon soutien actif pour la tâche noble que vous poursuivez.

Veuillez croire, chère Madame, à mes sentiments les plus amicaux.

A. ELSAMMAN

خطاب إلى مدام كلير اليهودية – أرملة رئيس وزراء فرنسا الراحل اليهودي – التي قامت بحملة كبيرة لتأييد مواقف الرئيس ياسر عرفات وبذلت جهداً كبيراً ليستقبله الرئيس ميتران وكانت أيضاً مؤيدة لمواقف الشهيد عصام السرطاوي كما كانت قريبة من رئيس تونس الراحل الحبيب بورقيبة كما كان زوجها مانديس فرانس هو الذي أقام الاستقلال الذاتي لتونس وأعاد الملك محمد الخامس من منفاه إلى المغرب وتحفظ على العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ .

علي السمان
شارع بيري الرقم ٢
٧٥٠٠٨ باريس

السيدة كلير منديس فرانس
٥٣، محج مونطين
٧٥٠٠٨ باريس

باريس ٢٥ أكتوبر ١٩٨٥

السيدة المحترمة ،

أنتم من الأوائل الذين يعلمون مكانة " **منديس فرانس**" في العالم العربي ، وخصوصا ما يمثله بالنسبة لمصر .

أن يكون ضد التيار ، و أن يكون أول من يفتح الطريق أمام تونس إلى الحكم الذاتي ثم إلى الإستقلال ، وأول من يدين حرب السويس والعدوان على مصر .

وأن يكون ضد التيار ، برفقة كل من نحوم *كولدمن وكلوتسنيك* ، من أجل إدانة و بكل شجاعة ، دخول الجيش الإسرائيلي إلى لبنان .

كنت مسرورا جدا ، وكان لي الشرف أن أتعرف ، إلى السيد " ***بيير منديس فرانس***" الذي أقدره وأحترمه، ولن أنسى أبدا الخطوات التي قام بها عام ١٩٧٣ ، والتي كنت شاهدا عليها ، من أجل التعجيل بمسلسل السلام في الشرق الأوسط .

أود بصفة شخصية ورمزية ، أن أعبر عن الإهتمام الذي يكنه كل مصري لما قام به " **منديس فرانس**" ، و أتمنى أن تودع هذه المساهمة في معهد " موندس فرانس" .

سيدتي ، تقديرا لما قدمتموه البارحة من مجهودات أمام الرئيس السادات ، فإن " **منديس فرانس**" الآن من بين الذين آمنوا دائما بنفس التصورات. أعبر لكم عن تمنياتي الحارة ، ودعمي للعمل النبيل الذي تتبعونها .

تقبلي ، سيدتي ، صادق إحترامي وتقديري

علي السمان

091000
GA 92148+
108 1502 /999/
92148 VPO UN
*
TERAD 613611F

07 AVR. ...
TVR.

TO/ 92148 VPO UN - CAIRO RF. 101
FROM/ 613611 F TERAD .

PARIS 17/4/1980

ATTENTION VICE-PRESIDENT CABINET .
ATTENTION MR. ABDEL WAHAB ZAKI .
ATTENTION MR. GAMAL ABDEL AZIZ .

HALLOW FROM PARIS
PLEASE TO TRANSMIT MESSAGE TO EXCELLENCY VICE-PRESIDENT.

(DR. ALI ELSAMMAN)

FROM/ DR. ALI ELSAMMAN.
TO/ HIS EXCELLENCY VICE-PRESIDENT HOSNI MOBARAK.

1- MR. K. KAHANE IS ARRIVING CAIRO SATURDAY 19 TH OF APRIL FOR 4 DAYS. HE IS REQUESTING A MEETING WITH THE PRESIDENT.

2- MR. G. DE LIPKOWSKI, AS HE INFORMED THE PRESIDENT, WILL VISIT ISRAEL AND MEET MR. BEGIN. I IMMEDIATELY AFER HIS VISIT, HE WILL COME TO CAIRO THE 27 TH OF APRIL. HE REQUEST A MEETING WITH PRESIDENT SADATE.

3- BARON EDMOND DE ROTSCHILD SUGGESTS TO ARRIVE TO CAIRO MONDAY 5 TH OF MAY TO THIRSDAY 8 . HE REQUESTS TO MEET THE PRESIDENT TO CONTINUE DOSCUSSIONS STARTED WITH PRESIDENT IN YOUR PRESENCE LAST YEAR.

THANKS. REGARDS.

1507L/HELAL

*
92148 VPO UN

TERAD 613611F

مذكرة عن وصول شخصيات يهودية قيادية لمصر للقاء الرئيس السادات، كارل كاهان رجل البنوك اليهودي والدراع الايمن لكرايكسي، والبارون ايدموند روتشليد وكذلك وزير الدولة للشئون الخارجية الفرنسي بعد لقاءه مع بيجين، ونلاحظ تتابع وازدحام الاجندة من ١٩ ابريل الى ٣ مايو .

باريس ١٩٨٠/٤/١٧

من : الدكتور / على السمان

إلى : سيادة/ نائب رئيس الجمهورية / السيد / حسنى مبارك

مستر/ كاهان سيصل القاهرة يوم السبت ١٩ أبريل و لمدة ٤ أيام ويطلب مقابلة سيادة الرئيس .

مستر/ جى دو ليبكوسكى سيزور إسرائيل ويلتقى مستر/ بيجين وفور انتهاء زيارته سيأتي للقاهرة يوم ٢٧ أبريل ويطلب مقابلة سيادة الرئيس السادات .

البارون/ إدموند دو روتشيلد سقترح زيارة القاهرة اعتباراً من يوم الاثنين ٥ مايو إلى الخميس ٨ مايو ويطلب مقابلة سيادة الرئيس لاستكمال المناقشات التى بدأها معه وبحضوركم العام الماضي .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام والتقدير .

53, AVENUE MONTAIGNE - 75008 PARIS

26 XII 1989

Très cher Ali,

Comment vous remercier de ce voyage qui fut une réussite à tout point de vue. Tant de merveilles, j'ai été émue aux larmes le premier soir au temple de Philae tant c'était beau et puis c'était le voyage que nous devions faire P.MF et moi et que nous n'avons jamais fait. Je suis encore éblouie par tant de beauté, ce Nil traversant une région féconde parsemée d'une histoire tant de fois millénaire.

Et puis avoir pu voir, grâce à vous, le Président, l'avoir écouté. Son discours si clair, précis et impératif aussi, m'a impressionnée – J'ai senti au fond de moi toute l'urgence qu'il y a à saisir this "golden opportunity"

خطاب من السيدة ماري كلير أرملة "مانديس فرانس" والتي تعبر فيها عن شكرها لدعوتي لها لزيارة مصر وتتكلم فيه أيضاً عن رد الفعل الإيجابي عليها للقائها مع الرئيس مبارك وتتكلم عن أن في خطابه للناس كان واضحاً ومحدداً وحتمياً ومؤثراً.

Je le pensais déjà, il me l'a confirmé.

J'ai fait tout ce que j'ai pu pour transmettre aux uns et aux autres et encore avant hier sur Radio Shalom.

Tout cela a été possible grâce à vous et je vous en suis reconnaissante.

A très bientôt j'espère, je ne pars pas avant Dimanche.

Croyez, cher Ali à l'assurance de mes pensées les plus amicales

Marie-Claire Mendès France

شارع مونطين رقم ٥٣
٧٥٠٠٨ باريس

٢٦ ديسمبر ١٩٨٩

عزيزي علي ،

لا أدري كيف أشكرك على الرحلة التي قمنا بها معا ، لقد كانت ناجحة بكل المعايير.

لقد كنت مندهشة بكل الجمال الذي رأيته ، و تأثرت كثيرا في الليلة الأولى التي زرت فيها معبد فيلة، كل شيء كان رائعا، كان يجب أن نقوم بهذه الرحلة أنا و بيير منديس فرانس منذ زمن . فأنا لازلت مبهورة بجمال النيل وهو يتخلل منطقة خصبة تتحدث عن تاريخ له آلاف السنين .

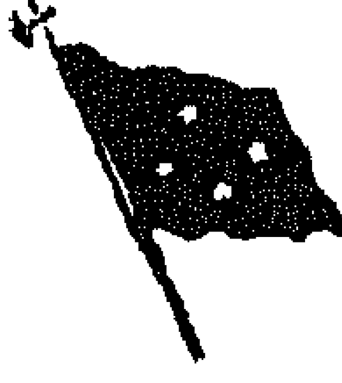
وبفضلك تمكنا من رؤية الرئيس ، والاستماع اليه، كان خطابه واضحا ، محددا وحتميا ، ومؤثرا، كما أحسست بنبرة الاستعجال التي كانت في عبارته :" الفرصة الذهبية " ، والتي كنت أعلمها من قبل لكن الرئيس أكدها لي .

لقد عملت كل ما في وسعي لنقل هذه المعاني للناس، كما فعلت أول أمس على اذاعة شالوم ، وهذا كله راجع إلى مجهوداتك المشكورة .

إلى لقاء قريب ، قبل يوم الأحد .

أؤكد لك، عزيزي علي، ثقتي الصادقة بك .

ماري كلير منديس فرانس



ADMIRAL STANSFIELD TURNER, U.S.N. (RET.)

January 31, 2005

Dear Dr. Samman:

What a surprise and treat to receive your letter! I well remember the dinner at the Pentagon, and our conversation.

What astounds me is how well you remember the conversation! I could not have possibly put it together in that much detail. It is perfectly fine with me if you use this in the book you are writing. I would suggest perhaps, that you add a comment that the quotations from me are from your best recollection, that is, they are not my exact words. They certainly do express the thoughts I had, however.

I wish you well in your Interfaith Dialogue. We certainly need to have a broader interfaith understanding these days.

Very warmest regards.

Yours,

Stansfield Turner
Admiral, U.S. Navy (retired

Ali El Samman, PhD.
78 Giza Street, #192
Giza, Cairo
Egypt

خطاب الادميرال Stansfield Turner رئيس المخابرات الامريكية وقت زيارة الجمسي لأمريكا في مارس ١٩٧٦ وهو يصرح لي بنشر ماتبادلته معه أثناء عشاء البنتاجون وأهم ما تم الافصاح عنه، عن اسرار التعاون الامريكي – الاسرائيلي أثناء حرب يونيو ١٩٦٧ وعلاقته بحرب اليمن .



FONDATION POUR L'INDEPENDANCE DE L'IRAN

Paris, le 27 Novembre 1986.

à Monsieur Al Salman.

Cher Ami,

Comme toujours nos entrevues sont intéressantes et enrichissantes. Les "90" minutes d'aujourd'hui furent pleines d'importance.

Comme promis je vous adresse une biographie; je me permets de vous informer de quelques unes de nos activités vis-à-vis des USA, du mois de novembre 1986. Ainsi de respectables vétérans américains, en visite officielle en France, après avoir compris notre lutte, ont accepté d'appuyer notre combat, pour le "sujet" et la "solution" dont nous avons parlé ensemble.

Je vous souhaite un bon voyage et je vous adresse tous mes vœux.

Amitié, à bientôt.

[signature]

رسالة من مؤسس حركة الضباط الأحرار الإيرانيين في فرنسا في ٨٦ يفيدني به ببعض الاتصالات التي قاموا بها في أمريكا وكان هدفهم التخلص من نظام "آيات الله" الديني، وإعداد إيران لاختيار نظام يرفض العودة للملكية ويرفض حكم المؤسسات الدينية.

نبياد استقلال ايران

باريس ٢٧ نوفمبر ١٩٨٦

إلى السيد علي السمان

السيد المحترم ،

كالعادة، المقابلات التي نجريها مع بعضنا تكون دائما مهمة وغنية ، " فالتسعين" دقيقة لهذا اليوم كانت ذات أهمية كبرى.

كما وعدتكم ، أبعث لكم بسيرة ، وأسمح لنفسي بإخباركم ببعض أنشطتنا ، تجاه الولايات المتحدة الأمريكية ، خلال شهر نونبر من سنة ١٩٨٦ .

وكذا الزيارة الرسمية لفرنسا لبعض الجنود الأمريكيين المهمين ، الذين فهموا نضالنا ، ووافقوا على مساندتني في معركتنا ، بخصوص " الموضوع " و " الحل " اللذان تكلمنا عنهما .

أتمنى لك رحلة موفقة ، وأبعث لك بتحياتي

مع محبتي وإخلاصي

وإلى لقاء قريب

بسم الله الرحمن الرحيم

سري جدا

مذكـــرة

بخصوص اتصالات [illegible] مع آية الله الخميني وجماعته في باريس

بالمنـــــاسبة :

افادني السفير [illegible] بأن سيادة الرئيس [illegible] يود التعرف على المجموعة التي تحيط بالخميني وذلك استعدادا لارسال شخصية من مصر تتصل بآية الله وانها ستكون في الغالب من علماء الاسلام وبعد جس نبض مع بعض أنصار آية الله المقيمين بباريس مثل السيـــــد / بن صدر والسيد / موجاني والذين أعرفهم من مدة طويلة — [illegible] فيما يختص باستعداد آية الله استقبال أحد علماء الاسلام من القاهرة وعلمت منهم ان سبب هـــــذا التحفظ هو خبر نشرته أحد الصحف الفرنسية في ١٠ ديسمبر مؤداه أن الرئيس المصـــري يرتب [illegible] الامريكي بقيام رجال الدين في مصر بحملة لتأييد الشاه لأسباب دينية (وتصـــــدر في باريس كل ١٥ يوم

b (Courrier de politique Etrangere .. ..

وبعد ذلك طلب مقابلة آية الله الخميني على أساس لقاء صحفي وأفادني السيد / سنجابي بتحديد موعد يوم الجمعة ٥ يناير وأخذت يوما كاملا بين أنصاره ومعاونيه قبل موعد لقاء آية اللـــه في الفيلا التي يقيم فيها بقرية Neauphle Le Chateau. على بعد حوالي ٣٠ كيلو من باريـــــس .

---

١ — سبق لهذه المصادر أن أطلعت بعض المعلومات عن العام الماضي عن الوضع في ايران ومستقبل حركة خميني ووضعها تحت تصرف نائب رئيس الجمهورية أثنـــــاء رحلته قبل الاخيرة الـــى ايران .

تقرير للمسؤولين (سري جدا) عن الاتصالات مع آيات الله الخميني في باريس قبل عودته لإيران، ويتضح منه بداية:

- اتصالات أمريكية مع الخميني في مهمة استطلاعية وليست تفاوضية.
- اتصالات بين رجال الرئيس الفرنسي جيكار ديستان وبين رجال الخميني للحصول على معلومات قبل القمة التي جمعت بين الرئيس الفرنسي والرئيس الأمريكي كارتر.

والتي أكد فيها الرئيس الفرنسي عدم القلق في حالة وصول الخميني والثورة الإسلامية إلى الحكم.

المعلومات التي توصلنا اليهـا :

أولا : فيما يختص بمعاونيـــــه :

على مستوى الاتصالات :

- هناك دكتور يزدى وهو الاستاذ في ابحاث السرطان ويقوم بدور المسئول عن الاتصالات الخارجية .
- السيد / موجابي وهو مهندس معماري وله اتصالات مع الايرانيين الذين يناصرون الخوميني في أوربا .
- وكذلك السيد / بني صدر وهو مسئول عن الاتصالات مع الحركة الطلابية في أوربا والربط بينها وبين الحركة الاسلامية للخوميني في ايران .

على المستوى السياســـي :

* الامام المنتظرى وهو العقلية السياسية المنظمة والتي تتحرك باستمرار بين قيادات الحركة بايران وبين آية الله في باريس وهي التي تحول نداءات آية الله الى برامج عمل كما أنه هو الذى يقوم بالتفاوض سواء مع أعضاء الجبهـــة الوطنية أو مع الرسميين في ايران فهو بمثابة رئيس وزراء للحركة .
* السيد / اشراقي وهو زوج كريمة آية الله وهو يرافقه دائما ويحضر كل لقاءاته السياسية وله رأيه الذى يتأثر به معاونو آية الله .

ثانيـا : فيما يختص ببعض الافكار العامة لرجال الحركة التي تهم مصر :

- من خلال الحوار غير الرسمي الذى تبادلته مع آية الله غير الحديث الصحفي قال فيما :

ان العالم الذى يندهش اليوم من حجم وعنف التحرك الشعبي في ايران هـو نتيجة لعدم معرفة الحقد الرهيب الذى وصل اليه بطش الشاه بخصومه الـى درجة لم تحصل في التاريخ .. ليس هناك قوة خارجية .. ولا مؤامرة وممن يقولون ذلك يخرفون .. ان ما يحصل هو رد فعل طبيعي لشعب طـــال القهر والعذاب سنوات طوال ونهبت ثروته فأصبح شعبا فقيرا رغم غنى الدولة لأن الفساد أيضا في الحكم الايراني لم يحصل له شبه مشابه أيضا .

- أحسست بدرجة كره وعداء غير عادي تجاه اسرائيل واليهود من كل المحاورين سواء كان تكوينهم دينى مثل " المجتهدين " الذين قابلتهم أو تكون أوربى مع اتجاه اسلامى .

وقالوا لى : ان احدى القوى الخفية وراء حكم الشاه هو التحالف بين البهائيين واليهود للتحكم فى بعض المراكز الرئيسية للحكم والاقتصاد ولا يخفون لاسرائيل أن خبراءها اشتركوا فى تدريب جهاز الامن الايرانى " السافاك " وكذلك الجيش وأكدوا أن نصيرى وهو بهائى والذى ظل مدة طويلة على رأس السافاك كان يدفع بالبهائيين الى مواقع حساسة فى الدول والاقتصاد وأنه كان " مهندس التحالف البهائى — اليهودى " وعلى ذلك عداءهم لاسرائيل نابع من أسباب داخلية أولا ثم دينية وهى درجة الحساسية غير العادية لكل ما يمس " القدس " .

- قالوا لى أيضا : حينما ستحاول بعض عناصر الجيش القيام بانقلاب يكون " صلا " لصالح الشاه ويصطدمون بالدين ورجال الدين سيفاجئ كثيرون بأن الشعور الدينى سيتغلب على كثير من الجنود والضباط وعلى كل لقد وضعنا هذا الفرض فى تفكيرنا .

- كرر آية الله أمامى التشكك فى الاتحاد السوفيتى وما يقال عن تعاطفه مع حركته قال آية الله :

- ان التعارض الفكرى والجذرى بينى وبين الفكر الماركسى كاف لبيس ولا شك فى ذلك .
- اننى لست فى احتياج الى شيوعى ايران فحركتنا شاملة وأنا متنبه لأى مناورة
- ليس هناك من بد أن أباهى بعداءنا للاتحاد السوفيتى .. الا حينما يتدخل فى شئوننا الداخليــــة .

- ان المضمون الفكرى للاسلام الذى يتحدثون عنه هناك نظرة تريد لنفسها " تقدمية للاسلام " أى " مجتمع ثورى من ناحية العدالة الاجتماعية ودور رجال الدين

في تحرير الارادة الوطنيـــة مـــن النفـــوذ الاجنبي "
ويرفضـــون تهمة الرجعيـــة ويستشهـــدون بـــدور المرأة في برامجهـــم
وعلى حقها فـــي الدراســـة والعمـــل والمشاركة في الحيـــــاة
العامـــة .

- هناك اتهـــام يأتي علـــى لســـان معاوني آية اللـــه للسعودية باتهامهـــا و
نظرتها "نظـــرة رجعيـــة ومتخلفـــة للاسلام " .. وانهم استجابـــــوا
للمناورات الخارجية التي تريـــد أن تفـــرق أهـــل السنـــة وأهل الشيعـــة
وقال لي السيد اشراقي :
لم الخلاف كتابنا واحد وربنا واحد ونبينا واحد والقبلة ليس هنـــاك أديان
ولكن تختلف مذاهب .

- قال اشراقي أيضا لن نكـــرر تجربة مصـــدق المريرة ... فنترك الديـــــن
في خدمة السياسة سنبقي مطلبنا الاعلى " جمهورية اسلامية " وسيعـــــرف
العالم بعد أن الاسلام الذي سنطبقـــه لا يتعـــارض مع العصريـــــــة
الا فيما كان فيه من فساد للانســـــان .

- تقـــدر معاوني الخميـــني للرئيس السادات وتذكر من ناحية :
على صداقته للشاه الايراني
ومن ناحية أخرى في رأيهم :
زيارته للقدس لا ستعـــادة الحقوق المغتصبـــة وتعتقد بعضهـــــــم
بأن المنشار على أمل أن يصـــل السادات للتفاوض جميعـــاً " بعـــد
أن نشبت حـــروب ومعركـــة ودمـــاء من أجـــل استعادة الحقـــوق
المغتصبة وأن زيـــارة القدس هي أيضـــا طريـــق وأسلوب يعني استعـــادة
الحقوق المغتصبـــة .

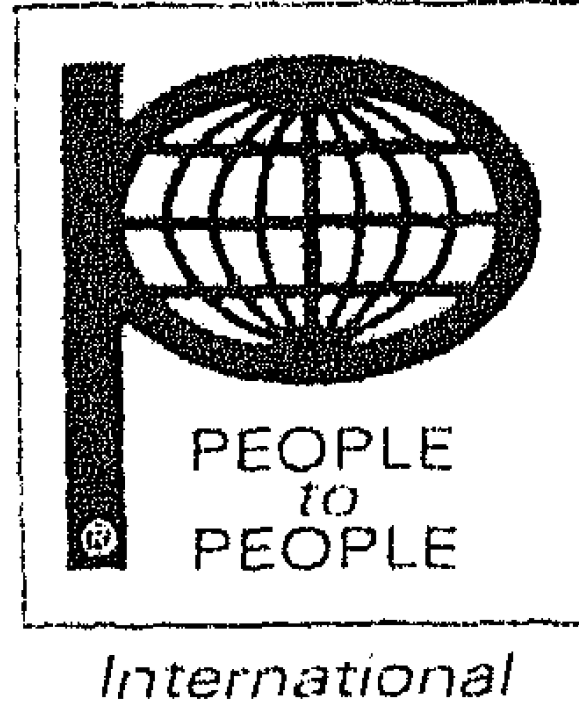
سري جـــــداً

ثالثا : اتصالات أمريكية وفرنسية وغيرها ..

- من مصادر فرنسية علمت أن امريكا قامت باتصال مع الخميني في الاسبوع الاول من ديسمبر من خلال اثنين امريكيين رافقا وفد اذاعة وتليفزيون امريكي .. وانهما التقيا مع معاوني آية الله على اعتبار مهمتهما "استطلاعية" وليست تفاوضية وأن نفس المجموعة تحاول الان الاتصال به "للتفاهم" حول امكانية اعطاء حكومة بختيار فرصة أخرى مع استمرارها في تنفيذ بعض وجهات آية الله في الاصلاح الداخلي .
- أما فرنسا فقد انتهزت فرصة اجراءات تجديد اقامة آية الله الخميني وأرسلت اليه اثنين من موظفي الخارجية الفرنسية بحجة ابلاغه قرار تجديد الاقامة وتباحثا معه ومع معاونيه في أسئلة كلفهم بها الرئيس الفرنسي .. وحمل ديستان الرد معه أثناء قمة جوادلوب .
- التقى الاستاذ محمد حسنين هيكل بالخميني الساعة السادسة مساء ٢٣ ديسمبر وكان معه وفد صحفي من مجلة المستقبل العربية التي تصدر في باريس .. وبالنسبة لمعاوني آية الله كان هذا اللقاء مع أحد زعماء المعارضة ... في مصر وصديق لجمال عبد الناصر الذي حارب في رأيهم شاه ايران اعواما طويلة .... وقد تعرض الطرفان خلال اللقاء بين الموضوعات التي طرحت لدور الرئيس الراحل في محاربة نظام شاه ايران .

خلاصة ورأى شخصي :

- أمام الفروض المتعددة لما سيحصل في ايران والتي من بينها احتمالات عودة الشاه بعد انقلاب عسكري "لصالح الشرعية الامبراطورية" . فمن الطبيعي أن تبقى علاقات الدولة مع السلطة الشرعية في ايران .
- ولكن امام الفرض الذي يحمل بين طياته احتمالات نجاح اتجاه الخميني سواء في التوصل كاملا للحكم .. أو في ظل حكم ينفذ جزئيا مطالبه فانه من المصلحة قيام اتصالات "فردية ومغلقة" مع رجال الخميني .. يكون لها هدفين الاول الاستطلاع والعلم بالشيء والثاني محاولة تصحيح صورة معاوني آية الله عن النظام المصري من خلال الموضوعية . وأن يخطط السيد رئيس الجهاز لهذه الاتصالات بحذر شديد ويدعم استمرارها .
- من الناحية الاعلامية وبدون تحيز لاي طرف من اطراف الصراع . أن يعنى بموضوعية بعرض كل وجهات نظر الصراع بما فيها اتجاه آية الله الخميني .



Certificate of Appreciation

Awarded to

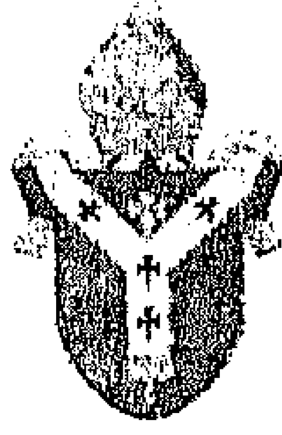
Dr. Aly El Samman

For valuable contributions in the promotion of international friendship, thereby advancing the cause of world peace.

Mary Jean Eisenhower
President / Chief Executive Officer

December, 2003

لم أعتبر هذه الوثيقة نيشان أو شهادة تقدير ولكن فرصة نادرة للتعرف على مجموعة أمريكية تؤمن فعلا بالتقارب الإنساني People to People التي ترأسها مارى ازنهاور حفيدة الرئيس الامريكي السابق الجنرال ازنهاور الذي وقف ضد العدوان الثلاثي، وسعدت بأن أرتب لقاءاً لأكثر من مائة وبينهم وبين شيخ الأزهر للإجابة على أسئلتهم وتوضيح صورة الإسلام.



ARCHBISHOP
OF CANTERBURY

Dr Ali El-Samman
Al-Azhar al-Sharif
Cairo
Egypt

September 2004

Dear Dr El-Samman,

I wish to express my sincere thanks for all that you have done for the sake of dialogue between Muslims and Christians in your capacity as Vice-President of the Permanent Committee of al-Azhar al-Sharif for Dialogue with the Monotheistic Religions.

The need for this work is very obvious in our world today. As President of the Anglican Communion I am deeply conscious of the many areas where there are serious tensions between Christians and Muslims. It is my hope and prayer that within both faith communities there will be more and more people with a vision for building bridges of understanding, friendship and mutual respect.

I am therefore greatly encouraged by the fact that the Anglican Communion has established a formal dialogue process with al-Azhar al-Sharif. I know that valuable meetings have taken place, that promising educational exchange programmes are being planned and that there has been significant co-operation in practical projects. And in all of this our wider communities are shown an example of dialogue in practice.

I know that your own commitment and efforts have been crucial to the success of the process so far and I am deeply grateful to you. I look forward to seeing the fruits of our shared work in the years to come.

Yours very sincerely,

+ Rowan Cantuar:

Lambeth Palace, London SE1 7JU

خطاب رئيس أساقفة إنجلترا (كانتربري) أثناء زيارته لمصر فى سبتمبر ٢٠٠٤، وأثناء تسليم الميدالية الذهبية لي ويقول في الخطاب "إن التزامكم وجهودكم كانت ضرورية لنجاح الحوار بين الأزهر والكنيسة الإنجليكية، لهذا فأنا أوفي بالجميل لك" وهي تتشابه مع العبارة التي قالها لي بابا الفاتيكان في ختام زيارته إلى مصر في أكتوبر ٢٠٠٠ .

*** أسقف كانتربرى ***

سبتمبر ٢٠٠٤

الدكتور/ على السمان

الأزهر الشريف

القاهرة

جمهورية مصر العربية

عزيزي الدكتور/ على السمان

أود أن أعبر عن عميق شكري و تقديري لكافة الجهود التى بذلتها من أجل إقامة الحوار بين المسلمين والمسيحيين بوصفكم ناب رئيس اللجنة الدائمة للأزهر للحوار بين الأديان السماوية .

إن هناك حاجة ملحة لمثل ذلك العمل خاصة فى عالمنا اليوم وبوصفي رئيساً للكنيسة الانجليكانية فأنني على دراية تامة بالمناطق التى تعج بالتوتر الشديد بين المسيحيين والمسلمين كما أنني آمل وأصلى من أجل أن يوجد من بين كلتا الطائفتين مزيد ومزيد من أولئك الأشخاص الذين يملكون الرؤية اللازمة نحو بناء جسور التفاهم والصداقة والاحترام المتبادل .

ومن ثم فأنني غاية فى السعادة بشأن عملية الحوار الرسمي الذى تجريه الكنيسة الانجليكانية مع الأزهر الشريف كما أنني على علم بالاجتماعات القيمة التى يتم إجرائها بالإضافة إلى البرامج التعليمية المتبادلة والتى تم وضع الخطط اللازمة بشأنها وكذلك ما يتعلق بالتعاون المميز الذى تحقق فى مجال المشروعات العملية حيث يتضح من مجمل ما سبق مدى أهمية إعطاء مثال عملي فى إقامة الحوار لمجتمعاتنا والتى تشكل الإطار الأكثر أتساعا .

إنني على علم تام بمدى أهمية جهودكم فى تحقيق النجاح المنشود كما أعبر عن عظيم امتناني لتلك الجهود الضرورية وأنني أتطلع نحو رؤية الثمار المستقبلية لذلك العمل المشترك خلال السنوات القادمة .

و تفضلوا بقبول وافر شكري وتقديري

روان وليامز

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة يوم الصلاة من أجل السلام في العالم بمدينة أسيزي يوم ٢٤ يناير ٢٠٠٢، في حضور قداسة البابا يوحنا بولس الثاني

(ألقى الرسالة الدكتور علي السمان، مستشار الإمام الأكبر شيخ الأزهر، و نائب رئيس اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان السماوية)

بسم الله الرحمن الرحيم

أود قبل كل شيء أن أوجه شكري العظيم لقداسة البابا يوحنا بولس الثاني الذي جمع اليوم كافة ممثلي الأديان المختلفة الذين يبذلون كل جهدهم بنفس الإخلاص والوفاء من أجل إقامة عالم أفضل . ولإنارة طريقنا الى السلام أوجز فيما يلي ما تذكرنا به العقيدة الإسلامية من مباديء ...

أولا:

إن الله خلق الناس من أب واحد وأم واحدة ، كما قال سبحانه و تعالى في كتابه (القرآن الكريم)

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" (سورة النساء، آية ١).

ثانيا:

تتفق جميع الأديان السماوية التي أنزلها الله على رسله المكرمين على نقطتين أساسيتين ..

- التفاني في عبادة الواحد الأحد، كما جاء في قوله تعالى ..

"شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ" (سورة الشورى، آية ١٣).

- إحترام القيم الأخلاقية ..

إن الله أنزل الأديان لأجل سعادة الإنسان، وتوصي جميع الأديان بالقيم الأخلاقية مثل الأمانة والعدل والسلام والازدهار، و كذلك تبادل أعمال الخير التي يأمر بها الله والتعاون مع سائر الشعوب بما يحقق العدل والإحسان لا البغي والعدوان .

ثالثا:

إن الله خلقنا لنتعارف مع بعضنا البعض في هذه الحياة، كما قال ...

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات، آية ١٣).

رابعا:

توصي جميع الأديان السماوية الإنسان بتدعيم الحق والعدل وبإعادة الحقوق الشرعية لأصحابها الأصليين .

ويشيد الأزهر الشريف في هذه المناسبة بموقف دولة الفاتيكان المشرف من الشعب الفلسطيني .

خامسا:

في مصر عاش المسلمون والمسيحيون كأخوة طيلة ١٤ قرنا تظلهم نفس السماء يعيشون على نفس الأرض متمتعين بالمساواة في الحقوق والمسئوليات، كل يمارس عقيدته كما يقول القرآن الكريم ..

"لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (سورة البقرة، آية ٢٥٦).

وفي يومنا هذا الذي نشارك فيه الصلاة من أجل السلام، يؤكد الأزهر وعلماؤه إيمانهم الراسخ بالدعوة الى السلام الذي لا ينفصل عن العدل ويرتبط به ارتباطا فوريا.

ويسعدني أن ألتقي في هذا الفكر مع ما أعلنه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني بمناسبة الإحتفال برأس السنة الميلادية حيث قال "لا سلام بدون عدل، و لا عدل بدون غفران".

نص الاتفاق
بيــن
المجلس البابوي للحوار بين الأديان (حاضرة الفاتيكان)
وبيــن
اللجنة الدائمة للأزهر الشريف لحوار الأديان السماوية
لإنشــاء
لجنة حوار مشتركة

حاضرة الفاتيكان، ٢٨ أيار مايو ١٩٩٨ م الموافق ٣ صفر ١٤١٩ هـ

١ـ نظرا لأهمية تدعيم المعرفة السليمة للديانتين المسيحية والإسلامية ولكي يتاح لكل منهما الفهم الصحيح لعقائد الديانات الأخرى .

٢ـ ونظرا لأهمية السهر على أن تؤدي الأديان الدور اللائق بها في المجتمعات البشرية لتشجيع الإخاء والتضامن والتعاون والعدالة والسلام في سبيل حل مشكلات الإنسانية جمعاء ومن أجل أن نتصدى سويا للتطرف الديني بوصفه تعبيرا عن النبذ ومصدرا للكره والعنف والإرهاب.

٣ـ ونظرا للمكانة الهامة التي يتمتع بها الأزهر الشريف ولتاريخه ودوره المميز علميا وأخلاقيا في المجتمع الإسلامي ، ونظرا للدور الخاص للمجلس البابوي للحوار بين الأديان في الكنيسة الكاثوليكية.

٤ـ وتعبيرا عن الرغبة الراسخة لدى الطرفين بتقوية العلاقات القائمة في إطار الإتصالات السابقة والراهنة ، مثل زيارة وفد " أمانة السر لغير المسيحيين " كما كانت تسمى أنذاك من ١١ إلى ١٤ نيسان (أبريل) ١٩٧٨ ، والرسائل التي تم تبادلها وبخاصة رسالة نيافة الكاردينال أرينزه ، رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، الموجهة في ٢١ شباط (فبراير) إلى فضيلة شيخ الأزهر والتي وردت فيها الإشارة إلى المؤتمر الذي عُقد في جامعة السوربون في باريس في حزيران (يونيو) ١٩٩٤، والذي نظمته جمعية الحوار الإسلامي المسيحي (Association pour le dialogue Islamo-Chretien,A.D.I.C)، فضلا عن الإشارة الى ضرورة إعطاء المسيحيين الصورة الصحيحة عن الإسلام وضرورة أن تُعطى للمسلمين الصورة الصحيحة عن المسيحية ، ورسالة الأزهر في ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٩٨، والمحادثات والحوارات التي شارك فيها ممثلون عن الطرفين لتنشيط الحوار، من أجل إستبعاد الإفتراءات والإدعاءات الباطلة التي تتعرض لها الأديان ومن إجل تنمية النتائج الإيجابية التي تم التوصّل إليها إلى الآن.

٥ـ فقد إتفق الطرفان على تكوين لجنة حوار مشتركة بين كل من " لجنة العلاقات الدينية مع المسلمين بالمجلس البابوي للحوار بين الأديان " وبين "اللجنة الخاصة للأزهر الشريف للحوار بين الكاثوليك وبين المسلمين ".

٦ـ تعمل اللجنة المشتركة على البحث عن القيم المشتركة وعلى تدعيم العدالة والسلام وعلى ترسيخ إحترام الأديان ، كما تقوم اللجنة بتشجيع تبادل الرأي حول موضوعات ذات إهتمام مشترك كالدفاع عن كرامة الإنسان وحقوقه ، وتشجيع المعرفة المتبادلة والإحترام بين الكاثوليك والمسلمين ، من خلال تبادل المعلومات اللازمة.

٧ـ ستتولى اللجنة من ناحية أخرى ، إهتمامًا خاصًا بدور المسؤولين الدينيين في ترسيخ هذه القيم.

٨ـ ستحدد اللجنة الأسلوب الخاص بها في التعاون المشترك كما ستوضح طريقة تحقيق أهدافها.

٩ـ يرأس اللجنة كل من نيافة رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان وفضيلة وكيل الأزهرالشريف ، وستضم اللجنة – من كلا الجانبين – فضلاً عن الرئيسين أمين سر مشارك وثلاثة أعضاء (كحد أقصى) ، ويستطيع الرئيسان تعيين أعضاء ينوبون عنهما في رئاسة الإجتماعات ، ويقوم كل طرف بتشكيل وفده لكل دورة ، مع إمكانية الإستعانة بخبراء ، حسب طبيعة الموضوعات التي ستناقش ، ويقوم كل طرف بإفادة الآخر بتشكيل وفده.

١٠ـ ستجتمع اللجنة المشتركة مرة – على الأقل – كل عام ، في القاهرة وفي روما ، على التناوب، كما يتكفل كل من الطرفين بتكاليف سفره وإقامته ويحق لكل من الرئيسين أن يقترح عقد اجتماعات إضافية، على مستوى الرؤساء، أو لإعدا د اللقاءات، إذا اقتضت الضرورة ذلك، ويتم الاتفاق، في مثل هذه الحال، من خلال إتصالات بين الرئيسين وبموافقتهما. ويتم إعداد جدول الأعلام بالأسلوب نفسه والوسائل المناسبة.

١١ـ بعد الفراغ من كل إجتماع ، يتم نشر بيان صحفي ، ويجب أن ينال البيان موافقة اللجنة المشتركة قبل نشره ، ولن يُفصح عن أية معلومات حول أوراق العمل المقدمة للجنة ، إلاّ بموافقة الطرفين.

توقيع:

Francis Card. Arinze

الكاردينال فرنسيس أرينزه
رئيس
المجلس البابوي للحوار بين الأديان

الشيخ فوزي فاضل الزفزاف
وكيل الأزهر
رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف
لحوار الأديان السماوية

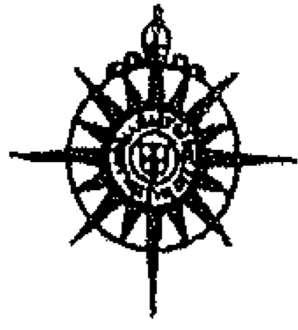
المطران مايكل لويس فيتزجرالد
أمين سرّ
المجلس البابوي للحوار
بين الأديان

الدكتور علي السمان
نائب رئيس اللجنة الدائمة
لحوار الأديان للأزهر الشريف
لحوار الأديان السماوية

اتفاقيـــة الحـــوار
بيـــن
الكنيسة الإنجليكانية
و
الأزهـــر الشريـــف



اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار
بين الأديان السماوية



الكنيسة الأسقفية (الأنجليكانية) بالعالم

اتفاقيــة الحــوار
بيــن
الكنيسة الأسقفية ((الأنجليكانية)) والأزهر الشريف

حرصا على دعم العلاقات المتميزة التي تربط بيــن الكنيســة الأسقفية ((الأنجليكانية)) في العــالم وبيـــن الأزهـــر الشـــريف . وتأكيدا للعلاقات الأخويــة بيــن فضيلة الإمام الأكبر الدكــتور/محمــد ســيد طنطاوى شيخ الأزهر والدكــتور / جــورج كــارى رئيــس أساقفة كانــتربرى والــرئيس العــام للكنيسة الأسقفية ((الأنجليكانية)) في العالم .

وإيمانــا من الطرفين بأن الصداقة على الرغم مـــن الفــروق الدينية والعرقية والقومية ، هي إحــدى هــبات الخــالق الذي نؤمن به معا . وإدراكــا من الطرفين بأننا نحتاج إلى أن يتقبل بعضــنا الــبعض الآخر قبولا مشتركا ولضعها للرغـبة في تحقيــق رسالة السلام في العالم . واعتقادا من الطرفين بأن الحوار المباشر يؤدى إلى تصــحيح صــورة كل طرف أمام الطرف الثاني . .

وتقديرا للزيارة التي قام بها الدكتور / جورج كارى إلى الأزهر الشريف في أكتوبر ١٩٩٥ ، والــزيارة الــتي قــام بها فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر إلى قصر لامبث في مايو ١٩٩٧ ، والزيارة الثانية الــتي قــام بهــا الدكتور / جورج كارى إلى الأزهر الشريف في نوفمبر ١٩٩٩.

ومــن منطــلق إيماننا بالله الواحد ، ومسئوليتنا تجــاه مواجهــة الإلحاد من ناحية ، والتعصب الديــني من ناحية أخرى ، وأملنا في أن نساهم في الجهــود العالميــة من أجل تحقيق العدالة والســلام والحيــاة الكــريمة لكــل الإنسانية ، مســتفيدين من التاريخ الطويل للحياة المشتركة بيــن المسلمين والمسيحيين في مصر وبريطانيا وأماكن أخرى من العالم ، والخبرات الإيجابية بينهما .

فقد أوفد الدكتور / جورج كارى رئيس أساقفة كانتربرى والــرئيس العــام للكنيسة الأسقفية ((الأنجليكانية)) في العالم وفدا إلى الأزهر الشريف مكونا من :

١. الكنن الدكتور / كريستوفر لامب
٢. المطــران الدكــتور / منير حنا أنيس [أســقف مصــر وشمال أفريقيا والقرن الأفريقي]

للاجتماع مع اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديــان السماوية يومى ١٠ ، ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ م في مقــر اللجــنة بمبــنى مشــيخة الأزهــر الشريف . والمكونة من :

١. فضــيلة الشــيخ / فوزى فاضل الزفزاف [رئيس اللجنة]
٢. الأســتاذ الدكــتور / على وهبى السمان [نائب رئيس اللجنة]
٣. الأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة [عضو اللجنة – لم يتمكن من الحضور]
٤. السيد السفير / نبيل بدر [عضو اللجنة – لم يتمكن من الحضور]
٥. السيد السفير الدكتور / أحمد فتحى مرسى [عضو اللجنة]
٦. فضيلة الشيخ / السيد وفا أبو عجور [عضو اللجنة]

وذلك للتفاهم ومناقشة مشروع اتفاق للحوار بين الكنيسة الأســقفية ((الأنجــليكانية)) واللجــنة الدائمة للأزهر الشــريف لــلحوار بيــن الأديان السماوية بهدف تحقيق الآتي:

أولا : تشــجيع المســيحيين الأسقفيين على فهم الإسلام الحق ، وتشجيع المسلمين على فهم الإيمان المسيحي كما يراه الأسقفيون .

ثانيــا : المساهمة في حل المشاكل وإنهاء الصراعات التي تحدث أحيانا بين المسيحيين والمسلمين في بعــض أمــاكن العالم ، وتشجيع القادة الدينيين على استخدام تأثيرهم الديني في المصالحة وصنع السلام .

ثالــثا : العمل سويا على تحقيق كرامة الإنسان في العــالم ، ومنع الظلم والاعتداء على الحقــوق المشــروعة للشعوب ، وعدم الفصــل بيــن الســلام والعدل ، ونشر الفضــائل المشــتركة بيــن الديانــتين الإسلامية والمسيحية .

رابعا : تشجيع المؤسسات التابعة للطرفين على القيــام بدورها الإيجابي في تحقيق التنمية لصالح شعوب العالم لنشر الرخاء والتقدم .

ولتــنفيذ هذه الأهداف قررت اللجنة في اجتماعها المشترك الآتي :

أولا : تشكيل لجنة مشتركة من الجانبين تتكون مــن رئيس وعضوين من كل جانب ، ويجوز زيادة عدد أعضاء كل لجنة إذا رؤى ذلــك بموافقة الطرفين ، على أن يقــوم كل جانب بإعلام الطرف الآخر بأسماء الأعضاء الممثلين له .

ثانيــا : تجتمع اللجنة المشتركة مرة واحدة على الأقــل كــل عــام في مصر والمملكة المــتحدة بالتبادل بينهما. على أن يقوم كــل جــانب بــتغطية مصاريف السفر والإقامة الخاصة به ، ويجوز أن تجتمع اللجنة أكثر من مرة في العام الواحد إذا اقتضــت المصــلحة ذلك باتفاق رئيسى اللجنتين .

ثالــثا : تقدم اللجنة المشتركة تقريرا صحفيا في نهايــة اجــتماعاتها ، ولا تعــلن أيــة تصــريحات عــن الأوراق الــتي تقدم للمناقشة أثناء عقد اللجنة المشتركة دون موافقة الجانبين.

فضيلة الشيخ / فوزى فاضل الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف لحوار الأديان السماوية

+ Mouneer Egypt
المطران الدكتور / منير حنا أنيس
مطران الكنيسة الأسقفية بمصر وشمال أفريقيا والقرن الافريقي

الأستاذ الدكتور / على وهبى السمان
نائب رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف لحوار الاديان السماوية

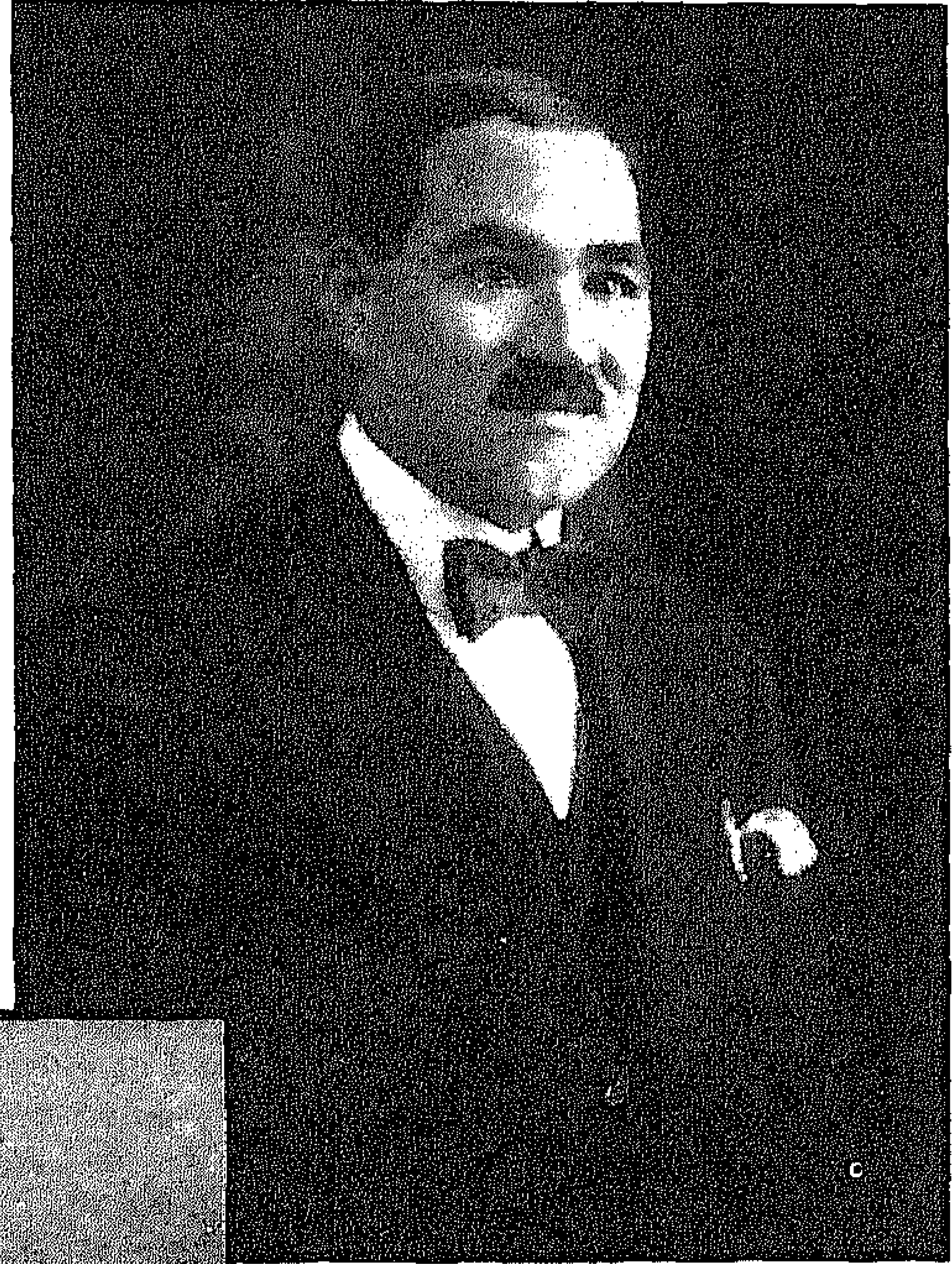
Christopher A. Lamb
القس الكنن / كريستوفر لامب
كاتدرائية كوفنترى – المملكة المتحدة

الدكتور / محمد سيد طنطاوى
فضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

+ George Cantuar
الدكتور / جورج كارى
رئيس أساقفة كانتربرى
والرئيس العام للكنيسة الأسقفية ((الأنجليكانية)) بالعالم

ملف الصور

مع أسرتي وأصدقائي.. حب ووفاء

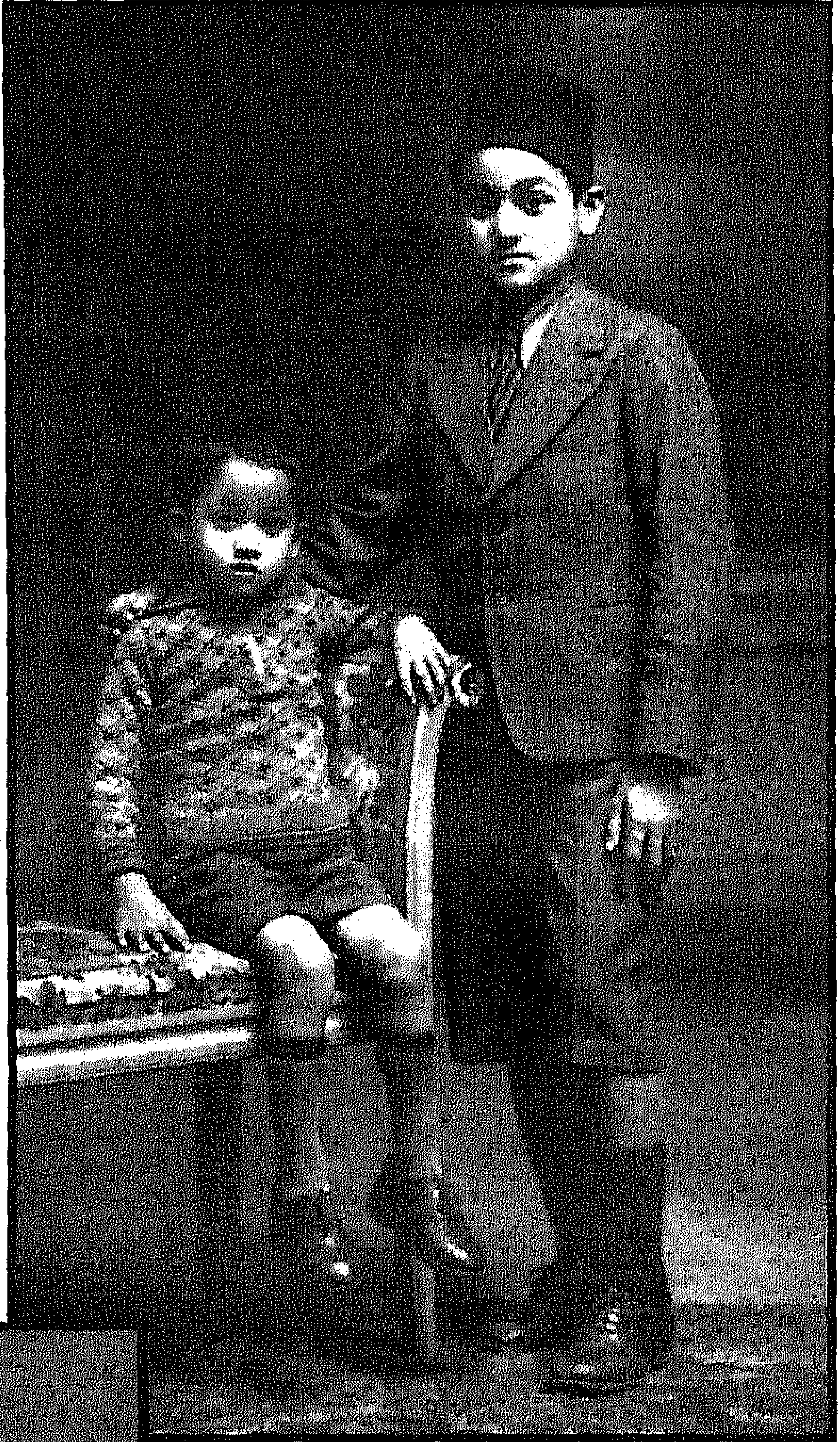


الوالد عبد الوهاب السمان.



والوالدة السيدة دولت الخطيب.

في طفولتي جالساً مع أخي مصطفى..
وكان ذلك في يناير ١٩٣٥.





مربيتي السودانية عزيزة.. وقد أهدتني هذه الصورة وأنا أستعد لامتحان البكالوريا وكتبت على ظهرها :

هدية مني إلى علي أفندي السمان
هدية العزيزة عزيزة!

سام (سامي) ابني
وهو مع أمه الأمريكية جوليا ألفورد.





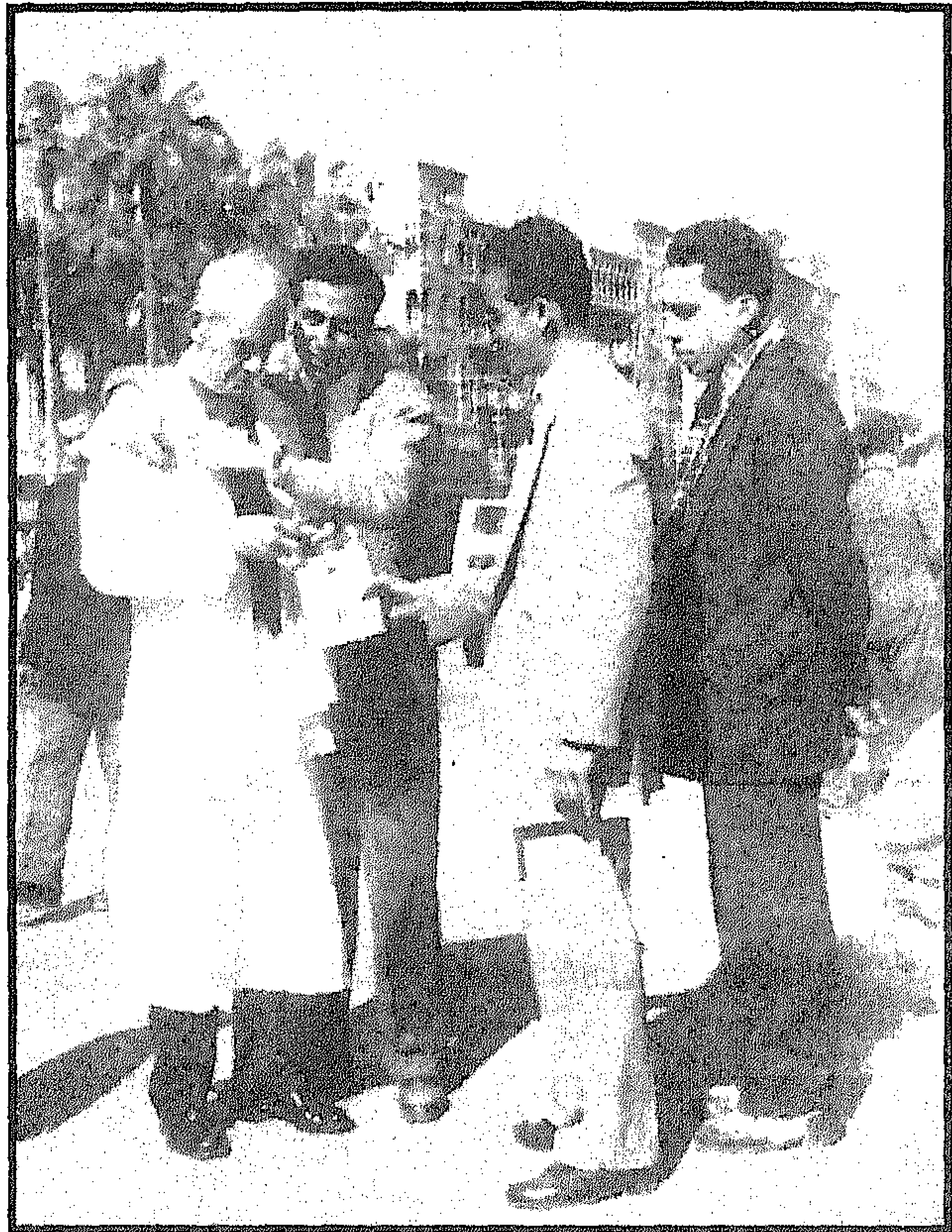
سام (سامي) ابني.. وهو فى الثالثة من عمره.



ابني سام (سامي) مع مربيته الألمانية.



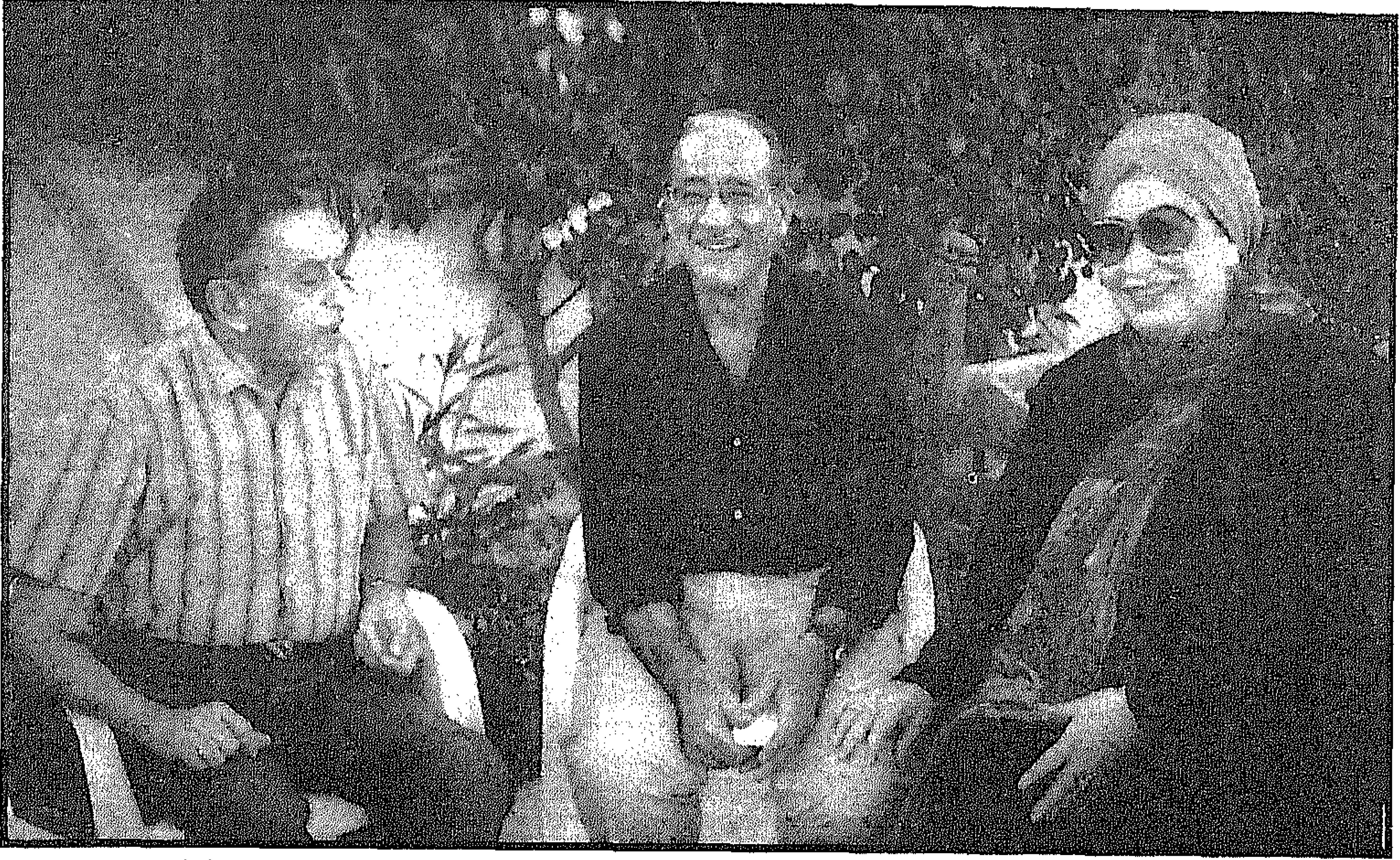
إيمان كريمة د. محمود جامع التي كنت أسميها "أم أم" وقت طفولتها، وتحمل معها في حنان قطتها المفضلة في بلكونة بيتهم بطنطا.



فى مارس ١٩٥١.. الدكتور علي السمان يجمع التبرعات لصالح جمعية تحسين الصحة؛ مع صديقه الدكتور منذر عبتاوي الفلسطيني وأستاذ القانون الدولي فيما بعد.



مدام بركات إحدى نجوم العمل التطوعي والاجتماعي بالإسكندرية وهى تشكر الذين ساهموا فى جمع التبرعات، ومن بينهم الدكتور علي السمان.



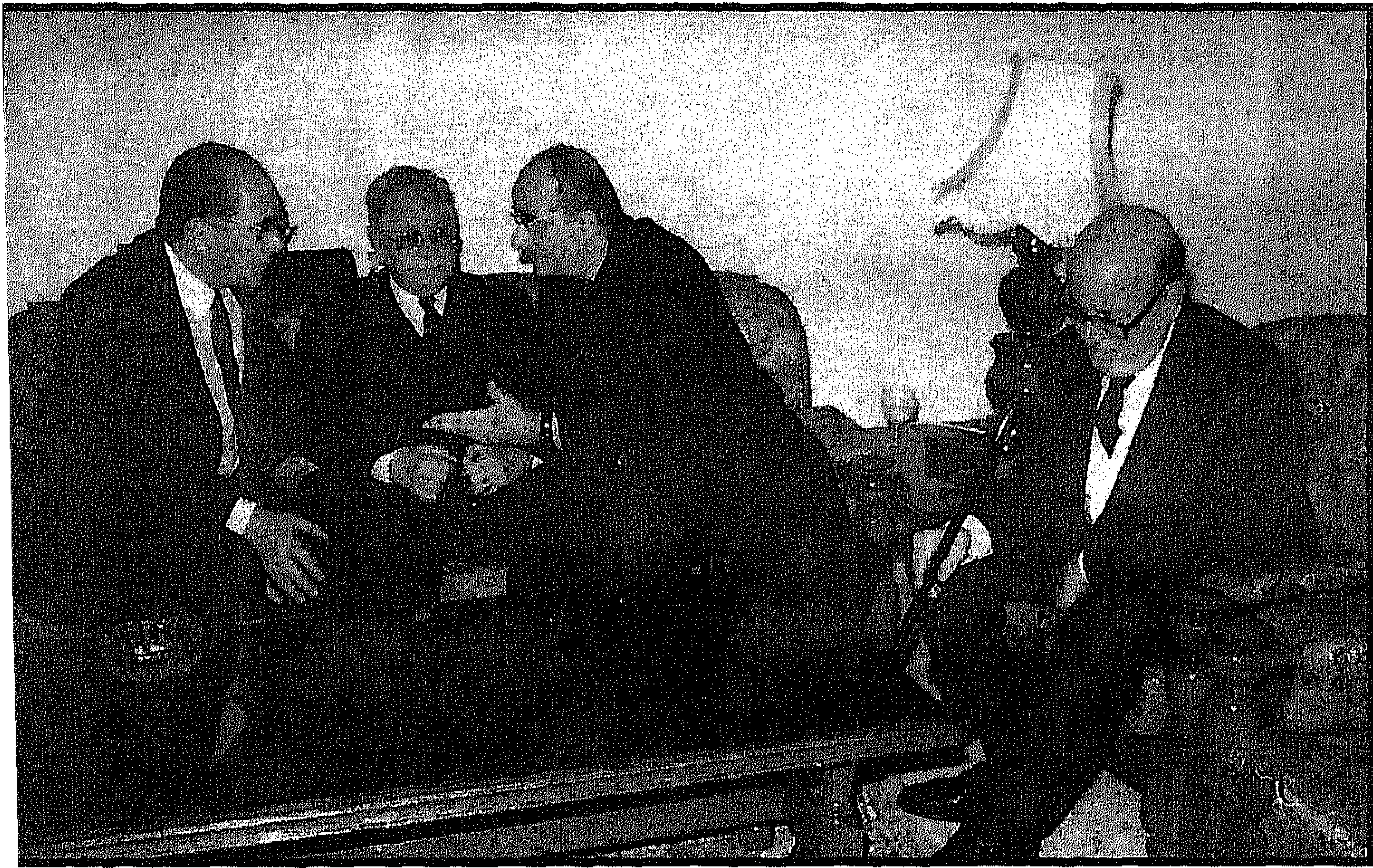
العالم المتواضع، الذى لم تعطه مصر حقه. الدكتور خليل مسيحة، رائد العلاج بالمغناطسية، ومعنا حرم اللواء سامي الخطيب، فى بيتي الريفي.



الدكتور خليل مسيحة مع "ماري لور" الفرنسية التي تتلمذت على يديه فى العلاج بالمغناطسية، وتمارسه الآن بجدارة فى استراليا.



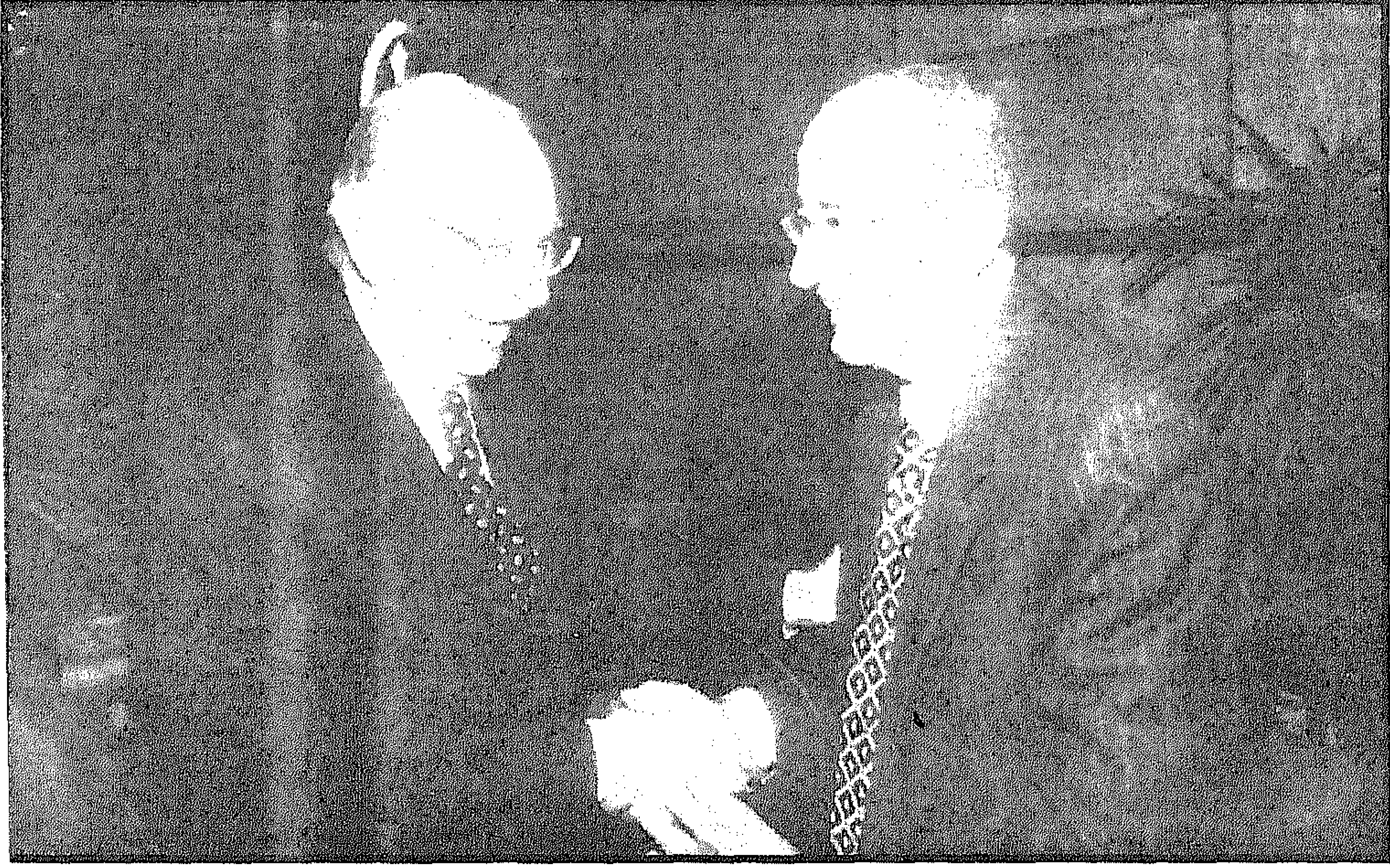
علي السمان مع الرئيس السادات، والسفير حسن كامل رئيس الديوان،
فى قصر الضيافة الفرنسي "مارينيه".



د. صوفي أبو طالب رئيس الجمهورية السابق بالنيابة وأحد عمود المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ود
حمدي زقزوق رئيس المجلس ووزير الأوقاف، بجانب أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
د. عبد الصبور مرزوق الذي أحبه باعتدال وأختلف معه كثيرًا.



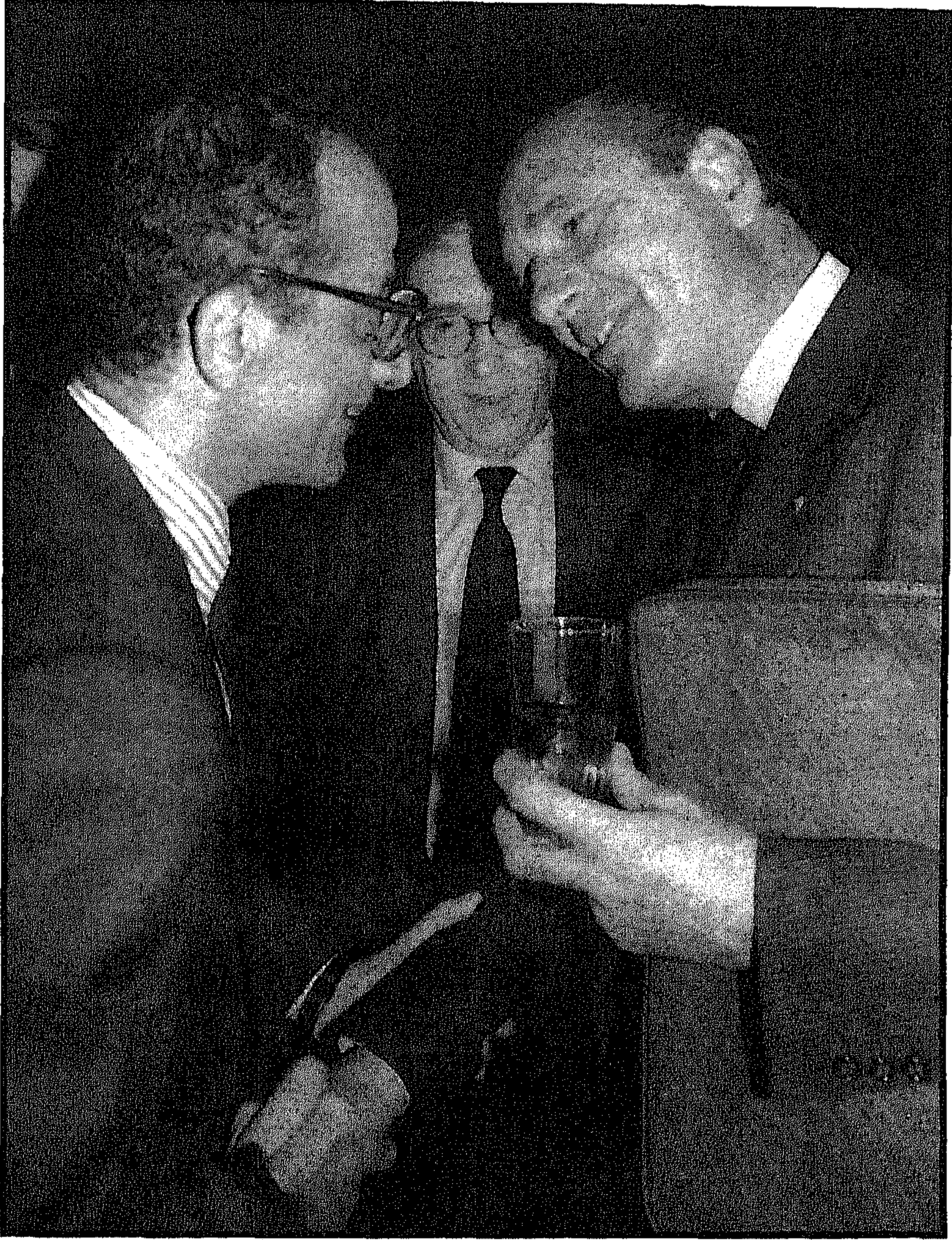
الرئيس مبارك يحيي زميل عمري وكفاحي إبراهيم يونس الكاتب والصحفي، لحظة الإفراج عن معتقلي سبتمبر، وبينهما د. فؤاد محيي الدين رئيس الوزراء وقتها.



رئيس مجلس الشورى السابق د. مصطفى كمال حلمي، نموذج لأدب عال ورقة التعامل وحضارية مضمون.



د. علي السمان مشاركًا فى مؤتمر المؤسسات الإسلامية لحوار الأديان، مع الأمير الحسن بن طلال ود. عبد العزيز التويجري رئيس المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، والدكتور العبيدي مسئول رابطة العالم الإسلامي.



د. علي السمان مع الرئيس الفرنسي جاك شيراك، وبينهما المحامي الكبير والمفكر "تيوكلان" رئيس الاتحاد اليهودي السابق، والذي هاجم شارون على صفحات جريدة "لوموند" الفرنسية.



السيدة سوزان مبارك، مع السفيرة ناهد العشري، قنصل مصر العام المتفردة، بعد انتهاء مؤتمر مهد العالم العربي الذى أقيم فى باريس عام ٢٠٠٣، ورأسته السيدة حرم رئيس الجمهورية، وكان له دوى كبير فى أوساط المثقفين الفرنسيين والعرب.



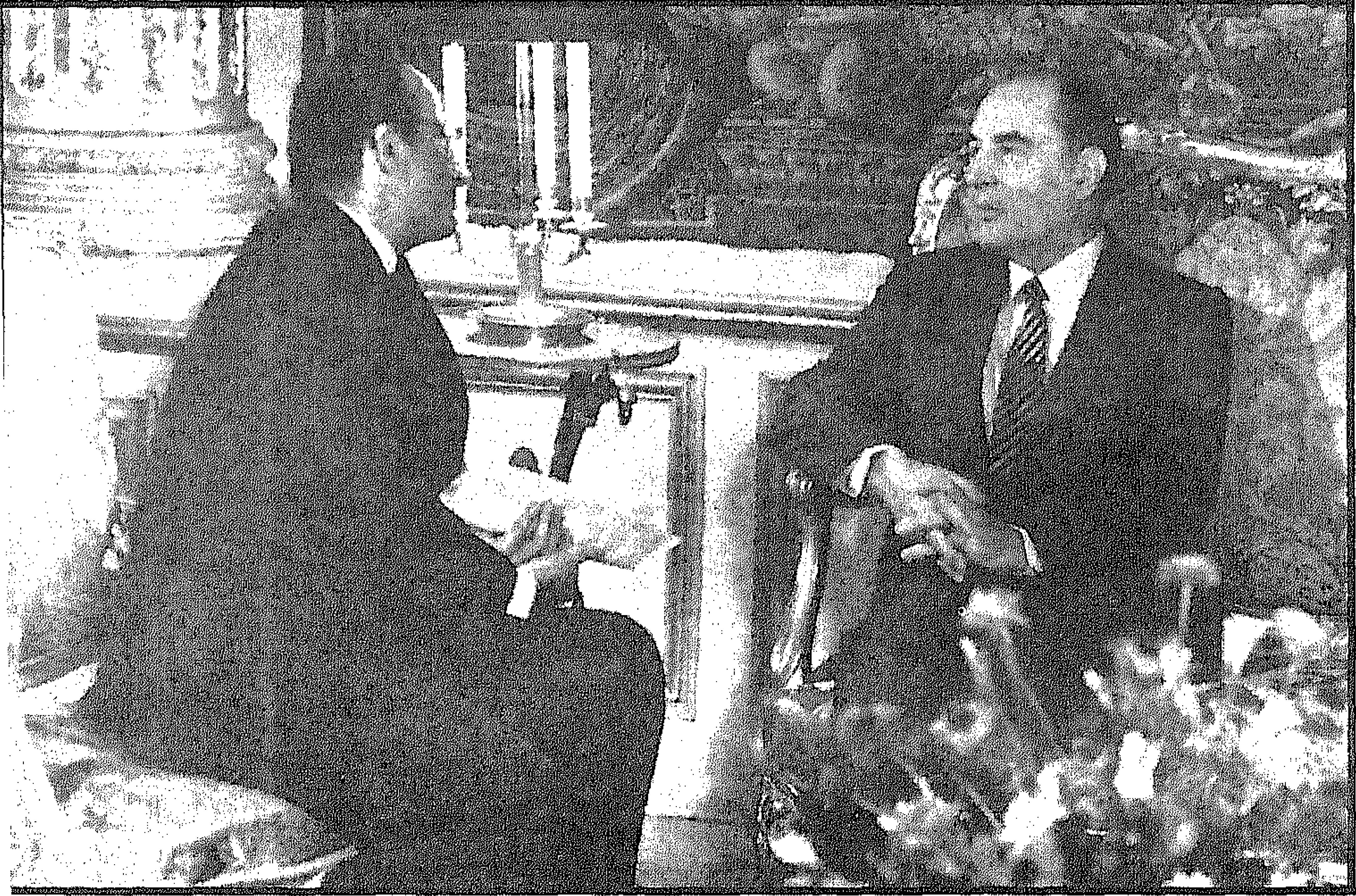
السيدة سوزان مبارك بالدور العلوي بمعهد العالم العربي، في مواجهة نهر السين وكنيسة النوتردام، وعلى يسارها د. ناصر الأنصاري، رئيس المعهد وقتها، والذي كان له عطاء فكري وتنفيذي، ثم السفير المصري في باريس سيف النصر، وعلى يميني ليلى حافظ إسماعيل، رئيسة مكتب الأهرام في باريس.



الرئيس الفرنسي جاك شيراك يرحب بالدكتور علي السمان، فى حفل أقيم لمنح وسام الفارس الأكبر للدكتور دليل أبو بكر، رئيس مسجد باريس.. وفى الحفل أبلغ شيراك، من خلال مستشاره الخاص، الدكتور السمان، بأن الرئيس يرحب بالتعاون بين مسجد باريس، وبين الأزهر باعتباره مؤسسة لتعليم إسلام السماحة والوسطية.



د. علي السمان مع الرئيس جاك شيراك يوم أن منح نيشانا كبيرا للسيدة "خديجة خالي"، وهي فرنسية من أصل جزائري.. وبجوارها حرم الرئيس شيراك.



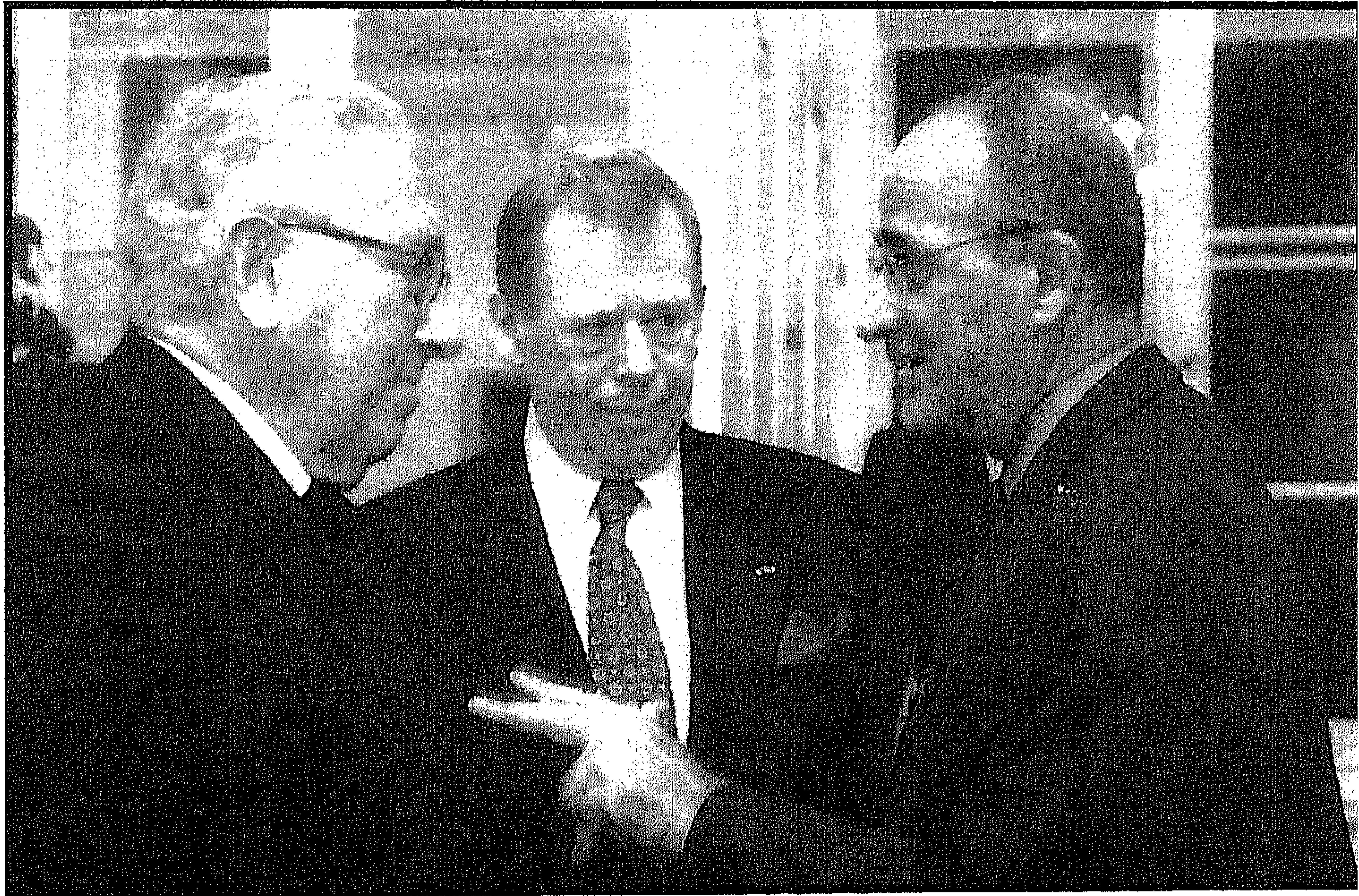
الرئيس ميتران يستقبل د. علي السمان بعد اغتيال الرئيس السادات، ليسأل عن الأسباب، وعن مستقبل مصر، ويؤجل تاريخ الحديث التليفزيوني معه لليوم التالي.



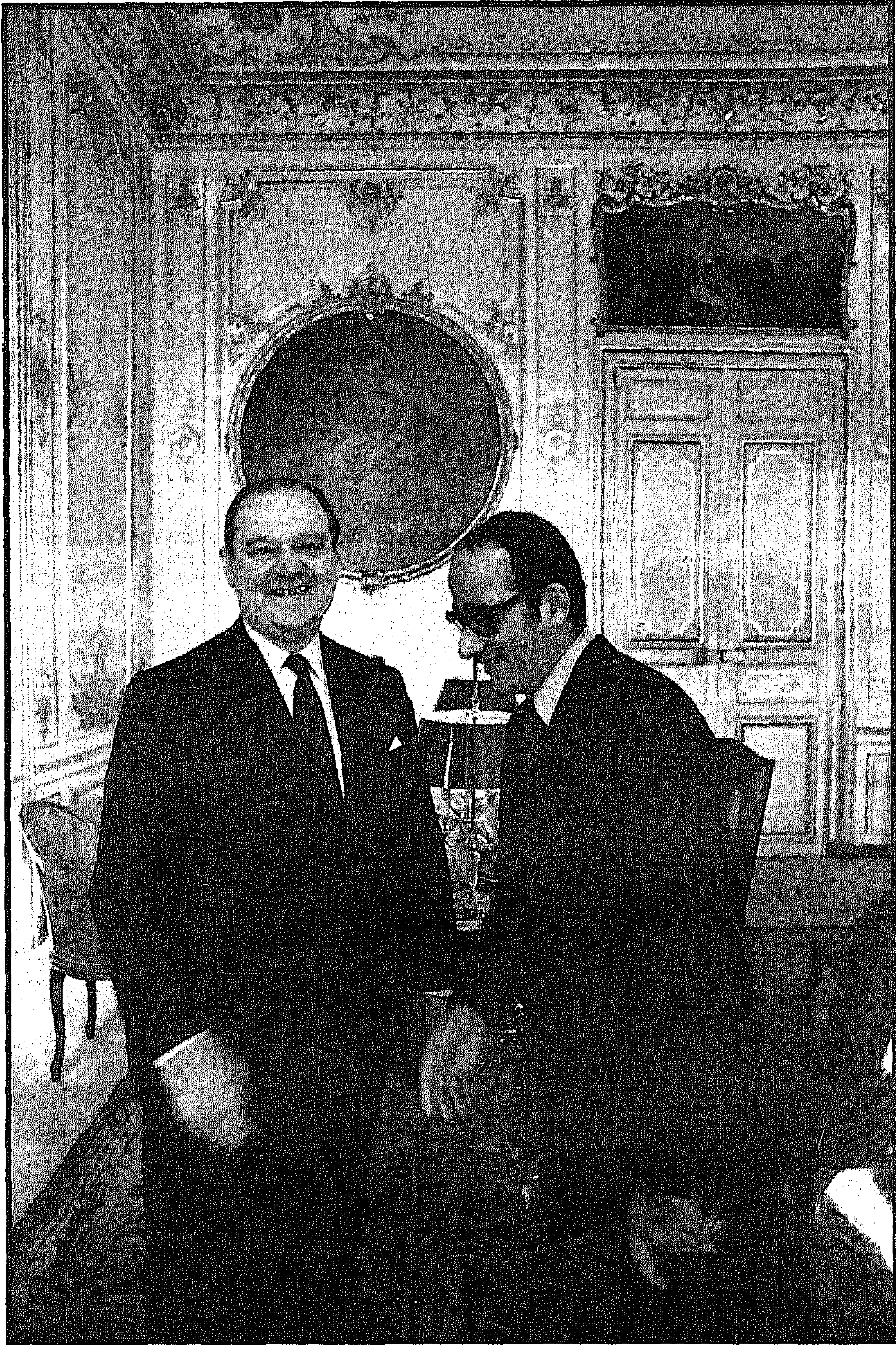
د. علي السمان ومستشار ألمانيا السابق "ويلى برونت" وأحد مؤسسي الاشتراكية الدولية مع مستشار النمسا كرايسكي.



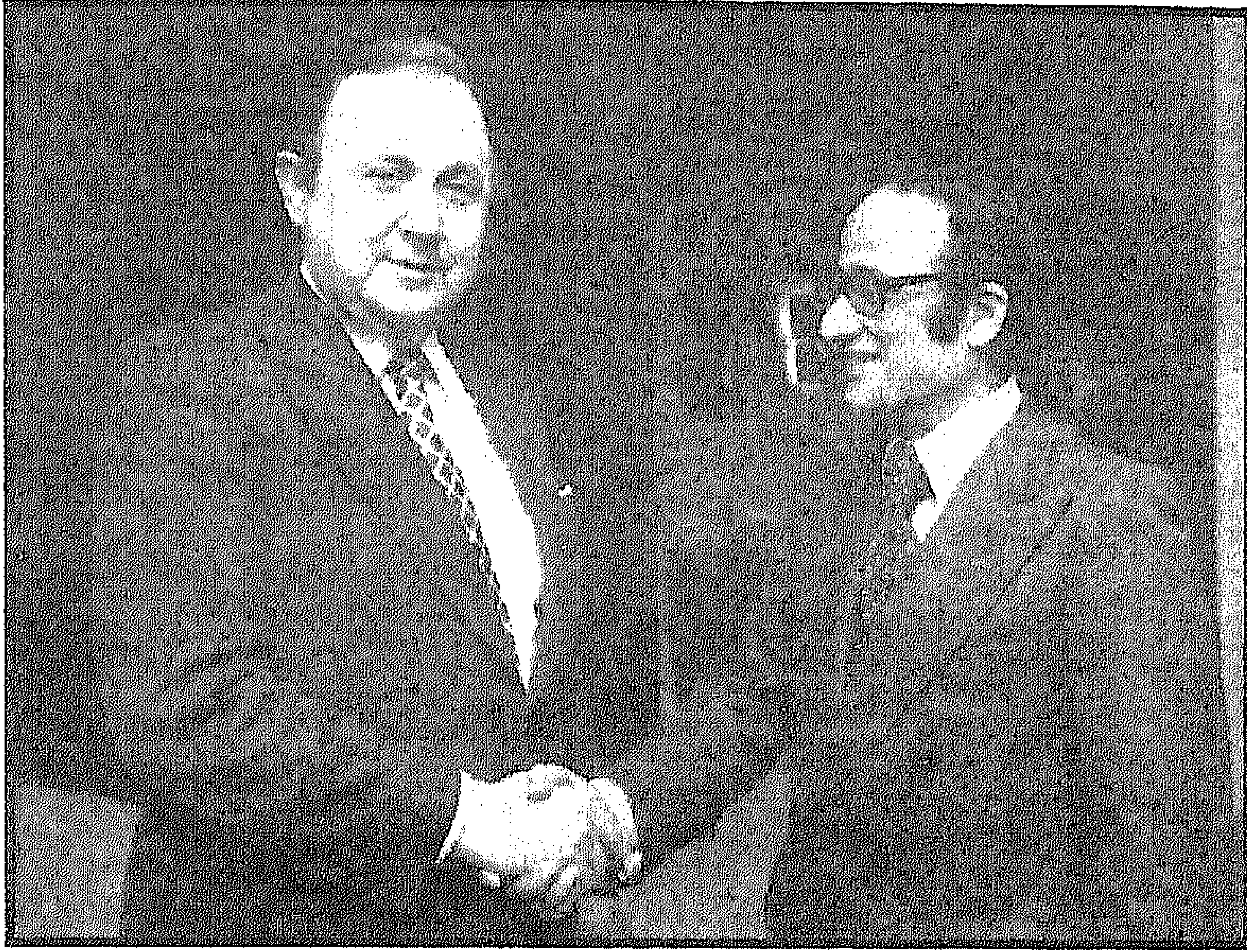
د. علي السمان مع الرئيس الأمريكي السابق فورد.. وفى الصورة محسن محمد، وموسى صبري، وعلي حمدي الجمال، ومحمد عبد الجواد رئيس وكالة أنباء الشرق الأوسط سابقًا.



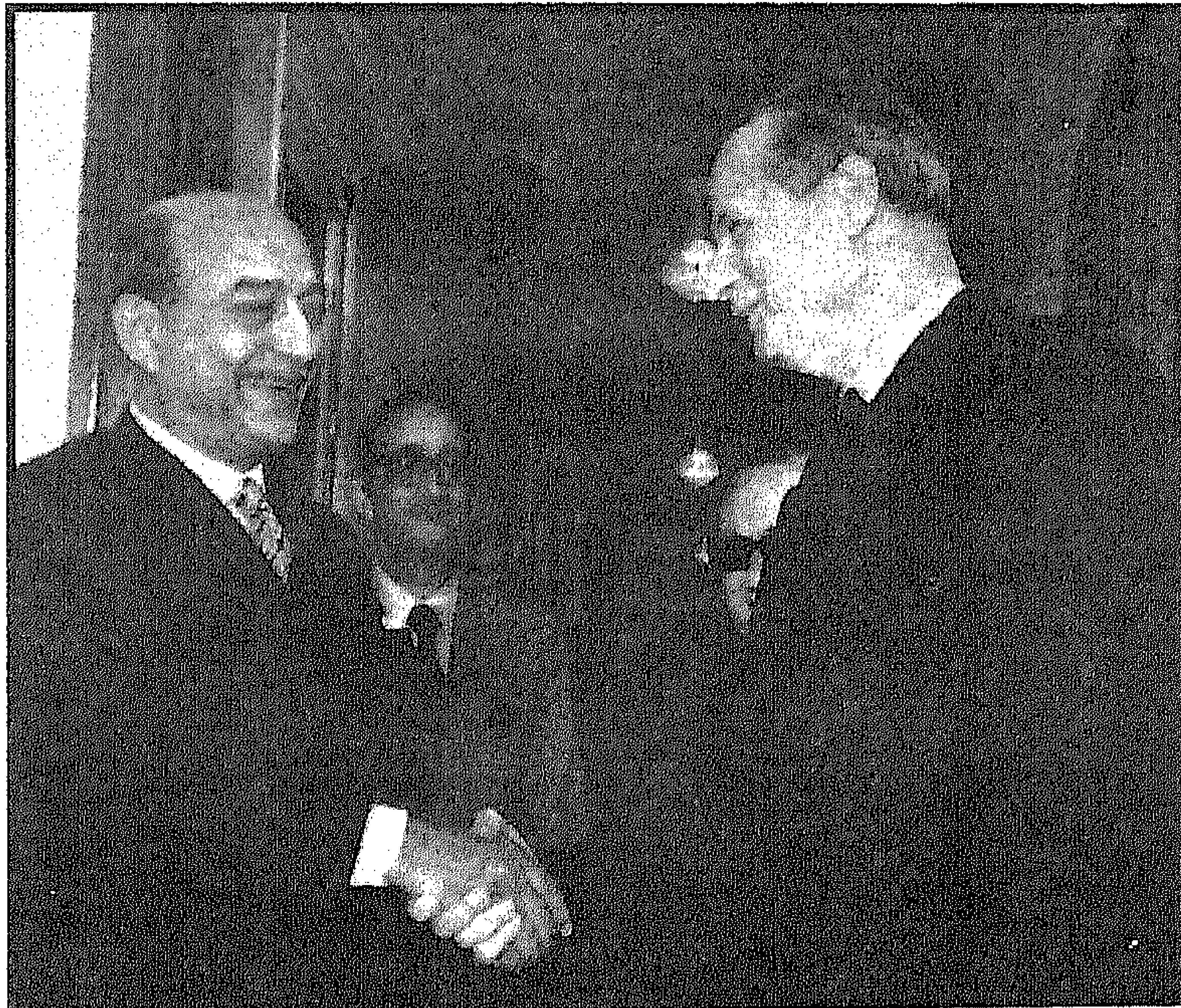
كيسنجر مع الرئيس التشيكي والدكتور علي السمان في مؤتمر براج عن أهمية الحوار السياسي والاقتصادي والديني سنة ٢٠٠٠.



مع ريمون بار رئيس وزراء فرنسا السابق وأستاذي فى الاقتصاد.



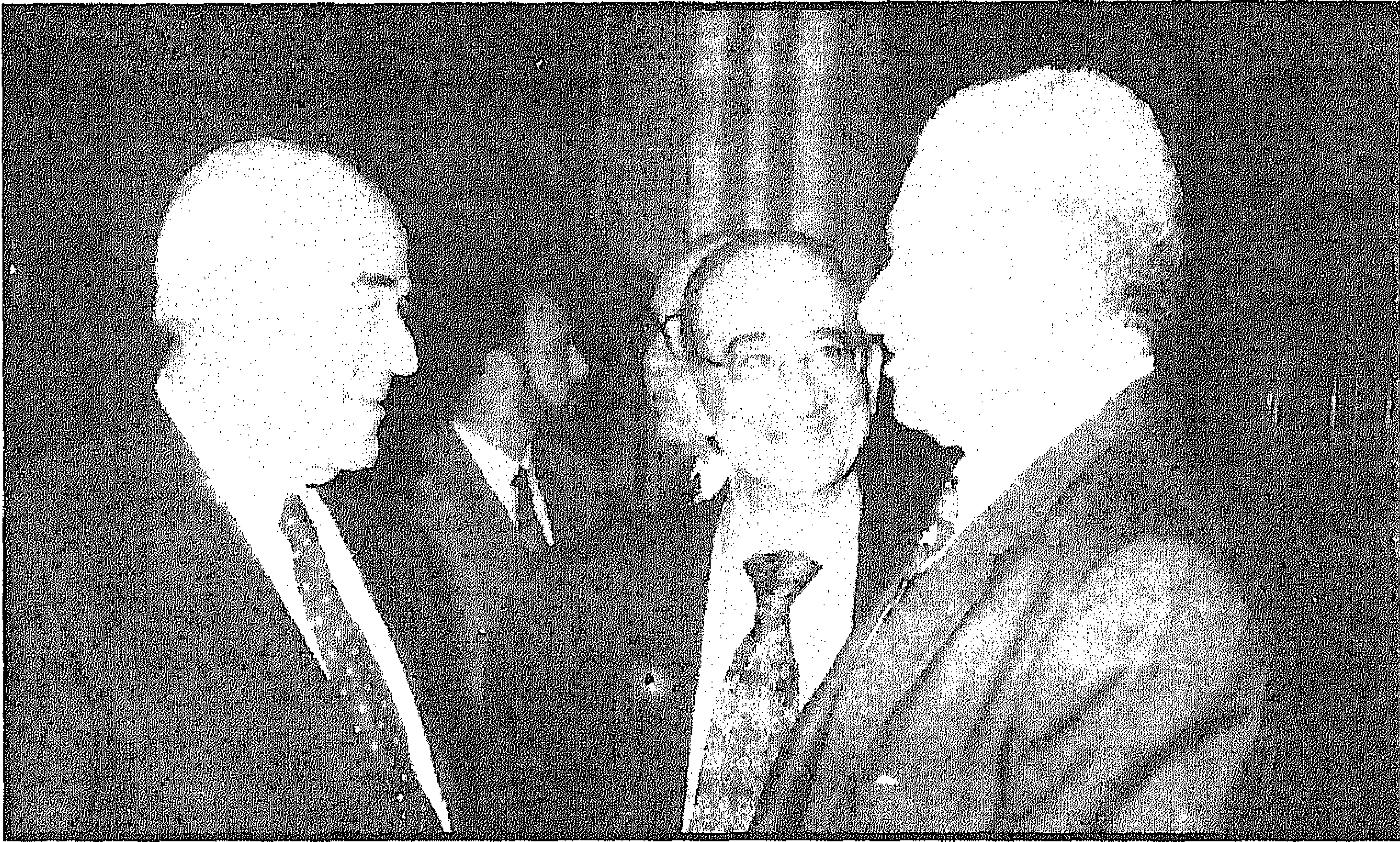
د. علي السمان مع جينشر وزير الخارجية الألماني ورئيس الحزب الليبرالي



محمود رياض أمين عام الجامعة العربية مع يارينبرج مبعوث الأمم المتحدة للشرق الأوسط فى مارس ٧١ بباريس، ومعهم د. علي السمان والسفير محمد رياض.



بين د. الجنزوري رئيس الوزراء والوزير السابق النشط طلعت حماد ،
لا أستطيع أن أطوي صفحة الماضي وأنسى من يتركون مواقع الحكم.



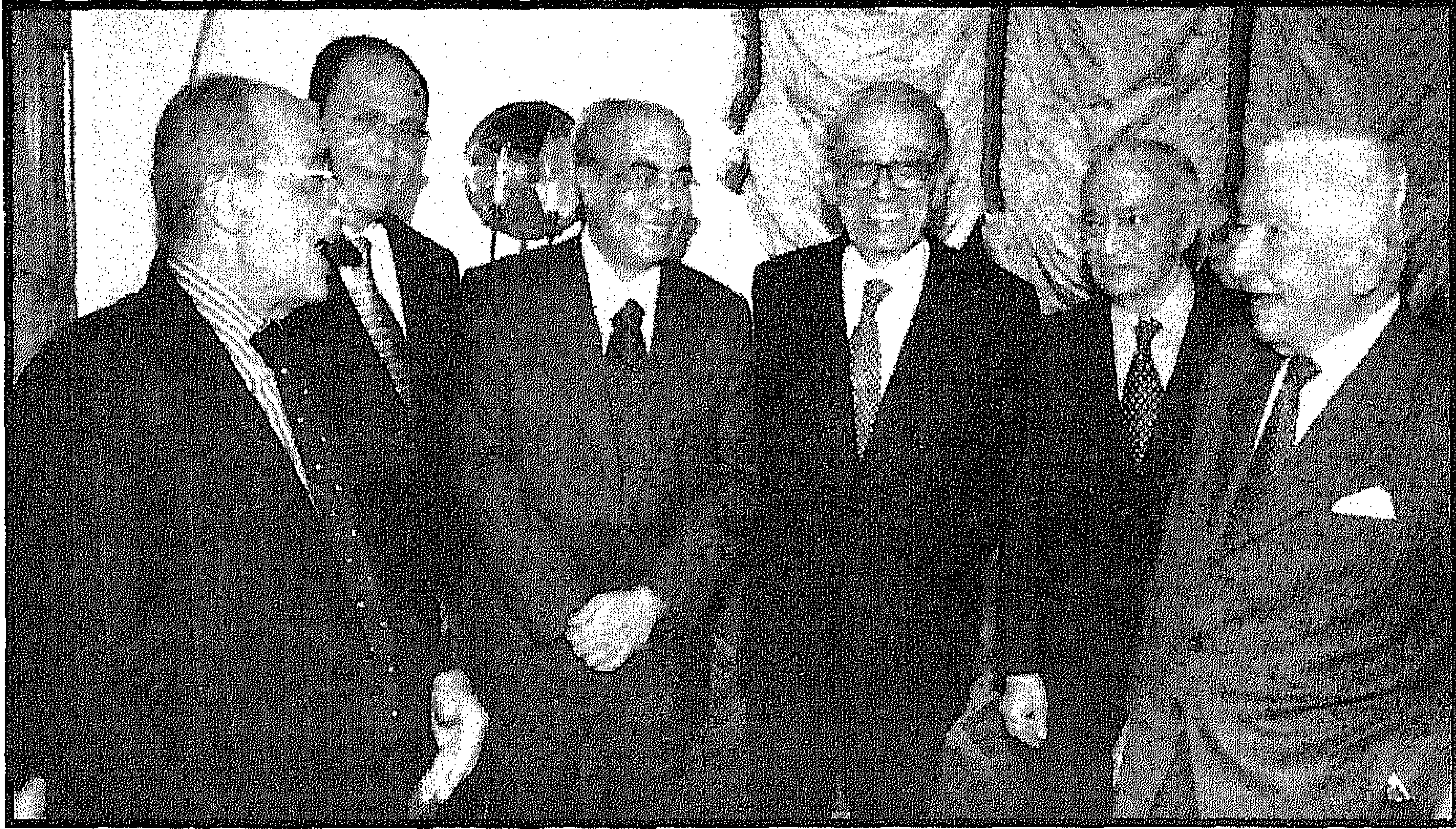
الكاتب الكبير سعد الدين وهبة الذي هاجم أمامي يوما أحد ضيوفه من عائلة المنشاوي "التي صُنفت إقطاع في الستينات"، فكر وشخص الرئيس عبد الناصر، وجاء الرد يجلجل بصوت ملأ مسرح بيته بمقولة مازلت أتذكرها: "حيطان بيتي لا تسمح بأي هجوم على عبد الناصر... " ونظرت وبجانبي سميحة أيوب، وتابعنا الصيحة وردود فعلها على المدعويين في بيتها كأننا مشاهدين حاضرين في مسرحية شكسبيرية. وبالمناسبة، أقول إن أعجابي بأستاذة المسرح سميحة أيوب هو بغير حدود "هذا نوع من التطرف مسموح به".



فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى مع رئيس وزراء أسبانيا أزنار ومعهم المهندس سامح فهمي وزير البترول والشيخ فوزي الزفزاف.



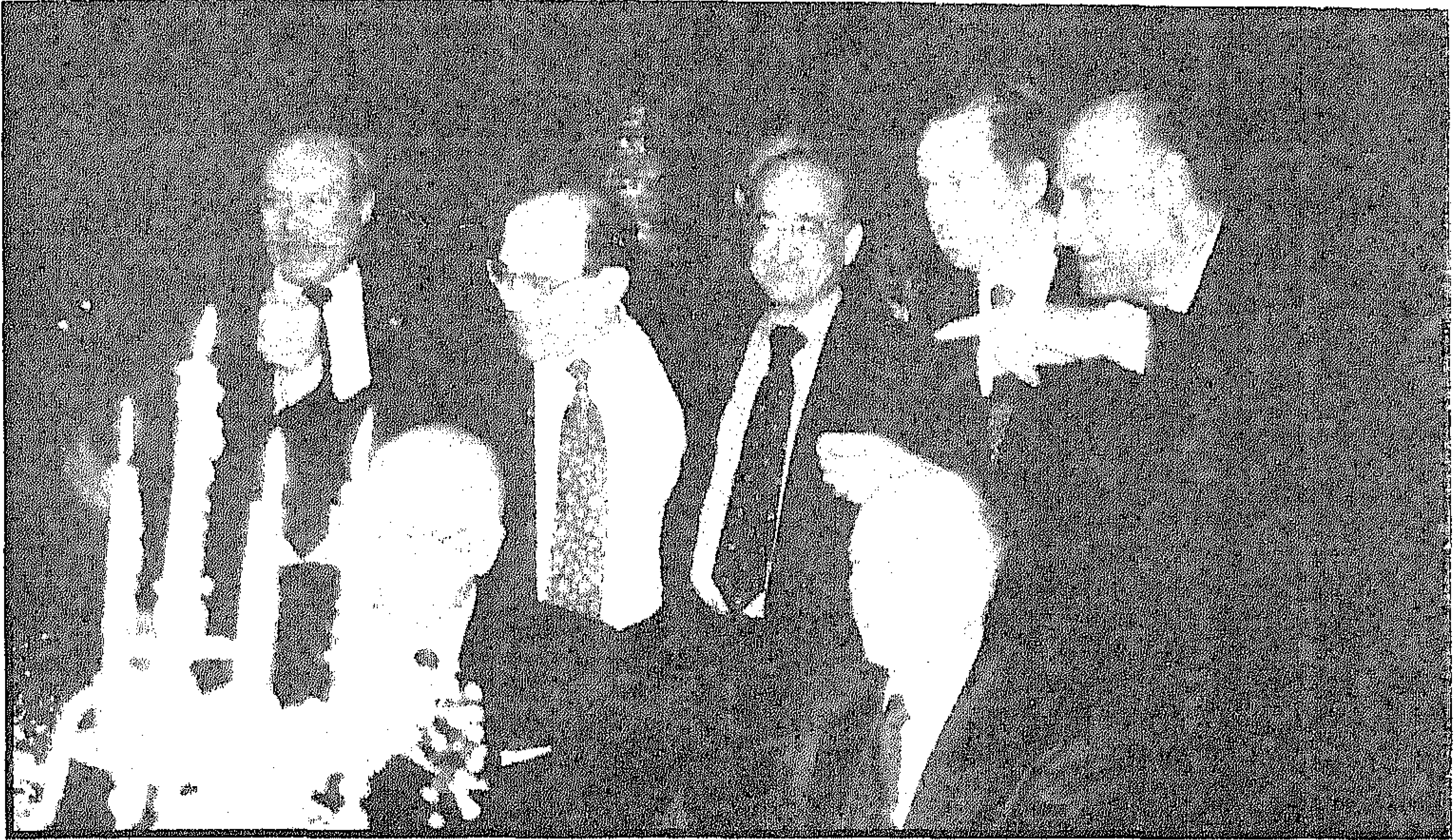
الإمام الأكبر د. سيد طنطاوي مع وزير الداخلية الفرنسي – وقتها – ساركوزي، وعلى يمينه الدكتور علي السمان، أثناء أزمة الحجاب الشهيرة.



صورة نادرة جمعت خمسة عقول متفردة ومتميزة د. عزيز صدقي ود. مصطفى خليل و د. بطرس غالي و المستشار الكبير الراحل فتحي نجيب والوزير محمود أبو زيد صاحب القدرة الإبداعية التي فجرها على أرض "توشكى" لتعود بالخير على شعبنا.



هيلاري كلينتون تقترب من الدكتور علي السمان لتبلغه تهنئتها للأزهر على مساهمته فى مؤتمر لحوار الأديان فى براغ.



فى صحبة جمعت الدكتور عصمت عبد المجيد، والعالم المؤمن الدكتور إبراهيم بدران، والدكتور مصطفى الفقي، والفريق علاء بركات، واللواء عبد الحليم موسى.. وطارق حجي الذي لا أعرف أرقام ثروته، ولكني أعرف حجم كتبه وكتاباته.



لقاء محبة فى بيتي، وعلى يميني السفير سمير صفوت، سفير مصر السابق فى باريس، والممثل الشخصي لرئيس الجمهورية فى مؤسسات الفرانكوفونية، وبجانبه رفيق عمري اللواء سامي الخطيب، وعلى يساري الأخ والصديق نور فرغل، أعطاه الله الصحة وطول العمر.. ثم اللواء شمس عبد الباري، والصديق و رجل الأعمال وجاري المحاسب سامح صبور.



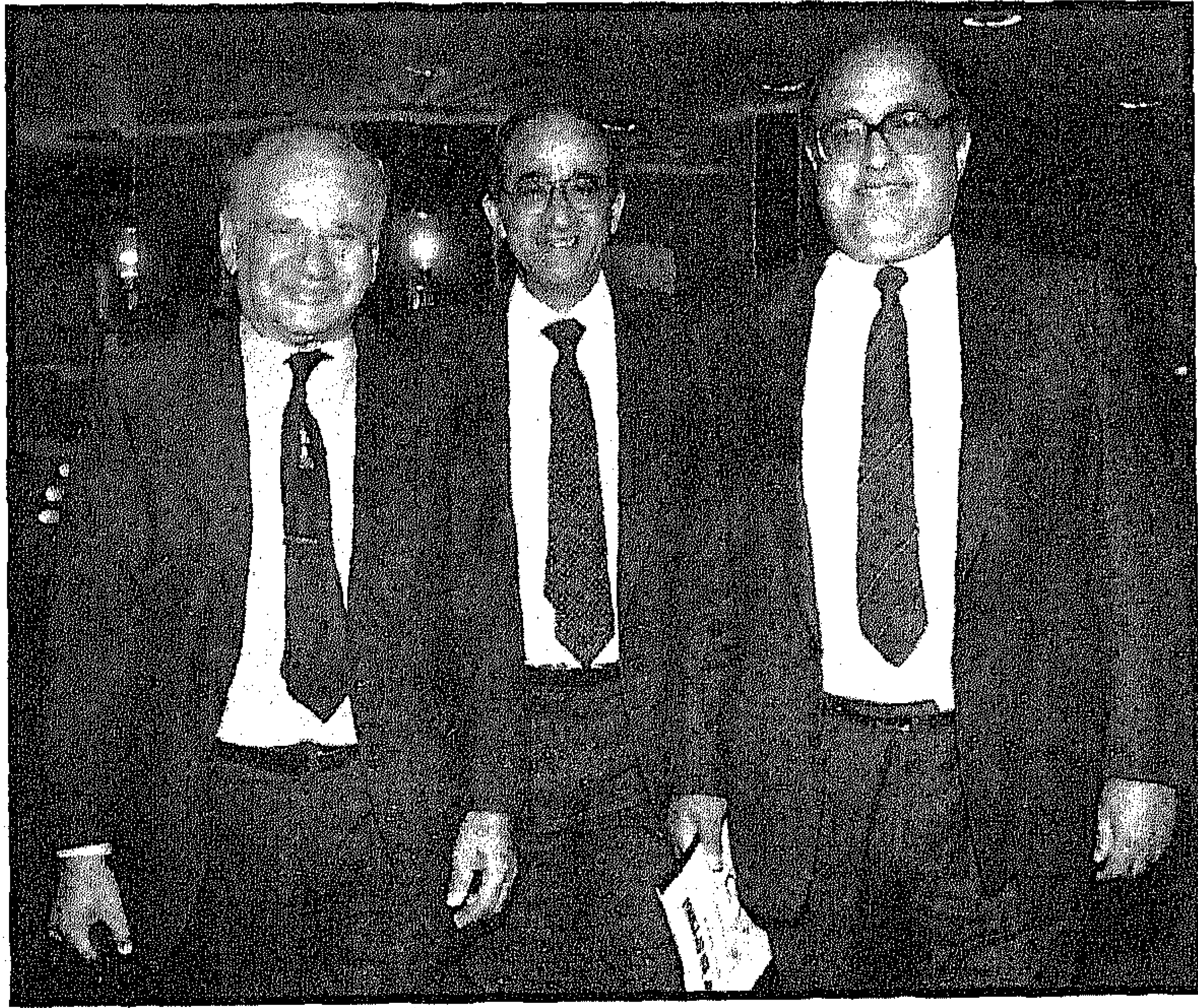
لقاء مودة بمناسبة حفل إفطار البابا شنودة مع الوزيرة فايزة أبو النجا ، صاحبة الفكر الجرىء، والتى عرفتها وقت أن كانت "كيسنجر" ، وأمين عام الأمم المتحدة السابق الدكتور بطرس غالي.



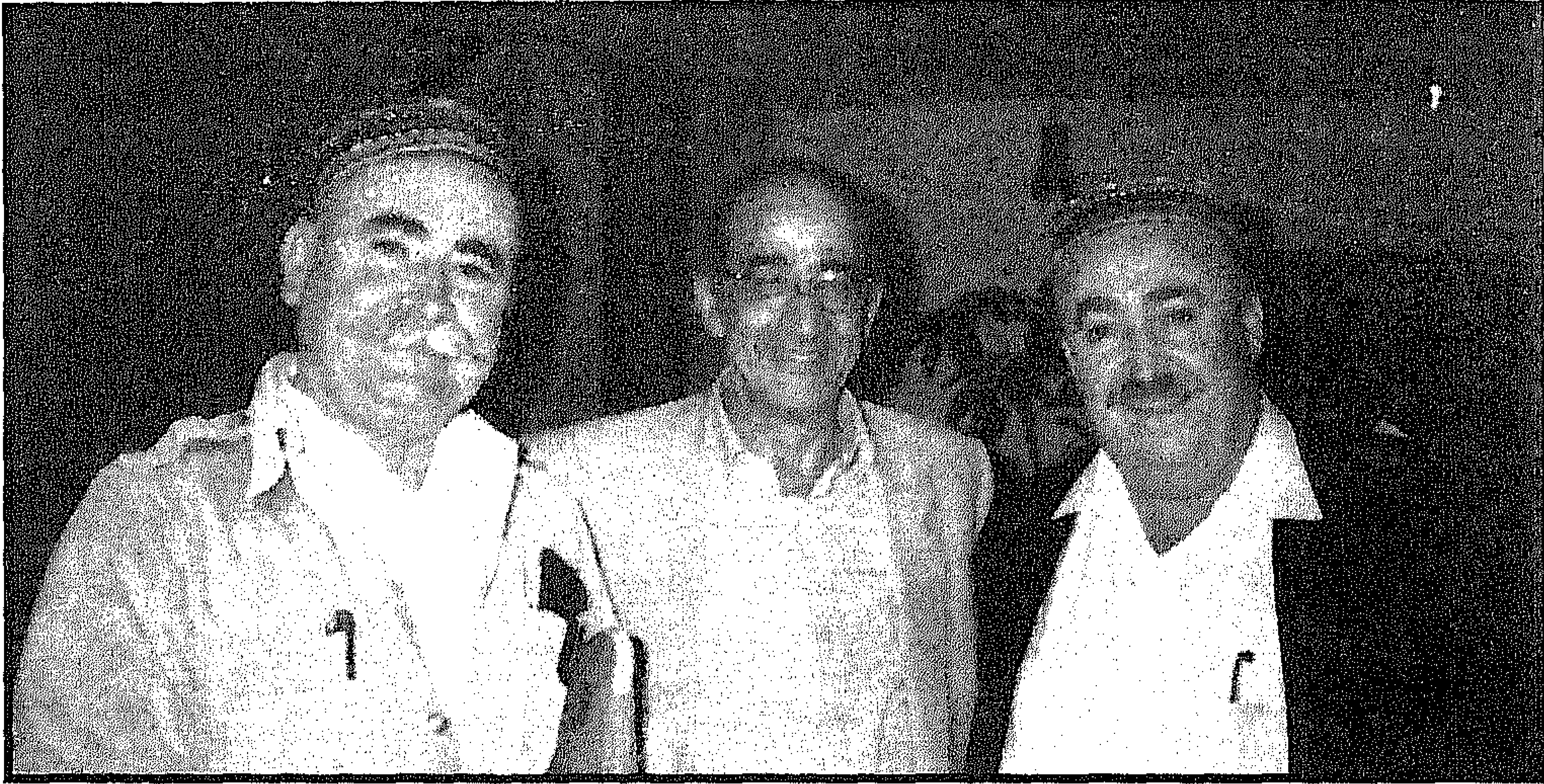
دكتورة نادية مكرم عبيد التى تركت بصمات لا تنسى فى وزارة البيئة ، معها كانت نقطة تحول فى نظرة الدولة لهذا الموضوع وتجاوب الرأى العام معها.



الدكتور علي السمان مع عدد من رجال الأعمال فى زيارته الوحيدة لإسرائيل عام ١٩٩٤.



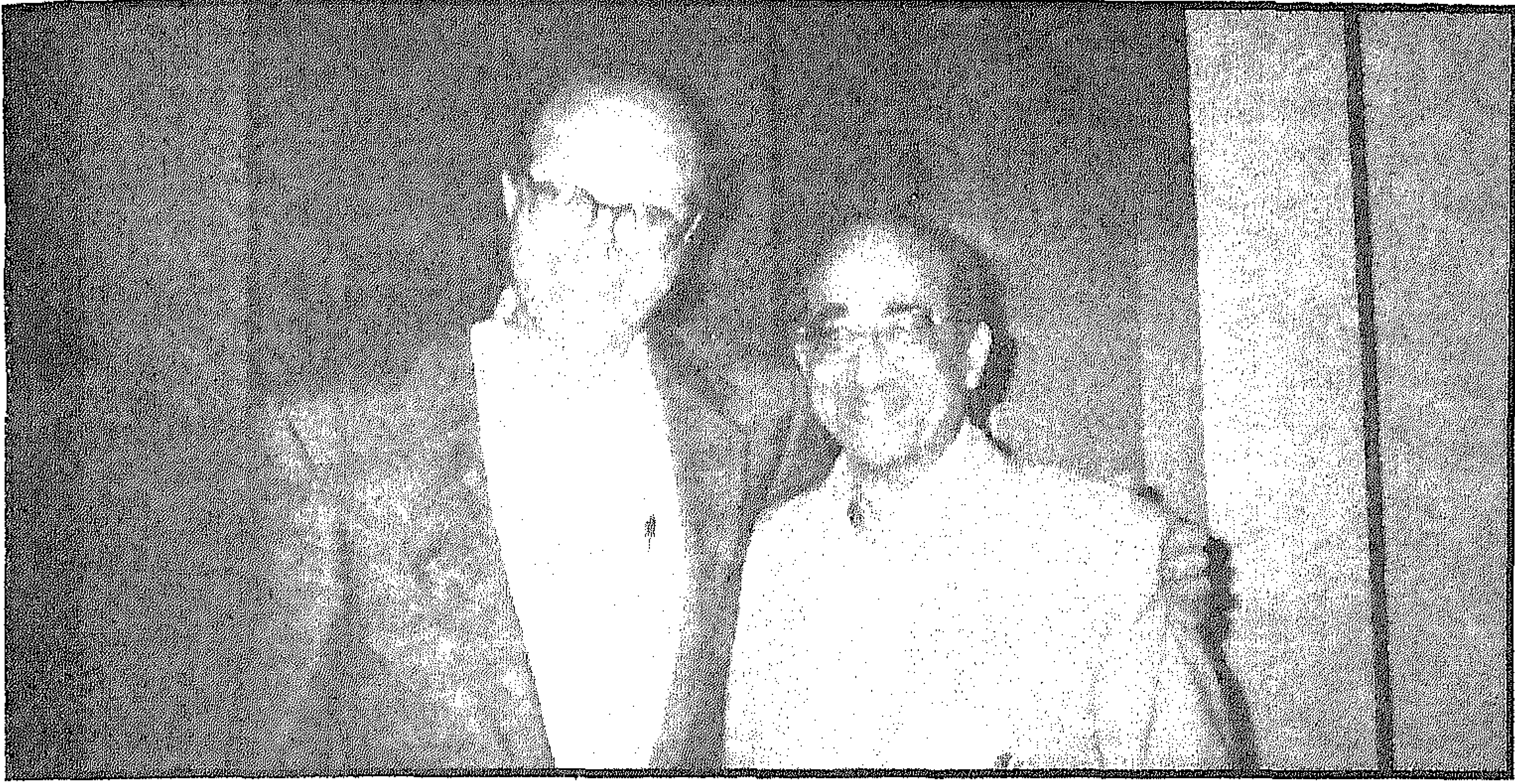
فى السبعينات.. د. علي السمان ونبيل شعث وأحد قيادات حزب العمل الإسرائيلي في لقاء بفيينا تحت رعاية مستشار النمسا كرايسكي.



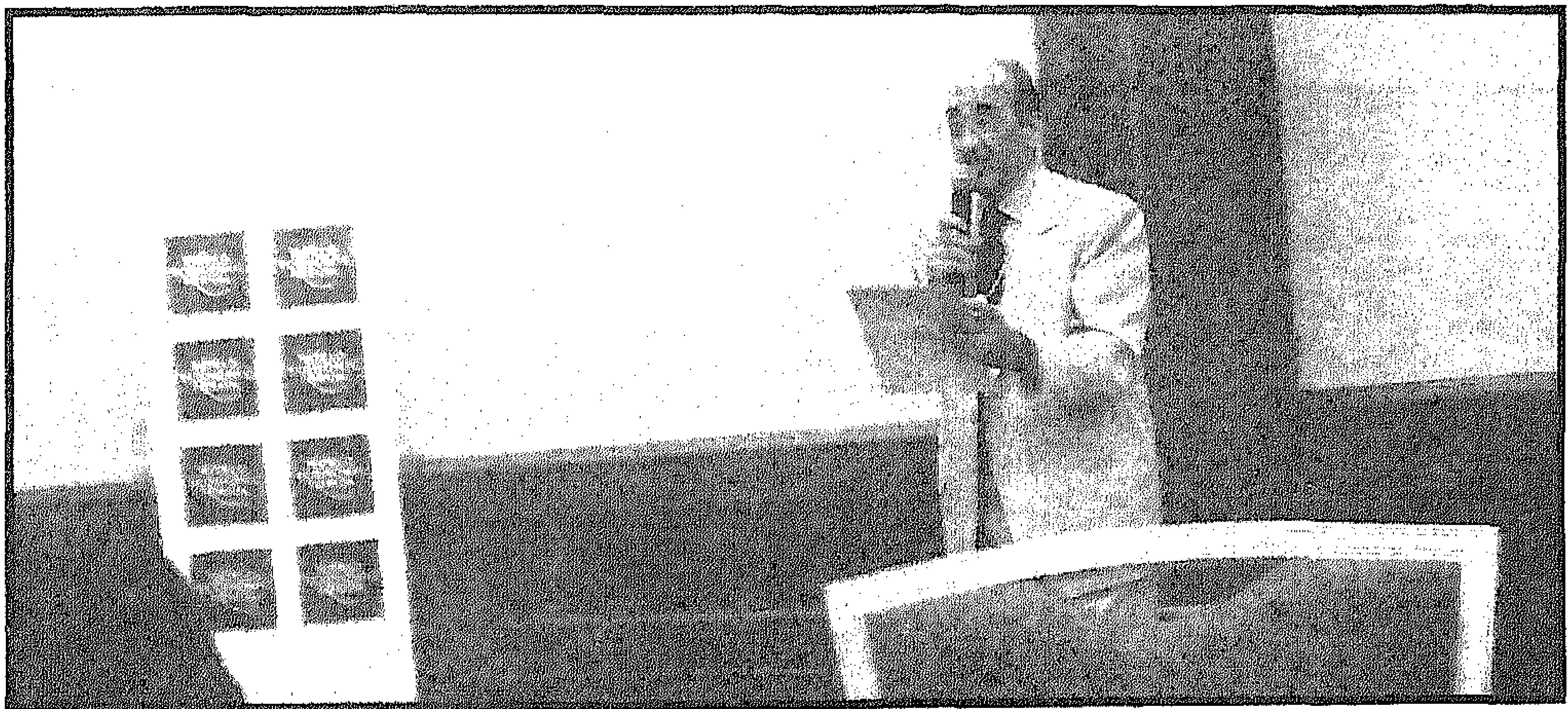
مع اثنين من دروز إسرائيل أثناء تواجدي بالبحر الميت الذي نظمه شيمون بيريز.



د. علي السمان أمام حائط المبكى عند زيارته للقدس الشريف.



د. علي السمان مع رئيس جامعة بئر سبُع، د. أفاشاي برازرمان، الذي أنشأ جامعة بئر سبع في صحراء النقب، لتهتم بالزراعة والري ودراسة مجتمع الصحراء، وهو مستقل الفكر والأسلوب



أثناء الاقتراح الذي قدمه الدكتور علي السمان في اجتماع المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس الذي أقيم في عمان في مايو ٢٠٠٥، حول برنامج تعليمي وثقافي عن أبعاد الحوار وما تم تحقيقه على الساحة العالمية سيشارك فيه مؤسسات تعليمية دولية، وله مرجعية فكرية تعتمد على مذكرة التفاهم في لجنة المائة في عام ٢٠٠٤، والمبادئ التي اتفق عليها منذ ٤ سنوات في مؤتمر قصر بكينجهام برئاسة الأمير فيليب زوج الملكة إليزابيث.

واقترح الدكتورعلي السمان أوراق العمل التي قدمتها اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان إلى الفاتيكان عن رفض التعميم في الأحكام، والتي تم تبنيها من طرف اللجنة المشتركة وأصبحت جزءا من البرامج التعليمية بجامعة الفاتيكان، كما اقترح أن يكون من بين المؤسسات التعليمية والثقافية التي تساهم في إعداد هذا البرنامج، مكتبة الإسكندرية التي يتولاها د. إسماعيل سراج الدين عضو لجنة المائة، والذي رأس إحدى لجانها في ٢٠٠٥.



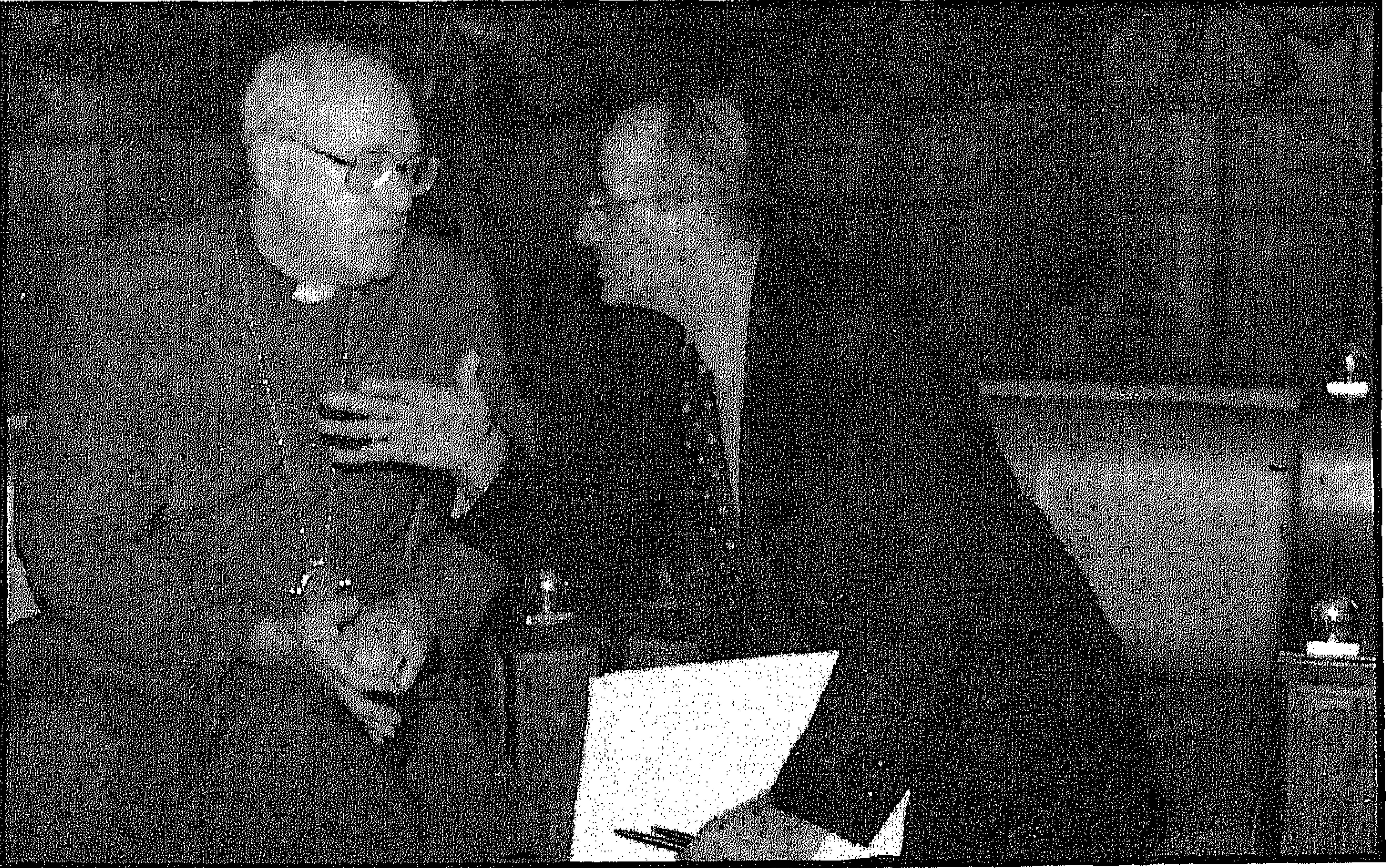
حديث باسم بين الدكتور علي السمان، والإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف.



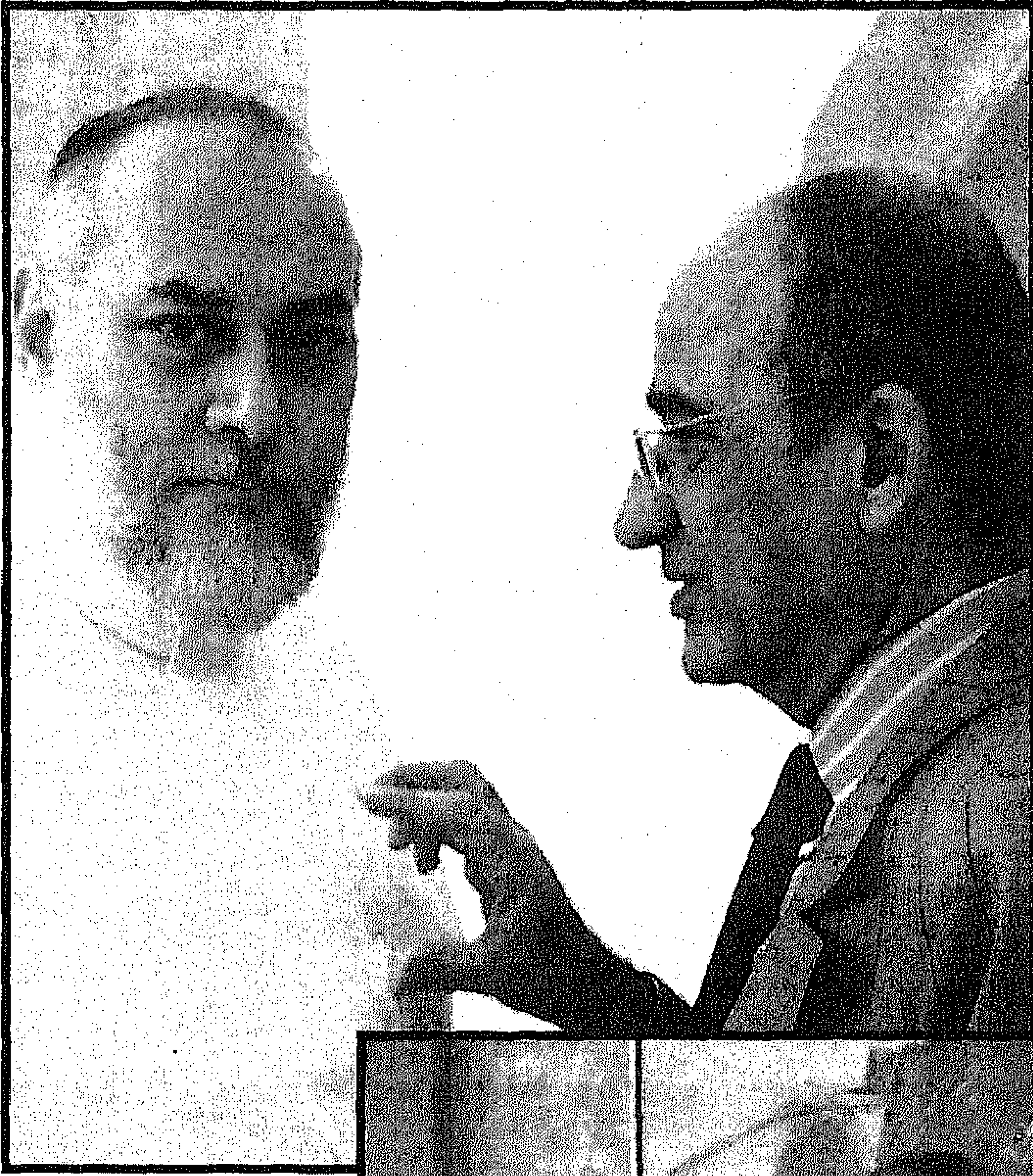
د. علي السمان يتبادل الأفكار حول مستقبل الحوار مع فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق.



بعد لقاء على مائـدة غداء مع بابا الفاتيكان، وعقب إلقـائي رسالة الإمام الأكبر أمام ٢٠٠٠ مدعـو، وممثلي ٣٥ ديانة وطائفة، ذهبت أصافح البابا وأقول له: أخيرًا أجد الفرصة لأقول لك إني سعيد، وأنا أراك تجمع ممثلي الأديان من حولك، من أجل السلام الذي لا ينفصل عن العدل.



د. علي السمان مع رئيس أساقفة إنجلترا لورد كاري.



د. علـي الســمان مــع الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية، بعد عودته مـن زيـارة للنـدن، وهـي زيـارة أثـرت فـى صـانعي القـرار بإنجلترا، وتركـت انطباعًـا جيـدًا عـن صـورة إسلام السماحة والإسلام المستنير.



د. علـي الـسمان مـع الدكتور زكى بدوي، مـدير الأكاديميـة الإسلامية فـى لنـدن، وهـو علـم مـن أعـلام الفكـر الإسـلامي في أوربـا، وموضـع احترام وتقـدير مـن الحكومة والبرلـمان البريطـاني، وحصل على لقب "سير".



صورة مؤتمر سوربون تجمع بين الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف والكاردينال فرانز كوينج والحاخام سيرات و د. علي السمان متشابكي الأيدي معًا ليقولوا في صوت واحد: "لن نفرق بين أبناء إبراهيم بعد اليوم".



في قصر الرئاسة الفرنسي الإليزيه، وعلى يساري د. أبو بكر عميد مسجد باريس عقب حصوله على نيشان الفارس الأكبر بمرتبة الشرف الأولى، وعلى يميني رئيس المؤسسة القومية للنياشين.



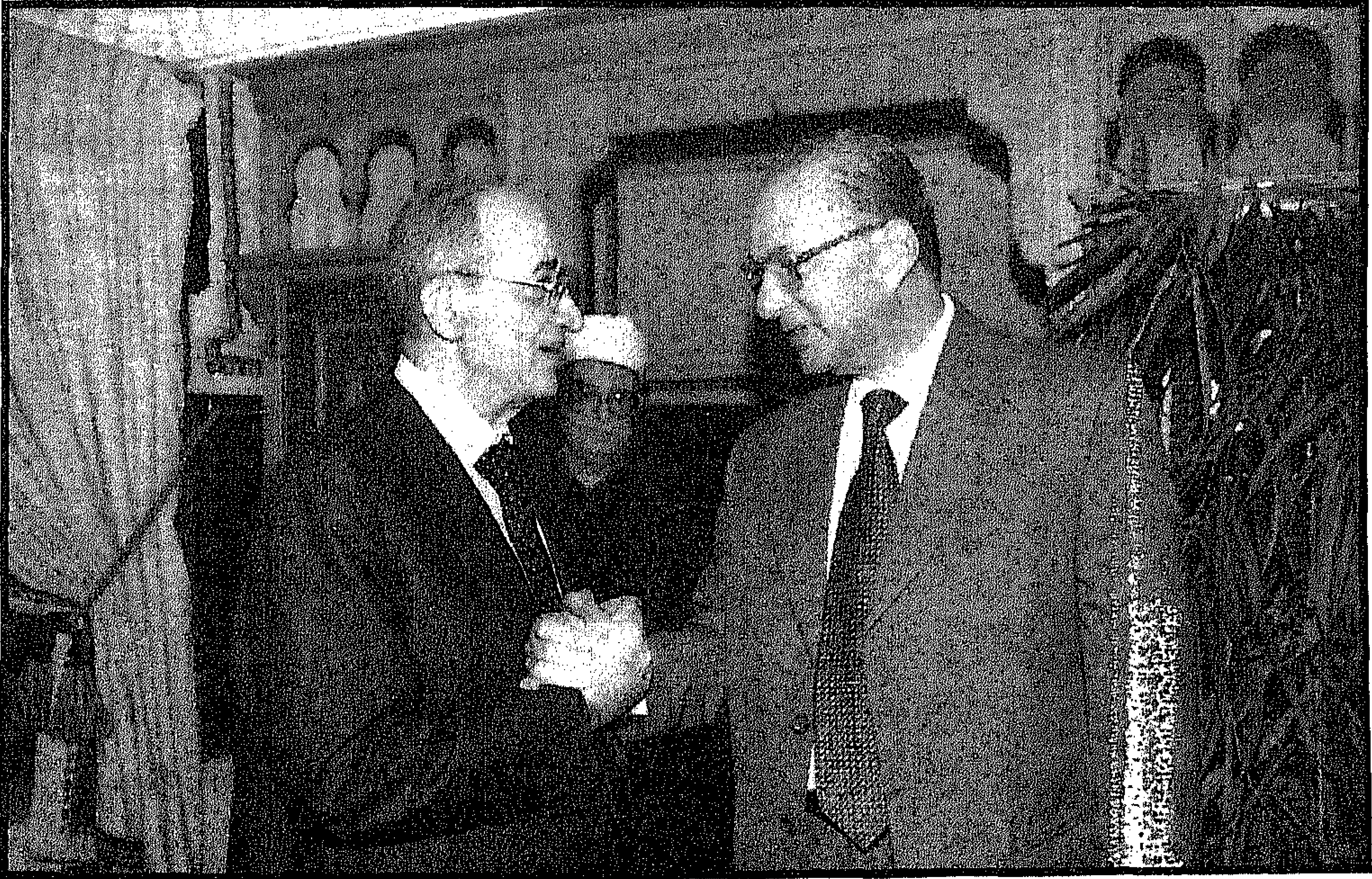
ذات يوم، شاع كلام في مصر عن وجود مؤامرة شيعية، وكان المتهم فيها أحد خطباء المساجد.. وقد حضر إلى مصر، يومها، الشيخ شمس الدين رئيس مجلس الشيعة الأعلى في لبنان الذي كان قد جاء محتجًا على فكرة قيام مؤامرة شيعية، والتقى بالإمام الأكبر الراحل جاد الحق علي جاد الحق الذي أشرت عليه أن تسوية الأمر يمكن أن تأتي عن طريق لقاء الشيخ شمس الدين بطلاب جامعة الأزهر.. وفي لقاء مصارحة قال الشيخ شمس للطلاب إن انحياز الشيعة لعلي بن أبي طالب، نوع من المبالغة في الحب، وفي المحبة له، وأن غاية الشيعة أن يشرحوا المذهب الشيعي ويوضحوه، وأننا جميعًا نعبد ربًا واحدًا، ونعترف بنبي واحد.. وقرآن واحد.



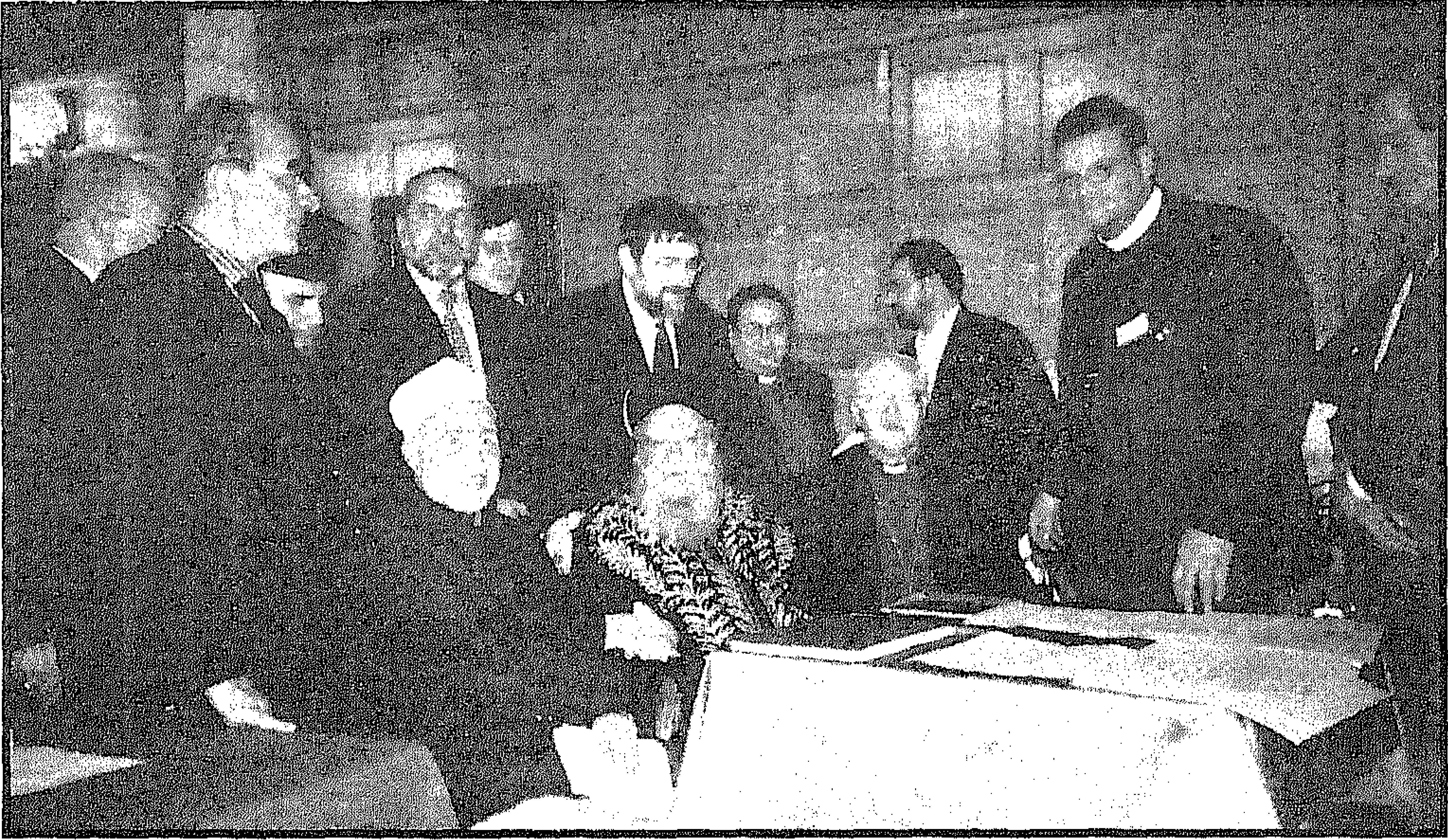
ابتسامات متبادلة بين الدكتور السمان، وبين آيات الله، في خيمة الخوميني بقرية "نوفل لوشاتوه" الفرنسية.. حيث كان يعيش الخميني لاجئًا سياسيًا.



فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مع د. صدّيقي أمين عام مسجد باريس وشخصية محورية داخل الجالية الإسلامية في فرنسا، مازال وسيظل الأزهر بالنسبة لمسلمي فرنسا هو المرجعية الأولى والأخيرة.



د. علي السمان مع الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في حديث حول حوار الأديان فى بيت الدكتور السمان، ومعهما الشيخ فوزي الزفزاف.



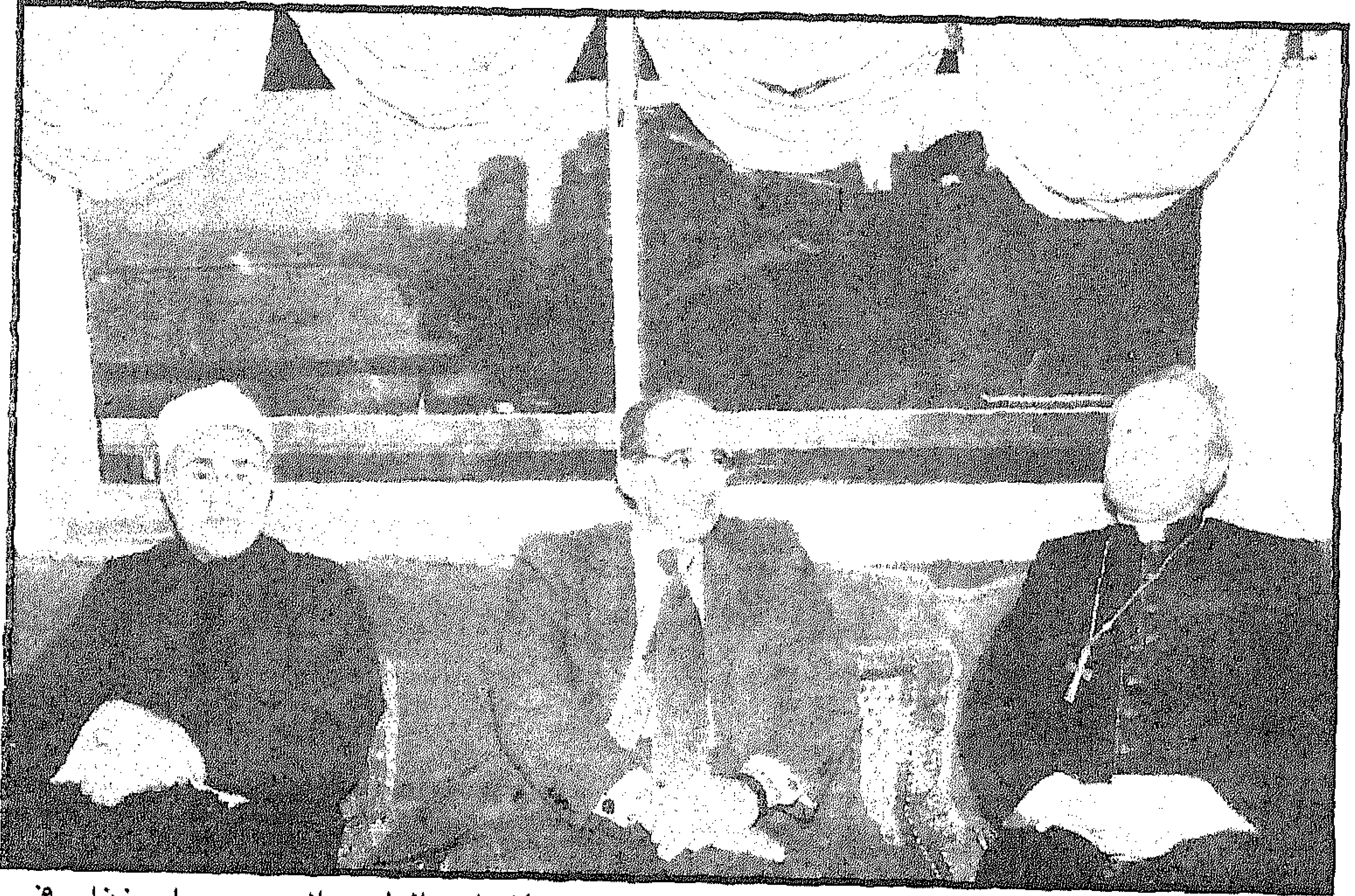
بعد بيان الإسكندرية عام ٢٠٠٣.. الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وبجانبه رئيس أساقفة كنيسة القدس أبو رياح أبو العسل، رئيس أساقفة الكنيسة الإنجليكانية فى القدس و"بكشي دورون" رئيس الحاخامات الشرقيين، ورئيس أساقفة كانتربرى السابق لورد كاري، وخلفهم الشيخ تل السدر مستشار الرئيس عرفات للشئون الدينية وقتها، والحاخام "ملخيور" مساعد وزير خارجية إسرائيل للشئون الدينية.



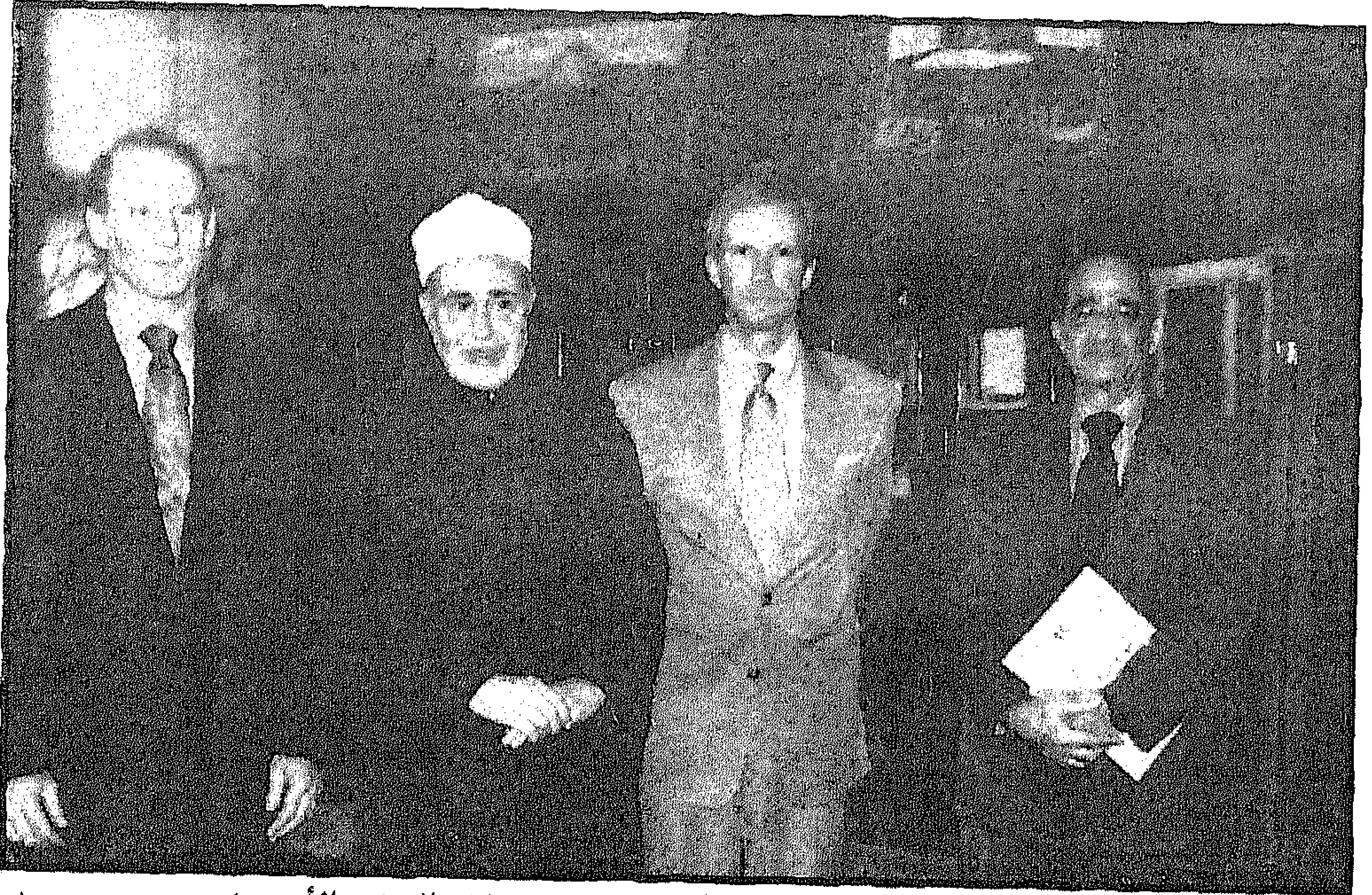
مؤتمر الإسكندرية لحوار الأديان بين اليهودية والمسيحية والإسلام، في حضور الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، ورئيس أساقفة كانتربري السابق لورد كاري، والشيخ الصباح واللواء عبد السلام المحجوب محافظ الإسكندرية.



حوار بالألمانية بين الدكتور حمدي زقزوق، وزير الأوقاف، ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وبين بابا الفاتيكان جان بول الثاني.



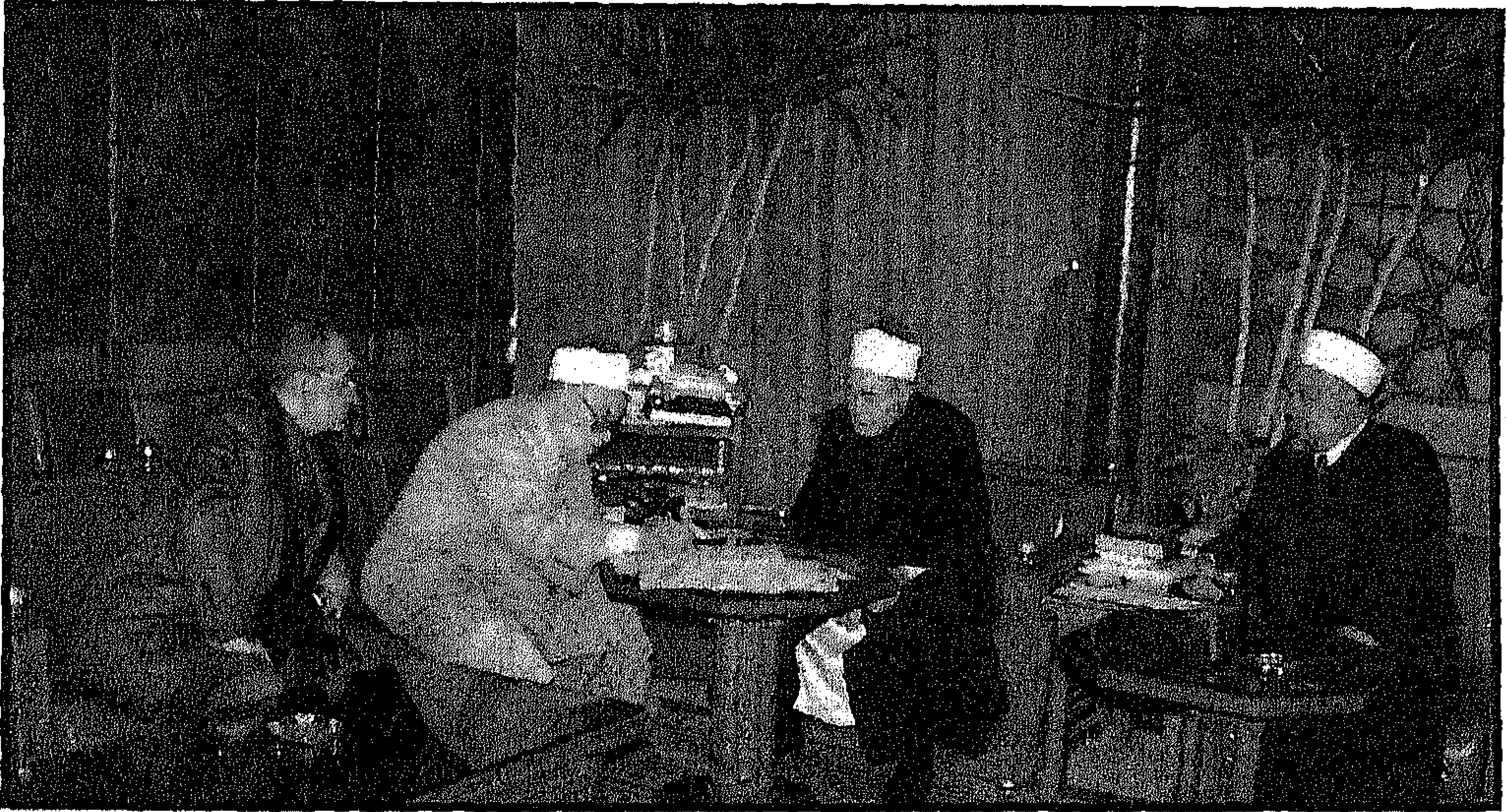
الأمام الأكبر الشيخ سيد طنطاوي مع فيتز جيرالد، رئيس المجلس البابوي الجديد، على غذاء في بيتي، على شرف وفد الفاتيكان.



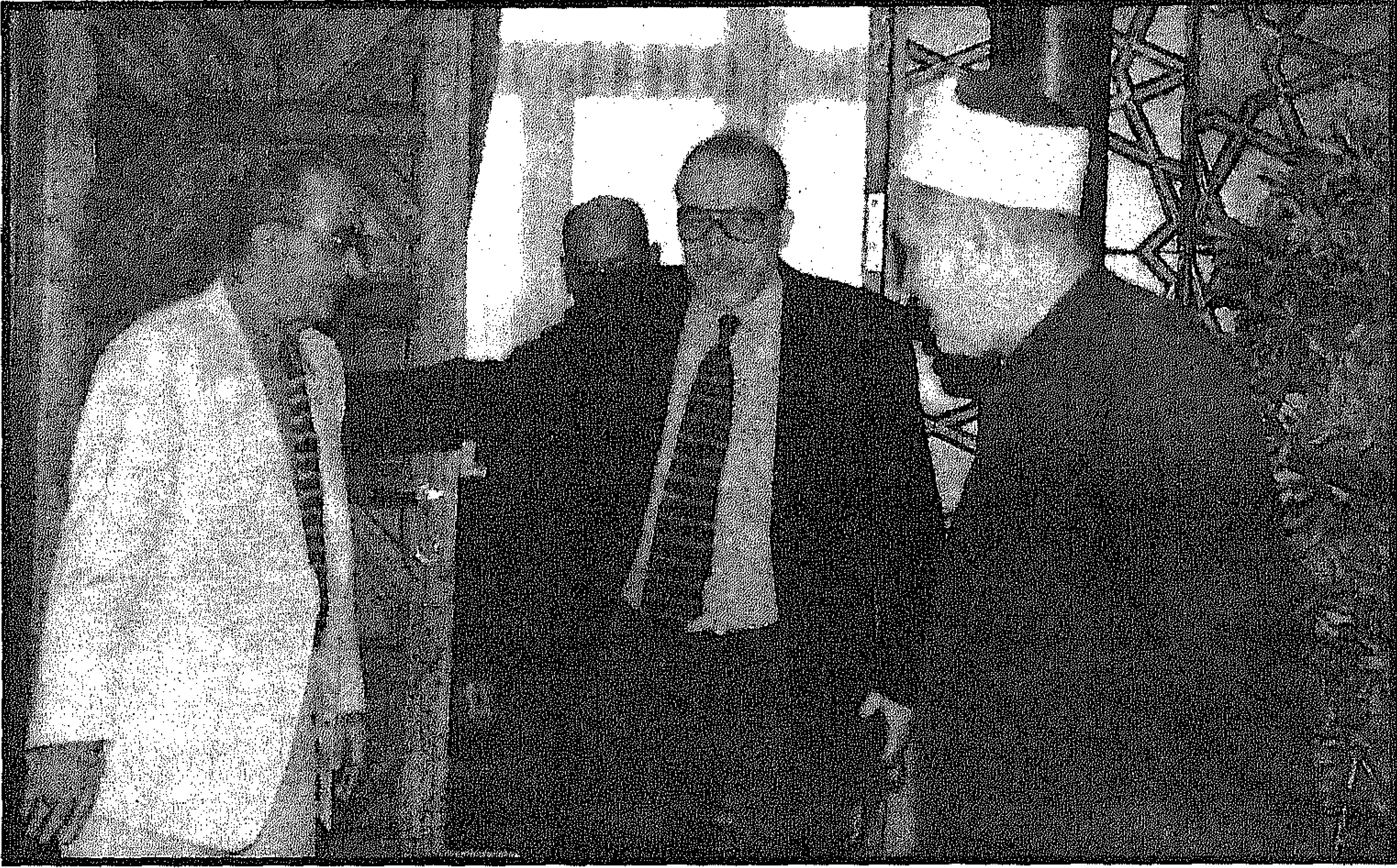
فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي مع ديفيد وولش السفير الأمريكي بمصر، ومعه مساعد وزير الخارجية الأمريكي.



فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوى مع رئيس وزراء النرويج.



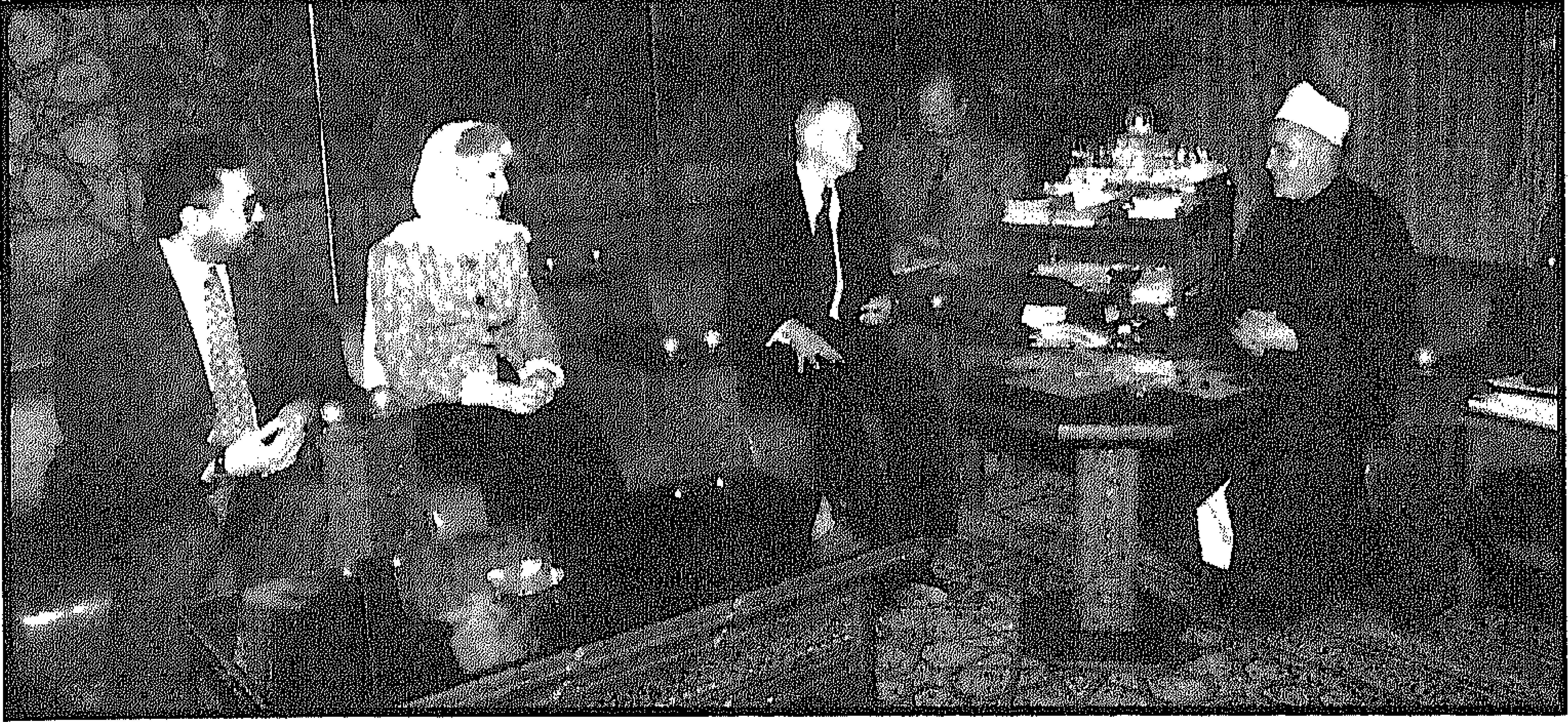
د. علي السمان مع الشيخ تيسير التميمي قاضي القضاة ورئيس لجنة حوار الأديان في فلسطين أثناء التوقيع على اتفاقية التعاون مع اللجنة الدائمة لحوار الأديان بالأزهر الشريف، في حضور الإمام الأكبر شيخ الأزهر، د. سيد طنطاوي، وشيخ فوزي الزفزاف.



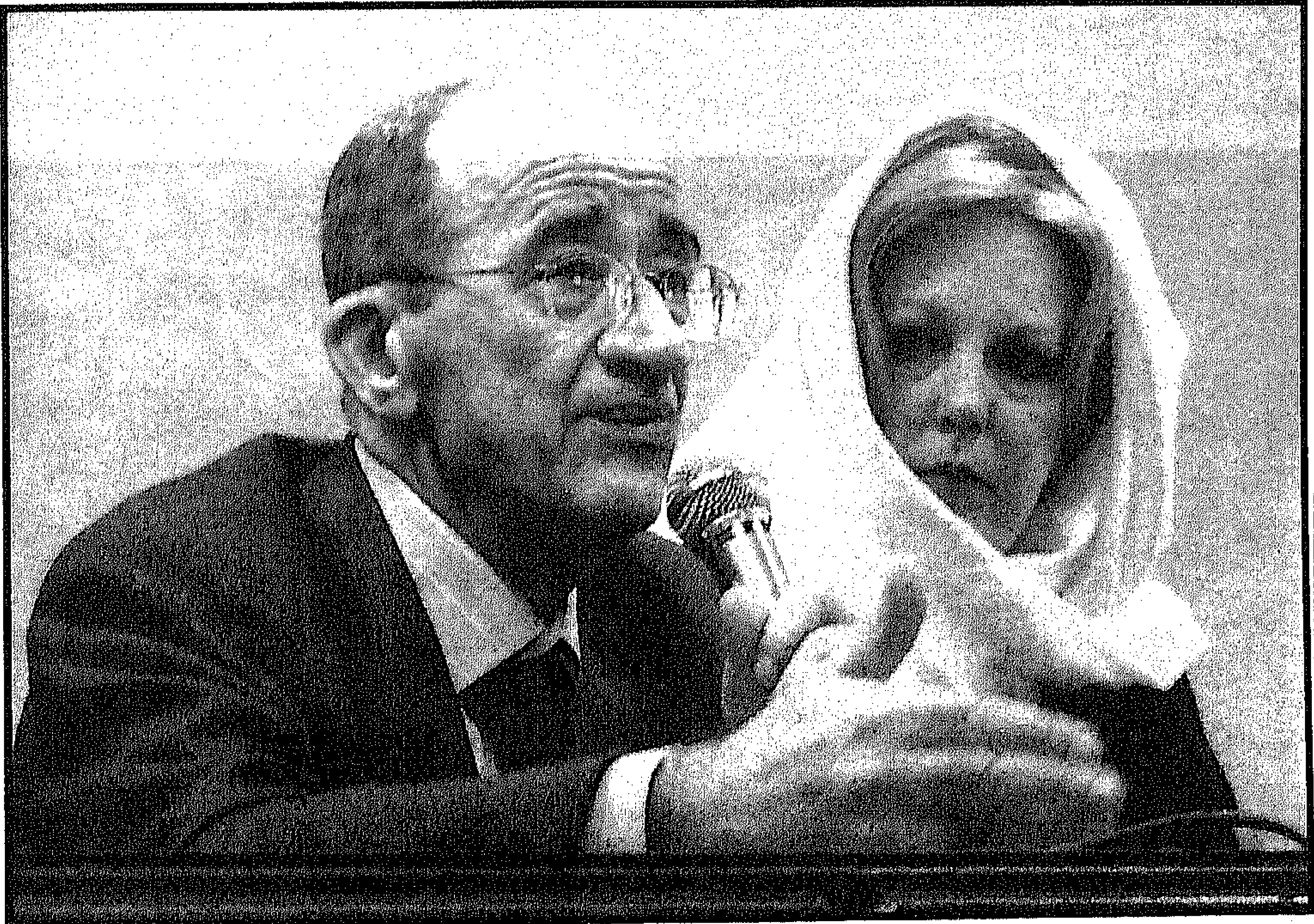
الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي يستقبل النائب العام المستشار ماهر عبد الواحد ومعه الدكتور علي السمان.



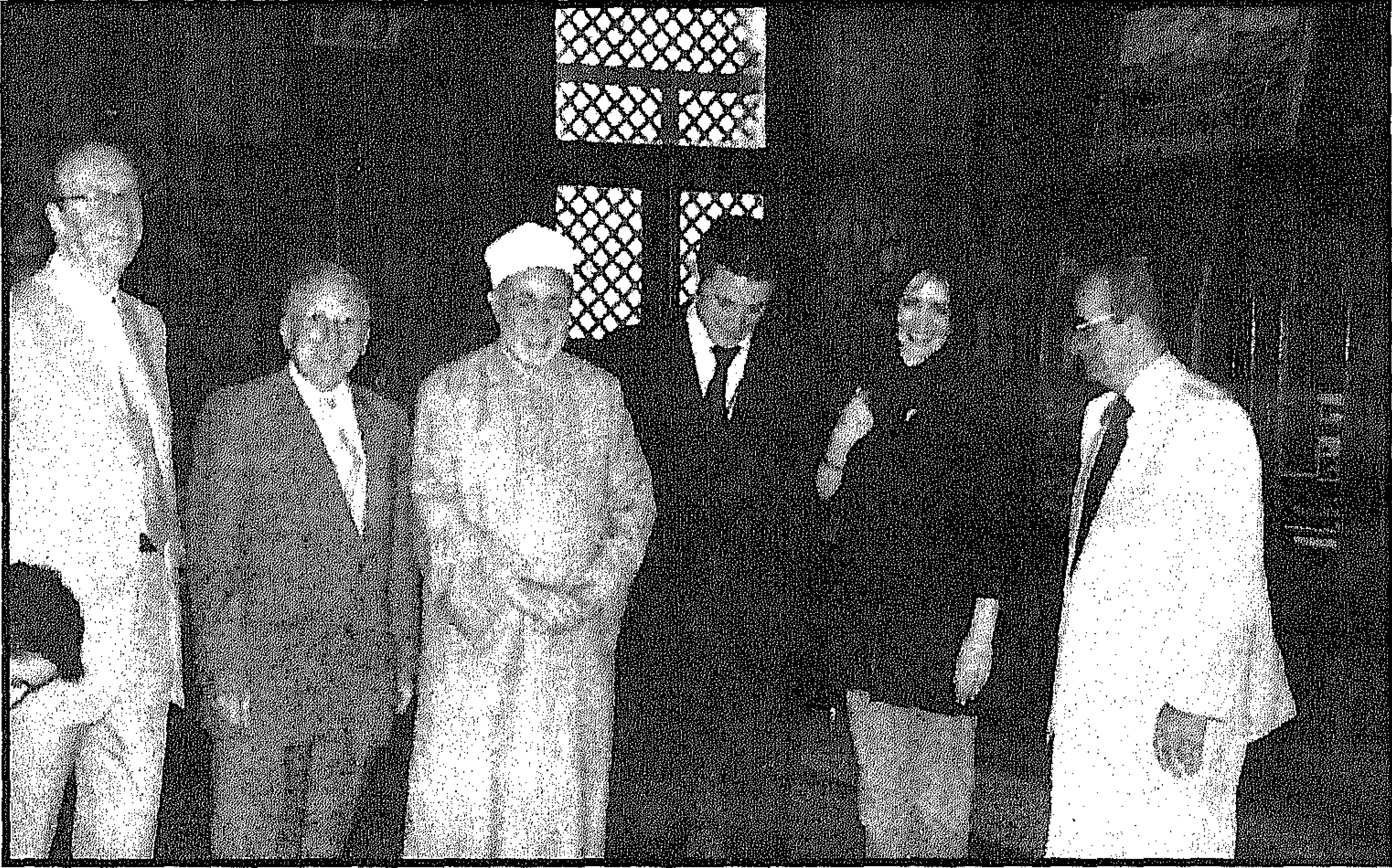
الإمام الأكبر، وهو يستقبل اثنين من كبار المستشرقين، البروفيسور رضوان، الذي يدير متحف لينينجراد للمخطوطات الإسلامية بروسيا، والبروفيسور نوزادا، الذي يدير مؤسسة من نفس النوع في إيطاليا



الإمام الأكبر شيخ الأزهر مع السفير بوب بيليترو وسفير أمريكا السابق في مصر ومساعد وزير الخارجية السابق والرئيس الحالي للمؤسسة الدولية "البحث عن أرضية مشتركة" ويعمل مع شارون روزن، وعلى يمينه شارون روزن مستشارة المؤسسة والعمود الفقري لنشاطها، وكذلك عماد عمر الفلسطيني. تبحث الجمعية عن حشد الرأي العام العالمي لحماية الأماكن المقدسة بالقدس وحرية العبادة فيها، وجمع كلمة ممثلي الأديان الثلاثة حول هذه الأهداف.



صورة لماري أيزنهاور بجانبي وعلى رأسها الحجاب، وردٌ على أسئلة ١٢٠ من أعضاء مؤسستها الناس للناس People to People.



الإمام الأكبر وعلى يمينه اللورد البريطاني يانر الرئيس المناوب للمجلس السياسي للتعايش، الذي يشاركه الرئاسة فيه الملك الحسن ملك الأردن، وكذلك السفير البريطاني الذي مارس بصفة رسمية لأول مرة الترجمة بين الإمام واللورد، وعلى شماله اثنين من السفارة البريطانية ود. علي السمان.



كبار ممثلي الكنائس الشرقية في مصر مع الدكتور محمود زقزوق وسفير الفاتيكان والشيخ فوزي الزفزاف وممثل كنيسة الدومينيكان ، ود. منير حنا ممثل الكنيسة الاسقفية والدكتورة تيسير مندور ود. نبيل لوقا.



د. علي السمان مع مفتي البوسنة الشيخ مصطفى وسفير مصر بالبوسنة محمد نصرت نور الدين في الاحتفال بخريجي الأزهر فى بيت السفير.



دكتور السمان أثناء زيارته للبوسنة مع السيدة صبيحة مسئولة النشاط الثقافي بالبوسنة وصديقة لمصر وتدعم بقوة النشاط الثقافي المصري البوسني.

مع الإعلاميين والفنانين



الاحتفال بالعيد الثالث لمولد قناة المحور ويُرى في الصورة د. حسن راتب صاحب المحور وعقله وروحه، وبجانبه السيد وزير التخطيط، وأمين الحزب الوطني صفوت الشريف، وأنس الفقي وزير الاعلام وصديقي العقباوي وكيل أول وزارة الاعلام.



بين الإعلامي د. علي السمان والإعلامي الكبير الأستاذ صفوت الشريف، من الطبيعي أن يكون الحديث ذا شجون.



"قفشات" أنيس منصور تضحك لها ولو كنت أنت ضحيتها.



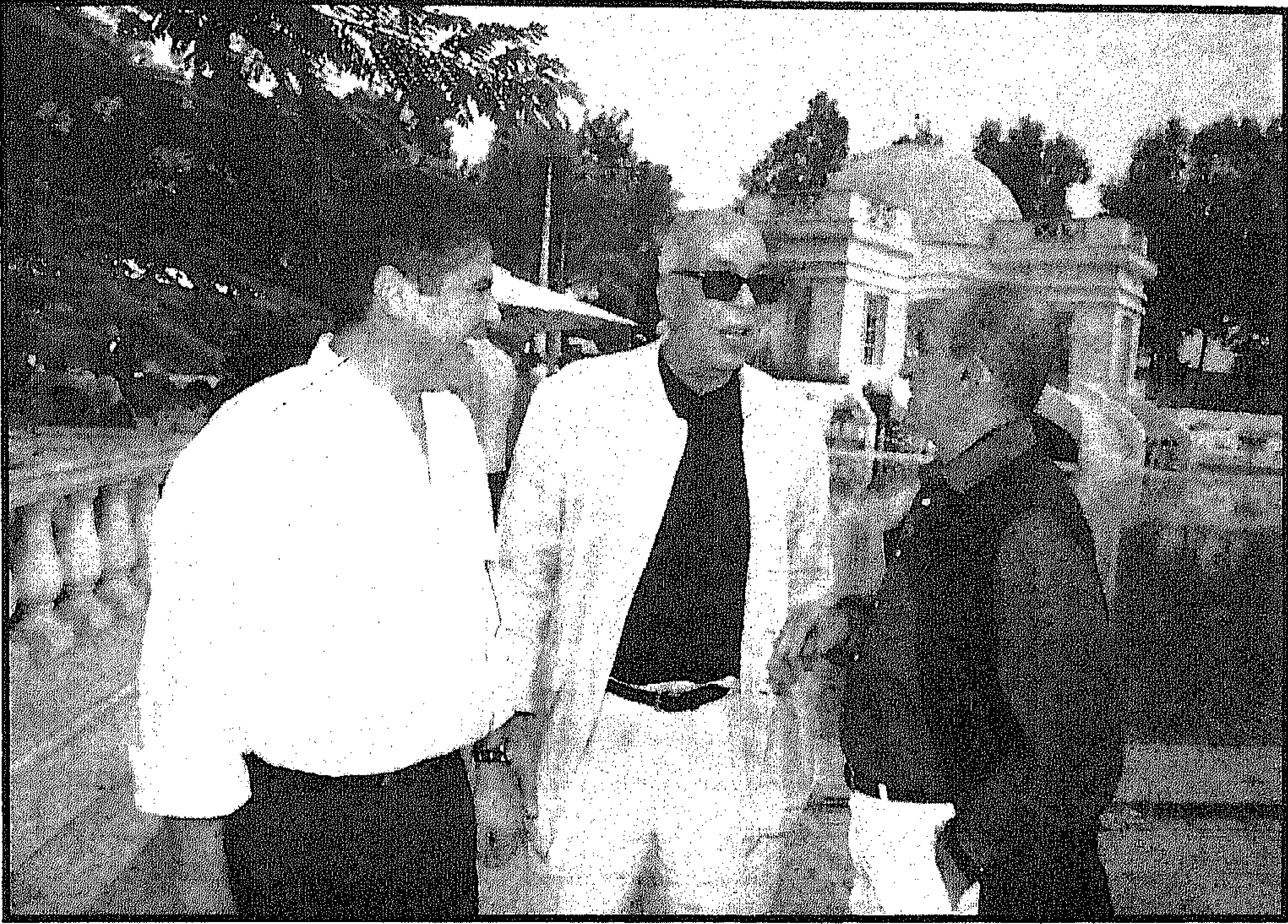
مع الكاتب والصحفي الكبير جمال بدوي



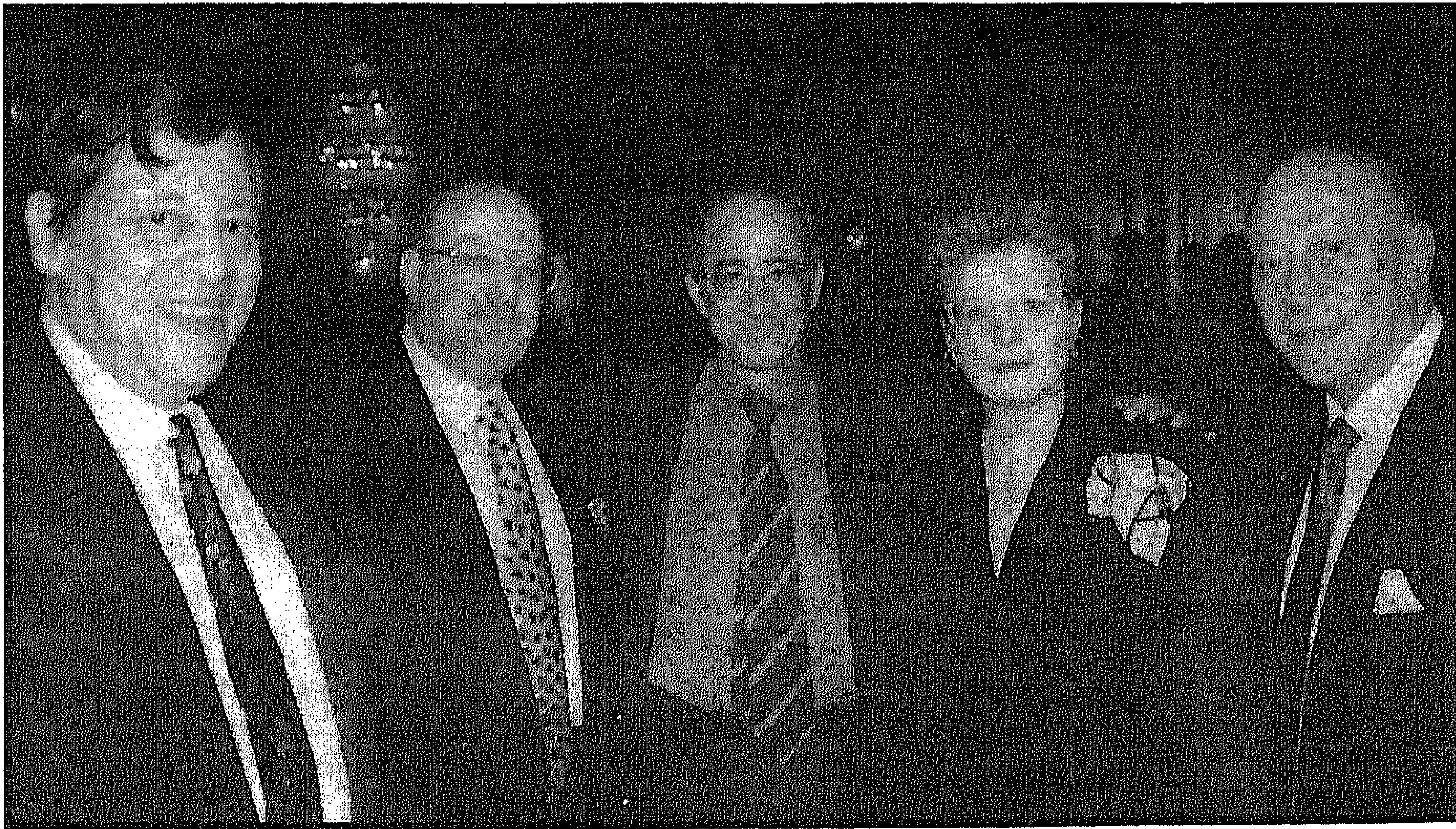
مع الفنان الكبير محمود ياسين، وجه يلخص جزءاً هاماً من فن السينما المصرية، وله مكانة ومعزة في قلبي.



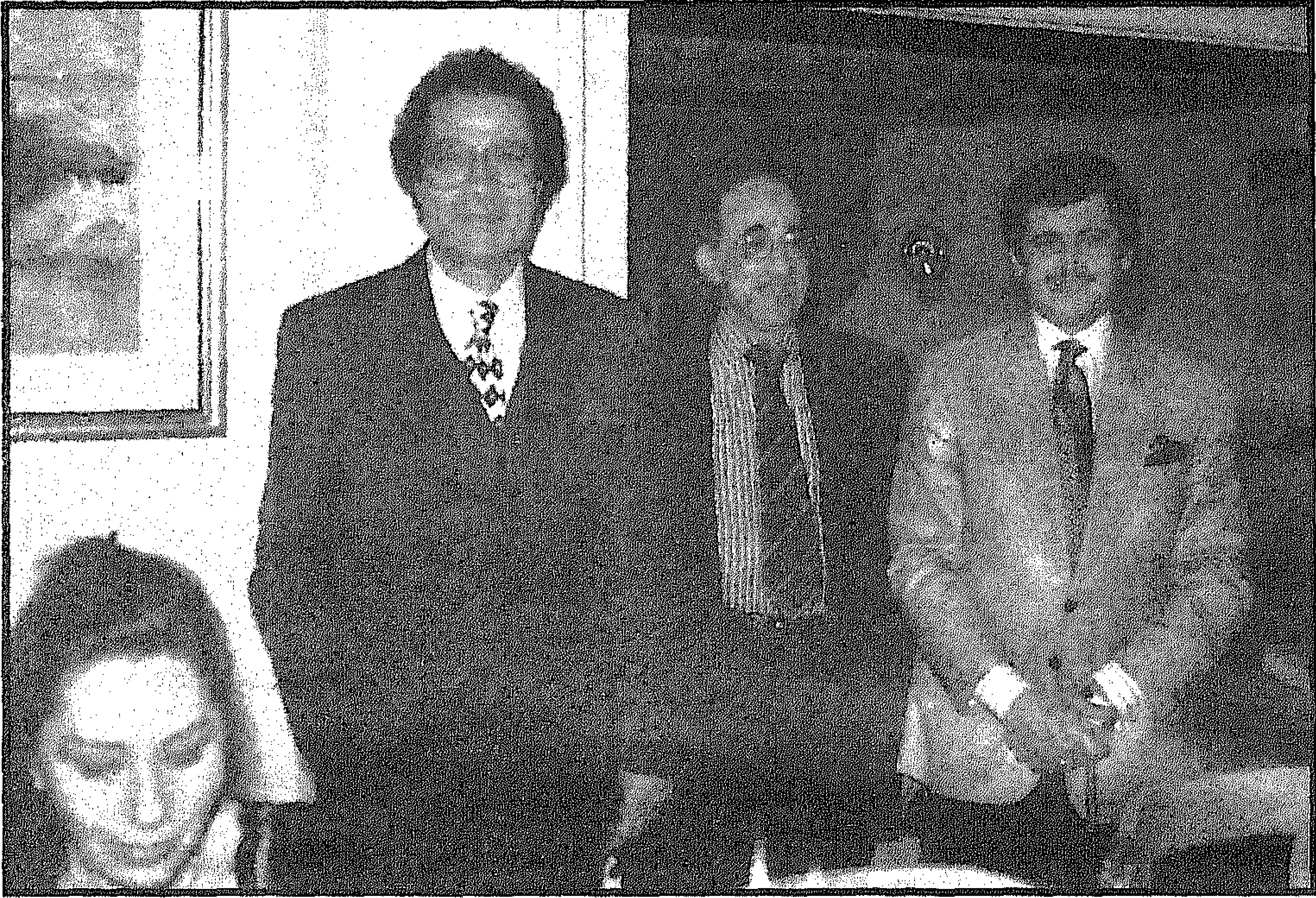
د. علي السمان مع الفنان الكبير الراحل أحمد زكي بعد فيلم عبد الناصر وقبل فيلم السادات، ونحن نتبادل الذكريات والمعلومات عن الرئيس الراحل السادات، وكان أحمد زكي أحيانا يُغمض عينيه ليركز على مايسمع ، وبيننا المهندس عمر زوج الاعلامية الكبيرة سلمى الشماع



د. علي السمان مع الأستاذ إبراهيم نافع فى بيت الصديق صلاح دياب



مع الأخ والصديق وزير الإعلام السابق محمد فائق، رئيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان، وعلى يميني رجل الأعمال الناجح منير غبور، وله عطاء ملحوظ فى كثير من المشروعات الخيرية.. ثم العميد والطبيب المتفرد خيري السمرة.. وبرجيت ليفيفر



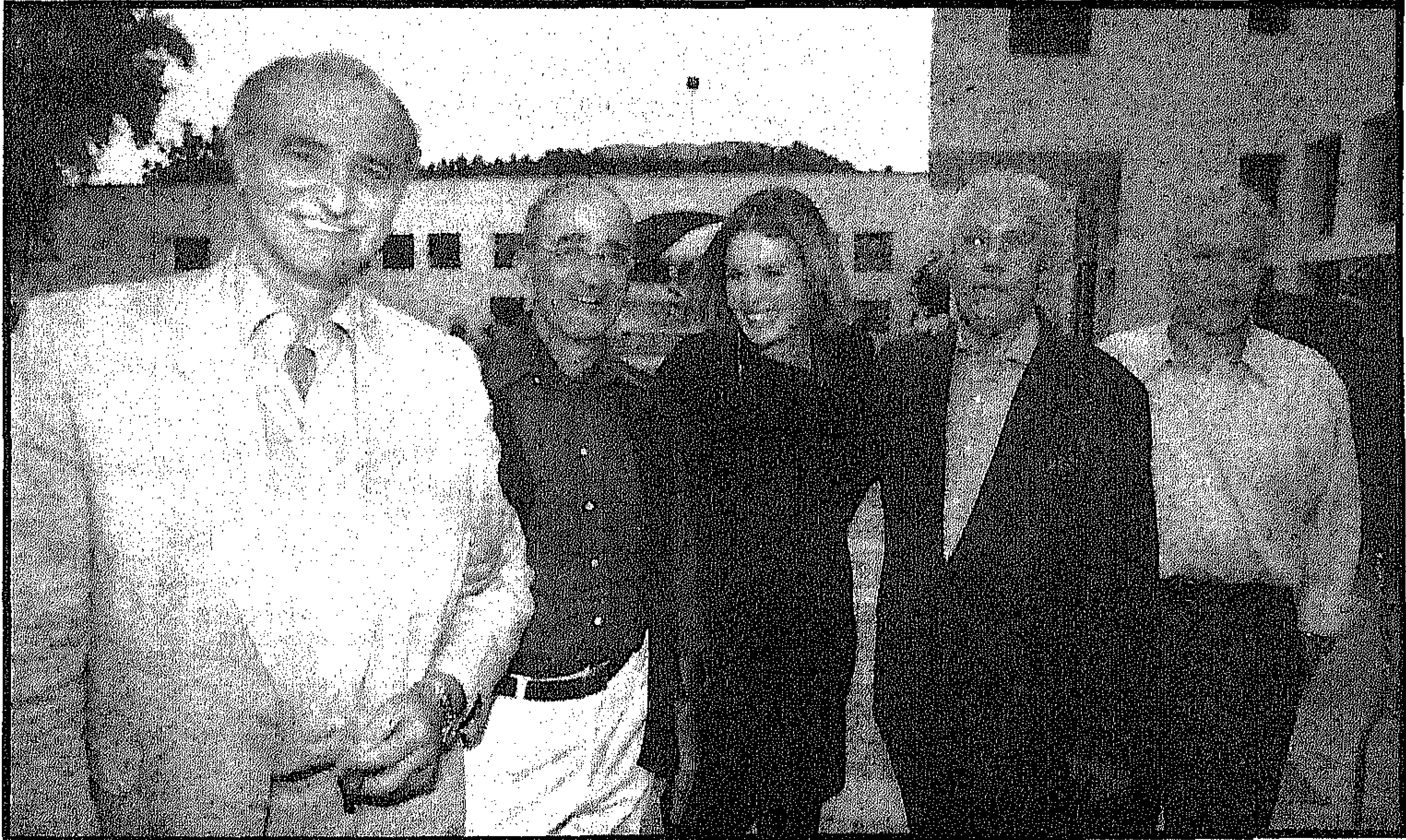
في بيتي.. مع الفنان الوزير فاروق حسني، ووزير الثقافة القطري، والفنانة ليلي شعير



د. علي السمان مع د. علي المفتي رحمه الله، العالم المؤمن والمعطاء،
والكاتب الكبير ذو العطاء الفكري طارق حجي



في بيتي.. دكتور بطرس بطرس غالي أمين عام الأمم المتحدة السابق، ومعه المخرجة إيناس الدغيدي والفنانة يسرا والكاتب الكبير أحمد يوسف القرعي والسفير علي ماهر سفير مصر السابق في باريس، والذي ترك بصمة لا تنسى على أعماله ونشاطه فى باريس، وبرجيت ليفيفر.



اجتمع الأصدقـاء: الفنانة يسرا، والدكتور صبري الشـبراوي، وجراح التجميل الكبير د. علاء غيتـه، والدكتور علي السمان.. وفى أقصى يمين الصورة الصديق المهندس صلاح دياب.. صاحب البيت الكريم



المغنية أمل وهبي مع سيادة سفير الجزائر والدكتور علي السمان والملحن الفنان مدحت الخولي وشقيقتها زهرة، وبالمناسبة فإن أمل وهبي مهندسة زراعية، وقد اقتنع د. السمان بموهبتها منذ أن تعرف عليها فى باريس وكانت نموذجاً نادراً لفنانة تريد أغنية يكون لكلماتها معاني ولموسيقاها أيضاً معنى فتفادت حلول السهولة ولمن يعرفونها عن قرب أمانة الكلمة ودماثة الخلق



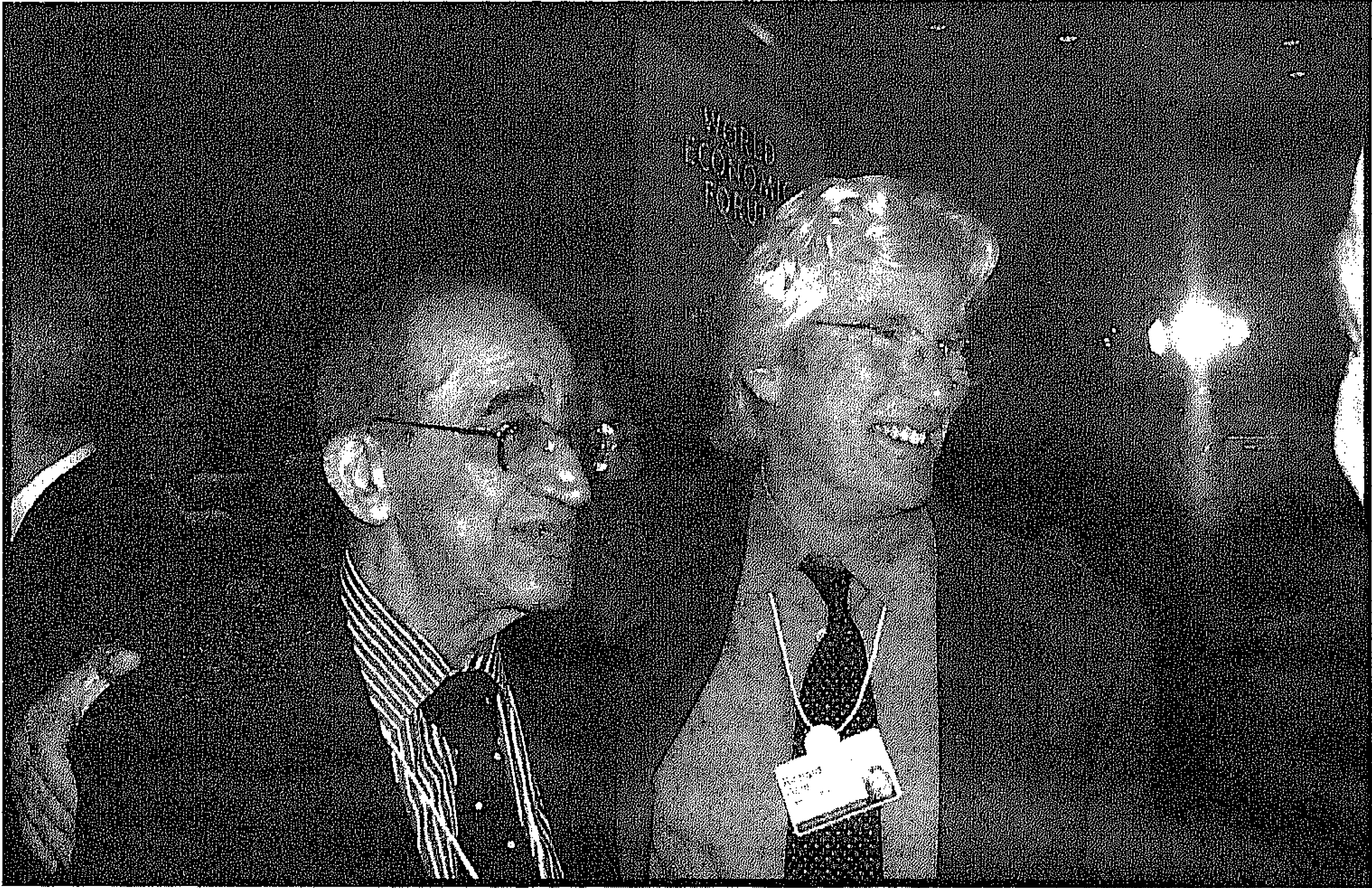
الفنانة والنجمة المتألقة إلهام شاهين والمخرجة إيناس الدغيدي صاحبة المفاجآت الدائمة التي يختلف عليها الناس ويتفق عليها المبدعون، مع علي أبو شادي مسئول الرقابة الذي احترم حرية الفكر، والدكتور فوزي فهمي



المستشار نجوى صادق، نائبة رئيس النيابة الإدارية، والفنانة المتميزة صفية العمري، في حفل تكريم الجامعة الألمانية للدكتور أشرف منصور.



مع الراحل فتحي نجيب، والمستشار محمود أبو الليل وزير العدل، والفنانة ليلي علوي



مع النجم العالمي ريتشارد جير الذي حصل على عدة جوائز، ومن أهم الأدوار التي قام بها، دوره في فيلم Pretty Woman أمام الممثلة الكبيرة جوليا روبرتز، والذي دُعي إلى المنتدى الاقتصادي العالمي في عمان في يونيو ٢٠٠٥، كجزء من حملة العلاقات العامة تجلب الأنظار الى المؤتمر.



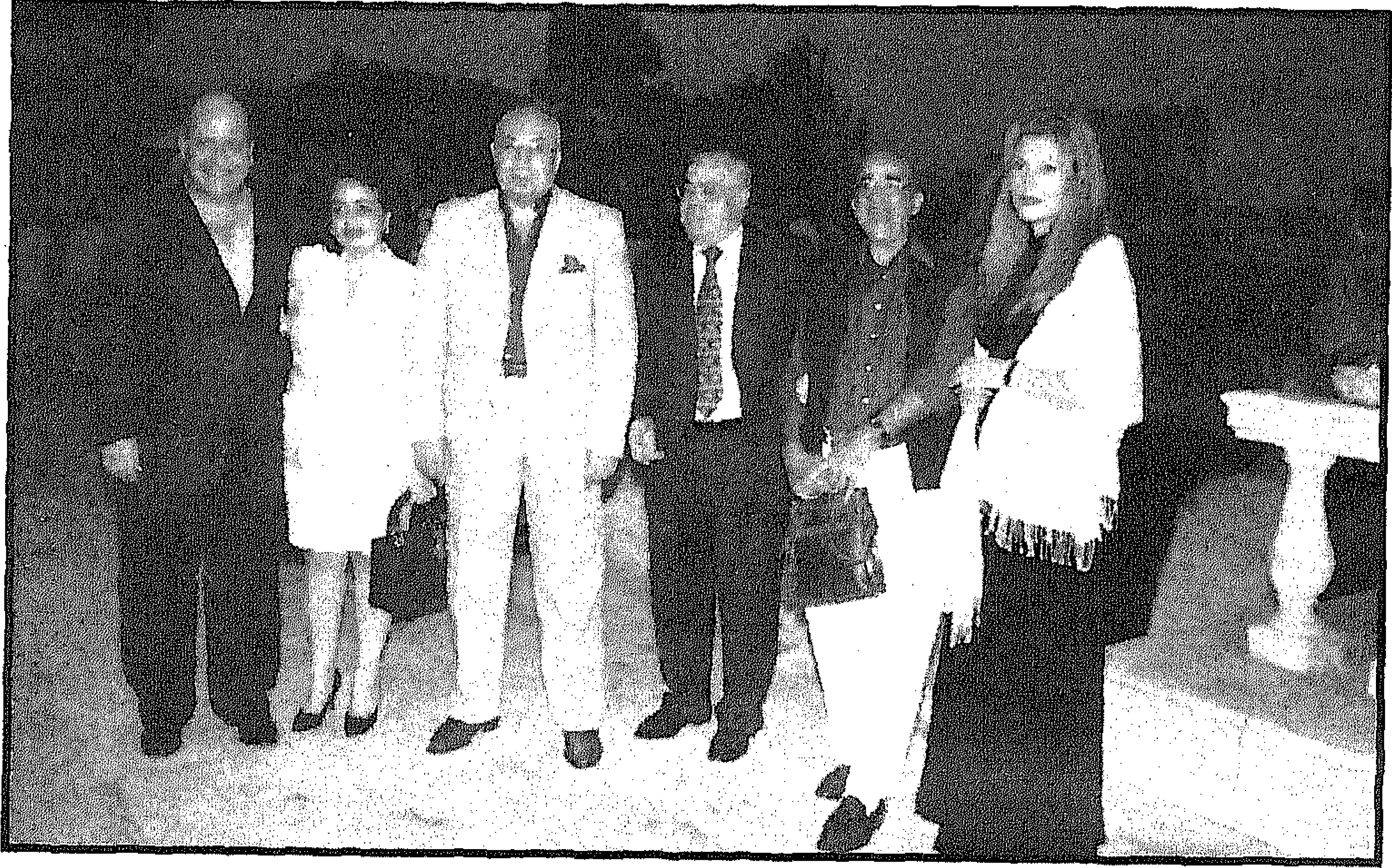
فيكتوريا هاربر الخبيرة الإعلامية الأمريكية، بين بريجيت ليفيفر وماري أيزنهاور



د. علي بين ماري أيزنهاور، والمتفردة علما وخلقا الدكتورة تيسير مندور أستاذة كلية الطب بجامعة الأزهر، والمستشارة السياسية لسفارة كندا نيفين عثمان، مصرية تعتز بمصريتها وبانتمائها أيضا إلى كندا، وبجانبنا الصحفية نشوى الديب



ماري أيزنهاور حفيدة الجنرال أيزنهاور في حفل عشاء ببيتي مع الكاتب الكبير أنيس منصور، وأحد أعضاء الوفد الأمريكي لجماعة الناس للناس People To People.



مرة أخرى في الحديقة الجميلة والبيت الأنيق للصديق صلاح دياب مع الأستاذ والكاتب جلال دويدار ورجل الاعمال عمر الدريني وزوجته شهدان وصاحبة الصوت المتميز الفنانة أمل وهبي.



السفير محمد بسيوني رئيس لجنة العلاقات الخارجية والأمن القومي بمجلس الشورى، وزوجته وبريجيت ليفيفر والفنانة أمل وهبي.



البابا شنودة والأنبا بسنتي ود. علي السمان مع الفنان سمير الإسكندراني والفنان يوسف شعبان نقيب الفنانين، والفنان رمسيس، في حفل إفطار الوحدة الوطنية



الإعلامية ماجدة برسوم تعرف نصف مصر والنصف الآخر يعرفها، ومعنا رجل الأعمال مينا حنا روفيم والمحامى وعضو مجلس الشورى فهمي ناشد في حفل إفطار قداسة البابا شنودة.



مع ابني سام (سامي)، وبجانبه الفنانة يسرا ، وخطيبته كارين، والفنانة مديحة يسري.. بمنزلي.

فهـرس الأعـلام

الفهـــرس

رقم الإيداع
٢٠٠٥ / ١١٦٨٩
I. S. B. N الترقيم الدولي
٩٧٧ - ٢٠٩ - ١٢٤ - ٠

أوراق عمري

الحياة كفاح وجهاد.. كلمة كثيرًا ما نقولها.. قليلاً ما نعمل بها أو نعيشها بحقها وبإخلاصها.

الدكتور علي السمان كان طوال عمره محاربًا ومحاورًا لخدمة قضايا الوطن العربي و وطنه مصر، وكذلك للدفاع عن قيم الإسلام وصورته الصحيحة بالخارج، وعن قيم حوار الأديان، بإخلاص يلمسه القارئ مشعًا من بين سطور هذا الكتاب.

وقد بدأ حياته يتيم الأب ثم الأم.. تخرج في كلية الحقوق جامعة الإسكندرية، ثم سافر إلى جامعة جرينوبل جنوب فرنسا، وهناك كون اتحادًا للطلبة الأجانب، وقام كذلك بنشاط كبير للرد على دعايات الأعداء إعلاميًا، دون أن يتخلى عن المواجهة والموضوعية، في ندوات ومحاضرات بالجامعة ومقالات بالصحف الفرنسية، وقد برز هذا الدور أثناء أحداث جسام مرت على أمتنا العربية، من ثورة يوليو إلى حرب ١٩٥٦ ونكسة ١٩٦٧ ومعركة أكتوبر ١٩٧٣، وبزغ نجمه دون أن يهتم لذلك، فسعت إليه السلطة ليتعاون معها رغم الوشايات التي كادت أن تهلكه لولا ستر الله معه - لإخلاصه - فأنقذته العناية الإلهية عدة مرات، وقد التقى وتعاون مع الرئيس جمال عبد الناصر وبعض رجاله وأنقذه من المغرضين والحاقدين.

وعلى الرغم من أنه لم يلتق مع السادات طيلة عصر عبد الناصر، شاء القدر أن يرتب له لقاءً مع الرئيس السادات، ليبدأ جولات وأوراق وصفحات جديدة من عمره مع السادات في أحداث تاريخية يكشف النقاب عنها..

وقد كان حلمه وأمله أن يخلق نوعًا من التقارب والتعاون بين الأزهر بيت الإسلام والفاتيكان رمز المسيحية الكاثوليكية، ولحكمة لا يعلمها إلا الله كان للدكتور علي السمان دور بارز في بدء الحوار بين الأزهر ورجاله، وبين ممثلي الأديان السماوية الأخرى.

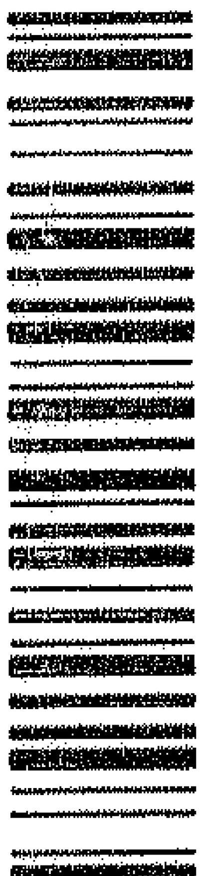
فقدم لنا الكتاب نماذج فريدة من السياسيين والإعلاميين والرموز الدينية وغيرهم ممن التقى وتعاون معهم الدكتور علي السمان مؤكدًا أن صفحات التاريخ ما هي إلا صفحات من جهاد وكفاح لرجال يعملون في صمت ويخلصون لله ولأوطانهم ولا يسعون إلى منصب أو مصلحة من أجل أن تحيا الأجيال المتعاقبة حياة أفضل، فهو قادر على التصدي "كمحارب" حينما تُفرض عليه المعارك، وقادر أيضًا على الحوار كأسلوب في معالجة الخلاف.

فمن الملك إلى عبد الناصر والسادات كتب القدر "أوراقًا من عمره" ليعطي لنا وللشباب نموذجًا فريدًا لمن يساهمون في صنع التاريخ، أو هُم جزء من التاريخ..

أمد الله لنا في عمره.

مهندس

ماجد أحمد



المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com
القاهرة: ٢٠٢/٣٩٣٤١٢٧
الإسكندرية: ٢٠٣/٤٨٤٦٦٠٢